

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
رئاسة الجمهورية

الهيئة الوطنية لحماية
الطفولة وترقيتها

المجلس الأعلى للغة العربية



**الحقوق اللغوية للطفل الجزائري
بين المطالب الاجتماعية والتربوية.**

المكتبة الوطنية - 24 فبراير / فورار 2019

كتاب: الحقوق اللغوية للطفل الجزائري
بين المطالب الاجتماعية والتربوية
- يوم دراسي -

- إعداد : المجلس الأعلى للغة العربية
- قياس الصفحة: 23/15.5
- عدد الصفحات:

منشورات المجلس

الإيداع القانوني:
ردمك:

المجلس الأعلى للغة العربية
العنوان: 52، شارع فرانكلين روزفلت
ص.ب 525، ديدوش مراد، الجزائر.
الهاتف: +213 21 23 07 16/17
الفاكس: +213 21 23 07 07
الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz



برنامج اليوم الدراسي حول:

الافتتاحية

-النشيد الوطني؛

-كلمة معالي رئيس المجلس الأعلى للغة العربية: البروفيسور . صالح بلعيد؛

- كلمة رئيسة الهيئة الوطنية لحماية الطفولة وترقيتها: السيّد مريم شرفي؛

كلمة رئيس اللجنة العلميّة: أ. حسن بهلول؛

- كلمة الدكتورّة كنزة مباركي؛

- تكريمات؛

- استراحة.

الجلسات العلميّة

الجلسة العلميّة الأولى			
الهيئة الوطنية لحماية الطفولة وترقيتها		الرئيس: د. سمير دهریب	
المؤسسة	عنوان المداخلة	المحاضر	
ج. عنابة	أثر أغانيّ الرّسوم المتحرّكة على لغة الطّفل الجزائريّ - دراسة ميدانيّة -	د. جميلة غريب	د. 10.00 س 11.30 س
ج. سطيف	علاقة الطّفل بلغته الأمّ واللّغات الأجنبيّة من خلال المجلس العربيّ للطفولة والتّميّة.	د. عز الدين لعناني	
ج. سطيف	اللّغة الأمّ وانعكاساتها على التّحصيل المعرفيّ عند الطّفل الجزائريّ.	د. خيرة عيشون	
ج. تيزي-وزو	فاعليّة اللّغة الأمّ في بناء المعارف والكفاءات اللّغويّة الجديدة.	د. كريمة سالمی	

الجلسة العلمية الأولى

جامعة: برج بوعريّيج

الرئيس: أ. ياسين بوراس

المحاضر	عنوان المداخلة	المؤسسة
د. زهرة بوضروة	الحقوق اللغوية للطفل الجزائريّ	ج. الشلف
د. محمد سيف الإسلام بوفلاقة	الإعلام الموجه للطفل الجزائريّ وأثره على نموّه اللغويّ - دراسة تحليلية لنماذج مختارة -	ج. باجي مختار - عناية
د. صبرينة قهار	أهمية الوظائف النفسية الاجتماعية للغة في ضمان حقّ الطفل في المشاركة والتعبير عن رأيه	الهيئة الوطنية لحماية الطفولة وترقيتها
د. نور الدين لبصير	السياسة اللغوية وأثرها في تعليم اللغات الوطنية بين التراكبات المعرفية والمستجدات المنهجية.	ج. بومرداس
المناقشة العامة		

من 11.30 سا إلى 13:00 سا

الورشاتان العلميتان

الورشة العلمية الأولى 10:00 سا - 13:00 سا

الرئيسة: أ. دليلة عليان	المقررة: أ. حمدان مليكة
الأعضاء:	
أ. إيمان قليعي + د. دليلة قنور + أ. محمد مكاكي + أ. حيزية كروش + أ. وردية قاذز + أ. إبراهيم الحليل بن عزّة + أ. فائزة مجاهدي + أ. عمر بورنان	

الورشة العلمية الثانية 10:00 سا – 13:00 سا

الرئيسة: أ. ليندة بوشيحة المقرر: أ. عبد العزيز كرجال

الأعضاء:

أ. هوارية وناس+ أ. سارة لعقد+ أ. وسام بدني+
أ. سارة مسعوداني+ أ. حسينة أحمان+ أ. ساجية بوخالفي+
أ. بوخاري مليكة

الجلسة الختامية

- برئاسة معالي رئيس المجلس: البروفيسور صالح بلعيد.
- قراءة تقرير الورشة العلمية الأولى؛
- قراءة تقرير الورشة العلمية الثانية؛
- الكلمة الختامية؛
- توزيع الشهادات.

المجلس الأعلى للغة العربية

52 شارع فرانكلين روزفلت الجزائر ص.ب. 575 ديدوش

مراد – الجزائر

روابط الاتصال:

الهاتف: 00213 21 23 07 09

الفاكس: 00213 21 23 07 07

الموقع: hcla.dz

  المجلس الأعلى للغة العربية

مجلة اللغة العربية: www.asjp.cerist.dz madialetalarabia@gmail.com

مجلة معالم للترجمة: www.asjp.cerist.dz maalim.traduc@gmail.com

الفهرس

الصفحة	عنوان المداخلة
	اللغات الأمّ والتنمية البشرية أ د صالح بلعيد. رئيس المجلس الأعلى للغة العربية
	كلمة السيّدة مريم شرفي المفوضة الوطنية لحماية وترقية الطفولة
	كلمة رئيس اللّجنة العلميّة أ. حسن بهلول
	أثر أغاني الرّسوم المتحرّكة على لغة الطّفل الجزائريّ - دراسة ميدانيّة - الدّكتورة جميلة غريب جامعة باجي مختار - عنابة -
	علاقة الطّفل بلغته الأمّ واللّغات الأجنبيّة من خلال المجلس العربي للطفولة والتنميّة. بقلم: د/عزالدين لعناني - مركز البحث العلمي والتّقني لتطوير اللّغة العربيّة
	اللّغة الأمّ وانعكاساتها على التّحصيل المعرفيّ عند الطّفل الجزائري خيرة عيشون - جامعة: محمد لمين دباغين سطيف 2
	فاعلية اللّغة الأمّ في بناء المعارف والكفاءات اللغوية الجديدة د. كريمة سالم/أستاذة محاضرة (أ) - جامعة مولود معمري / تيزي وزو
	اللّغة العربيّة ودورها في بناء الشّخصيّة الوطنيّة أ. ياسين بوراس - ج/ محمد البشير الإبراهيميّ برج-بوعريبريج
	الحقوق اللغوية للطفل الجزائري د. زهرة بوضروة - جامعة الشلف
	الإعلام الموجه إلى الطّفل الجزائري وأثره على نموّه اللّغوي -دراسة تحليليّة لنماذج مختارة - د. محمد سيف الإسلام بوفلاّقة جامعة عنابة، الجزائر

	<p>السياسة اللغوية وأثرها في تعليم اللغات الوطنية بين التراكبات المعرفية والمستجدات المنهجية.</p> <p>د. لبصير نور الدين - أستاذ محاضر أ جامعة امحمد بوقرة بومرداس</p>
	<p>أثر الإعلام على لغة الطفل الجزائري سلبي وإيجابيا: دور وسائل الإعلام في اكتساب اللغة عند الطفل (التلفاز أنموذجا)</p> <p>أ. إيمان قليعي - جامعة الشلف: حسيبة بن بوعلي</p>
	<p>«الرسوم المتحركة ودورها في إثراء المصطلحات التاريخية لدى الطفل» دراسة وصفية في «مصطلحات الثورة التحريرية الموظفة في سلسلة الجزائر تاريخ وحضارة — أنموذجا»</p> <p>أ/ دليلة قدور</p>
	<p>اللغة الأم ودورها في التحصيل المعرفي لدى الطفل التعليم التحضيري ودوره في تنمية المهارة اللغوية لدى الطفل</p> <p>أ. فايزة مجاهدي - جامعة أبي بكر بلقايد- تلمسان - طالبة دكتوراه</p>
	<p>التأثير السلبي للغة الرسوم المتحركة على الملكة اللسانية العربية للطفل الجزائري.</p> <p>هوارية وناس - جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة</p>
	<p>السياسة اللغوية في الجزائر من خلال تخطيط تعليم وتعلم المصطلحات العلمية المدرسية وأثرها على استعمال اللغة العربية</p> <p>أ. سارة لعقد - أبو القاسم سعد الله - جامعة الجزائر</p> <p>-2</p>
	<p>دور القنوات المخصصة للأطفال في تنمية القدرات اللغوية للطفل الجزائري: قناة سببيس تون أنموذجا</p> <p>أ. وسام بداني - جامعة مولود معمري - تيزي- وزو</p>
	<p>أثر التعليم المبكر للغات الأجنبية على الهوية الوطنية</p> <p>أ: سارة مسعوداني، المركز الجامعي عبد الحفيظ بو الصوف_ميلة_</p>

	تأثير وسائل الإعلام الحديثة في تنمية الملكة اللغوية للطفل الجزائري. أ. ساجية بوخالفي - جامعة: مولود معمري تيزي-وزو
	تقاطعات اللغات الأجنبية واللغة الأم مع الهوية والانتماء. الصراعات العالمية اللغوية وسنن الوجود الهوياتي أ. بوخاري مليكة- أستاذة مساعدة قسم أ المدرسة الوطنية العليا لعلوم الإعلام والصحافة
	السياسة اللغوية التعليمية في الجزائر: بين صراع النخب الثقافية السياسية وحتمية العولمة أ.د فيروز مامي زرارقة د.حفيظة مخنفر امعة سطيف 2 الجزائر

اللغات الأم والتنمية البشرية*

أ د صالح بلعيد. رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

- ديباجة: يأتي اختيار هذا العنوان بهذه المناسبة العالمية، وهي اليوم العالمي للغات الأم، وإذ نشهد الأمم المتحدة في جمعيتها العامة لهذه السنة قد اختارت أن تكون سنة 2019 دولية للغات الأصلية؛ وهذه خطوة جريئة لرفع مستوى الوعي العالمي بالمخاطر التي تهدد لغات الشعوب الأصلية. وأن المجلس الأعلى للغة العربية يحتفي بهذه المناسبة تحت شعار (اللغات الوطنية وتحدي الرقمنة) بمبسم اليونسكو، وبالعنوان هذا اللقاء (الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية) وبمعية الهيئة الوطنية لرعاية الطفولة، التابعة لدولة الوزير الأول. والسيدة رئيسة المفوضية مشكورة على قبول الشراكة؛ التي نروم أن تتوطد أكثر في لاحق من المشاريع.

السيدة الرئيسة؛ سعداء بما تقدمينه من رعاية مثلى؛ لطفولتنا الصغرى والكبرى، وما تعالجه من مضايقات تجاه هذه الطفولة بالرقم الوطني 1111، وما نتدخلين به من دفع المظالم، ورد الاعتبار لذوي الحاجات، ولأصحاب العاهات. واللغات الأم مطلب نريد الوصول بها إلى حسن استعمالها لدى كل الغايات، وهكذا تكتمل أعمالنا في الملمات. فأنعم بك يا سيّدة المقامات، فزيدنا شراكة في كل المناسبات.

إنّ غرضنا من الاحتفاء العلمي يتعلّق بالإسهام في تيسير الوصول إلى لغات الشعوب الأصلية والترويج لها، والعمل على تحقيق تحسّن في حياة هذه الشعوب من خلال تعزيز أبناء هذه اللغات على التواصل بلغاتهم الأصلية. وأهمية هذا الفعل العالمي تكمن في توفير منبر وطني لإقامة حوار بناء يتناول فيه المختصون نماذج

لصون المعارف باللغات الأم، وإتاحتها أمام الباحثين، وشعار فعل هذه السنة (أهمية لغات الشعوب الأصلية من أجل بلوغ التنمية المستدامة وبناء المصالحة).

أيها الحضور، تتال العريبة مساحاتٍ وطنيةً وعربيةً وعالميةً، ويعلو مقامها في الاستعمال، دون أن نغفل المازيغية التي أصبح لها رمزية اللغة الرسمية، وهذا فعل نبيل أعطى لها صفة الحياة اليومية في الاستعمال، دون أن نهمل تلك الدعوات الحقوقية التي تدعو إلى ضرورة الاهتمام باللغات الأم وهي من المطالب الاجتماعية التي تحفل بها الأمم بتعزيز لغاتها الوطنية من خلال الجمع بين الشعارات العالمية والوطنية، فيروم المجلس الأعلى للغة العربية والهيئة الوطنية لرعاية الطفولة البحث عن هدفين: الهدف الأول هو البحث عن صفة علمية تعمل على تحقيق المصالحة اللغوية في تكامل اللغات الوطنية، وليس من باب الدعوة إلى الحقوق اللغوية، بل هي مضمونة ومصونة بحكم القانون ولكن بدعوة المختصين إلى حسن إتقان استعمال اللغتين الوطنيتين في سن مبكرة: استماعاً وتحديثاً وقراءة وكتابة، وتحقيق مستوى عالٍ من التعلّم الذاتي المؤدّي إلى حبّهم للعلم والبحث والإبداع فيهما وبهما، وكذا حسن استعمالها لدى ذوي العاهات ومن يعاني مرض التوحّد؛ لنرفع شعار: الجزائر تُعلّم لغاتها الأم/ أبناء الجزائر يقرؤون/ الجزائر تحترم الحقوق اللغوية/ الجزائر لا تفرّق بين أبنائها. وعن الهدف الثاني هو البحث في علاج بعض العاهات اللغوية بسبب انتشار وسائل الترفيه الإلكترونية والإدمان على مشاهدة التلفاز أو اللويحة، وانشغال الوالدين بتوفير مستوى اجتماعي جيّد، دون الاهتمام بمرافقة الأولاد لغوياً، وقد حالت الظروف أن لا تحصل اللقاءات الأسرية، وهناك أسباب طردية ذات العلاقة بالإعاقة السمعية والذاتوية (التوحّد) والافتقار للبيئة المنبّهة. ويحتاج هذا إلى تشخيص هذا التأخر في برامج لغوية علاجية. وهنا تقع المسألة على المختصين في التخاطب واستغلال البيئة المنزلية الثرية بالعناصر الطبيعية؛ فهي أفضل من الصّور، مع تخصيص وقت لأطول فترات للتحدّث مع الطّفل حول مختلف الموضوعات. ومن هنا كان

علينا الجمع بين الهدفين بالعمل على تطوير أساليب استخدام لغات الأم في التعلّم، وتوظيف أفضل الوسائل التربوية والإيضاحية الحديثة في التعلّم والتأكيد على دور المنزل في ذلك الأمر. ومن العدالة اللغوية أن يقع التعلّم باللّغة الأمّ فهو أكثر فاعليّة وأبعد أثراً حيث يبسرّ سرعة الفهم دون عائق لغويّ؛ فتزداد الحصيلة الدراسية ويرتفع المستوى العلميّ، وينتشر التعلّم أفقياً. وسوف تضع العدالة اللغوية عندما يقع التركيز على تعليم اللغات الأجنبيةّ على أنّها لغات أساس، وعند ذلك يكون التعلّم نخوبياً، ويبقى لدى فئة عاليّة في المستوى العاموديّ.

— مقدّمة: في العادة بأنّ اللغات الوطنيّة المشتركة هي التي تعمل على التّميّة البشريّة؛ حيث إنّ القمّة على اتّصال بالقاعدة، والعكس يصحّ، من خلال لغة مشتركة، وتسمى لغة الأمّ/ لغة الأمّة. ومفهوم كلمة الأمّ/ الأمّة يعني بها ذلك الكيان الأوسع والشامل في الانتماء الحضاريّ والثّقافيّ المشترك. وهكذا فالعربيّة والمازيغيّة مجال مشترك ومثال يُحتذى؛ فينطبق عليهما مصطلح (اللّغة الأمّ+ لغة أمّ) فلهما التّفصيل لما لهما من قاسم مشترك، ولا بدّ من تدبير عقلائيّ يُراعي التّعّدّد بحسب المقام والذي يحافظ على التماسك والتّعايش. ومع ذلك فنجد أحياناً بعض الفئات تطرح أسئلة الهوية والخصوصيات اللغوية والثّقافية والحضارية والقوميّة والروحيّة، وهذا لا يبتعد عن المطالب الاجتماعيّة، ولا ينفى الحقوق اللغويّة، ولا يكون هذا إلّا في تلك اللغات التي تعلّم لأولادنا؛ فكيف يكون ملمحهم من خلال الحُمولة التي يتلقونها في التعلّم بصفة عامّة، وكيف يكون الطّفّل المستقبليّ المسؤول/ المدير/ العالم/ الموجه... بحمولة لغويّة ما؟ وما هي الغايات التي يستهدفها في التّميّة الوطنيّة؟ فهل للغة أثر في البناء الوطنيّ؟ وما أثر اللغات الأجنبيةّ في التّميّة بصفة عامّة؟ تلکم هي أسئلة التّميّة المستديمة الشّاملة، فهل التّميّة المستديمة الشّاملة المتكاملة تأتي من اللغات المحليّة أو من اللغات الأجنبيةّ؟ إنّ التّميّة الشّاملة تأتي بنفع عامّ لا شكّ في ذلك، وتفضي إلى تميّة القدرات الذهنيّة، والرفع من المستوى التّعليميّ والخبرة والثّقافة والوعيّ، بل إلى زرع الثّقة

بين المسؤول والمسؤول عليه، بين الراعي والرعية، بين المسير والخادم، ليحصل المزج الكلي بين العقول التي تُفكر وتُخطّط، وبين السواعد التي تعمل وتبني. وهكذا، لا يمكن أن تحصل التنمية البشرية في غياب التواصل البيئي الذي لا يكون إلا بلغة/ لغات مشتركة، وهذا ما نلمسه بين المريض والطبيب، فغياب التواصل اللغوي يزيد من عقدة المرض، وإذا حصل التواصل البيئي يحصل نصف الشفاء. ولذا، فنروم أن تكون اللغة المشتركة ركيزة أساساً في التنمية الجمعية، والتي تعتمد: الرأسمال البشري+ الرأسمال المعرفي+ توطين المعرفة¹. وتوطين المعرفة باللغة المشتركة عامل قويّ لمزيد من الإنتاج.

وهكذا، فإنّ مؤشر اللغة الأمّ مؤشر إيجابي في تحقيق الأمن الثقافي والانسجام الاجتماعي والتضامن الوجدوي، واستجابة لتوجه جميع الجزائريين الذين يتشبّهون باللغة العربية؛ باعتبارها اللغة الجامعة والمزيغية لغة تراث القوى الفاعلة، فإنّه لا مندوحة من الإقرار بما لهما من استقرار داخلي، ومن تنمية فاعلة، على غرار العربية التي لها مواقع عالمية؛ كما ورد في التقرير الأخير لموقع أنتولوج Ethnologue المتخصّص في اللغات، الصادر في فبراير 2017، أنّ اللغة العربية تحتل المرتبة الرابعة باعتبار عدد المتحدثين بها لغة أمّاء، بعد الصينية والإنجليزية والإسبانية، بينما تحتل الفرنسية المرتبة الرابعة عشرة حسب هذا المؤشر². وقد نحا موقع موزالينغا Mozalingua هذا النحو، فعّدّ العربية واحدة من بين أهمّ سبع (7) لغات في العالم تعتبر مفتاحاً لسوق العمل، متقدّمة بهذا الاعتبار على اليابانية، واعتبرها ثالث لغات العالم من حيث عدد الناطقين، وقال إنّ اللغة العربية أصبحت ضرورية لفهم عالم اليوم³. كما تؤكد تقارير التنمية البشرية أنّ من اللازم أولاً إيجاد مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية البشرية. ويُعرّف مجتمع المعرفة بأنّه ذلك المجتمع الذي يتبادل المعلومات بسرعة وسهولة، ويتمكّن من استيعابها بيّسر، والإبداع فيها وتميمتها. ولا يتمّ ذلك بالسرعة المطلوبة والسهولة المرغوبة إلاّ عن طريق اللغة الوطنية المشتركة. فنحن نعلم أنّ تعلم اللغة

الوطنية أيسر من تعلم اللغة الأجنبية؛ لأنّ تعلم الأولى يتمّ في بيئتها وثقافتها، أما تعلم الثانية فيتمّ في بيئة غريبة عنها، ويجري نطقها بأعضاء نطق تعودت على نطق غيرها، ويتمّ التعبير بها من فكر تطابق بنياته ببنيات لغة غريبة عنها. ولهذا قيل: إنك إذا تعلمت العلوم بلغتك أخذتها، وإذا تعلمتها بلغة غيرك أخذتها.

وهكذا تساوي العربية لغة التنمية، والمازيغية تلحقها، ولكن في واقعنا المعاصر الذي تقوم الأمور على المصالح المرسلة من حقّ التاجر/ المعلم/ السائق/ السائح/ الإداري... أن يسأل عن لغة فيها منفعتها؛ وهي أسئلة مشروعة، فأين هذه اللغة التي لها وزن في سوق التداول؟ وهذه الأمور من أسئلة واقع المنفعة ونحن نعيش هاجس الحضارة والتقدم والاستقرار، فيمكن أن يهجر الإنسان لغته ويعزف عن توريثها لأبنائه، فلا تشغله الهوية اللغوية/ المواطنة اللغوية بقدر ما يشغله واقع المال والمصلحة ومن هنا، لا يجب أن ننخدع بالتشبيث اللغوي الداعي إلى قبول اللهجات والتي تنشط إلى محليات أو اللغات الأجنبية، وفي الأخير ينتصر من يضرّم النار بين اللغات الأخوات. ونعلم بأنّ سلاح اللغة ذو حدين: يمكن أن توظّف من أجل لحمّة المجتمع، كما يمكن أن تستعمل لتزويقها.

ولهذا، ينمو الرأسمال المعرفي بقدر نمو الثقافة الجامعة، والوعي الجمعي، ولا تحقّقه إلاّ اللغة/ اللغات الوطنية المشتركة القادرة على تعميم التعليم، وإنتاج المعرفة ونقلها وتبسيطها وتوطينها وتعميق جذورها في المجتمع؛ لأنّ المعرفة لا تستورد كلّها بل يمكن استيراد بعضها، وما دام أنّه يستورد بعضها فإنّه عالية على الآخرين أو في حكم غير الموجود. فالمعرفة تستنبت في بيئتها وفي عقول أبنائها بلغتهم المشتركة لأنّ استيراد المعرفة مكلفة جداً، ثمّ هي متطورة دائماً، فما هي المعرفة التي تستورد؟ وكذلك، فإنّ استيراد المعرفة يمكن أن تحصل بصورة سطحية، وما هو ليس متجذراً يكون سهل الاقتلاع والزوال، واستيراد المعرفة بلغاتها؛ بمعنى توسيع تلك اللغة في وطنك على حساب اللغات الوطنية؛ ويعني ذلك تبعية لغوية، كما يعني خلق نخبة وفئة تتقن اللغات الأجنبية. والطريق الأمثل هنا هو نقل

المعرفة إلى اللغة/ اللغات الوطنية المشتركة؛ بتكثيف حركة الترجمة؛ وفق برامج مخططة تواكب حركة الإنتاج المعرفي، وهضم المعرفة العلمية بلغاتها الأصل ثم ترجمتها. وصدق بيرم التونسي الذي قال: "إذا علمت شخصاً بلغته نقلت العلم إلى تلك اللغة، أما إذا علمته بلغة أخرى فلم تزد على أنك نقلت ذلك الشخص إليها". وإنه ليس هناك من وسيلة لتعميم المعرفة وتطوير سلوك المجتمع إلا استعمال اللغة/ اللغات الوطنية المشتركة، حيث التنمية عمومها لا تحصل إلا بتماسك لغوي اجتماعي، والمجتمع المنسجم لغوياً هو الأقوى، وغير المنسجم يصبح مُنحلاً ويساعد على خلق جوّ من التبعية، بل ومن الشرخ الجمعي الذي يؤدي إلى ما لا تحمد عقباه، وهذا بسبب غياب الانسجام الفكري والثقافي والسياسي بين المجتمع. وكلما حدث انسجام وتناغم بين الناس ازداد تحقيق التنمية والوحدة اللغوية، وارتفعت نسبة الانسجام الجمعي. ولهذا فإن اختيار اللغة الرسمية للوطن تُراعى فيه مجموعة من الشروط التي لا تُحدث الخلل في المجتمع، ولا تُنزل اللغات الوطنية منزلةً واحدةً، فلكل لغة حمولة وثقافة وإرث وتراث وحضارة، ولا يمكن التسوية التامة بين اللغات الوطنية إذا قبلنا بهذا؛ فإننا نروج لديماغوجية عمياء بعيدة عن الواقع.

— العبر من العالم: عندما صدر تقرير التنمية البشرية لبرنامج الأمم المتحدة الإنمائي سنة 1990 جاء بمفهوم التنمية البشرية، وهو مفهوم يختلف تماماً عن مفهوم النمو الاقتصادي، في حين إن التنمية البشرية تهتم بغنى حياة المواطن، بحيث أصبح الإنسان محور التنمية، وهدفها ووسيلتها، فالإنسان أعلى ثروة في البلاد. وأصبحت التنمية تُقاس بدليل التنمية البشرية. وكان أهم بند في التنمية البشرية التعليم باللغات الأم بالعمل على نشره بشكل إلزامي، وبجودة عالية باللغات الوطنية المشتركة، وعلى نفقة الدولة في جميع أنحاء البلاد وفي مختلف المناطق، بحيث يتساوى جميع الأطفال، ذكوراً وإناثاً في المدن والأرياف في فرص الالتحاق بالمدارس. فالتعليم باللغات الأم هو أساس التنمية البشرية واكتساب المواطنين

مهارات تقنية تُيسر لهم القيام بالعمل المثمر، والحصول على أجرٍ مُجزٍ يمكنهم من العيش بصورة تليق بالكرامة الإنسانية. كما أنّ تعلّم اللغات الأجنبية ضرورة لازمة للتنمية البشرية، لأنّ هذه اللغات نوافذُ على العالم، تُيسر الحوار الحضاريّ والتبادل الثقافيّ، وتُساعدنا معرفتها على الترجمة من اللغات الأخرى وإليها، ما لم تكن لغات الهوية. علماً أنّ تعليم العلوم بلغة أجنبية يُعرقّل استيعاب تلك العلوم، ويحوّل دون توطينها؛ فتظلّ اللغة الأجنبيةّ منحصرةً في نخبة محدودة. ولدينا في هذا المجال نماذج من تلك الدّول التي أنزلت لغاتها الأمّ منزلةً الرسميّة دون غيرها من اللغات، ولغة جميع مراحل التعليم، ونظرت إلى التنمية الشاملة أنّها تلبّي احتياجات الحاضر دون المساس بقدرة الأجيال المقبلة على تلبية احتياجاتها الخاصة.

1- دولة فنلندا: كانت أفقر دولة في أوروبا في الخمسينيات من القرن الماضيّ ثمّ أصبحت الدّولة الأولى في التنمية البشرية في آخر ذلك القرن.

2 - كوريا الجنوبيّة: كانت أفقرَ دولة في آسيا، وثالثَ أفقر دولة في العالم وأصبحت اليوم سابعَ أغنى دولة في العالم، وتحتلّ الرتبة السّابع عشرة (17) في سلم التنمية البشرية لسنة 2015 متقدّمةً بذلك على دول أوروبية عريقة في الصّناعة والاستعمار؛ مثل فرنسا التي تحتلّ الرتبة الثّانية والعشرين (22) وإيطاليا التي تحتلّ الرتبة السّابعة والعشرين (27).

3- النرويج: (رتبتها على سلم التنمية البشرية رقم واحد، وتستعمل اللغة النرويجيّة في كلّ مراحل التعليم، واللغات الأجنبيةّ تُعلّم في المرحلة الإعداديّة وعلى الخيار.

4- إيران: كانت رتبتها على سلم التنمية التاسعة والسّتين (69) وكانت من الدول المتخلّفة عندما كانت تُعلّم باللغة الإنجليزيّة، ولكنها اعتمدت اللغة الفارسيّة لغتها الرسميّة بعد تلك السّنة وضعت نفسها على طريق التنمية البشرية، مع العلم أنّ الناطقين بالفارسيّة لغة أمّ لا يشكّلون أكثر من 60 % والباقي يتكلمون الكثير من اللغات المحليّة وأهمّها الأذرية، والكردية، والعربيّة، والبلوشية والتركمانيّة...

5- تركيا: هي من الدول الناهضة الآن بلغتها التركية فقط، وحتى في السياحة فيقصدتها سنوياً أكثر من اثني عشر مليوناً (12) ولكن لا تستعمل إلا لغتها في السياحة، وعلى الأجنبي أن يتعلم التركية. وتحتل الآن الرتبة الثانية والعشرين (22) في الاقتصاد العالمي، وهي من الدول الكبار في نطاق/ منظومة G21. والخلاصة من هذا:

- الكبار علماء وصناعة ورقياً، يستعملون لغاتهم الرسمية الجامعة؛
- المتخلفون يستعملون اللغات الأجنبية؛
- وصفة هذه الدول في أن معايير التنمية كل متكامل، تتحدد في:
 - 1- الحياة المديدة والصحية، وتقاس بمتوسط العمر المتوقع عند الولادة.
 - 2- المعرفة، وتقاس بمتوسط سنوات الدراسة، والعدد المتوقع لسنوات الدراسة.
 - 3- المستوى المعيشي اللائق بالكرامة الإنسانية، ويقاس بنصيب الفرد الفعلي من الدخل القومي الإجمالي.

- التنمية البشرية لهذه الدول حصلت بفعل الاستثمار في التنمية البشرية؛

- وجود النظام التعليمي الغريب، يؤدي إلى تكوين أصناف من المواطنين بعقليات مختلفة وخلفيات متباينة، وثقافات متعددة، وولاءات غير منسجمة. وهذا سيؤدي إلى انقسام مجتمعي يجعل من السهل إثارة الاضطرابات الاجتماعية أو القلاقل الشعبية؛

- وجود لغة وطنية مشتركة تساعد على تبادل المعلومات بسرعة، فإذا كنا نستخدم لغة وطنية مشتركة في مصنع يجرى تبادل المعلومات بسهولة، أما إذا كنا نستخدم عدة لغات في المصنع الواحد فسيؤدي ذلك إلى تباطؤ تبادل المعلومات وبطء الإنتاج، وربما رداؤته. ويشبه الاقتصاديون اللغة المشتركة بالعملة التي تُيسر تبادل السلع في المجتمع إذا كانت عملة واحدة، أما إذا وجدت عدة عملات في الوقت نفسه؛ فإن عملية التبادل تكون أصعب وأبطأ؛

- من الضروري وجود لغة/ لغات وطنية مشتركة تُيسر تكوين مجتمع المعرفة القادر على تحقيق التنمية، ولهذا ينبغي تعميم هذه اللغة في التعليم والإعلام والحياة العامة إذا أردنا تحقيق التنمية البشرية فاللغة الوطنية تاج وأساس ولازمة وليست ترفاً أو وسيلة فقط.

- وجود لغة مشتركة تعمل على الحد من هجرة الأمخاخ، لأنّ المواطن لا يشعر في وطنه بالاغتراب الثقافي؛ فينسجم مع المجتمع، ويبقى في مجتمعه لأنّه بنفس تفكيره.

- الخاتمة: إنّ تعاملنا بصورة سلبية مع لغاتنا الأمّ سيؤدي إلى إعاقة التنمية البشرية المنشودة وإنّ اللغات الوطنية المشتركة هي البيت المشترك، فلها مقامها ووظائفها التي تقوم بها، كان علينا صوتها والعمل على حمايتها بكلّ ما أوتينا من جهد وقوانين، وأما اللغات الأجنبية نحتاجها عند الضرورة والمصلحة، ونلجأ إليها في ربط المجتمع بالعالم الخارجي لمواكبة التطور، ومعرفة الحاجات الملحة، والإفادة منها فقط شرط أن تتم إعادة إنتاج ما يُستفاد منها إلى اللغات الوطنية بإعادة التعبير عنها باللغات الوطنية. ونقول: بأنّ التنمية الشاملة تكون باللغات الوطنية فقط، ولم يثبت عن أمة في العالم ارتقت بغير لغاتها الوطنية.

الهوامش :

* أقيمت الكلمة بمناسبة اليوم العالمي للغة الأمّ. المكتبة الوطنية بالحامة، في 24 فبراير 2019م.
1- عبد العلي الودغيري، لغة الأمة ولغة الأمّ عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية. بيروت: 2014 دار الكتب العلمية، ص 19-37.

2 - <https://www.ethnologue.com/ethnoblog/gary-simons/welcome-20th-edition>

3-https://www.mosalingua.com/blog/2011/09/11/quelle_langue_apprendre-7-langues-etranteres-les-plus-utiles/

كلمة السيدة مريم شرفي

المفوضة الوطنية لحماية وترقية الطفولة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على رسوله محمد الأمين

السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية

السيدات والسادة ممثلي القطاعات الوزارية الحاضرة

السيدات والسادة الأساتذة والباحثين الحاضرين

السيدات والسادة ممثلي أسرة الإعلام

السيدات والسادة الحضور

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

يسرني أن أتواجد معكم ضمن هذا الصرح الهندسي والعلمي، المكتبة الوطنية الجزائرية بالحامة، قطبا معرفيا من منارات الجزائر الحبيبة وشاهدا حضاريا على ما توليه الدولة الجزائرية من موفور عناية واهتمام لمدارات العلم والتنمية والثقافة.

وبدعوة كريمة من السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية لإحياء اليوم العالمي للغة الأم، الموافق للحادي والعشرين فبراير من كل سنة، فقد انعقد الاتفاق على الاحتفاء بهذا اليوم، وعقد هذه الفعالية تحت شعار "الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية" تأكيدا على أهمية اللغة الأم في حياة الإنسان، وبحثا عن ترسيخ منهج علمي وعملي في تدارس واستعمال

اللغات على تنوعها، دون التعصّب إلى لغة على حساب لغة أخرى مع اعتماد اللغة الأمّ وسيلة للانفتاح على بقية الثقافات والحضارات من موقع تنافسي متين فنتمكّن عندئذ من الاندماج مع باقي الحضارات وعدم الانصهار فيها.

ولأنّ الطفل محور اهتمام السياسات الوطنية، الاجتماعية منها والثقافية، وعلى اعتباره فردا اجتماعيا متأثرا بما يقدم له من مواد علمية، من مختلف الفاعلين حوله انطلاقا من الأسرة والمدرسة وغيرهم، فإنّ حقّ الطفل في اكتسابه وتعليمه اللغة الأمّ حقّ أصيل، لأنّ اللغة الأمّ تعبر عن حضارة أمة وليست مجرد وسيلة تقنية للتخاطب والتواصل، وترسيخها وتدريبها للطفل هو حماية لهويته الوطنية ومن ثمّ مستقبل أمتّه.

أيّتها السيّدات الفضليات،

أيّها السادة الأفاضل،

يعرف التفاعل الاجتماعي الجزائري في تنشئة الطفل تعدّد الموارد اللغوية وتعدد الألسن، وهي التي انتشرت بفعل الموروث الثقافي وآليات التواصل الاجتماعي، فألغت معالم الحدود وصار بذلك العالم قرية صغيرة، فصارت اللغات الأجنبية بين فرنسيّة وإنجليزيّة وإسبانيّة وألمانيّة وتركيّة وصينيّة وغيرها كثير، تزامم اللغتين الوطنيتين الأمّ في الجزائر، اللغة العربيّة واللغة الأمازيغيّة، وصار الطفل الجزائري، ومعه ممثلوه الشرعيون، في تجاذب نحو تعليم لغة على حساب أخرى.

إنّ الحديث عن اللغة الأمّ، يثور معه التأكيد على الهوية الوطنية والموروث الثقافي الاجتماعي الجزائري، ولا يعني في مناقشة هذا الموضوع التعصّب وعدم الانفتاح على اللغات العالمية، بل أن الأمر يحتاج مناقشة علمية لتدارك الهوية اللغوية والمنهج العلمي المؤسّس في تنشئة الأطفال لغويا وتمكينهم من الوسيلة التي تبرز انتماءهم إلى وطنهم الجزائر، وتسمح لهم بالاطلاع على التجارب العالمية بما ينفعهم.

إنّ التعديل الدستوري لسنة 2016 في مادته الرابعة قد عزز من مكانة اللغة الأمازيغية لغة وطنية رسمية تعمل الدولة على ترفيتها وتطويرها، وجاءت المادة 72 بدورها لتؤكد على أن الأسرة والمجتمع والدولة تحمي حقوق الطفل، وصدور قانون حماية الطفل رقم 15-12 الصادر في 15 جويلية 2015 إنّما هو تأكيدٌ للإرادة السياسية التي أقرها فخامة رئيس الجمهورية السيد عبد العزيز بوتفليقة في ضرورة إيلاء الطفولة العناية والاهتمام اللازمين، وهو ما يوجب علينا أيضا كمفوضة وطنية لحماية الطفولة على رأس الهيئة الوطنية لحماية وترقية الطفولة القيام بكل عمل تحسيبي وإعلامي في مجال حماية حقوق الطفل وترقيتها وتنسيق الجهود المقامة في هذا المجال، وبالنتيجة فإنّ نشاط اليوم المقام بالشراكة مع المجلس الأعلى للغة العربية، إنّما هو تأكيدٌ على العمل التنسيقي بين هيئات الدولة بما يخدم طفولتنا.

وإذ نشارككم أيتها السيدات الفضليات والسادة الأفاضل، في هذا اليوم الدراسي، فإننا على يقين أننا سنسمع من المختصين الباحثين في علوم اللغة والعلوم التربوية، ما يمكن أن يكون حلاً لإشكالية التنوع اللغوي وتأثيره على التنشئة السليمة لأبنائنا، والذين تجمّعنا في شأنهم غاية سامية ألا وهي المصلحة الفضلى لهم، ومهمة حمايتهم وترقيتهم قاسمٌ مشتركٌ بيننا وواجبٌ وطنيٌّ في إطار القانون الجزائري والمواثيق الدولية.

شاكراً لكم كرم الحضور والإصغاء
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

السيدة مريم شرفي
المفوضة الوطنية لحماية الطفولة

كلمة رئيس اللجنة العلمية

أ. حسن بهلول

يسعدني نيابة عن اللجنة العلمية التي شرفنتني بترؤسها أن أحييكم تحية الإسلام وأقول للضيوف الأعداء القادمين من مختلف جامعات الوطن لحضور هذه الاحتفائية العالمية القارة جئتم أهلا ونزلتم سهلا ونتمنى لكم إقامة طيبة كما أخص بالترحيب كل الذين شرفونا بحضورهم.

أن هذه الاحتفائية التي يقيمها المجلس الأعلى للغة العربية بمناسبة اليوم العالمي للغة العربية الذي أقرته المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) والذي يصادف 21 فيفري من كل سنة يدخل في إطار رزنامة الاحتفائيات الخمس القارة ضمن نشاطات المجلس السنوية مثلها مثل اليوم العالمي للغة العربية 18 ديسمبر من كل سنة ولغة الضاد اليوم العربي للغة العربية الذي أقرته المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم (أليكسو) المصادف لغرة مارس من كل سنة بالإضافة إلى احتفائية 21 مايو للتنوع الثقافي، واليوم العالمي المصادف 16 مايو من كل سنة تحت مسمى للعيش معا بسلام.

ولقد أردنا أن تكون احتفائيتنا للغة الأم هذا العام بالشراكة مع الهيئة الوطنية لحماية الطفولة وترقيتها على اعتبار أن اللغة الأم تبدأ وتوجه للطفل الذي يعد رجل المستقبل والذي سوف تناط به مسئولية النهوض بالوطن ولكون التقدم حسب أجماع الدراسات التي تناولت تحديد شروط النهضة والتنمية البشرية لن يتم إلا باللغة الأم حيث يشير في هذا الصدد الأستاذ الدكتور صالح بلعيد قائلا (لا يحتاج إلى وسائط ولا إلى جسور فالكلام يجري جريا دون تكلف وذلك أن الشخص عندما يتكلم بلغته

الأم يكون صادرا عن صميم أناه ويكون هو في صفاء ذاته وعندما يتكلف الكلام بلغة غريبة عنه يكون كمن خرج من ذاته بعد العكر).

وسئل مرة الفيلسوف الصيني (كونفوشيوس) إذا أتيح لك أن تحكم البلاد فما هو أول عمل تقوم به فأجاب (أصلح فيها لغة القوم) لأنه إذا كانت لغة الناس غير سليمة فإن ما يقال لهم غير يفهم تلبلت الأفكار والعقول وفسدت الأحكام وانعدم الأمان وسادت شريعة الغاب (فالإنسان هو اللغة وإذا سلم تفكيره سلمت لغته وإن معيار شخصيته وحجمها ترتبط بلغته زيادة أو نقصا) حسب رأي طلعت الرقاعي.

لقد وردت إلينا ملخصات الأساتذة مورد إزاز وإكبار من مختلف الجامعات بمجرد وضعنا عنوان اليوم الدراسي لهذه الاحتفائية رغم قصر المدة الفاصلة بين الإعلان في موقع المجلس وتاريخ تلقي المداخلات، ولعمري إن هذا يدل على الرغبة الشديدة في المشاركة دليل على نضج جامعاتنا ورغبتها في أن تسهم مع المجلس في هذه التظاهرة العلمية والمعرفية وقد أبانت تلك المداخلات التي تناولت شتى الموضوعات المتعلقة بالطفل ماله من حقوق وواجبات علينا لتقديمها له لا سيما حق التكفل به لغةً، والأخذ بيده ليكون نبراس الأمة وأملها في المستقبل.

ومن جملة ما سيرد في هذه المداخلات التي ستقدم لكم سادتي الحضور في جلستين علميتين وورشتين على سبيل الذكر لا الحصر: اللغة الأم وانعكاساتها على التحصيل المعرفي، حق الطفل في التعليم باللغة الأم، الحقوق اللغوية للطفل الجزائري، فاعلية اللغة الأم في بناء المعارف، تعليمية الطفل الأصم الأبكم في الجزائر من الحق إلى الواجب، دور القنوات المخصصة للأطفال، وقد اعتمدنا على أساتذة من ذوي الاختصاص لتناول هذه الموضوعات الهامة آخذين بعين الاعتبار قول الشاعر

أفدح الخطب أن تسلم سيفا *** لغبي يصول بالسيف جهلا

وحتى لا أطيل فأنتي أترك لكم المجال لتستمعوا سيداتي سادتي الحضور الكريم بهذه المداخلات لتحكموا لها أو عليها بأنفسكم ومن خلالها ما يقوم به المجلس الأعلى للغة العربية من نشاطات في إطار صلاحياته التي حددها له القانون، وكما أسلفت فإن احتفائية هذه السنة تمت بالشاركة مع الهيئة الوطنية لحماية الطفولة وترقيتها، وأملنا كبير في أن تتحول التوصيات التي ستصدر عن هذا اليوم الدراسي إلى قرارات ومشاريع تتكفل بها الجهات المعنية.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أثر أغاني الرسوم المتحركة على لغة الطفل الجزائري

- دراسة ميدانية -

الدكتورة جميلة غريب

جامعة باجي مختار - عنابة -

الملخص:

تعدّ أغاني الرسوم المتحركة، لونا من ألوان التعبير الشفوي الممتع، التي تهدف إلى تحقيق اتصال لغويّ فاعل مع الأطفال. ومما لا شكّ فيه؛ أنّ لهذه الأغاني أثر بالغ على تحصيلهم اللغويّ، وأهميّة كبرى في تعليمهم اللغة العربيّة من خلال حفظ الأغاني، وكثرة ترديدها التي تؤدّي إلى إثراء لغتهم في ألفاظها وتراكيبها ودلالاتها. والسؤال الذي يطرح نفسه في هذا المقام؛ إلى أيّ مدى تؤثر هذه الأغاني على لغة الطفل الجزائري؟ وخاصّة أطفال ما بعد سنّ التّمدرس، بعدّها مرحلة حرجة، وتتطلب بذل جهد مضاعف من المتعلّم (الطفل) لتعلّم اللغة، لأنّه يحتاج إلى معلّم يكشف له قواعدها. لأجل ذلك؛ قمنا بدراسة ميدانية على عيّنة من أطفال السنّة الثالثة ابتدائيّ؛ لكثرة اهتمامهم بهذه البرامج، وللكشف عن نسبة الرصيد اللغويّ المكتسب منها.

1- المقدّمة:

الطفولة وبمراحلها المختلفة، من أهمّ مرتكزات الحياة الإنسانيّة. فقد تكون نقطة تحوّل إلى الأفضل؛ إذا ما لاقّت الرّعاية، والعناية، والاهتمام. والطفل يستجيب دائما لمختلف المؤثرات التي يتلقّاها من بيئته التي نشأ فيها وترعرع، واستجاباته تتأقلم ونوع المؤثرات الخارجيّة ومدى قوتها من جهة؛ وبما لديه من دوافع، وميول ورغبات فطريّة من جهة أخرى. ونموّ اللغة عند الطفل مثلها مثل نموّه الاجتماعيّ

والنّفسيّ، والعقليّ، والانفعاليّ يتأثرّ بالعامل البيئيّ. فالمدرسة، ووسائل الإعلام خاصّة التلفزيون، وفيديوهات اليوتيوب؛ منبعان أساسيان في التأثير على لغة الطفل، وصقلها، بما يتماشى أو يتنافى، ومقومات المجتمع، وهويّته اللغويّة. والتساؤل المطروح -هاهنا-؛ ما مدى تأثير أغاني الرّسوم المتحرّكة في تعليم اللغة العربيّة للأطفال؟ وخاصّة أطفال ما بعد سنّ التّمدرس، أي ما بعد سنّ السّادسة بعدها مرحلة تتطلّب بذل جهد مضاعف من الطّفل لتعلّم اللغة، لأنّه يحتاج إلى معلّم يكشف له قواعدها. كما يحتاج إلى وقت أطول يبذله في التّدرب على تطبيق هذه القواعد- ودون عناء- مع إمكانيّة تعرّضه للخطء، والتّصويب من المعلّم في كلّ مرّة.

2- بين الاكتساب والتعلّم اللغويين:

2-1 الاكتساب اللغوي:

أثارت مسألة الاكتساب اهتمام بعض اللغويين، والفلاسفة، وعلماء الكلام العرب أمثال ابن خلدون (732هـ- 1406م) في المقدّمة، والقاضي عبد الجبار في المغنى في أبواب العمل والتّوحيد، وكذا الفرابي في كتاب الحروف. فابن خلدون تعرّض لمسألة اكتساب اللغة، إلى حدّ أنّه يعرف اللّغة الإنسانيّة على أنّها ملكة مكتسبة فيقول: " اعلم أنّ اللّغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلّم عن مقصوده وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها وهو اللسان، وفي كلّ أمة حسب مصطلحاته" (1). واعتبارها ملكة يربطها بالقدرات الفطريّة لدى الإنسان، على نحو يجعل البعد اللّغويّ خاصيّة إنسانيّة.

يتّضح أنّ ابن خلدون وعى العلاقة بين اكتساب اللّغة وتعلّمها، وأنّها تتجلّى في ضرورة الاستفادة من المعرفة بقضايا الاكتساب وتوظيفها في مجال التعلّم. ومنه فمرحلة الاكتساب (حسب ابن خلدون) مرحلة سابقة لمرحلة التعلّم، ويتمّ الاكتساب

عند الفرابي من خلال قدرة فطرية يدعوها بالملكة الطبيعية، وهذه الملكة تتحول بواسطة تكرار الأفعال إلى ملكة اعتيادية إما خلقية وإما صناعية. وهكذا؛ فالفرابي يرى أن اكتساب الطفل للغة يتم في مرحلة الطفولة المبكرة من محيطه (2).

وقد كشف علماء اللغة النفسيون المحدثون، ومنهم نوام شومسكي؛ أن الإنسان يولد ولديه قدرة لغوية محدودة تساعده على اكتساب أية لغة يعيش في مجتمعها (3). وأن هذه القدرة تمكنه من كشف القواعد اللغوية، كشفا إبداعيا، ذاتيا وتطبيقه، ومن ثمة إتقان لغتين أو أكثر في آن واحد. والعجيب أن الطفل في هذه المرحلة يعمم القواعد بعد كشفها، حتى على الكلمات التي لا تنطبق عليها، ثم يصحح تصحيحا ذاتيا. وقد كشف لينبرغ أن قدرة الطفل على اكتساب اللغة تبدأ في الضمور بعد سن السادسة، وتتغير برمجة الدماغ تغيرا بيولوجيا، حيث ينتقل من اكتساب اللغات إلى تعلمها.

2-2 التعلم اللغوي:

يعدّ التعلم من الموضوعات المهمة التي تضطلع بها العملية التعليمية وتسعى إلى تحقيق أهدافها. فبقدر ما يتعلم المتعلم وخاصة عندما ينجح في تعليم نفسه بنفسه تحت إشراف المعلم تكون مخرجاته، ومردود العملية التعليمية إيجابية وفق الأدوار المسطرة له.

فالتعلم كما عرّف في موسوعة التدريس هو " العملية التي عن طريقها يمكن تأكيد مدى نجاح المؤسسة في تحقيق الأهداف المتوقعة، حيث تتكاتف جهود العاملين في المؤسسة التعليمية من أجل تحقيق الهدف النبيل؛ ألا وهو تعلم الطالب" - (4) كما أنه "سيرورة نشطة وبنائية تشكّل تعديلات في بنية المعارف" - (5) نتيجة لاحتكاك الفرد بمواقف مختلفة في البيئة التي يعيش فيها فهي بذلك حسب مجدي عبد العزيز " عملية ديناميّة تسعى إلى تغيير شبه دائم في السلوك، أو إحداث تعديل في السلوك الموجود بالفعل" (6) إذ يعتمد اعتمادا كبيرا على المعرفة السابقة

للمتعلم، فالمعرفة السابقة توفر مخططاً^(*) لنتيبت المعلومات الجديدة، أو تعديلها. لذا يمكن استخدام ما هو مألوف لدى المتعلم لتحقيق تعلم جديد فيضفي بذلك القدرة على التجدد والارتقاء، فضلا على أنه " إجراء واع، وإراديّ وملاحظ لدى المتعلم⁽⁷⁾؛ أي أنه يعمل على إحداث تغيير في السلوك يمكن قياسه.

ولما كان التعلم^(**) عملية تعديل في السلوكات المكتسبة (أي هناك معارف سابقة لدى المتعلم قد اكتسبها من قبل) يمكن القول أن العملية تتعلق بشكل كبير بالنفس البشرية التي تتغير بتغير العوامل الخارجية، والداخلية من ذلك الوسائط المتعددة، وأثرها في عملية التعلم.

ومن اللغويين من يعتبر التعلم مرتبط بمرحلة ما بعد الطفولة المبكرة، أي ما بعد سنّ التّمدرس (ستّ سنوات)، وهي مرحلة لحلّ المسائل باعتماد المكتسبات السابقة. فابن خلدون في مقدّمته؛ وعى العلاقة بين اكتساب اللّغة وتعلّمها. وأنّها تتجلى في ضرورة الاستفادة من المعرفة بقضايا الاكتساب وتوظيفها في مجال التعلّم. والجدول الموالي يبيّن خصائص كل من عمليتي الاكتساب والتعلّم اللغويين:

التعلّم	الاكتساب
بعد سنّ التّمدرس	في مرحلة ما قبل التّمدرس
تعلّم منظم	اكتساب لغويّ غير منظم
تعلّم بطيء	اكتساب لغويّ سريع
تعلّم واع، وموجّه	اكتساب غير واع

الجدول رقم(1) يبيّن خصائص كل من عمليتي الاكتساب والتعلّم اللغويين.

3- دور أغاني الرسوم المتحركة، في تعليمية اللغة العربية للأطفال:

يعدّ التلفزيون والحاسوب من الوسائل التربوية، والتعليمية التي تسهم في تنمية الطفل العربي تنمية لغوية، وعقلية، ونفسية، وعلمية، واجتماعية. وأغاني الرسوم المتحركة وما تقدّمه من شحنات صوتية ذات إيقاع شجي، وصور متحركة، ثنائية وثلاثية الأبعاد؛ بألوان زاهية، برّاقة، وشخصيات مثيرة، وغريبة ملهمة، ومعبرة وواصفة تجذب الطفل، وتجعله متابعا وفيّا، لا يملّ الجلوس خلف شاشة التلفزيون أو الحاسوب، إلّا وقد التقط كلمة جديدة فحفظها، ولحنا مفعما شجيا فردّده. فهما بذلك يحملان منظومة من القيم التربوية، والأخلاقية، والتعليمية والنفسية، واللغوية بامتياز، على نحو نابض بالحياة من خلال ما يعدّ، وينظّم ويخرج في أحسن صورة، وصوت. فمنذ ظهور الحاسوب-على وجه الخصوص-؛ اتّعت رقعة استعماله، واحتوى مختلف شرائح المجتمع بما فيها الأطفال، الذين كان لهم نصيبا كبيرا من هذا الموروث التكنولوجي، الذي استهدفهم بالعديد من البرامج، في شكل ممتع وجذاب. فغدا شريكا للأسرة والمدرسة في تربية النشء، وتلقينه اللغة العربية، واكسابهم⁽⁸⁾ رصيда لغويا مهمّا، بمقاربات وأساليب مختلفة ومتنوّعة، دون أيّ ملل أو عناء.

4- الاضطرابات اللغوية عند الأطفال، وتعلّم اللغة العربية:

تتنامي أهمية تعليم اللغة العربية بأغاني الرسوم المتحركة عند الأطفال، الذين يعانون من مرض من أمراض الكلام. سواء كان سبب هذا المرض خلقيا، بوجود عاهة جسمية ولد بها الطفل المصاب، أو بوجود عوارض نفسية، أو جسدية أدت إلى وجود صعوبات في النطق.

العيوب الكلامية الناتجة عن مشاكل في أعضاء النطق؛ يمكن أن تتسبب في اضطرابات إبدالية أو تحريفية، أو يمكن أن يحذف الطفل أو يضيف أثناء نطقه للكلمات. أو العيوب الكلامية الناتجة عن اضطرابات في الصوت؛ يمكن أن تظهر

لدى بعض الأطفال في شكل فواصل في الطبقة الصوتية، أو رعشة في الصوت وتغير في مستوى الصوت بالارتفاع أو الانخفاض، أو بحة قد تؤثر سلباً في طريقة النطق. كذلك قد ينحرف اتجاه النطق من التجويف الفموي، إلى التجويف الأنفي. بالإضافة إلى العيوب الكلامية الناتجة عن ضعف القدرة السمعية، حيث تعدّ من أكثر المشاكل التي يصعب علاجها، لأنّ الشخص إن لم يسمع لا يستطيع تعلّم النطق؛ لأنّ المنطقة المسؤولة عن حفظ المعلومات وتحليلها وتفسيرها في الدماغ مفرغة من المعلومات التي يفترض أن تصل إليها عن طريق السمع. وكذا العيوب الكلامية الناتجة عن عوامل نفسية أو انفعالية، إذ يرجع ذلك إلى الخجل الشديد الذي يصيب الطفل، وكذا حالة عدم الاتزان الانفعالي وهي حالات عصبية، وقد يؤدي ذلك إلى فقدان الكلام بشكل جزئي. كل هذه الاضطرابات وغيرها، تشكل صورة من صور الإعاقة التي تحجب الأطفال عن التواصل السليم مع محيطهم، وقد تتطور- إن لم تتولأها رعاية أسرية ومدرسية كافية- لتغدو حجرة أمامهم في مسيرتهم الحياتية. وتأتي أغاني الرسوم المتحركة، لتشكل منعرجاً مهماً لدى هؤلاء الأطفال، لتسوي من اضطراب قد تشوب نطقهم السليم للأصوات اللغوية، أو سوء استخدامهم لكلمات في غير محلّها، بسبب سوء فهم، أو نقص في السمع. كما أنّ للجانب النفسي غير السوي للأطفال حظّه من هذه الأغاني، لمساعدتهم على جذب اهتمامهم، وتقوية ثقتهم بأنفسهم، من خلال تفاعلهم الإيجابي مع إيقاع الأغاني والكلمات المختارة، وكذا الصور المصحوبة بالألوان الزاهية، والحركات المليئة بالحيوية والنشاط. ولنا أن نجمل دور أغاني الرسوم المتحركة في علاج الاضطرابات اللغوية عند الأطفال في النقاط التالية:

- تنمية مهارات الاستماع عند الأطفال؛
- مساعدة الأطفال على الفهم الصحيح لمعاني الأصوات، والكلام المنطوق
- تدريبهم على النطق الصحيح للأصوات العربية؛

- تهيئتهم للتغلب على الضغوط النفسية ؛
- تعليمهم كيفية استعمال الصوت منغما؛
- تعزيز ثقتهم بأنفسهم، وبذلك تعزز لديهم القدرة على التحدث بطلاقة، ودون عقد؛

- تمكينهم على تحدي الانطواء، والعزلة الاجتماعية.
 - تنمي لديهم الروح الاجتماعية .
 - وسيلة للتعبير عن انفعالات الأطفال.
 - فضلا على أنها تسهم في:
 - إكسابهم قيما أخلاقية، وتربوية؛
 - تنمية قدراتهم على الصبر، والتحمل؛
 - تنمي لديهم الذوق الفني، والجمالي.
- وفوق كل هذا وذاك؛ تكوين رصيد لغوي عربي ثري و زاخر بالألفاظ الجديدة، والهادفة، التي تساعدهم على إجادة التعبير. فالطفولة من أهم مراحل الاختزان اللغوي، وأغاني الرسوم المتحركة من أيسر السبل لتعليمية اللغة العربية (كما سيتبين في الجزء الميداني من الدراسة)

5- الرصيد اللغوي للطفل، وعلاقته بأغاني الرسوم المتحركة:

يرجع اختلاف الأطفال من حيث سعة رصيدهم اللغوي؛ إلى البيئة المنزلية التي تزودهم بمحصول كبير من الكلمات، وتتيح لهم فرصة للحديث، واللعب ومشاهدة التلفزيون، ومزاولة الأنترنت، بعدهم وسائط فاعلة في تنمية مخزونهم اللغوي. حيث تأخذ أفلام الكرتون نصيب الأسد في تنمية هذه المقدرة، وتوسيع قائمة رصيدهم اللغوي، ناهيك عن شبكة الأنترنت، ومواقع اليوتيوب التي تحددت التلفزيون، وغدت مرتعهم المحبب، ومرجعهم المراد. فهي تعمل على تحفيزهم على التعلم غير المباشر، وغير المنظم الذي يعطي الطفل إحساسه بالحرية

والراحة، النفسية، والجسدية، ويبعد عنهم طابع الروتين والملل، فيسهل عليهم إدراك الكلمات المسموعة، والمقروءة، والمعبر عنها أيضا بالصّور، فترفع عنها صفة الغرابة، لتتيح لهم فرصة التعامل معها عفويًا، ودون تعب.

إذ أنّ فهم المعنى يعين على حفظ الألفاظ، وأنّ الشيء الذي يؤثّر في الوجدان يسهل استظهاره، وأنّ الأغنية بوزنها وموسيقاها أحبّ إلى أنفسهم.⁽⁹⁾ ولا شكّ في أنّ كلام الأطفال هو المرجع للتعرفّ على رصيدهم اللغويّ الذي يضمّ الكلمات والتراكيب الأكثر انتشارا بينهم. إذ يساعدا على تقديم مادّة قرائيّة صحيحة من وجهة نظر لسانية، وهي من استعمالات الطّفل في كلامه اليوميّ لمعرفة ما يلي:

- الكلمات المشتركة بين العاميّة والفصحى، على أن يكون لها انتشار في أحاديث الأطفال، لتكون أساسا لبدء تعليمه؛
- الكلمات العاميّة التي تشيع في لغة الطّفل بنسبة كبيرة، ومعرفة التقارب والتّشابه بينها وبين المفردات في اللغة الفصحى. ولا مانع من تقديمها للأطفال في بداية تعليمهم، على أن تعالج تدريجيًا لتقرّب من الفصحى.
- الكلمات العاميّة التي تشيع في لغة الطّفل بنسبة كبيرة، ولا تمت للفصحى بصلّة، ولقيمتها اللسانية الوظيفيّة؛ فإنّ بعض الآراء التربويّة، ترى ضرورة استعمالها في بداية المراحل التعليميّة (نحو دور الحضانة).

6- التجربة الميدانيّة:

6-1 الأهميّة من الدّراسة الميدانيّة:

إنّ الأهميّة من إنجاز هذه الدّراسة؛ هي إبراز الأثر الإيجابيّ لأغاني الرّسوم المتحرّكة على أطفال بعد سنّ التّمدرس، لاكتسابهم رصيدا لغويًا عربيًا فصيحًا.

6-2 الهدف من الدراسة:

هو تحديد العلاقة بين متابعة الأطفال وترديدهم لأغاني الرسوم المتحركة وتنمية الرصيد اللغوي العربي الفصح لهم، وهذا بالنظر إلى عينة الدراسة ومقارنتها ببقيّة الأطفال.

6-3 المنهج المتبع:

لأجل ذلك اعتمدنا في المتابعة الميدانية على المنهج الوصفي، والتحليلي، والإحصائي؛ للوقوف على الزاد المفرداتي الجديد المكتسب من أغاني الرسوم المتحركة التي يتابعها الأطفال عينة الدراسة، ومقارنتها مع أطفال لا يتابعون أفلام الكرتون، ولا يهتمون بأغانيها.

6-4 عينة الدراسة:

عينة الدراسة تمثلت في مجموعة من تلاميذ السنة الثانية ابتدائي (مدرسة فريخ عبد الحميد) متمثلة في عشرة أطفال من الجنسين متابعين للرسوم المتحركة ويهتمون بأغانيها. ومجموعة أخرى من عشرة تلاميذ من ذات الفصل، ليس لديهم اهتمام بمتابعة الرسوم المتحركة ولا لأغانيها. متابعة العيّنتين كانت منصفة بيني وبين أستاذة الفصل، وعينة أخرى تابعتها عن قرب، وهو الطفل (الشريف، من ذات الفصل الدراسي)

والجدول رقم(1) ؛ يبين توزيع العينة حسب الجنس

النسبة المئوية	التكرار	الجنس
20%	2	ذكور
80%	8	إناث
100%	10	المجموع

بيّن الجدول رقم (1) الذي يمثل توزيع العينة حسب الجنس؛ أنّ نسبة الإناث تفوق نسبة الذكور، حيث تمثّلت نسبة الإناث 80%، ونسبة الذكور 20% فقط. ممّا يدلّ على أنّ الإناث أكثر اهتماماً بالرّسوم المتحرّكة وأغانيها من الذكور.

5-6 إجراءات التجربة الميدانية:

بالتنسيق مع أستاذة الفصل؛ قمت باقتراح بعض الموضوعات المتنوّعة للكتابة فيها (تعبير كتابي)، والتعبير عنها شفويًا، قبل وبعد تعرّض الأطفال إلى مجموعة من أغاني الرّسوم المتحرّكة المقترحة من (الباحثة). ومن خلال مخرجات التلاميذ قمنا بمقارنة بين النّتيجتين، باعتماد تقنيّة إحصاء المفردات المستعملة في تعبيراتهم الكتابيّة وكذا الشّفويّة. أمّا الطّفّل الشّريف؛ فقد قمت بتسجيلات صوتيّة لكلامه (بشكل عام)، وللأغاني التي كان يردّها، وهذا قبل وبعد تعرّضه المستمرّ للأغاني. (رغبة فرديّة منه، وبالتّحفيز) لمدّة أسبوع كامل.

6-6 وصف لأشرطة أغاني الرّسوم المتحرّكة:

عُرّضت الأغاني في شكل ميكرو فيلم، ظهرت من خلالها الشّخصيّات الكرتونيّة نابضة بالحياة بألوانها الزّاهية، وحسن رسمها، وتحريكها، وتنسيق الأصوات مع الحركات، وجميع المؤثّرات اللغويّة، وغير اللغويّة الإيقاع والموسيقى، وارتفاع وانخفاض الصّوت إلخ) مع عرض لكلمات الأغاني مكتوبة أسفل الشّاشة، متوافقة مع العرض الموسيقي (كلمات منطوقة منغمّة). ممّا ساعد الأطفال على متابعة كلمات الأغاني وهي منطوقة، فيقلّدونها في كلّ مرّة إلى غاية نطقها نطقًا سليمًا. بالإضافة إلى تعرّفهم على الرّسم الصّحيح للكلمة المنطوقة فيجمع بين تعلّم الالتهين (الرّسم، والنّطق)

6-7 تحليل الرّصيد اللغويّ المشكّل لأغاني الرّسوم المتحرّكة:

توّعت موضوعات الأغاني بين الرّياضة، وانشغالات الطّفّل داخل الأسرة، والألعاب والتّحديّ.

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

مدة عرض كل أغنية تراوحت بين دقيقة وثلاثين ثانية، وأربع دقائق وأربع عشرة ثانية. واشتملت في مجملها على مئتين وتسعة وثمانين وحدة معجمية، منها سبعة وستون وحدة معجمية جديدة على الأطفال.

الجدول رقم (2)

يبين موضوعات الأغاني، ومدة عرضها، وعدد الوحدات المعجمية الأصول بالأغاني والمكتسبة.

عدد الوحدات المعجمية التي لم يسبق للتلاميذ استعمالها	عدد الوحدات المعجمية	مدة العرض	عنوان الأغنية	موضوعات الأغاني
15	57	د1 30ثا	أبطال الكرة	الرياضة
23	100	د4 14ثا	ماما ردي علي	انشغالات الطفل داخل البيت
9	41	د1 20ثا	أغنية اليويو	الألعاب
20	32	د1 44ثا	في دنيا البلابل	
8	22	د1 25ثا	دراغون بول	التحدي
7	37	د1 8ثا	اسمي فلفول	أنواع الأكل
82	289	المجموع:		

تحليل معطيات الجدول:

تم إحصاء 289 وحدة معجمية في كل الأغاني ودون تكرار. منها 67 وحدة معجمية لم يسبق للتلاميذ، ولا للطفل الشريف استعمالها، وقدّرت بـ 28.37%.

6-8 الحقوق الدلالية المستنتجة من كل أغنية:

الأغنية الأولى؛ أبطال الكرة:

الحقل المعجمي الأول: أفعال الأمر (قفوا- قولوا- بددوا- شدوا- امسحوا...)
الحقل المعجمي الثاني: مشاعر الحزن (دموع - خسارة - التشاؤم - الجراح -
اليأس...)

الحقل المعجمي الثالث: الهمم القويّة (النصر- التلاحم - الجدارة - الأبطال-
العزم - فزنا - المزيد- لا محال - طاقة - النجاح - الفلاح - الصمود...)

الأغنية الثانية؛ ماما رُدّي عليّ:

الحقل المعجمي الأول: أفراد العائلة(ماما-بابا-جدي...)
الحقل المعجمي الثاني: الأفعال الطليبة (أطعميني-غذيّني- أتقروا لي-
انتظريني- اقصص-رُدّي...)

الحقل المعجمي الثالث: الاعتذار(لا تحزن- لا تبالي-سامحنا...)
الحقل المعجمي الرابع: عدم الاهتمام بالطفل (مشغولة - أطبخ - استمع
-مشغول- لا يسمعونني- لا يهتمون بي- اذهب- لا تدخل...)
تبرز هذه الحقول قيمة الأسرة في حياة الطفل، وحاجته الماسّة إلى كلّ عضو
منها. كما أنّها تتحدّث بلسان الطفل العربيّ، وتعبر عن هناته، ومعاناته.

الأغنية الثالثة؛ أغنية اليوبو:

الحقل المعجمي الأول: الوضوح والإشارة (النهار- فجرأ- برقأ- وهجا- نارأ-
نورأ...)

الحقل المعجمي الثاني: روح الجماعة(الفريق - الصديق...)
الحقل المعجمي الثالث: الثقة بالنفس (ثبات - موقف - خطابا...)
الحقل المعجمي الرابع: الطموح (أفاق - حياة - ميدان - حلما - كنزا...)

كلّ الوحدات المعجمية في هذه الأغنية، تزوّد الطّفّل بقيم إيجابيّة، كحبّ العمل الجماعيّ، والثّقّة بالنّفس، والأمل. هذه المواصفات إذا ما دعت بالثّقّة في النّفس؛ يصل الطّفّل حقاً إلى النّجاح.

الأغنية الرّابعة؛ في دنيا البلباب:

الحقل المعجميّ الأوّل: أفعال دالّة على الثّقّة (رأيتَ - رسمتَ - أنرتَ - رفعتَ - أزلتَ...)

الحقل المعجميّ الثّاني: الطّليعة (الجباه-وجه-الرؤى-البصر...)

الأغنية الخامسة؛ دراغون بول:

الحقل المعجميّ الأوّل: الأخلاق الحسنة (التواضع-الصبر-التصميم-الصدّاقة-

نزاهة-تفاؤل...)

الحقل المعجميّ الثّاني: الأخلاق السيّئة (التصادم-التخاصم-العنف-الاقتتال...)

الحقل المعجميّ الثّالث: العمل الجماعيّ (نلعب-نتعب-تنازل-يرضينا-

نزرع...)

الحقول المعجمية لهذه الأغنية، ترمي إلى زرع روح العمل الجماعيّ ووحدة

الصّف، مع الأخلاق الحسنة السّامية، ونبذ الأخلاق السيّئة؛ نصل بها إلى النّصر الأكبر.

وكاستنتاج عامّ لفحو الحقول المعجمية المشكّلة للأغاني؛ نصبو إلى أنّ الأسرة

المتماسكة، والطّيّبات من الوجبات، مع الهمم العالية، والأخلاق الكريمة، والأمل

والطمّوح، كلّها مجتمعة تؤدي إلى النّجاح والفوز الأكيد. وخلال أسبوع تعرّض

التّلاميذ، وكذا الطّفّل (الشّريف) إلى حوالي 289 وحدة معجمية. 67 منها لم

يستعملوها من قبل، فأضحت بعد حفظ الأغاني وترديدها، من قاموسهم اللغويّ.

6-9 تحليل الرّصيد اللغويّ للعيّنة الثّانية (الطّفّل الشّريف) عن كُتب:

بعد إجراء تسجيلات صوتية لكلام الطّفّل (الشّريف)؛ تمّ تحصيل النّتائج التّالية:

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

- من أصل 3450 وحدة معجمية-تقريباً- توجد 1750 وحدة مشتركة بين العامية والفصحى، ومتنقّ فيها اتفاقاً كاملاً في النطق، نحو: أرنب-أخت-باب-أحمر-أصفر- تفاح-سكين-قام-محاة إلخ (أي بنسبة: 50.72%)
 -ومن أصل 3450 وحدة معجمية-تقريباً- توجد 1500 وحدة لا فرق بينها وبين الفصحى، إلّا في تسكين الحرف الأوّل من الكلمة، أو حذف الهمزة وسط الكلمة ووصلها ياء، نحو: أجمل- أسماء- بير-فار- ذيب إلخ (أي بنسبة: 43.47%).

الجدول رقم(3)؛ يبيّن تصنيفات الوحدات المعجمية للرصيد اللغوي للطفل الشّريف.

الطفّل الشّريف	عدد الكلمات المستعملة/أسبوع	الكلمات المشتركة بين الفصحى/والعامية	الكلمات المختلفة الفصحى(بتسكين حرفها الأوّل/حذف الهمزة وسط الكلمة)	الكلمات الأجنبية
	3450	1750	1500	20
النسبة المئوية	100%	50.72%	43.47%	0.57%

تحليل معطيات الجدول:

إنّ في التعبير الاسترساليّ للأطفال، الذي يستعملون فيه كلمات ساكنة الأوّل أو محذوفة الهمزة وسط الكلمة (كما في الأمثلة السابقة الذكر)؛ جانب مهمّ جدّاً في تعليم اللغة العربيّة، بل هو من صلب العربيّة، والذي أهدر في التعليم المدرسيّ-الابتدائيّ خاصّة- فكّماً كان المقام مقام أنس، أو كما يقول عبد الرّحمن الحاج صالح⁽¹⁰⁾ كان المتكلّم إلى حذف ما هو غنيّ عنه لإبلاغ مراده أميل وأكثر ارتياحاً وهذا هو بالذات ما يمنح للغة حيويّتها.

7- نتائج الدراسة:

- أثبتت الدراسة أنّ متوسط اكتساب مفردات الأغاني متقارب بين الإناث والذكور، على الرغم من أنّ ثلثي هذه الأغاني بموضوعات ذكورية؛
- بينت التجربة أنّ الكلمات المستعملة في الأغاني بسيطة، وواضحة- مفهومة- لدى الأطفال، تحمل مضامين راقية، وهادفة، وثرية من حيث دلالة الكلمات المنطوقة والمكتوبة، فهي بذلك تهيئهم لتعلم مهارتي الكتابة والقراءة الصحيحة؛
- أكدت الدراسة ارتفاع نسبة متابعة الأطفال للرّسوم المتحركة، وتفضيلهم لها على غيرها من برامج التلفاز، واليوتيوب الموجهة لهم؛
- أسهمت أغاني الرّسوم المتحركة في تنمية مهارة الاستماع، ومملكة الحفظ لدى الأطفال. وهذا ما كشفته نتائج التجربة، في حفظهم السريع لكلمات الأغاني وبشكل صحيح.
- قدّمت للأطفال عرضا موسيقيا بلغة عربية فصيحة، قد لا يجدونها في محيطهم الأسري. وهذا تأكيد على قدرة اللغة الفصيحة على تمثيل الشخصيات المتحركة في الحدث الدرامي أحسن تمثيل.

8- المقترحات:

- بناءً على ما آلت إليه التجربة الميدانية من نتائج؛ يُقترح ما يلي:
- ضرورة توعية أفراد الأسرة حول ترشيد استخدام التلفاز والحاسوب فيما يفيد الأطفال، ويؤثر عليهم إيجابيا، سواء على مستوى الجانب النفسي، أو اللغويّ أو الاجتماعيّ؛
- استثمار هذه الوسائط بما يسهم في الارتقاء بالطفل العربيّ، إلى تلقّي العربية الفصيحة السامية بكلّ أريحية؛

- الغرب المنتج للثقافة والفنون يستعين بالعلم وهو ملك للجميع، ويتوسل بالمال وهو متاح ببلادنا-عموما- ويستفيد من خبرات بنيه بكل فخر واعتزاز. ولا شك أن مثل هذه القدرات متوفرة لدينا، ما ينقصنا إلا إعادة ترتيب الأولويات وتقدير لجهود شبابنا الخلاق، حتى نكون بقدر المسؤولية الملقاة على عاتقنا، من أجل تنشئة جيل عربي فاعل؛

- إدراج قاموس خاص بالأطفال ضمن قائمة المشاريع اللسانية الموجهة لهم؛ خاصة لمرحلة ما قبل التمدرس، لغرض الكتابة القصصية الجيدة، والفاعلة، وكذا استثمارها في إعداد رسوم متحركة ثنائية وثلاثية الأبعاد، بلغة عربية راقية، وقيم إسلامية. وعدم الحط من قيمة الزاد المفرداتي الذي من الممكن اكتسابه من قبل أطفالنا.

الإضافة من PDF الخلاصة (القنوات الفضائية العربية المخصصة للأطفال وتأثير الرسوم المتحركة على لغة الطفل)

الهوامش:

¹ - ابن خلدون، المقامة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1، ط1، دت، ص712.

² - ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقاربة تراثية، دار العلم للملايين، ط1، 1993، ص107-108.

³ - عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، مطابع جامعة الملك سعود، ط1، 1982م ص 136.

⁴ - ينظر: مجدي عزيز إبراهيم، موسوعة التدريس، ج2، دار المسيرة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص608.

⁵ - عبد الكريم غريب، المرجع، ج1، نفسه ص72.

⁶ - مجدي عزيز إبراهيم، المرجع نفسه، ج2، ص609.

^{*} - كثيراً ما نتوصل إلى أنّ المعرفة موجودة في الذاكرة طويلة المدى تشكل نفسها في تنظيم يسمّى المخطّط. هذا المخطّط هو مجموعة معارف منتظمة على نحو يمكن معه بمختلف المفاهيم، والعبارات التي تتكوّن منها؛ أن تسترجع على شكل مفهوم أكثر شمولاً وللاستزادة: روبرت م جانبيه، أصول تكنولوجيا التعليم، ترجمة: محمد بن سليمان المشيقح، وعبد الرحمن بن إبراهيم الشّاعر، وبدر بن عبد الله صالح، وفهد بن ناصر الفهد جامعة الملك سعود، دط، 2000، ص95.

⁷ - ينظر:

Jean-Pierre Cuq, Dictionnaire de didactique du français langue étrangère et seconde, p22. « L'apprentissage est la démarche consciente, volontaire et observable »

^{**} - التعلّم والاكْتساب من المصطلحات المتداولة في الحقل التعليمي ودرجات متفاوتة، لأنّ الاهتمام بنظرية الاكْتساب والتعلّم اللغوي من صلب العملية التعليمية، إذ أنها تتعلّق بعنصر مهمّ فيها ألا وهو المتعلّم. وتجدر الإشارة إلى أنّ مسألة الاكْتساب قد أثارت اهتمام بعض اللغويين والفلاسفة وعلماء الكلام العرب أمثال ابن خلدون (732هـ - 1406م) في المقدمة، القاضي عبد الجبار في المغنى في أبواب العمل والتوحيد، وكذا الفرابي في كتاب الحروف، فابن خلدون تعرّض لمسألة اكْتساب اللغة إلى حدّ أنّه يعرف اللغة الإنسانية على أنّها ملكة مكتسبة فيقول (اعلم أنّ اللغة في المتعارف عليه هي عبارة المتكلّم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام، فلا بدّ أن تصير ملكة منقرّرة في العضو الفاعل لها وهو للسان، وفي كلّ أمة

حسب مصطلحاته) ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر ج1 ط1، دت، ص712. واعتبارها ملكة يربطها بالقدرة الفطرية لدى الإنسان، على نحو يجعل البعد اللغوي خاصية إنسانية) ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، ط1993، ص1، ص107.

يتضح أنّ ابن خلدون وعى العلاقة بين اكتساب اللغة وتعلّمها، أنّها تتجلى في ضرورة الاستفادة من المعرفة بقضايا الاكتساب وتوظيفها في مجال التعلّم ومنه فمرحلة الاكتساب (حسب ابن خلدون) مرحلة سابقة لمرحلة التعلّم، ويتمّ الاكتساب عند الفربي من خلال قدرة فطرية يدعوها بالملكة الطبيعية وهذه الملكة تتحوّل بواسطة تكرار الأفعال إلى ملكة اعتيادية إما خلقية وإما صناعية. وهكذا؛ فالفربي يرى أنّ الاكتساب يتمّ من خلال اكتساب الطفل الصّغير الكلام من المحيط الذي يعيش فيه. ينظر: ميشال زكريا، المرجع نفسه ص 108، 107. للاستزادة: سناء منعم، اللسانيات الحاسوبية والترجمة الآلية- بعض الثوابت النظرية والإجرائية، منشورات مختبر العلوم المعرفية، عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع، إربد - جدارا للكتاب العالمي للنشر والتوزيع، الأردن، العبدلي، ط2015، ص1، من ص27 إلى 33، ومن اللغويين من يعتبر التعلّم مرتبط بمرحلة حلّ المسائل باعتماد المكتسبات السابقة، بينما يفيد الاكتساب الانتهاء من حلّ المسائل وتخزين التعلّم والحلول في الذاكرة. عبد الكريم غريب، المنهل التربوي، معجم موسوعي في المصطلحات البيداغوجية، والديداكتيكية، والسيكولوجية، ج1، ص71. بهذا المفهوم؛ فهو مرحلة أخيرة من مراحل التعلّم حيث تكون فيها عملية تخزين المعارف المتعلقة مسبقا، وللاستزادة: غاستون ميلاريه، ترجمة: نسيم نصر، مدخل إلى التربية، منشورات عويدات، بيروت، باريس ط4، 1985، وتّمّام حسان، اللغة بين المعيارية والوصفية، ص70.

⁸ - الاكتساب اللغوي قد يكون بمرحلة غير مرحلة الطفولة، إذا تمّ بكيفية غير منظّمة، وسريعة و عفوية؛ فهو بذلك يحقّق مبدأ الانغماس اللغوي في تعلّم اللغات.

⁹ - عبد الفتاح حسن البجة، أصول تدريس العربية، بين النظرية والممارسة (المرحلة الأساسية العليا) دار الفكر، ط1999، ص156.

¹⁰ - عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول، موفم للنشر، الجزائر 2007، ص68.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- ابن خلدون، المقدمة، الدار التونسية للنشر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ج1 ط1، دت.
- روبرت م جانييه، أصول تكنولوجيا التعليم، ترجمة : محمد بن سليمان المشيقح وعبد الرحمن بن إبراهيم الشاعر، وبدر بن عبد الله صالح، وفهد بن ناصر الفهد جامعة الملك سعود، دط، 2000.
- عبد الرحمن الحاج صالح، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، الجزء الأول موفم للنشر، الجزائر 2007.
- عبد الفتاح حسن البجة، أصول تدريس العربية، بين النظرية والممارسة (المرحلة الأساسية العليا) دار الفكر، ط1، 1999
- عبد الكريم غريب، المنهل التربوي، معجم موسوعي في المصطلحات البيداغوجية والديداكتيكية، والسيكولوجية، ج1، منشورات عالم التربية، الدار البيضاء، ط1، 2006.
- عبد المجيد سيد أحمد منصور، علم اللغة النفسي، مطابع جامعة الملك سعود، ط1 1982م.
- مجدي عزيز إبراهيم، موسوعة التدريس، ج2، دار المسيرة للطباعة، والنشر والتوزيع ط1، 2004.
- ميشال زكريا، قضايا ألسنية تطبيقية، دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية، دار العلم للملايين، ط1، 1993.
- باللغة الفرنسية:

-Jean-Pierre Cuq, Dictionnaire de didactique du français langue étrangère et seconde, Clé,2003,Paris.

علاقة الطفل بلغته الأم واللغات الأجنبية من خلال المجلس العربي للطفولة والتنمية

بقلم: د/عز الدين لعناني

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير

اللغة العربية

تشهد اللغات في ضوء تداعيات العولمة مشهدا ملتبسا يغطيه الحضور القوي لبعض اللغات (الإنجليزية، الفرنسية...) في مقابل ذلك غياب بعض اللغات أو حضورها بنسب ضئيلة. والمجتمعات المعاصرة في هذا الإطار منها من فرّرت ولجأت إلى اللغات ذات الحضور الدولي لتعليمها وهناك من ظلت تحافظ على لغتها الأم مع مواكبة اللغات الحاضرة دوليا.

وفي ضوء الحديث عن اللغة في إطار العولمة؛ دعا المجلس العربي للطفولة والتنمية نفسه إلى بحث سبل علاقة الطفل بلغته الأم واللغات الأجنبية. فما طبيعة هاته العلاقة في إطار العولمة؟ وما تحديات وموقف المجلس العربي للطفولة والتنمية من علاقة الطفل بلغته الأم واللغات الأجنبية؟

إنّ الملاحظ للهوية الثقافية في الحياة المعاصرة يجدها حالة تزداد تعقيدا لما يتهددها من زيادة في إحداث التشكيل الثقافي الواحد والمؤدج الذي تقوده القوى المتحكمة في المعلومات والتقنيات، فقد صنعت هاته القوى النماذج المؤثرة في جميع المجالات؛ والتي أصبح من الضروري الارتباط بها ومحاولة كسبها خصوصا تلك الدول المتأخرة أو النامية، وقد أصيبت بعض المجتمعات بسلوك ترددي مرضي فلا هي مدافعة عن هويتها الثقافية ولا هي متبعة للثقافة المسيطرة

بل مستبدلة لتقافتها بتعلم أجنبي ففقدت هاتاه المجتمعات الثقافة بأكملها و: "العل تقرير نادي روما الدولي...يشير إلى الهوية الثقافية بوصفها مشكلة عالمية ذات شقين: تهديد بالتجانس الثقافي أو أن يصبح العالم وقد اتخذ ثقافة متشاكله متجانسة. ومن ناحية أخرى خطر قريب الوقوع، وهو التفكك الثقافي والسيكولوجي للأفراد والجماعات معا. ونجد في كل الدول النامية تقريبا، وحتى في بعض الدول المتقدمة الصغيرة، نوعا من الفصام الثقافي، كما نجد أن هذه الدول تتخلى عن بعض تقاليدنا الثقافية القيمة وتستبدل بها تعلما أجنبيا ونماذج ثقافية غريبة على أسلوب حياتها."¹

وتشكل اللغة الأساس المتين لكل هوية ثقافية، فاللغة هي اختزال لكل ما ينتجه المجتمع وتمثيل له، فهي الرموز المعبرة عما يدور ويجري من أحداث في المجتمع، وفي هذا الإطار تظهر الحقوق اللغوية للأفراد والجماعات حاجة ملحة والأمر كذلك؛ ينبغي ضبط سياسات وتبني استراتيجيات واقعية تعبر عن مواقف ثقافية ثابتة ومستمرة تركز الحق اللغوي العام للفرد والجماعة وللجيل الناشئ (الطفل)، فالطفل لا بد من أن نحفظ له حقوقه اللغوية، وذلك من خلال تحديد علاقته بلغته الأم وباللغات الأجنبية، من خلال تكريس سياسة تعليمية مبنية على دراسات علمية. وقد دعا المجلس العربي للطفولة والتنمية نفسه للنظر في الأمر فما هي مواقفه إزاء حقوق الطفل اللغوية بالنسبة للغة الأم واللغات الأجنبية؟

المجلس العربي للطفولة والتنمية (التعريف به والمهام): المجلس العربي للطفولة والتنمية: "منظمة إنمائية عربية غير حكومية ذات شخصية اعتبارية تعمل في مجال الطفولة، وقد جاء تأسيس المجلس عام 1987 بمبادرة من صاحب السمو الملكي الأمير طلال بن عبد العزيز رئيس المجلس بناء على التوصية الصادرة عن مؤتمر الطفولة والتنمية الذي عقد بتونس عام 1986 الذي عقد تحت رعاية جامعة الدول العربية، ويتخذ المجلس من مدينة القاهرة مقرا له، وتنظم علاقة المجلس بدولة المقر اتفاقية خاصة لهذا الغرض تحدد شخصيته ووضعه القانوني

مع وزارة الخارجية المصرية (هيئة دبلوماسية). ويتطلع المجلس أن يكون منظمة رائدة في مجال حقوق الطفل في الوطن العربي، ومرجعية للمؤسسات والأفراد والأسر لإعداد طفل عربي قادر على المشاركة في تنمية مجتمعه والتعامل مع المتغيرات العالمية المتسارعة². وقد أعلن المجلس العربي للطفولة والتنمية أهدافه الاستراتيجية والتي تمثلت في³:

- توفير البيانات والمعلومات وتنمية المعرفة المتخصصة في قضايا حقوق الطفل العربي، وتبادلها مع المراكز البحثية والمؤسسات المعنية بهذا الشأن؛
- توعية وتعبئة الرأي العام العربي لدعم حقوق الطفل بالتعاون والتنسيق مع وسائل الإعلام وغيرها من المؤسسات التنموية؛

- بناء شراكات وشبكات فاعلة مع منظمات المجتمع المدني والمؤسسات الحكومية لإيجاد مناصرين وكيانات منظمة وتبني تشريعات وسياسات داعمة لحقوق الطفل؛
- توفير الدعم الفني وبناء قدرات العاملين بمجال الطفولة من المؤسسات الحكومية والأهلية والإعلاميين والأسر وصانعي القرارات والسياسات والتشريعات.

- موقف المجلس العربي للطفولة والتنمية من التعليم باللغة الأم واللغة الثانية: قدّم المجلس العربي للطفولة والتنمية الاستراتيجيات والتقارير والإصدارات العلمية التي من شأنها أن تكفل للطفل حقوقه وتضمن له النشأة السليمة؛ ومن بين ما قدمه "استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي - أبحاث ودراسات" - التي استدعى لها 53 خبيراً ومستشاراً من مختلف ربوع البلاد العربية، من بينهم؛ أحمد الضبيب، عبد السلام المسدي، علي القاسمي ...

وذلك بالتضامن مع:

الأمانة العامة لجامعة الدول العربية؛

برنامج الخليج العربي لدعم منظمات الأمم المتحدة الإنمائية؛

الهيئة السورية لحقوق الأسرة؛

المنظمة العربية للتربية والثقافة والفنون؛

وزارة التنمية الاجتماعية مملكة البحرين؛

مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري؛

المجلس القومي لرعاية الطفولة جمهورية السودان؛

وزارة الشؤون الاجتماعية جمهورية العراق؛

المجلس العربي للطفولة والتنمية وتحديد "اللغة الثانية قيمة مضافة مع

اللغة الأم": أصدر المجلس العربي للطفولة والتنمية موقفه هذا من خلال تقرير الأمم المتحدة الحاث على ضرورة التعددية اللغوية كحالة طبيعية ومتجذرة في طبيعة الخلق المبنية على التنوع، إذ من الضروري التعامل مع اللغة الأم وإعطائها المكانة اللائقة بها، وهذا القدر من الاهتمام لا بد أن تتعاشر اللغات الأجنبية معه كقيمة مضافة للغة الأصلية بحكم التأثير والتأثر المجدول عليهما الإنسان، ولعل إحصاء تقرير الأمم المتحدة لتعدد اللغات لدليل واضح يستجاب له بدهيا؛ إذ أحصى 6000 آلاف لغة و12 لغة أكثر استعمالا، وعليه فهذا الحضور للغات الواقع طبيعيا لا بد من الاستجابة له كقيمة مضافة بالنسبة للغة الأم⁴. فالمعرفة أصبح يتوسطها التواصل⁵، فحضور اللغات قيمة أساسية في إجراء المعاملات المعرفية وتوسيع المدارك.

فباللغة أحد أهم الحقوق الإنسانية العالمية للأفراد والجماعات، فهي الأداة التي يحرز من خلالها بناء الأنساق المختلفة والمتوافقة في آن؛ فتبنى الأنساق المختلفة التي تنفرد بها المجتمعات من خلال اللغات الأصلية الأم، وتبنى الأنساق المتوافقة من خلال تحريض التعدد اللغوي كقيمة مضافة بالنسبة للغة الأم يقول خبراء المجلس: "تبرز اللغة من بين حقوق الإنسان التي تمثل توجها عالميا له مغزاه في تأكيد التنوع الثقافي والتعدّد اللغوي، واحترام الهويات الثقافية للجماعات والمجتمعات، والتركيز على اللغة الأم واحترامها وبقائها حيّة فعالة بوصفها ثقافة ووعاء للمعاني الثقافية ووسيطا للتواصل الفعّال الذي يحكم النسيج الاجتماعي متانة ومنعة؛ ولذا فإنّ الدعوة إلى حقوق الإنسان اللغوية تولى أهمية كبيرة للغة الأم

باعتبارها حقًا ومصدرا في التعليم والدين والحياة العامة والخاصة، كما تولي أهمية لحسن الاستفادة من الإمكانيات الكامنة في اللغات الأجنبية، التي تتضمن بشكل ملحوظ رصيدا حضاريا للإنسانية من المفاهيم والأشكال والنماذج والتراكيب اللغوية والمعاني الثقافية التي توجد بين اللغات المختلفة⁶.

ويعني إحداث الاهتمام باللغات الأجنبية كقيمة مضافة بالنسبة للغة الأم ضرورة التفكير في اللغة الأم من حيث هي هوية لغوية؛ تمثل أول ما يتعلمه الفرد ويعرفه ويستخدمه على نحو أفضل ومن ثمة يتوحد بها مع الجماعة اللغوية كمواطن يقول خبراء المجلس: "تؤكد توصيات أوسلو المتعلقة بحقوق الإنسان اللغوية على احترام اللغة الأم وتعزيزها باعتبارها لغة عقل ومعرفة وتواصل ووجدان، ولغة التعليم والعمل والدين والعلاقات الاجتماعية، بقدر ما هي تعبير عن هوية الذات الثقافية التي تتميز لذلك بهويتها اللغوية... يمكن تحديد مصطلح اللغة الأم بأربع طرق مختلفة؛ فاللغة الأم: (1) هي اللغة التي يتعلمها الفرد أولاً؛ (2) وهي اللغة التي يعرفها الفرد على نحو أفضل؛ (3) وهي اللغة التي يستخدمها الفرد غالباً، (4) وهي اللغة التي يتوحد معها الفرد كمواطن يتكلم ويتواصل بها. ويعتمد هذا التعريف للغة الأم على أربعة محكات، هي على التوالي: الأصل، والافتقار والوظيفة، والاتجاهات؛ أي أصولها عند الفرد في تعلمه لها منذ طفولته، والتمكّن منها مهارة واقتداراً، ووظيفتها تواملاً وعقلاً ومعرفة، واتجاهاته نحوها ألفة واعتزازاً"⁷. فاللغة الأم هي الهوية ذاتها فلا: "يمكن لمجتمع من المجتمعات أن يحافظ على ثقافته وينمّيها ويطورها بغير لغته الوطنية أو القومية. ولاسيما أنّ اللغة هي الوعاء الذي يحفظ هذه الثقافة وينقلها من جيل إلى جيل"⁸.

المجلس العربي للطفولة والتنمية وتعزيز موقفه بالأدلة العلمية:

استدل المجلس العربي للطفولة والتنمية على موقفه ببعض المنظمات الدولية كاليونسكو ومنظمة العمل الدولية... فلضمان الحياة السليمة للطفل ينبغي تعليمه لغات أخرى ليندمج في مجتمع المعرفة ويزيد في تواملاته مع المستجدات

وليعيش متكاملًا متوازنًا بين بني جلدته وعليه: " فالبونسكو... يعلي من أهمية احترام التعدد الثقافي واللغوي والهويات الثقافية واللغوية، وتعزيز اللغة الأم وأهمية تعلم اللغة أو اللغات الأجنبية، كل ذلك كمتطلبات للعيش بفاعلية وتوازن مع آفاق التنمية والنقد في مجتمع المعرفة... وترتكز منظمة العمل الدولية، في استراتيجيتها للتعليم والتدريب مدى الحياة، على تشجيع دراسة اللغات الأجنبية من أجل زيادة فهم الثقافات المختلفة، والانفتاح على الإسهامات والمستحدثات المعرفية العالمية وتوظيفها للأهداف والطموحات الوطنية، مع العمل في الوقت نفسه على دعم اللغة الأم وتفاعلها باقتدار مع ذاتها الثقافية ومع الثقافات العالمية"⁹.

تبنيات المجلس العربي للطفولة والتنمية على توقيت تعليم اللغات الأجنبية:

أكد المجلس العربي للطفولة والتنمية من خلال الدراسات العلمية إلى عدم تعريض الطفل للتعلم المبكر للغات أخرى فهي خبرات غير ملائمة استنادًا للنظريات العلمية وذلك لما يحدث من تناقض في عقل الطفل وتشنت يقول الخبراء: " وبصفة عامة يعدّ التعرض المبكر للغة أجنبية خبرة غير مواتية لتعلم فعال سواء بالنسبة للغة الأجنبية أم اللغة القومية؛... وفقًا لنظرية التعلم عند السلوكيين تفسيرًا للتأثيرات المتناقضة للغتين مختلفتين في عقل الطفل، وما قد تؤول إليه تلك التأثيرات من تناقض معرفي. أضف إلى ذلك، مبدأ المواءمة في نظرية جون بياجيه وهو مبدأ رئيسي في عملية النمو المعرفي للطفل حيث تؤام خبرات الطفل مع بعضها؛ لذا فإنّ تعرض الطفل لخبرات لغوية متغايرة لا يعزّز من فاعلية عملية المواءمة في نمو الطفل... إنّ الأطفال وكما يتعلمون لغتهم القومية من خلال التعرض التلقائي اليومي لتلك اللغة، فإنهم ربما يتعلمون لغتين في وقت واحد إذا نشؤوا في بيئة ثنائية اللغة. ولكن حينما يبدأ الأطفال تعلم لغة ثانية في سن أكبر، في المدرسة الابتدائية أو حتى بعدها، فإنهم غالبًا ما يتعلمونها بسرعة أكبر إذا كانت خبرات تعلم اللغة القومية لديهم قد تأسست بنيتها بشكل مناسب"¹⁰.

ويضيف خبراء المجلس بأن اكتساب اللغة الوطنية الأصلية وتمكين الطفل من خصائصها يساعده كثيرا في التمكن من اللغات الأخرى ولا تعيق أو تمس هاتيه المعاملة اللغوية حينها نموّه المعرفي، يقول الخبراء: "إن برامج تعليم اللغة الثانية تكون فعّالة ووظيفية فقط حينما يكون لدى الأطفال أساس متين في لغتهم القومية وتتاح لهم الفرص المنتظمة لاستخدام مهاراتهم في تلك اللغة الأم ولتنمية تلك المهارات؛ وفي تلك الظروف لا يتداخل تعلّم اللغة الثانية مع نموهم المعرفي، ولا يؤثر سلبا في التوظيف المعرفي لمكاسب التعلّم اللغوي الذي أحرزوه وألفوه مع اللغة القومية"¹¹.

ولزيادة الذكاء اللغوي وإطلاق قدرات الطفل ينبغي إحداث تعاشر عميق بين اللغة الأم واللغة الأجنبية، فاللغة عبارة عن وسيط يستثير بناء الدماغ ويوسّعه، فهي مدخلات تصيب العقل في الصميم وتزيد قوته العصبية: "فمن الطبيعي أن يتصدر إطار الذكاء اللغوي منظومة "أطر العقل" في نظرية "جاردنر"، وحيث يتبدى هذا المستوى العقلي المعرفي في التوظيف اللغوي في قدرة خاصة يتعامل بها مع الخواص الدلالية... الصوتية... التركيبية... العملية... للكلمات... ويؤكد جاردنر قابليات الأطفال في تنمية ذكائهم اللغوي بمستويات عالية، في مجالات: الأدب والشعر والثقافة، وفي التمكن من مهارات اللغة الأم وتعلّم لغة أو لغات أجنبية، وما تحمله كل لغة من إثراء ثقافي وعمق معرفي... تتبدى مكانة اللغة هكذا في تنظيم عقل الطفل وفي عمل المنظومة العصبية للدماغ، من تلك الحقيقة بأن الرموز اللغوية تعمل وسائط لعمل الدماغ واستنارته لغويا؛ فالخبرات الإنسانية من خلال التعلّم والتثقيف، يستدخلها الطفل ويستدمجها في صميم بناء العقل وتنظيم عمله من خلال الوسائط اللفظية"¹².

الطفل العربي ولغته الأم:

وللغربية مكانة خاصة ومقدسة لدى المجلس العربي للطفولة والتنمية، فهي لغة العرب والدين الإسلامي، فنقافة العربي مختزلة فيها على مرّ العصور، وقد أعلنت

من شأنها أنظمة الحكم العربية بجعلها لغة رسمية في الدساتير، وأصبح من حق العربي الاضطلاع بدور مهم في تنميتها وترقيتها وضمانها للنشء، وذلك احتراماً للمادة 29 من اتفاقية حقوق الطفل (النافذة في سبتمبر 1990)¹³.

وأكد المجلس العربي للطفولة والتنمية ضرورة تنفيذ المدرسة للغمر اللغوي على الطفل العربي، بإعداد الجيد من البرامج والمناهج والطاقت البشرية ذات التعليم، واستغلال التوقيت المناسب لتعليم الفصيحة في سن مبكرة (الروضة التمهيدية الابتدائية) يقول الخبراء: "فالعبء الأكبر في تنمية لغة الطفل يقع على المدرسة، من حيث تهيئة البيئة الدراسية المناسبة لتعليم اللغة وتعلمها، سواء من حيث السن التي يتلقى فيها الطفل اللغة الفصيحة، أم من حيث إعداد المناهج الفاعلة، والبرامج المحفزة والمحبة لتعلم اللغة، أم إعداد المعلمين إعداداً لغوياً جيداً في جميع التخصصات التي تتناولها الخطة الدراسية، أما من حيث السن التي تقدم فيها الفصيحة للطفل فلا بد أن يبدأ ذلك من سن مبكرة، منذ سنوات التعليم الذي يسبق دخول المدرسة الابتدائية، أي في مرحلتها الروضة والتمهيدية ويمتد في أثناء المرحلة الابتدائية... وهي مرحلة الاكتساب اللغوي وفقاً لفرضية "الفترة الحرجة" التي ترى أن الأساس في اكتساب اللغة هو تشربها منذ الطفولة حتى سن البلوغ. وهي فرضية نشأت في الأصل حول تعلم اللغة الأم... ويكون ذلك بغمر الطفل باللغة الأم طوال هذه الفترة."¹⁴

الطفل العربي واللغة الأجنبية:

ولقد أشار المجلس العربي للطفولة والتنمية إلى واقع تعلم اللغات الأجنبية في الوطن العربي، فأشار إلى مشكلة سوسيو تاريخية عميقة تتمثل في فرار الفرد العربي بل والمجتمع إلى تعلم لغة أجنبية لغاية تتمثل في أهمية تلك اللغة في الحياة الإدارية والاقتصادية فالارتباط وطيد بين الأعمال الإدارية والتجارية واللغات الأجنبية، ولم تكن الغاية من تعلم اللغات الأجنبية بهدف تنمية الثقافة وإدراك العالم المحيط كما هو محدد في المبادئ التربوية التعليمية. يقول الخبراء: "غير أن

الإحساس بأهمية إجادة اللغة الأجنبية في هذا العصر لدى الجمهور العربي لم يأت بوازع ثقافي بحث، يقصد إلى توسيع المدارك، والتثاقف مع الآخر كما تنص على ذلك معظم الأهداف التربوية، بقدر ما يعبر عن حالة من الفزع مصدرها ما رسخه الاستعمار القديم من أهمية هذه اللغة في الحياة الإدارية والاقتصادية المحلية، وما أفرزته العولمة المعاصرة من ارتباط وثيق بين اللغة وأصحاب النفوذ الاقتصادي من شركات ومؤسسات أجنبية في المجتمع العربي، الأمر الذي صبغ الأعمال التجارية والإدارية بصبغة أجنبية، سببها عدم إعطاء الفرصة للغة العربية كي تقوم بدورها في هذه البيئات. فأصبحت الوظائف مقصورة على من يجيدون اللغة الأجنبية، سواء كانت في القطاع الخاص أو العام. وفشلت مؤسسات التعليم العالي في البلاد العربية في تأسيس بنية لغوية تقنية عربية تستطيع التعاطي مع القادم الغريب باللغة الأم، بدلا من الانجراف وراءه، وتبني لغته الأجنبية¹⁵

موقف المجلس العربي للطفولة والتنمية من تقديم تعليم اللغات على بعضها:

لقد تابع فينرايخ الثنائية اللغوية وقسمها إلى ثلاثة أقسام بحسب الظروف المحيطة بالطفل، فهناك ثنائية مركبة تكون الظروف المتاحة في الطفولة متساوية في الأفضلية لكلتا اللغتين، وهناك ثنائية منسقة تكون فيها الظروف أفضل لإحدى اللغتين على اللغة الأخرى، وهناك ظروف تكون اللغة الأولى قد اكتسبت بعد الثانية بوقت أي متأخرة عنها¹⁶.

وانطلاقا من الواقع العام -الظروف العامة- للأطفال في العالم العربي والعالم تبنى المجلس العربي للطفولة والتنمية موقفه من تعليم اللغات الأجنبية في مرحلة متأخرة عن الأولى يقول الخبراء: "إنّ من الواضح أنّ الطفل العربي في معظم البلاد العربية ينتمي إلى بيئة الثنائية المتأخرة. وهذا الوضع هو ما يمر به معظم أطفال العالم المستقرين ببلدانهم. لذلك؛ فإنّ إقحامه في مسار من مسارات الثنائية المترامنة أو التالّية المبكرة يعد غير منطقي، لاختلاف الظروف التي تصاحب هذين النوعين من الثنائية. ومن هذا المنطلق نجد أنّ الوضع المناسب هو مرحلة

الاكتساب المتأخر بعد الثانية عشر من العمر، إذا أخذنا بالرأي القائل إن هذه المرحلة تمتد إلى السادسة عشرة. وفي هذه المرحلة سيكون الطفل أقرب إلى وضع التعلّم الإرادي للغة أجنبية، وليس إلى وضع الاكتساب بطريقة عفوية. والواقع أنّ الكثير من الدارسين يذهبون إلى أنّ تعلم اللغة الأجنبية لا يقدح فيه كبر السن... أثبتت دراسات كل من بيرد سونج وهوايت وجنيسي بأنّ البالغين الذين يتعلمون اللغة بعد سن البلوغ يمكنهم أن يصلوا إلى مستويات الناطقين الأصليين باللغة.¹⁷

وعليه؛ فالمجلس العربي للطفولة والتنمية يسعى السعي كله لبحث سبل تمكين ودمج الطفل العربي في حقبة مجتمع المعرفة، بالتركيز على اللغة كونها الوسيلة الأساسية للحفاظ على الهوية القومية والاطلاع على المحيط العالمي في آن. وقد تبنى اللغة الأجنبية كقيمة مضافة بالنسبة للغة الأم، دعما للتنوع الذي جبل عليه الإنسان، إذ بحكم التأثير والتأثر يظل الإنسان كأننا يبحث بشراة عن إقامة المعاملات مع بني جلدته في كل مكان وكل زمان، فالإنسان كائن اجتماعي بطبعه، ولعل وجود 6000 لغة دليل واضح على التنوع الطبيعي، ومنه دعا المجلس العربي للطفولة والتنمية إلى ضرورة حث الطفل العربي على تعلّم اللغات الثواني تكريسا للفطرة الإنسانية ومن ثمة توسّع مدارك الطفل وتبنى شخصيته بالتوازن والتكامل.

وفي الإطار ذاته يعني الاهتمام باللغات الثواني الاهتمام باللغة الأمّ حفاظا على الهويات القومية، فالمجلس العربي للطفولة والتنمية يحث على تنشئة الطفل العربي تنشئة لغوية عربية بالأول؛ فالتمكن للغة الأم ضرورة لابد منها؛ فاللغة الأم هي اللغة التي يتعلمها الطفل أولا، ويعرفها على نحو أفضل ويستخدمها غالبا ويتوحد بها مع مجتمعه، فيكتسب بهذا شخصيته العربية الأصلية ويشعر بها. وقد نبّه المجلس العربي للطفولة والتنمية بأنّ تعريض الأطفال لتعلّم اللغات الأجنبية مبكرا بدل من تمكينهم من لغتهم الأم يؤثر على نمو الطفل المعرفي، ويؤدي إلى تداخل

المعلومات اللغوية لديه، أمّا في الحال التي ينتشع فيها الطفل بلغته الأم أولاً ويتجلى خصائصها فإنّ هذا الأمر يساعده على تعلّم اللغات الأخرى.

الهوامش :

¹ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجيّة تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص139.

² - <http://www.arabccd.org/page/26>

³ - <http://www.arabccd.org/page/26>

⁴ - سهير عبد الفتاح وآخرون: استراتيجيّة تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر.، ص141.

⁵ - Jürgen Habermas : Théorie de l'agir communicationnel. نقلا عن: عبد الغني بارة: الهرمنيوطيقا والفلسفة نحو مشروع عقل تأويلي، الدار العربية للعلوم ناشرون، لبنان منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008، ص63.

⁶ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجيّة تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر.، ص141.

⁷ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجيّة تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص142.

⁸ - عبد العلي الودغيري: دور اللغة الوطنية في التنمية وتحقيق الأمن الثقافي، ضمن كتاب: أهمية التخطيط اللغوي اللغات ووظائفها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر، ص50.

⁹ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجيّة تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات، المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص143.

- ¹⁰ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص144
- ¹¹ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص145.
- ¹² - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات، المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص156.
- ¹³ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر، ص224، 225.
- ¹⁴ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص227.
- ¹⁵ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر، 229.
- ¹⁶ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص232.
- ¹⁷ - سهير عبد الفتاح وآخرون : استراتيجية تنمية لغة الطفل العربي أبحاث ودراسات المجلس العربي للطفولة والتنمية، دار نوبار للطباعة، مصر. ص232، 233.

اللغة الأمّ وانعكاساتها على التحصيل

المعرفي عند الطفل الجزائري

خيرة عيشون

جامعة: محمد لمين دباغين

سطيف2

الملخص:

الإنسان ابن بيئته يتأثر بها ويؤثر فيها ومنها يكتسب اللغة التي تؤهله للتواصل مع أفرادها، يجمع الباحثون على أنها من أهم مقومات الأمّ، والجزائر واحدة من الدول التي تتعايش فيها لغات عدة هي: العربية بلهجاتها، والأمازيغية بلهجاتها أضف إلى ذلك الفرنسية كلغة أجنبية أولى.

مما لا شكّ فيه أن العالم اليوم، أضحى أكثر إدراكا ووعيا بأهميّة التعلّم والتّحصيل باللّغة الأمّ، حيث بيّنت بعض الدّراسات التي تناولت الموضوع أن التعلّم باللّغة الأمّ يعدّ الحافز الأول على الإبداع والمعين الجوهري والسند المتين في اكتساب العلوم والمعارف، وهو الأمر الذي تفتنت له الدول الرائدة في مجال التّميّة، والتي اعتمدت في تعليمها على لغاتها الأمّ، وركزت عليها في تعاملاتها لإدراكها أهميّة ذلك في النهضة التّميّة.

الكلمات المفتاحية: اللّغة الأمّ، التعدد اللّغوي، الثّنائية اللّغوية، الازدواجية اللّغوية، الطّفل.

Résumé :

Tout ce qui existe dans l'environnement se reflète dans la personnalité de l'être humain. Ce dernier est influencé et a de l'influence par et sur tout se qui l'entoure. Il en acquiert ainsi le langage qui le qualifie pour communiquer avec ses membres. Et ceci,

en lui donnant la langue qui le rend capable de communiquer avec les autres individus. Et cette communication se réalise grâce à la langue qui est considérée par les chercheurs comme l'une des composantes principales des nations. Et l'Algérie est l'un des pays dans lesquels plusieurs langues coexistent : l'Arabe et ses dialectes, l'Amazighe et ses dialectes, ainsi que le Français comme première langue étrangère.

Il n'y a aucun doute que le monde d'aujourd'hui a pris davantage conscience de l'importance de l'apprentissage et de l'acquisition dans la langue maternelle. Et certaines études ont démontré que l'apprentissage dans la langue maternelle est la première motivation de la créativité et le support-noyau dans l'opération de l'acquisition des sciences et des connaissances.

Notons que les nations qui sont en tête du développement ont très tôt pris conscience de ce fait. Et dans cette opération de l'apprentissage, ces nations se sont basées sur leurs langues maternelles.

Comme elles se sont concentrées également pour appliquer cela dans les comportements afin de réussir dans l'opération car elles (les nations) ont pris conscience de la grande importance de cela dans la renaissance et le développement.

Les mots- clés :

La langue maternelle, le multilinguisme, le bilinguisme, diglossie, l'enfant

مقدمة:

تعد اللغة عنصرا مهما وحيويا في الحياة الاجتماعية، ذلك أنها وسيلة للتعبير والتواصل ورمز للهوية الفردية والاجتماعية والثقافية، فهي تعكس وجوده، وتطبع حضارته ودرجة حضوره، وهي من العوامل الهامة في نشأة الأمم وتطورها وتعكس تنوع ثقافتها، فهي ملازمة للإنسان منذ نشأته كونها تحيا وتتطور معه تبعا للظروف البيئية والثقافية التي يحياها ويتعامل معها، هي أيضا أداة التفاهم ووسيلة

للتواصل بين الأفراد والمجتمعات، وذلك من خلال التعبير عن أفكار الذهن ومخترجات الصدر ونقلها للآخرين لإحداث التفاعل بين الأفراد والمجتمعات. لقد شهدت الجزائر تاريخاً موعلاً في القدم ميّزه حراك سياسي واقتصادي أهلها له موقعها الجغرافي، ويسجل التاريخ محطات كثيرة كانت فيها الجزائر مطمعا للغزاة من قبيل الرومان، الإسبان، البيزنطيين ... ، وهو ما خلق فيها طبقات اجتماعية مختلفة أضيفت إلى سكانها الأصليين (الأمازيغ)، وأما في القرن السابع الميلادي فقد عرفت الجزائر حراكاً دينياً، قدم به العرب الفاتحون حاملين معهم لغتهم العربية وقد كانت وقتها من أهم اللغات، ففتح الجزائريون قلوبهم للدين الإسلامي وراحوا يتفقهون فيه ويتعلمون لغته، فنتج عن ذلك ظهور مجموعة من العلماء الأمازيغ في الدين الإسلامي واللغة العربية يضاهاون جهاذة العرب، وبهذا انتشرت العربية في البلاد الجزائرية انتشاراً سلمياً، وبرغبة ملحّة من الشعب الجزائري، عكس ما عرفه القرن الماضي الذي كان شاهداً على صورة الاستعمار الفرنسي من (1830 إلى 1962م)، فحاول هذا الأخير بشتى الطرق والوسائل محو معالم الشعب الجزائري سواء كانت اللغوية أم الدينية أم القومية، حيث إنه عمل جاهداً على فرض لغته على الشعب الجزائري بغية تدمير هويته وانتمائه واستبداله بشعب فرنسي اللغة والهوية والثقافة.

هذه العوامل وغيرها هي التي رسمت المشهد اللغوي الجزائري عن طريق الاحتكاك بين اللغات التي جرت على ألسنة الجزائريين، ورغم أن هذا الاحتكاك يكسب اللغة سعة وتنوعاً إلا أن الأمر لا يخلو من الآثار السلبية على اللغة الأم ومدى سلامتها على السنة الناشئة خاصة، ومن هنا تنبثق جملة من الأسئلة لا يمكن أن نحيد عنها لعل أهمها، ماذا نعني باللغة الأم، ما مميزات اللغة الأم في المجتمع الجزائري وكيف يمكن استغلالها في عملية التعليم والتعلم وما انعكاساتها على ذلك؟.

1- في ماهية اللغة الأم:

انطلاقاً من الأهمية البالغة التي تكتسبها اللغة الأم في الحفاظ على هوية الشعوب وتمايزها عن بعضها البعض، فقد عملت منظمة اليونسكو العالمية على تخصيص يوم 21 فبراير من كل سنة يوماً للاحتفاء باللغة الأم وقد تم الاحتفال به للمرة الأولى سنة 2000م للاعتراف بحركة اللغة البنغالية¹. وجاء هذا الاعتراف باللغة الأم من قبل منظمة اليونسكو تجسيدا لجملة من الأهداف يتجلى أهمها في: "حماية تراث العالم من الانقراض. وبهذه الشرعية الدولية، رأت أن تعلم اللغة الوطنية فرض عين وتعلم اللغة الأجنبية فرض كفاية، فأعطت للغة الأم كل الأهمية، ومن حق كل الأفراد في العالم أن يأخذوا نصيباً من العلم بلغاتهم"². وإن دلّ هذا على شيء فإنما يدلّ على أهمية تعلم اللغة الأم وضرورة تهيئة جميع الظروف الملائمة لخدمتها وزرعها على ألسنة الناشئة، وخاصة إذا ما تلقوا التعليم بها فإنّ هذا سيثبتها في استعمالهم اللغوي ويمنعها من الاندثار. وهو الهدف الذي تسعى إليه جاهدة جميع الدول لأنّ في حفظ اللغة حفظ للهوية.

تزامن ظهور مصطلح اللغة الأم "Langue Mère" مع نيل الدول المستعمرة لاستقلالها عند نهاية الحرب العالمية الثانية، حيث كثر الحديث عن مفاهيم تدعم لهذه الدول استقلالها من قبيل الهوية، الوحدة الوطنية.... وقد عملت هذه الدول جاهدة على تعزيز اللغة الأم بعد أن تضاعف دورها أو كاد يتلاشى أيام حكم المستعمر، وذلك من خلال اعتمادها لغة رسمية للوطن ولغة تعليم وتعلم³ ولكن هذا التوجه لم يكتب له التحقيق على أرض الواقع عند جميع الدول بل لقي كثيراً من الرقوص أدى إلى نشوب صراعات ونزاعات مختلفة لم ينطفئ فتيلها إلا بعد قبول لغة المستعمر لغة أجنبية أولى عند بعض الدول أو عدها لغة رسمية عند دول أخرى.

إن مصطلح اللغة الأمّ من المصطلحات التي مازالت تعثرها الضبابية والغموض فهي تطلق على اللغة الرسمية كما اللغة الوطنية واللغة الجهوية، ولهذا فقد اختلفت التعريفات المقدمة لهذا المصطلح باختلاف مشارب الباحثين والدارسين وباختلاف توجهاتهم أيضا فأدى هذا إلى ظهور عدة مصطلحات مثل: لغة المنشأ اللغة الوطنية، اللغة القومية، اللغة الجهوية مقابل مصطلح واحد هو اللغة الأمّ.

إن الوقوف على تعريف دقيق لهذا المصطلح يتطلب منا الإلهام بالتعاريف التي قدمت له ومحاولة استخلاص مفهوم شامل انطلاقا من جزئيات كل تعريف بداية كان ينظر للغة على أنها الأم لغة الأمّ "البيولوجية" في مقابل المصطلح الفرنسي Langue Maternelle وترجمتها الحرفية لغة الأمومة، ويكتسب الطفل هذه اللغة من أمه عن طريق ملاغاتها له، وهذا يعني أنها اللغة الأولى التي يتكلمها الطفل في منزله ووسط أفراد أسرته دون تعلّم مدرسي لها، ومع التطورات الحاصلة لم يعد لهذا المفهوم أساس كبير من الدقة، ذلك أن الأمّ المعاصرة تركت رعاية الطفل وملاغاته لأم حاضنة غيرها وقد تكون أجنبية اللغة ومن هنا ظهرت جوانب القصور في هذا التعريف، إذ أنه أضحى لا يرقى إلى الدقة والشمولية فهو لا يعكس الوضع الحقيقي في كل المجتمعات، وخير مثال على ذلك أن الأطفال المهاجرين لا يتكلمون اللغة الأصلية لأهمهم، ومع هذا تعد لغة المهجر لغة أمّا بالنسبة لهم.⁴

وأما التعريف الثاني فإنه ينطلق من مقولة إن: "الإنسان ابن بيئته" واللغة إحدى أهمّ المكتسبات التي يتلقاها الطفل الناشئ من مجتمعه ولا يقتصر هذا على الأمّ فحسب بل يتعداها إلى جميع أفراد المجتمع يضاف لها وسائل الاتصال المختلفة، كما يحدث أن ينشأ هذا الطفل بين والدين يتحدثان لغتين مختلفتين وهنا لا يمكن الجزم بأن الطفل يكتسب لغة أم واحدة ويصعب تحديد أي اللغتين أكثر استحوادا على لسانه ذلك أنه صار مزدوج اللغة، وخالصة ما يرتكز عليه أصحاب هذا الاتجاه أن

اللغة الأمّ هي لغة المنشأ الذي ترعرع فيه الطفل سواء تعلق الأمر بلغة الأمّ البيولوجية أم الأمّ الحاضنة أم امتد الأمر إلى لغة مزدوجة وصولاً إلى لغة الشارع حتى أن الأساس في ذلك أنها اللغة الأولى التي يكتسبها الطفل في منشئه مهما كان تنوع مصدرها. وإن تبنى علماء الاجتماع هذا التعريف فإن المشتغلين بالسياسة يرون أن اللغة الأمّ هي اللغة التي يقرها الدستور وليس الاكتساب أو الاستعمال، وأما ما يستعمله المتكلم فهو في نظرهم مجرد لهجة لاتصل أبداً إلى الرقي الذي تحظى به اللغة، وبما أن المدرسة مؤسسة تابعة لمؤسسات الدولة الرسمية فإنه يوكل لها مهمة ترسيخ هذا المفهوم الذي يتلخص في فكرة واحدة مؤداها "اللغة الأمّ هي اللغة الرسمية" وتضطلع المدرسة إلى جانب هذا بتوجيهات النظام السياسي القائمة على نبذ كل أشكال التعدد اللغوي التي من شأنها أن تخلق نوعاً من الفتنة أو تؤدي إلى تراجع مكانة اللغة الرسمية، فتجلى الهدف واضحاً عند أصحاب هذا الاتجاه وتمثل في أن اللغة الأمّ هي رمز للوحدة الوطنية بعيداً عن جميع الاعتبارات الجهوية وحتى الإيديولوجية فأضحت هي الجيش الضابط والنظام الموحد، والقوة الصارمة، والفرض الذي لا يرد⁵.

وأما رجال الدين فهم كذلك قد أدلوا بدلوهم في مسألة اللغة الأمّ، ولأن الدين مقدس فإن اللغة التي نزل بها هذا الدين تستمد قداستها منه، ولذا كانت "اللغة الأمّ هي لغة الدين" وذلك لأنها تملك سلطة لا تستطيع أن تجاريها فيها بقية النوعيات اللغوية، وخير مثال موضح لهذا التوجه اللغة العربية عند المسلمين فهي لغة أم انطلاقاً من قدسيته التي اكتسبتها من قدسية القرآن الكريم، واستناداً إلى القاعدة الفقهية "ما يتم الواجب به فهو واجب" لهذا كان من الواجب تعلّمها واكتسابها على أنها اللغة الأمّ.

وأما العامة من الناس فهم ينظرون إلى اللغة باعتبار وظيفتها التواصلية في البلد، فما دامت اللغة تحقق هذه الوظيفة في لغة أمّ، وما دامت تحفظ المساواة

وتكافؤ الحظوظ فهي كذلك، وتحقق هذا دون أي مقارنة بين النّوعيات اللغويّة لا من حيث الانتشار والاستعمال ولا من حيث المكانة الدنيّة والسياسيّة ولا الاجتماعيّة وإنما الاعتبار الأوّل الذي يركزون عليه هو تحقيقها لوظيفة التّواصل بين الأفراد وعليه قد يصبح للمجتمع الواحد أكثر من لغة أمّ واحدة.

وأما علماء اللّغة فإنهم ينظرون إلى اللّغة الأمّ على أنها اللّغة التي يتلقاها المتعلّم في المحيط المدرسي مهما تكن الوضعيّة الشرعيّة لتلك اللّغة والتي يعيش فيها التلميذ، ومثال ذلك العربيّة في الجزائر⁶.

فالشرط الأساسي الذي بُني عليه هذا التعريف هو ضرورة تلقي اللّغة في المدرسة حتى يمكن عدها لغة أمّ، وهذا بالطبع يستدعي اكتساب اللّغة في جانبها المنطوق والمكتوب، ذلك أنّ اللّغة الأمّ في الجزائر كما هو الحال في جميع الدّول المغاربيّة يتجسد جانبها الشفهي في كونها لهجة عربيّة أو عربيّة وفي حالات أخرى تكون لهجة بربريّة وأمّا جانبها المكتوب فإنه يتجسد في اللّغة الرّسميّة المكتوبة⁷. أي الإقرار بها من طرف النّظام السياسي.

وصفوة القول من كل هذا إن جميع هذه التعاريف ينطلق أصحابها من توجيهاتهم وخلفياتهم المعرفيّة التي تؤثر على مفهوم اللّغة الأمّ. وبالتالي فإنه يمكننا الاعتماد على جميع هذه التعاريف مادام كل تعريف يحاول تجاوز جانب من القصور في التعريف الآخر، وهنا يمكن إجمالها في مفهوم شامل يُعطى لمصطلح اللّغة الأمّ وهو الأمر الذي أكدّه صالح بلعيد حينما عرف اللّغة الأمّ على أنها: "اللّغة التي تستعمل بشكل طبيعي من قبل جماعة لغويّة، ويمكن أن تهذب في المدرسة وهي لغة البلد والانتماء والهويّة التي تستطيع الحيلولة دون الاندماج والتلاشي في الثقافة الأجنبيّة، وتحمل الجوهر اللّغوي Langagier Substrat والمفاهيم الإديولوجيّة، باعتبارها اللّغة الأصل قبل أن يختلط بها غيرها"⁸ ومن هنا يمكن القول إن اللّغة الأمّ هي تلك اللّغة التي يتعلّمها الطّفل في المنزل وبجيد استخدامها

دونها وعي بقواعدها النحوية والصرفية يضاف لها ترسيخ هذه اللغة في المدرسة فتنتقل بذلك اللغة من مستواها العامي الوضيع إلى مستوى علمي أدبي رفيع وتقرها الدولة في دستورها.

من خلال ما سبق نستنتج أن للغة الأمّ جانب شفهي وآخر مكتوب يكتسبها الفرد من الأسرة أو المجتمع أو المدرسة وهي اللغة الرسمية في الدولة. وقبل الوصول إلى تأثير اللغة الأمّ وانعكاساتها على التحصيل المعرفي للمتعلم الجزائري لا بدّ أولاً رصد الممارسات اللغوية في المجتمع الجزائري وذلك لمعرفة الخلفية اللغوية التي ينشأ فيها الطفل الجزائري.

2- الخصائص اللغوية للمجتمع الجزائري:

يتفرّد الوضع اللغوي في الجزائر بخصائص عدة، تجلت في هيمنة لغات معينة على المشهد اللغوي نتيجة لعوامل تاريخية مختلفة ولدت احتكاكات لغوية بين اللغة الأمّ ولغة المستعمر، ويعدّ المجتمع الجزائري واحداً من المجتمعات العربية الكثيرة التي تتعايش فيها لهجات كثيرة، وتتعدّد فيها طرائق التواصل العلمي والعملية، وهذا التزاحم اللغوي تمثله الفصحى في المؤسسات التعليمية، وأحياناً تكون مشوهة فتظهر في يشكّل هجين لغوي بينها وبين الدارجة، وقلّما نجد مجتمعا يتواصل بلغة واحدة، وبما أنّ الجزائر واحدة من دول المغرب العربي فإنّ اللغات التي تستخدم في بلدان المغرب العربي ثلاث لغات، العربية والفرنسية واللغة الأمّ أمّا الأوليتان فلغتا الثقافة، وهما لغتان مكتوبتان، وتستخدم الفرنسية أيضاً لغة للمحادثة، غير أن اللغة الأمّ الحقيقية التي يستخدمها الناس دائماً في خطابهم اليومي لهجة هي العربية أو البربرية وليست هذه هي اللغة الأمّ إلا في حالات نادرة جداً لغة مكتوبة⁹. ويمكن تلخيص المشهد اللغوي الجزائري في النقاط التالية:

1- العربية الفصحى: لغة الدين والتعليم والثقافة واللغة الرسمية.

2- الفرنسية: لغة العمل والمال، والعلم والتقنية... لغة النجاح الاجتماعي.

3- الأمازيغية: لغة الأصالة والأجداد، لغة التنشئة الاجتماعية القاعدية للغة الأم.

4- الدارجة: لغة الشارع والابتدال، لغة البيت، لغة الحياة اليومية.

إن الاختلاف والتفاوت في التّموقع داخل المجتمع الجزائري هو ما يطبع هذه النّوعيات اللّغويّة، ولكنّ الجليّ للعيان أنّ التّعدد اللّغوي هو ما يطبع المشهد اللّغوي الجزائريّ سواء تم الاعتراف به من طرف الجهات الرّسميّة أم لا، إذ تهيمن العاميّة بلهجاتها المختلفة على الاستعمال الشفوي وتبني توأصلا بين المجموعات اللّغويّة المختلفة، وأمّا اللّغة العربيّة الفصحى واللّغة الفرنسيّة فيستعملهما المتفقون وفي أماكن محدّدة مثل المدارس، والجامعات والمساجد والإدارات مع تفاوت بينها في نسبة الاستعمال وللأمازيغية حضورها الذي يختلف من منطقة إلى أخرى مثل: الشاويّة، القبائليّة، المزابيّة، الشلّحيّة.... الخ.

ويتجلى هذا التّعدد اللّغوي على ألسنة الجزائريين من خلال مظاهره فالازدواجيّة تنعكس من خلال استخدام اللّغة العربيّة الفصحى لدى فئة من المتقنين الجزائريين في أماكن محدّدة كالمجال الدّيني والمؤسسات التّربويّة والإداريّة وتستعمل أداة تعبير في الملتقيات الثقافيّة والعلميّة والآداب المكتوبة، في حين تتمظهر العاميّة الجزائريّة في الاستعمال اليومي وأكثر استخداماتها في المجالات الحميميّة بين الأصدقاء وفي الأوساط الأسريّة¹⁰. وأمّا الثنائيّة اللّغويّة فقد نشأت في المجتمع الجزائريّ عن طريق الاحتكاك بين اللّغة العربيّة واللّغة الفرنسيّة التي حلّت في الجزائر بحلول الاستعمار الفرنسي ولكنها لم ترحل برحيله، فظلت بعده "اللّغة المهيمنة على القطاعات الحيويّة في المجتمع الجزائريّ، فهي لغة الصّناعة والإدارة والمؤسسات الاقتصاديّة، كما أنّ فشل تعريب الجامعة الجزائريّة واقتصارها على معاهد العلوم الإنسانيّة أكثر، بمقابل بقاء اللّغة الفرنسيّة، لذلك فالثنائيّة اللّغويّة في الجزائر رسّخها التعلّم، وعزّزتها السياسة ونشرتها وسائل الإعلام بين مختلف الشرائح الاجتماعيّة¹¹.

إنّ ما يشهد به الواقع الجزائريّ يمكن إجماله في عبارة واحدة "لغات متعددة في خطاب واحد" هذا ما يميّز المجتمع الجزائريّ عن غيره، فبدلاً من أن يكون التعدد اللغوي عاملاً لإغناء اللغة وتوسيع الثقافة أصبح يحدث ارتباكاً على مستوى التعبير، وأضحى أغلب الجزائريين وحتى المتعلّمون منهم لا يجيدون أي لغة من اللغات، فالمعرب لا يتقن العربية في شكلها الرّاقى، والمفرنس لا يجيد الفرنسية. فكانت المحصلة أن اختلطت هاتان اللّغتان مع العامية وبقية اللّهجات الأمازيغية وتجلت النتيجة أن لا لغة للجزائريين.

أ-الازدواجية اللغوية: Diglossie

الازدواجية لغة: كلمة مشتقة من مادة "زوج" وقد ورد في معجم مقاييس اللغة لابن فارس أن: الزّاي والواو والجيم أصل يدل على مقارنة شيء من ذلك (الزوج زوج المرأة). قال تعالى: "وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ (35)"سورة البقرة/ الآية 35. ويقال لفلان زوجان من الحمام يعني ذكراً وأنثى¹².

اصطلاحاً: لم يظهر مصطلح الازدواجية اللغوية (Diglossie) في أدبيات اللسانيات إلا عام 1959 حين استخدم اللساني الأمريكي شارل فيرغيسون (Charles Ferguson) هذا المصطلح من اللغة الإغريقية فحدّد الازدواجية اللغوية على أنها العلاقة الثابتة بين ضربين لغويين ينتسبان إلى أصل جيني واحد، أحدهما راق والآخر وضع كالعربية الفصحى والعاميات وكالإغريقية الشعبية الحديثة والإغريقية المهذبة الصافية¹³. ومن هنا نفهم أن الازدواجية تتضمن معنى استخدام بشكّلين مختلفين للسان نفسه، أي تنافس بين نوعيتين لغويتين تتدرجان تحت نفس اللسان حيث يستخدم أحدهما في الحياة اليومية العامة ويوظف الآخر في الأمور الرسمية والدوائر الحكومية وفي المدارس والمحاكم والوزارات وغيرها ويعتبر

معيّاراً رسمياً حقيقياً ويكتب به الأدب المعترف به، ولكن لا تتحدث به إلا الأقلية وتحط منزلة الآخر، ولكن تتحدث به الأكثرية¹⁴.

"وأما العالم الفرنسي وليم مارسيه William Marçais فهو الذي نحت هذا المصطلح بالفرنسية وعرّفه في مقالة كتبها عام 1930 بقوله: هي التنافس بين لغة أدبية مكتوبة ولغة عامية شائعة¹⁵، وهي بهذا من الظواهر التي تفرض نفسها بشدة داخل المجتمع وهي سمة عامة في كل اللغات، تستدعي بالضرورة وجود مستويين للغة ذاتها فيسمى أحد هذه المستويات اللغوية باللغة المعيارية أو الفصحى (Language Standard) وتستعمل في المكاتبات الرسمية والتعليم والإدارة، أما المستوى الآخر فهو عادة يعتبر أقل رتبة، ويستخدم في مواقف الحوار المختلفة مثل موقف البيع والشراء وغير ذلك ويسمى باللغة الدارجة أو العامية (Langage Colloquial)¹⁶ وبما أنّ هذا الضرب من التعدد لا يقتصر على لغة بعينها ولا مجتمع بعينه فهو هذا ما نلاحظه في واقعنا اللغوي الجزائري وهو امتداد لما يسود في كافة الدول العربية ويعود ذلك إلى أواصر القرابة وعلاقة النسب التي تجمع بين العربية الفصحى وعامياتها.

إذن، تركز الازدواجية اللغوية على تنافس نمطين من اللغة ذاتها يختلفان في المستوى والمكانة أضف إلى ذلك الاختلاف في مجالات استعمال كل منهما.

ب- الثنائية اللغوية: Bilinguisme

الثنائية لغة: كلمة مشتقة من مادة (ثني) وقد جاء في معجم المقاييس لابن فارس أن: الثاء والنون والياء أصل واحد وهو تكرير الشيء مرتين أو جعله شيئين متوالين أو متباينين وذلك كقولك: ثنيت الشيء ثنيا... والثني في الأمر يعاد مرتين¹⁷.

اصطلاحاً: إن محاولة ضبط مفهوم بين لمصطلح الثنائية ليس بالأمر اليسير نظراً لكثرة الآراء واختلافها حتى وصلت إلى درجة التضاد أحياناً، فيقابل مصطلح الثنائية اللغوية في العربية مصطلح Bilinguisme في اللغة الأجنبية، ويكثر

استخدامها في سياق الحديث عن استعمال لغتين مختلفتين في التواصل كالعربية والانجليزية، أو العربية والفرنسية¹⁸.

إن الركيزة الأساس التي يستند عليها مفهوم الثنائية اللغوية هي وجود نوعيتين لغويتين مختلفتين، ولذا فهي: "وضعية لغوية يتناوب فيها المتكلمون من مجموعة لغوية ما على نظامين لغويين مختلفين"¹⁹.

من خلال التعريف يتضح أن الثنائية اللغوية توصيف يطلق على الدول والمجتمعات كما الفرد ويتضمن معناه القدرة على التواصل بنظامين لغويين ليست بينهما صلة قرابة، وعرفها محمد الخولي بطريقة أكثر دقة وشمولية فقال: "الثنائية اللغوية هي استعمال الفرد أو الجماعة للغتين بأية درجة من الإقناع، ولأية مهارة من مهارات اللغة، ولأي هدف من الأهداف"²⁰.

من خلال ما سبق ذكره من تعريفات يتضح أن الثنائية تتطلب أساسًا وجود لغتين مختلفتين ويشترط "إجادة الفرد التامة للغتين"²¹.

حسب رأي بلومفيلد وهو ما وافقه عليه ميشال زكريا حين قدم تعريفه "الثنائية اللغوية هي الوضع اللغوي لشخص ما أو لجماعة بشرية معينة تتقن لغتين وذلك من دون أن تكون لدى أفرادها قدرة كلامية مميزة في لغة أكثر مما هي في لغة أخرى... وهي الحالة اللغوية التي يستخدم فيها المتكلمون بالتناوب وحسب البيئة والظروف اللغوية لغتين مختلفتين"²² هذا وقد تدخل اللغة الرسمية لأي دولة كانت في ثنائية مع لغة أخرى تختلف عنها في نظامها الصوتي والصرفي والتركيبية والدلالي والمعجمي، فتتنافسان في الاستعمال وتتمتعان بمنزلة واحدة من حيث الكتابة الرسمية والاستعمال الرسمي مثلما نلاحظ في الجزائر حيث العربية لغة مشتركة مع الفرنسية، وهما تمثلان لغتين يجيدهما المتكلمون بالقدر نفسه من الكفاية... وعندما تتنافس لغتان فمن الطبيعي أن تتفوق إحداها على الأخرى فتستعمل بطريقة أكثر أمنًا، وأكثر دقة في مواقف معينة، وهذا ينسحب على من

يتعلمون لغتين مختلفتين معاً أثناء طفولتهم، فمن الصّعب إن لم يكن من المستحيل أن تكون هاتان اللغتان متكافئتين تماماً، وإنما سيظهر من حين لآخر درجة من التّفضيل والابتكار لإحدهما حسب الموضوع والموقف²³. وبناء عليه فإنّ الموضوع أو الموقف هو الذي يفرض على المتكلم الانتقال من لغة إلى أخرى بحيث يضمن له ذلك التّعبير عن أغراضه ويأمنه من اللبس والغموض.

وبعد هذا التّفريق الذي رصدناه بين الازدواجية والثنائية يتعيّن لنا أنّ هناك فريقاً آخر من الباحثين ذهب إلى أبعد من هذا في تفرّيقه بين الازدواجية والثنائية اللغوية وفي مقدمتهم جوسوا فيشمان Joshua Fichman الذي "أقام مقابلة جعل فيها الثنائية اللغوية في جهة قدرة الفرد على استخدام عدد من اللغات ممّا يدخل في باب اللسانيات النفسيّة، وجعل فيها الازدواجية اللغوية من جهة أخرى وهي استخدام عدد من اللغات في مجتمع ما ممّا يدخل في باب اللسانيات الاجتماعيّة"²⁴. وهذا يعني أنّ ازدواجية اللغة هي خاصية أو صفة نطلقها على وضع المجتمع ككل فعندما نتحدث عن ازدواجية اللغة فإننا نتعامل مع الأشكال اللغوية الموجودة في ذلك المجتمع، وبمعنى آخر فإنّ ازدواجية اللغة هي أحد مصطلحات علم اللغة الاجتماعي، أمّا ثنائية اللغة، فإنها تصف قدرة الفرد على التّعامل مع أكثر من لغة إضافة إلى كونها أحد مصطلحات علم اللغة النفسي²⁵. ومجمل القول من هذا أنّ الثنائية اللغوية تتمثل في استخدام اللغة من قبل الفرد، أمّا الازدواجية فهي استخدام اللغة من طرف المجتمع ويمكن أن "تظهر الثنائية في مدة أقل من المدة التي تحتاجها الازدواجية للظهور، إذ أنّ ظهور الازدواجية قد يحتاج إلى مرور ثلاثة أجيال على الأقل، بينما لا يحتاج ظهور الثنائية لأكثر من جيل واحد"²⁶.

لا يزال الاضطراب والغموض يلقيان بظلالهما على هذين المصطلحين ولكن الذي يتبيّن أن الازدواجية تدل على التّداول في الاستعمال بين نوعيتين لغويتين تعودان إلى لغة واحدة ومثال ذلك التّناوب على الفصحى والعامية في العربية، وأمّا

الثائية اللغوية فتتطلب التناوب بين لغتين مختلفتين في أصلهما وفي نظام كل منها وترتبط الثنائية ارتباطا شديدا بالاستعمال الفردي للغة في حين ترتبط الازدواجية بالاستخدام اللغوي في المجتمع، وكلاهما من ضروب التعدد اللغوي.

5- انعكاسات اللغة الأم على التعليم في الجزائر:

إن تعدد اللغات يعد مصدر قوة وفرصة للبشرية، ذلك أنه يجسد التنوع الثقافي لدول العالم، ويشجع تبادل وجهات النظر، ويجدد الأفكار، كما يوسع قدرة الأفراد على التصور، وتعمل منظمة اليونسكو على تشجيع الدول لأجل ترسيخ تعليم ثنائي أو متعدد اللغات يركز في أساسه على اللغة الأم، "ويشير التعليم المتعدد اللغات بالنسبة لليونسكو إلى إدراج ثلاث لغات على الأقل في التعليم أي اللغة الأم، ولغة إقليمية أي وطنية، ولغة عالمية، وقد اعتمدت منظمة اليونسكو في عام 1990 عبارة "التعليم متعدد اللغات Multilingual Education" حيث أكدت على أهمية التعليم باستخدام اللغة الأم في السنوات الأولى من التعليم المدرسي"²⁷.

وهذا يعني أن التعليم المعتمد أساسا على اللغة الأم له من الأهمية ما يجعله ينعكس إيجابيا على التحصيل المعرفي العام للمتعلم، سواء تعلق الأمر باللغات أم غيرها من المعارف الأخرى، هذا وتؤكد نتائج البحوث والدراسات على أهمية التدريس باللغة الأم خاصة في المرحلة الابتدائية، حيث إن إقصاء اللغة الأم من التعليم الابتدائي يؤثر سلبا على نمو المتعلمين لغويا وعاطفيا وكذا ولائهم للغتهم وانتمائهم الثقافي، لذا فقد بانّت اللغة الأم هي الأساس في التعليم.

"وأفضل سن للبدء في تعلم اللغة الثانية هي ما بين (10 و12 سنة) فإن تم البدء قبل ذلك فإن العملية التعليمية غالبا تكون بطيئة وغير مجدية، وإتقان الطفل أكثر من لغة يكسبه قدرات على التحليل والربط والقياس والاستنتاج والتفكير والتعبير عن المفاهيم بطريقة مختلفة يتقنها نتيجة تعلمه لغتين، وهذا مالا يتوفر للتلميذ الذي يتعلم لغة واحدة"²⁸. وهو الأمر الذي يؤكد نعوام تشومسكي Noam chomsky

إن البرامج التعليمية التي تتبنى أسلوب التعليم باللغة الأم ثم بلغة ثانية أجنبية فيما؛ بعد قد أثبتت نجاحا ملحوظا في كثير من مناطق العالم كما أنها حققت نتائج إيجابية مهمة على الصعيد النفسي والاجتماعي والتربوي، وذلك لأنها تقلل من آثار الصدمة الثقافية التي يتعرض لها الطفل عند دخوله المدرسة، وتقوي إحساسه بقيمته الذاتية وشعوره بهويته وترفع من إحساسه بإنجازه على المستوى الأكاديمي كما أنها تساعد على توظيف القدرات والمهارات التي اكتسبها باللغة الأم في تعلم اللغة الثانية²⁹. هذه الإيجابيات التي عددها تشومسكي لا يمكن أن تقوم لها قائمة على أرض الواقع ما لم يراع في ذلك السن المناسبة لإدخال اللغة الثانية على اللغة الأم، لأنه إن حدث العكس فإن تعلم الطفل الصغير للغة ثانية في سن مبكرة تعرضه لضغط إدراكي يؤدي إلى حصول اضطرابات إدراكية لا نجد لها أثرا عند ذلك الطفل التي يتعلم لغة واحدة هي لغة الأم، ويعود هذا أساسا إلى كون القدرات الإدراكية للطفل مازالت في مرحلة النمو والتطور وغير قادرة على استيعاب وإتقان لغتين.

وهو ما من شأنه أن يحدث خلطا بين كلمات اللغات فيطلق عليه مصطلح (code-mixing) هذا من جهة وأما من جهة أخرى فإنه يؤدي إلى ضعف الحصيلة اللغوية لمفردات اللغة الواحدة. ومثال ذلك نجد الطفل الذي عمره بين (1 إلى 3 سنوات) يتعلم ما يقارب عشرين كلمة في الشهر، لكنه إذا تعلم لغة أخرى بجانب اللغة الأم، فهذا معناه أنه يتعلم عشر كلمات في اللغة الثانية وعشر كلمات في اللغة الأم خلال شهر واحد، وهو الأمر الذي يؤثر لا محالة سلبا على اكتسابه لمهارات لغته الأصلية³⁰، وأما التأثير الثقافي الذي ينعكس على الطفل عند إقصاء اللغة الأم أو إدخال لغات أخرى عليها لدى الطفل فهي تلك الحيرة والضياع الذي يقع فيه المتعلم جراء ما تفرضه كل لغة من خلفية ثقافية وحضارية تحملها، وهو ما يؤثر على هوية الطفل وخاصة تلك التي تتجلى في مرحلة المراهقة، أضف إلى

ذلك فإن فرض تعلّم اللغة الأمّ وإلى جانبها اللغة الثانية يؤدي إلى ظهور تأخر في اكتساب كلتا اللغتين، فهو لا يجيد اللغة الأمّ كما أنه لا يجيد اللغة الثانية، وإن عدم القدرة على التركيز المنجّرة على هذا تجعله يعود القهقري في مستواه الدراسي. وخاصة إذا كانت اللغة الثانية هي لغة العلوم والفيزياء والرياضيات... إلخ فإنها تجعل الفهم لدى المتعلّم أقل مما لو تعلّمها بلغته الأمّ.

إنّ اقتصار التّحصيل المعرفي في المدرسة على اللغة الثانية أو الأجنبية خاصة في المرحلة الدّراسية يؤدي إلى تفتيت الثقافة والهوية القومية المرتبطة باللغة الأمّ ذلك أنها ليست مجرد مفردات وتراكيب نحوية فقط بل هي مزودة بحمولة ثقافية تعكسها جملة من عادات وتقاليد وقيم الناطقين بها.

إنّ عرقلة تعلّم اللغة الأمّ تظهر حين تم إدخال اللغة الثانية للطفل في سنه الصغيرة وخاصة في فترة من (3 إلى 6 سنوات) حيث إن جهاز النطق لم يتدرب جيدا على أصوات اللغة الأمّ، ومن هنا يتطلب الأمر تأخير مرحلة تعليم اللغة الثانية حتى يفرغ الطّفل من اكتساب وإتقان لغته الأمّ، كما أن الاختلاف الكبير بين مفردات وتراكيب اللغة الثانية يؤثر سلبا على اللغة الأمّ حين يقع الطّفل في حالة من الارتباك تجعله يجد صعوبة في فهم تراكيب ومفردات اللغة الأمّ.

تعدّ اللغة مقوما أساسيا لأي مجتمع كان وسيطرة اللغة الأجنبية وانتشارها على حساب اللغة الأمّ يخلق عجزا في التّواصل اللغوي الاجتماعي سواء تعلق الأمر بالأسرة أم بالمجتمع مما يؤدي إلى وجود حالة من الانفصام اللغوي.

وإذا ما اسقطت نتائج البحوث والدّراسات في هذا الشأن على الواقع اللغوي الجزائري فإن الحقيقة التي تتجلى واضحة للعيان هي أن اللغة الفصحى ليست لغة أمّ، وذلك أنها لا تطرق سمعك في الحياة اليومية ولا في بيوت الجزائريين، وإنما هي تتعلّم داخل أسوار المدرسة، ولكنها عند البعض لغة أمّ إذا انطلقنا من التعريف السياسي بحكم دستوريها، دون أن نخفل على أن المناطق الناطقة بالأمازيغية تعد

العربية عندهم لغة ثانية سواء تعلق الأمر بالمستوى الفصيح منها أم بلهجاتها، وإذا انطلقنا من التعريف اللساني فهي كذلك لغة أم بحكم أن الفصحى تمثل المستوى الرفيع والدّارجة تمثل المستوى الوضيع من اللغة العربية فهي لغة أم تحتل المرتبة الثانية³¹.

إن الواقع اللغوي الجزائري يشهد بهيمنة الازدواجية اللغوية عليه ويتجلى ذلك عن طريق اللهجات المتفرعة عن العربية الفصحى، ولأن هذه الدّارجات هي التي يستعملها الفرد الجزائري وتجرى على لسانه في سلاسة وتشكل مساحات عريضة من الناطقين بها، كما تتبسط على رقع جغرافية واسعة أهلها ذلك لأن تكون لغة أم أولى.

ولأن الجزائر تضم رقعا جغرافية ناطقة بالأمازيغية فهذا يجعل منها لغة أم أولى عند أهل هذه المناطق، ورغم تراجع استعمالها بفعل عملية التعريب إلا أنها مازالت محافظة على مكانتها عند سكان الرّيف وكبار السن، واليوم وبحكم دستوريتها فهي لغة وطنية، ولكن العائق الذي يحول دون تمكنها على الألسنة أنها لغة مشافهة تفقر إلى جانب التدوين حاليا.

الحديث عن الثنائية اللغوية في الجزائر يقتضي بالضرورة الحديث عن اللغة الفرنسية التي تمكنت من ألسنة بعض الجزائريين ومع هذا فإن الفرنسية ليست لغة الأم في الجزائر بل هي لغة أجنبية خلفها الاستعمار ونالت حظوة متميزة عن اللغات الوطنية، فتمكنت من السيطرة على قطاع الاقتصاد، وبعض تخصصات التعليم العالي مثل الهندسة، الطب والعلوم³².

تجمع البحوث والدراسات العلمية أن الطفل أكثر قدرة على الاستيعاب والتّحصيل المعرفي إذا ما تم ذلك بلغته أكثر من أي لغة أخرى، وكذلك يتحقق الفهم الجيد لما يعرض عليه من معارف إذا كانت بلغته الأم، ومن هنا أضحي

الواجب قائما بضرورة "تعليم اللغة الأمّ وأدراك بنيتها النّسقية التي يحسن استثمارها للتحكم في المنطق اللغوي، ثمّ تعلّم اللغات الأجنبية"³³

- إن اللغات الأمّ على اختلاف أنواعها ومن بينها العربية تكون مفرداتها مزودة بحمولة تراثية وثقافية تعكس الهوية العربية التي يكتسبها الطفل بعد ولادته من الأمّ أو ما ينوب عنها أي الشخص الحاضر، وهو ما يؤكّده أحمد الوالي العلمي بقوله: "هذا السّجل المحفوظ تراث مكتسب بعد الولادة، مأخوذ بواسطة الشخص الحاضر والملازم له طيلة الأعوام الثلاثة الأولى من عمره، سواء كان الحاضر أمّا أم شخصا آخر من نفس الجماعة التي ولد فيها الطفل أم من أيّة جماعة بشرية أخرى"³⁴ وبناء على هذا فإنه ينبغي للمدرسة أن تأخذ هذا السّجل المحفوظ أساسا ترتكز عليه وتجعله قاعدة تبنى عليها التعلّات القادمة دون إهماله، مادام ذلك يساعد في عملية التّعليم والتّعلّم.

اللغة الأمّ ضرورة اجتماعية تكفل الوظيفة التّواصلية بين أفراد المجتمع الواحد وعن طريقها يحدث التّحصيل المعرفي الذي يقوم أساسا على التّطور الذهني للطفل، والذهن لا يتطور إلا باللغة الأمّ أكثر من غيرها من اللغات وهي التي تمدّه بالمفاتيح الأولى التي تمكنه من الاستجابة لكل المتغيرات ولكل جديد، وهكذا يقع على اللغة الأمّ تحصيل العلم إلى جانب تحصين الهوية والانتماء³⁵.

يكتسب الطفل لغته الأمّ من المحيط اللغوي الذي يعيش فيه، فهي النّظام اللغوي الذي يكتسبه الطفل في مجموعته اللغوية ويستبطن قواعده ويوظفه لإنتاج جمل بفضل قدراته اللغوية، فالطفل من خلال تفاعله مع جماعته اللغوية، يبني نظاما مجردا (الفهم) يمكنه من معالجة الملفوظات وإنتاجها... إن تعليم اللغة الأمّ يستند إلى قدرات المتعلّم المكتسبة لكي يجعله يكتشف معطيات جديدة³⁶ وإن دلّ ذلك على شيء فإنما يدل على دور اللغة الأمّ في التّحصيل اللغوي خاصة والتّحصيل المعرفي عامة.

وإذا ولجنا إلى المدرسة نجد أن اللغة العربية الفصحى تحظى بالرعاية والعمل على ترقيتها، لكن واقع اليوم لا يعكس حجم هذا الاهتمام والنتائج تُظهر تردياً واضحاً على مستوى الأداء السليم، وأما الأمازيغية ورغم دخولها مؤخراً إلى منظومة التعليم، فإنها لازالت تراوح مكانها وتتجاوزها أطراف سياسية عدة ولذا فهي تؤدي إلى ظهور التداخل اللغوي عند الطفل الذي تكون لغته الأم هي الأمازيغية.

الخاتمة:

يتسم الوضع اللغوي في الجزائر، كغيره من بلدان المغرب العربي بعدم الانسجام والتعدد اللغوي حيث يتعايش فيه ثلاث لغات مختلفة تتمثل في الأمازيغية ولهجاتها خاصة القبائلية، ثم اللغة العربية الفصحى باعتبارها اللغة الرسمية للدولة ولغة القرآن ولغة التعليم ثم تليها الفرنسية التي فرضت نفسها فأضحت تستخدم من طرف المتقنين.

في إطار الاهتمام بالتحصيل المعرفي عند الطفل، وقصد الاهتمام بحاجياته والعمل على إعداد وتوفير الشروط المساعدة على إدماجه مدرسيا واجتماعيا وجب العمل على إعداد سندات تعليمية تستهدف أخذ معارفه القبلية بعين الاعتبار وإقامة جسور بين لغة الأم، وما تحمله من تراث ثقافي ومعرفي، وفي ظل التعددية اللغوية التي تتجلى في المجتمع الجزائري وجب المحافظة على اللغة الأم للدولة، سواء في العملية التعليمية، أم في الوسط الأسري والاجتماعي من أجل بناء أجيال تعزز بانتمائها الوطني.

الهوامش:

¹ انظر: الموسوعة الحرة: ويكيبيديا، <https://ar.wikipedia.org/wiki> اليوم_العالمي_للغة_الأم.

² صالح بلعيد: اللغة الأم والواقع اللغوي في الجزائر، مجلة اللغة العربية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 37، الثلاثي الثالث، 2017، ص128.

³ جماعة من المؤلفين: اللغة والتعليم، الهيئة اللبنانية للعلوم التربوية، دار قابس، بيروت، ط1 2000، ص7.

⁴ انظر: صالح بلعيد: اللغة الأم والواقع اللغوي الجزائري، ص129-130.

⁵ انظر: المرجع نفسه، ص131.

⁶ نقلا عن صالح بلعيد، اللغة الأم والواقع اللغوي الجزائري، ص133.

Louise Dabène : Robere sociolinguistiques pour l'enseignement des langues,

⁷ انظر: موقع محمد أسليم: اللغة والسلطة والمجتمع العربي،

<http://www.aslim.ma/site/filemanager.php?action=image&id=0>

⁸ صالح بلعيد: اللغة الأم والواقع الجزائري، ص134

⁹ لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008 ص89.

¹⁰ ينظر: عبد الفتاح عفيفي: علم الاجتماع اللغوي، دار الفكر العربي، القاهرة، د ط، 1995، ص104.

¹¹ باديس لهويمل ونور الهدى حسني: مظاهر التعدد اللغوي وانعكاساته على تعليم اللغة العربية، ص115.

¹² ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، ص188.

¹³ لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص78.

¹⁴ المرجع نفسه، ص78.

¹⁵ سيدي محمد بلقاسم، التعددية اللغوية في الجزائر، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب جامعة تلمسان، العدد الثاني، 2017، ص139.

- ¹⁶ سامي عياد حنا: معجم اللسانيات الحديثة، مكتبة لبنان، د ط، 1997، ص 39.
- ¹⁷ ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، ص 188.
- ¹⁸ بركات عبد العزيز: الثنائية اللغوية ومزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية، مجلة الإذاعة العربية، العدد 4، 2013، ص 24.
- ¹⁹ محمد شيباني وآخرون، اللغة والتواصل التربوي والثقافي، ص 113.
- ²⁰ نقلا عن: سيدي محمد بلقاسم، التعددية اللغوية في الجزائر، ص 140.
- ²¹ المرجع نفسه، ص 140.
- ²² ميشال زكريا، قضايا السنية وتطبيقية، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1993، ص 35، 36.
- ²³ كوثر قوفي: اللغة بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية والاقتراض اللغوي، مجلة دراسات لسانية، جامعة البليدة 2، العدد الخامس، ص 77.
- ²⁴ لويس جان كالفلي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ص 80.
- ²⁵ انظر: إبراهيم كايد محمود، الفصحى بين الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية، ص 60.
- ²⁶ المرجع نفسه، ص 60.
- ²⁷ <http://www.feedo.net/raisingchildren/ParentChildrenRelationships/MultilingualEducation.htm>
- ²⁸ انظر المرجع نفسه.
- ²⁹ نقلا عن: المرجع نفسه.
- ³⁰ انظر: المرجع نفسه.
- ³¹ انظر: صالح بلعيد: اللغة الأم والواقع اللغوي، ص 138.
- ³² انظر: المرجع نفسه، ص 140-141.
- ³³ انظر: المرجع نفسه، ص 141.
- ³⁴ أحمد الوالي العلمي: في التربية اللغوية وأنماط التواصل، مطبعة فضالة، الحمديّة، ط1 2001، ص 6.
- ³⁵ انظر: صالح بلعيد: اللغة الأم والواقع اللغوي، ص 142-143.
- ³⁶ انظر: عبد العزيز الفرابي وآخرون: معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك دار الخطاب للنشر، الرباط، سلسلة علوم التربية، العدد 9، ص 10.

فاعلية اللغة الأم في بناء المعارف والكفاءات

اللغوية الجديدة

د. كريمة سالمي/أستاذة محاضرة (أ)

جامعة مولود معمري / تيزي وزو

مقدمة

يُعدّ تعلم اللغات نشاطا معرفيا تتحكم فيه عمليات التنظيم الذهني للمعرفة اللغوية، وهو ما يثير تساؤلات عدّة حول ماهية اللغة الأم ومدى تأثيرها في تحصيل المعرفة بلغات أخرى على أساس أنها اللغة الأولى، وتمثل بذلك مرجعية معرفية وخبرة لغوية سابقة بالنسبة لمتعلم اللغات.

وتخضع عملية اكتساب اللغة الثانية لمعالجة مكوناتها معالجة معرفية، وهذا بفعل التمييز بين نسقين مختلفين على الأقل: نسق اللغة الأولى ونسق اللغة الثانية التي يراد تعلمها، وتتمّ عن ذلك ظاهرة إعادة إنتاج وحدات معجمية أو ما يسمى باللغة الأجنبية *La relexicalisation*، والتي تجسّد مرحلة انتقالية بين النسقين ويؤكدها ظهور ما يعرف باللغة الوسيطة *L'interlangue*، التي تندرج ضمن نوع من المتصل اكتساب/ تعلم (R.Porquier,1994).

ونسعى في هذه الورقة البحثية إلى الوقوف على بعض مظاهر فاعلية اللغة الأم في عملية بناء معرفة جديدة باللغات، وهو ما تجسّده في تصوّرنا عملية تركيب الأنماط الخاصة باللغة الأولى (اللغة الأم) فوق أنماط لغة أخرى هي في طور الاكتساب، ومن الأسئلة الجديرة بال طرح في هذا الموضوع، والتي سنحاول الإجابة عنها، ما يلي:

- ما أهمية اللغة الأمّ في بناء التصورات والتعلّقات؟ وما طبيعة النشاط الذهني الذي يسمح بذلك؟

- كيف يتم تفعيل اللغة الأمّ من حيث هي كفاءة مرجعية في اكتساب كفاءات لغوية جديدة؟ ومتى يكون اللجوء إليها؟

- فيم تتقاطع الأنماط التركيبية المكتسبة في اللغة الأمّ مع أنماط لغات أخرى يراد تعلمها؟

ونفترض في هذه المسألة أن امتلاك اللغات بوصفها منظومات كلية بكل مستوياتها يقوم بالضرورة على استثمار كفاءات مرجعية، ونميل إلى الاعتقاد أن أهم هذه الكفاءات هي تلك التي تمثلها اللغة الأمّ، وهو ما يتضح في اعتماد الفرد المتعلم الأنماط التركيبية الخاصة بلغته الأمّ في عملية إنتاج بنى لغوية وفق المكونات النحوية والمعجمية في اللغة الثانية التي هو بصدد تعلمها.

1. اللغات بين الاكتساب والتعلّم

1.1 اللغة الأمّ في بعديها: النفسي والمعرفي

نقرّ الدّراسات في علم النفس اللغوي La psycholinguistique بأهمية الاستعدادات الأولية في اكتساب الفرد لأنساق لغته، وقد تأسست مجموعة من الأبحاث الجادة على فرضية وجود قدرات فطرية لاكتساب اللغات البشرية تؤكد أنّ الطفل يولد بقدرة لغوية عامة تتمثل في مجموع الاستعدادات العقلية التي تؤهله لاكتساب اللغة Le langage، وذلك على أساس تنظيمه لمكونات اللغة في نسق ذهني معين، وإنتاج الكلام وفق أنظمة لغوية مختلفة.

وتحيل هذه الفكرة إلى ما تبناه أصحاب المذهب العقلي فيما يخص البعد الذهني في اللغة الإنسانية، وعلى رأسهم ن. شمسكي-N. Chomsky الذي اعتبر اللغة موضوعا طبيعيا، وأن الإنسان قد وهب ملكة لغوية فطرية تمكنه من اكتساب المعرفة اللغوية. ودور النحو الكلي هو تحديد هذه المبادئ الفطرية المحددة أحيائيا التي تشكل مكونا من مكونات الذهن الإنساني¹ (ر. العلوي كمال، 2016)، فاللغة

الطبيعية، ولكونها تنظيماً عقلياً موجوداً بالفطرة، يُفترض أن يتساوى كل الأفراد في القدرة على اكتسابها، وقد تحدّث شمسكي في هذا الإطار عن الملكة اللغوية في كونها قدرة قائمة على برامج مقدّرة مسبقاً ويناظر بالمحيط دور تفعيلها.

وفيما يخصّ طبيعة هذا النوع من الاكتساب فقد « لوحظ أن الرضع، منذ ولادتهم، يستطيعون الفصل بين اللغات، ويميزون بين الجمل المنتمية إلى لغتهم الأمّ، وتلك التي تنتمي إلى اللغة الأجنبية، ويكفيهم في ذلك أن يسمعوا تنغيم الجمل. كما يفضلون جميعاً لغتهم الأمّ عن اللغة الأجنبية. ومع بداية النصف الثاني من السنّة الأولى من عمر الطفل، تظهر في صوته جمل تنغيمية للغة المجموعة التي ينتمي إليها. وتدرجياً يبدأ نسق الأصوات بالتنظيم. وفي بداية السنّة الثانية يبدأ بالتكلم. وما يثير الانتباه هو سرعة الاكتساب المتماثل في جميع اللغات من جهة ومرحلة الاكتساب من جهة أخرى»² (F.Bresson,1970) ونشير إلى أهمية هذه المرحلة في عملية بناء المعرفة باللغات، إذ ينتقل الطفل خلالها إلى مستوى التركيب الكلامي بعد استيعابه للخاصية التركيبية القاعدية التي تعرفها كل اللغات وهي المرحلة التي ستسمح له فيما بعد بإدراك خاصية أخرى تتعلق بتمييزها عن بعضها البعض من حيث كونها أنظمة مختلفة.

ويهتمّ علم النفس المعرفي في هذا المجال بموضوع المناويل التي تؤسّس للمعرفة والاكتساب، وفي ذلك « يذهب لايكوف إلى أنّ البشر ينظّمون معارفهم بواسطة أبنية يطلق عليها المناويل العرفنية المؤتملة وإلى أنّ الخطاطات الصّور أساس لقيام المناويل العرفنية المؤتملة. وكلّ عنصر في منوال عرفنيّ يمثّل مقولة مفهومية: الخطاطة شبكة من العقد والترايبات، تمثّل كلّ عقدة فيها مقولة مفهومية وخصائصها مستمدّة من دور العقدة في الشبكة ومن علاقاتها بسائر العقد في الخطاطة ومن علاقة الخطاطة كاملة بسائر الخطاطات ومن التفاعل الكائن ما بين الخطاطة وسائر الملكات العرفنية في النظام العرفنيّ»³. (أ. الزناد، 2009) وإننا

نعتقد أنه بالرغم مما يبدو في هذا التصور من تعقيد إلا أنه يجسد ما يؤخذ عادة على أنه مسائل تجريدية لا يمكن أن تقدم تفسيراً شاملاً ولموساً لمثل هذه القضايا. وبالنسبة لتنظيم المعارف وعلاقتها بفكرة المناويل يمكننا الحديث عن الأطر التجريدية التي تحكم فهمنا للأشياء في علاقتها بعضها ببعض، وعلى سبيل المثال «فإذا أخذنا- تبعاً لفكرة فيلمور القائمة على الأطر- يوماً من أيام الأسبوع وليكن 'الثلاثاء'، فلا يمكن تعريفه إلا في إطار منوال مفهومي تجريدي (مؤمّل) قوامه حركة الشمس وأطوارها عامة وتعاقب الضوء والظلام علامة على الليل والنهار وفي إطار الأسبوع وحدة زمنية سبوعية الوحدات في تقويم أوسع هو الرزنامة.

فالمنوال العرفي هذا يتضمّن الأسبوع من حيث هو كلّ ذو وحدات سبوعية منتظمة على أساس التعاقب، تمثّل الواحدة منها يوماً وثالثها هو 'الثلاثاء'. فالأسبوع هو المنوال المؤمّل إذ لا وجود لوحدة سبوعية الأيام في ذاتها ولا في الطبيعة أو العالم المادي وإنما هي من اصطناع الإنسان وإنشائه ودليل ذلك أنّ الثقافات مختلفة في التقويم الزمني»⁴ (أ. الزناد، 2009). ومن زاوية نظر معرفية توحى المناويل العرفانية الموضحة بهذا الشكل بوجود خلفية معرفية تؤسس للنموذج التجريدي الذي تبنى وفقه المعارف في مجالات معينة، ومن شأنها التأكيد على اقتران بناء المعارف بالعمليات الذهنية، وبما هو راسخ من تجارب سابقة تبنى عليها تعلّمات أخرى.

2.1 اللغة الأم وتعلم اللغة الثانية

يتلقى الطفل لغته الأم في محيطه الأسري المباشر، الذي يمثّل السياق الطبيعي للاستعمال اللغوي، ولا يشعر بأنه بصدد تعلمها ولا يعي كل المراحل التي يمرّ منها، فهي عبارة عن لغة سماعية تختلف ظروف اكتسابها عن تلك التي يتمّ فيها تعلّم اللغة الثانية أو اللغة الأجنبية. وتتعلق هذه الأخيرة عادة باللغة التي تكون ضمن التعلّم المبرمج في أطوار تعليمية مختلفة، ويُفترض في ذلك أن يعتمد

المتعلمون في تحصيل قواعدها على لغتهم الأم من حيث إنها تمثل بالنسبة لهم خبرة نحوية ومعجمية.

ومن المفيد التذكير به في سياق هذا الموضوع المفهوم الاصطلاحي المقترن باللغة الأم-المرتبط بالمتكلم الأصلي باللغة- والذي يتم اعتماده في مجال تعليمية اللغات، إذ إننا، على حد قول ر. بوركيي-(R. Porquier, 1994) : «نكون متكلمين أصليين أو غير أصليين للغة معينة ندرسها أو نتعلمها كلغة "أم" أو "كلغة أجنبية" وهذا حتى وإن كان التمييز الثلاثي بين "اللغة الأم" و "اللغة الأجنبية" (أو ثنائية) والذي كان يعكس الاهتمامات التعليمية في الأبحاث الأصلية حول تعلم اللغة الأجنبية، قد أضحي إجراء عمليا إلى حد ما فقط على أساس أنه اختزالي بشكل كبير من حيث كونه يخص اللغة (أو لغة) في علاقتها بالمتكلم-المتعلم، وفي علاقتها بسياق التعلم في الوقت نفسه،»⁵. وعلى هذا، لا يكون ضبط مفهوم اللغة الأم بصورة محددة في المجال التعليمي إلا وفق العلاقة التي تربط الفرد بها في سياق التعلم، وفي المجال نفسه يميز الدارسون بين اكتساب اللغات وبين تعلمها وذلك على أن الحديث عن الاكتساب اللغوي يكون في حالة اللغة الأم أو اللغة الأولى Acquisition du langage؛ وأن تعلم اللغات Apprentissage des langues يكون بالنسبة للغات أخرى يتم تعلمها بعد حصول المعرفة باللغة الأم واكتمالها، وهذا أمر من شأنه أن يبين خاصية أخرى بارزة تميز اللغة الأم عن بقية اللغات بالنظر إلى ظروف اكتسابها وكذا استعمالها.

وفضلا عن ذلك فإن من الإشكاليات الهامة التي يطرحها موضوع اللغة الأم في علاقتها باللغات الأخرى ما يتصل بالتحصيل اللغوي، وهذا على اعتبار التفاعل المفترض بينها على مستويات مختلفة. وقد تم ضبط أبعاد العملية التعليمية من هذه الناحية انطلاقا من الأفراد المتعلمين، وقد بين و.ف. ماكيني-(W.FMackey,1982) أن التفاعل ما بين اللغات يمثل قيادا لدى بعض الأفراد وأداة لدى بعض آخر، وهذا ضمن خمسة أبعاد، هي: اندماجهم الاجتماعي، ثقافتهم المفاهيمية، فهمهم

الوظيفي(أو الدلالة)، سلوكهم العام والتواصل فيما بين الأشخاص⁶، وتمثل هذه الأبعاد في مجملها الطابع اللساني الاجتماعي لتعلم اللغات واستعمالها. وبات واضحا أنه لا يمكن أن تحصر مسألة اللغات في السياق التعليمي في طرق إكساب المتعلمين المعرفة النحوية المتعلقة بخصائص النظام اللساني فحسب وهو الأمر الذي يؤكد ذلك و.ف. ماكبي - (W.F Mackey,1982) في قوله: «يبقى التلميذ، داخل قاعة الدرس أو خارجها، مندمجا في المجموعة الإثنية والاجتماعية نفسها، والرموز التي تتبادر دائما إلى ذهنه هي تلك التي تتصل بالمجموعة التي ينتمي إليها. وإن الدافعية لمحو هذه الرموز الخاصة باللغة الأولى حتى في سياق اللغة الثانية هي مدرسية محضة، وقلما تكون بذاتها قوية بالقدر الذي يسمح بالتخلص من جاذبية التداخلات ما بين اللغات، وهذا حتى وإن حاول المعلم بطرقه وتقنياته أن ينسيه من هو، فما من شيء يمكن أن يشعره بأنه وهو يدرس لغة أخرى يندمج شيئا فشيئا في الجماعة التي تمتلك هذه اللغة.»⁷ ويفضي ذلك إلى تصور أن التحصيل اللغوي لا يكون بمعرفة المتعلم لخصائص اللغة التي هو بصدد تعلمها فقط، وإنما بكيفية أدائه لها وفق السياق الاجتماعي الذي يفرض عليه تكيف سلوكه اللغوي وفق معطيات مقامية ينبغي أن يعي أهميتها ويراعيها لتحقيق حاجاته التواصلية.

2. اللغة الأم/ اللغة السند

1.2 المعرفة المكتسبة وبناء التعلّات اللغوية

يؤكد الأخصائون في ميدان تعليمية اللغات على حضور فعليّ وأكيد للمعرفة باللغة الأمّ في تعلّم لغات أخرى بعدها، وهذا على اعتبار أنّ «المتعلم في المدرسة يكون قد اكتسب النظام المفاهيمي الوحيد الذي سيحتاج إليه، فهو يفكر ويتحدث حسب القواعد التي قولبتها له لغته. وإنّ هذا الهيكل من القواعد والمفاهيم المسبق بناؤها لا يسمح له بالتفكير والتحدث بطريقة أخرى غير تلك التي تعود لمدة طويلة على تطبيقها، فحينما يفتح فمه للتعبير باللغة الثانية، فإنّ جاهزية مفاهيمه الأولى

هي التي تهيمن، ويكون من الصعب عليه كمتعلم في المدرسة الابتعاد عن التعلم اللغوي المتعلق بطولته الأولى (W.F Mackey, 1982)»⁸. ومن المسائل التي يمكن الإجابة عنها وفق هذا التصور مسألة ارتباط بناء المعارف اللغوية الجديدة بالمكتسبات القبلية فيما يخص اللغة الأولى -الطفولية- بالتحديد، والتي ينظر إليها في إطار علم النفس اللغوي على أنها أعلق في نفس الفرد أكثر من أية لغة أخرى يمكن أن يتعلمها بعدها، وعلى أنها اللغة التي يتقنها أحسن من لغات أخرى يعرفها. إن علاقة اللغة الأم باللغات الأخرى بصفقتها اللغة الأولى التي يتم اكتسابها في المرحلة الحرجة من عمر الإنسان ظلت تثير إشكاليات عدة فيما يخص اندماج هذه اللغة في أطر تفكير الفرد Les schèmes de pensée ودورها في قولبة ذهنيته وحساسيته. وهذا فضلا عن أهميتها وفعاليتها في تحصيل مختلف المعارف اللغوية منها وغير اللغوية كخبرة معرفية سابقة تؤثر بشكل أو بآخر في المسار التعليمي بصورة عامة، من حيث إنها تعلم الفرد كيف يتعلم، إن جاز القول.

ونجد ما يمكن أن يثبت ذلك فيما ذهب إليه بعض الأخصائيين في ميدان العلوم المعرفية Les sciences cognitives وعلم النفس اللغوي، ومفاده أن الإنسان يمتلك قدرة تصويرية وترمزية، وهي القدرة التي تقوم عليها عملية بناء التعلّيمات في المجالات المختلفة. وفي ذلك يرى ج. لايكوف (1987)

أن « للبرشر ملكة تصوّريّة مفهوميّة قوامها عدد من القدرات منها القدرة على تكوين الأبنية الرمزية وهي أساسا المفاهيم الأساسية البسطى والخطاطات المفهوميّة. ومنها القدرة على الإسقاط الاستعاريّ ما بين أبنية من مجالات ماديّة ومجالات تجريديّة ومنها القدرة على تكوين (إنشاء) المقولات العامّة والمفاهيم المركبة باستعمال الخطاطات لتتصيدها وهو ما به نقيم المركبات من المفاهيم والأحداث والتصنيفات بمختلف درجاتها عموما وخصوصا (أ.الزناد، 2009)»⁹. ويوحى ذلك بقيام المعرفة بمختلف أشكالها على مجموعة من المناويل التي تؤسس لها في شكل أبنية قائمة الذات من شأنها هيكلّة الأفكار والتصورات، والفكرة نفسها

يعتمدها كذلك اللسانيون في تمييزهم بين اللغة كقدرة طبيعية على تشكيل الكلام وبين اللسان كنظام من الأدوات التي تمكن الفرد المتعلم من ذلك معتبرين «أنّ الاكتساب اللغوي، الذي يعدّ جزءاً لا يتجزأ من النمو العقلي عند الطفل ومن عملية ترميزه لعالمه وتصنيف له، والذي من خلاله يتعلم كيفية بناء التصورات وتمثيل محيطه القابل للملاحظة عن طريق الرموز الكلامية»¹⁰. وفي السياق نفسه يشيرون إلى أن ذلك قد يفسر عدم إمكانية قيام مرحلة التّمدّس إلا بعد اكتمال المعرفة باللغة الأولى، وتبيّن من هذا أهمية التجربة اللغوية الأولى التي تجسدها اللغة الأمّ، وعلى ذلك فإنّه «عموماً يكون من الطبيعي أن تكتمل عملية الاكتساب اللغوي قبل سنّ التّمدّس، فبعد ذلك تكون هي الأداة المشكّلة للمضمون الذي يسمح له بتعلّم كيفية الفهم والتّعبير، أي اللغة الأولى»¹¹ مما يجعلنا نعتبر أن بناء المعرفة باللغات المختلفة لا يحصل بعيداً عن اللغة الأولى - اللغة الأمّ - فحضورها في المسار التّعليمي حضور فعليّ.

ومن زاوية نظر أخرى فإنّ كفاءة المتعلّم في اللغات التي يستعملها أو بتعبير آخر درجة إتقانه لها لا تتساوى بالنظر إلى كونها لغة أجنبية، لغة ثانية أو لغة الأمّ بالنسبة له. وفي هذه المسألة يرى ف.لوي- (V. Louis,2009) أنّ الإشكالية فيما يخصّ تلك الكفاءات لا تكمن فقط في إرادة الفرد الذي لا يملك بلا شك في اللغة الأجنبية نفس الامكانيات التي يملكها في لغته الأمّ (حتى أنّ هذا الاختلال كما نعلم هو عامل اضطراب ينجّر عنه عادة شعور بالعجز أو الإحباط لدى الفرد) وإنّما تكمن كذلك في تلك المسافة القائمة بين الكفاءات التّواصلية لدى الفرد الأجنبي وبين تلك التي يملكها المتكلّم الأصلي الذي يواجهه¹². وفي هذه الحالة لا يتعلق الأمر بالكفاءة اللسانية المحضة بقدر ما يتعلق بالقدرة على توظيف المعرفة باللغات في الوضعيات التّواصلية المختلفة، بمعنى تجسيدها في واقع التّواصل الاجتماعيّ. وإنّ ما تثيره ظاهرتا الازدواجية اللغوية والتّعدد اللغوي في هذا الموضوع من تساؤلات حول علاقة مجمل اللغات التي يستعملها المتكلم نفسه بلغته الأمّ، يُحيل

بالضرورة إلى كيفية تواجدها أو بالأحرى ترابطها على مستوى ذهن مزدوج اللغة أو متعدد اللغات، وطريقة تمركزها بالنسبة إلى بعضها، ويخص هذا إحدى القضايا التي تتصل باهتمامات علم اللسان العصبي بالدرجة الأولى.

وتبين بعض الدراسات حول التنظيم المعرفي عند متعدد اللغات أن «الكفاءة اللغوية-المتضمنة للكفاءة المعجمية- في لغات مختلفة تشكل نظاما موحدًا يختلف عن النظام المسير لكفاءة أحادي اللغة. ووفق هذا المبدأ، فإن لغات الفرد متعدّد اللغات تكون متعلقة فيما بينها، كما تكون موحدة في نظام واحد وفريد حيث تتفاعل لغات عدة»¹³ مما يجعلنا نتصور وجود حالة من الترابط الذهني بين مختلف المعارف التي يمتلكها الفرد في اللغات المختلفة يفترض معها قيام نوع من التشابك بينها، والذي يسمح له بتفعيل معرفته بلغة معينة لتحصل لديه الكفاءة في لغات أخرى وتكتمل، وبالتركيز أساسا على ما تشترك فيه من آليات الكلام أو حتى على أساس ما تختلف فيه، وهذا من مبدأ أن الأشياء نفهم بأضدادها.

وقد تحدث ر. بوركيي- (R.Porquier,1994) عن هذا الجانب، وأشار إلى أن اللغات في السياق التعليمي تتواجد فيما يُسمى بالمتصل اكتساب/ تعلم¹⁴، ويخص نوعا من الترابط الضمني بين الكفاءات اللغوية التي يتم اكتسابها في أنظمة لغوية مختلفة وهو ترابط تسمح به مجموعة من القدرات الذهنية لدى الفرد لاسيما الإدراك والتذكر. كما يجدر التنكير بهذا الصدد « بأنّ عدد الترابطات ما بين اللغات وقوتها تكون حسب عوامل عدّة منها: سيكولوجية الأنماط في اللغات؛ سنّ الاكتساب وسياقه، الكفاءة اللغوية، ودرجة تواتر استعمال اللغات؛ والمظهر اللساني الذي ترتكز عليه الترابطات (الفنولوجيا، الدلالة، التركيب،... الخ»¹⁵، ولا يتوقف الترابط بين اللغات لدى متعلميها ومستعمليها عند هذا الحدّ، وإنما يبرز كذلك على مستوى آخر يتصل باستراتيجيات التعلّم والاستعمال.

2.2 مظاهر تواصل الكفاءات اللغوية

ومن الظواهر التي تجسّد حدوث تعلم اللغات في شكل تواصل بين كفاءات تمّ اكتسابها وأخرى هي في طور الاكتساب ما يُعرف باللغات الوسيطة *Interlangues* «ويعود مفهوم اللغات الوسيطة *interlangues* أو *entrelangues* إلى أعمال بعض اللسانيين حول اكتساب اللغات، وذلك في منرج سنوات 1960-70 (نصوص مؤسّسة: في ريشاردس، 1974؛ كوردر، كراشن، سلنكر، ينظر في ذلك: Arcaini, 1984, et Py)، وقد عبر هؤلاء عن فرضية بناء اللغات الوسيطة من قبل متعلمي اللغة الثانية، وهي تعني حالات من اللغة يمرّ منها المتعلم (المتعلم البالغ عادةً) أثناء عملية التعلّم في سياق التفاعل حينما يقوم ببناء فرضياته حول كيفية اشتغال اللغة-الهدف تكون مناسبة أكثر فأكثر¹⁶»، وتعدّ مثل هذه الحالات من الظواهر التي من شأنها إبراز التأثير القويّ للغات الأولى في عملية تعلّم لغات أخرى في مرحلة من المراحل أو استعمالها في وضعيات تواصلية حقيقية.

ويحدّد ل. سلنكر-L.Selinker اللغة الوسيطة في أنها مجموعة من المعارف الوسيطة التي يمتلكها المتعلمون وهم في طور اكتساب لغة أجنبية، وفي نظره يكون التعلّم "الناجح" مشروطا بإعادة تفعيل البنية الكامنة. وعلى عكس ذلك، فإنّ التعلّم الذي لا يُفضي إلى درجة إتقان مضاهية لتلك التي يملكها المتكلّم الأصلي بهذه اللغة سيفسّر بكون المتعلم لم يستطع تفعيل هذه البنية الكامنة¹⁷، وهذا لسبب أو لآخر يتعلّق بعوامل داخلية أو بعوامل خارجية، وما صفة الكمون التي تطبع اللغة الأولى إلّا معطى يدلّ على حضورها أو بالأحرى على استحضرها من قبل المتعلم بوصفها كفاءة اكتمل بناؤها، وبالتالي تتجسّد فاعليتها بشكل من الأشكال في عملية بناء معارف لغوية أخرى جديدة.

ولعلّ ما تتميز به هذه "اللغة" من حيث هي ظاهرة لسانية جديرة بالدراسة ما ذكرته س. قاليقاني-(S.Galligani, 2003) من خصائص، وهي: عدم الثبات، ويتعلّق الأمر مباشرة بوجود تناقضات داخلية يُعزوها ب. باي-B.Py إلى "عدم التّجانس"

كعنصر مكون لهذه اللغة، ويمسّ صيغ البناء، وإعادة التنظيم.. الخ؛ ومظهر النفاذية ويزر من خلال الإفراط في التعميم أو التبسيط كاستراتيجيات للتعلّم؛ التغيّر/ النظامية، وتعكس حالة انتقالية إلى جانب الطابع الحيوي للغة الوسيطة، ومن تجلياتها احتواؤها على أشكال صحيحة تتطابق مع قواعد اللغة الهدف وأخرى غير صحيحة؛ وأخيرا التبسيط/ التعقيد، فهذه اللغة تعكس أنظمة قواعدية مبسطة بالمقارنة مع تلك التي تخصّ اللغة المراد تعلّمها¹⁸. ومن هذه الجوانب تعتبر اللغات الوسيطة من الظواهر الجديرة بالمعالجة التطبيقية في إطار الدراسات حول تعلّم اللغات لدى مزدوج اللغة أو متعددي اللغات، من ناحية قدرتها على الكشف عن آليات التعلّم في مثل هذه الوضعيات في علاقتها باستراتيجيات استعمال اللغات.

وإن كانت هذه اللغة أو بالأحرى هذا النمط من الاستعمال اللغوي لدى المتعلم - مزدوج اللغة- نتيجة لنوع من التّأرجح بين معرفة تامّة بنظام لغوي معيّن وبين معرفة بنظام آخر يسعى إلى امتلاكها فإنّه في الوقت ذاته يكشف عن صعوبة الفصل بين المعرفة اللغوية الأولى، ونقصد بها اللغة الأمّ، وبين معطيات لغات أخرى غيرها في بداية تعرّف المتعلم عليها، ممّا يثبت حضور هذه المعرفة بطريقة ما، وإضافة إلى ذلك يتحدّد على هذه الصورة الدّور "الانتقالي"، إن جاز القول والذي تؤدبه اللغة الأمّ في استيعاب المتعلّم لتلك المعطيات. كما أنّ وجود هذا النمط من اللغات يؤكّد من منظور آخر الحاجة إلى تفعيل المتعلم لكفاءته في اللغة الأولى في محاولة تجسيد معرفته الأولية بلغة أخرى، ولو من باب التّقريب بين مكورتاتهما على مستوى الاستعمال.

ومن الظواهر الأخرى التي تبيّن بشكل جليّ تدخل المعارف اللغوية الأولى في اكتساب لغات أخرى نذكر تلك التي تتعلق بمستوى التّركيب في اللغة، وتخصّ عملية إعادة إنتاج وحدات معجمية بلغة أخرى. تعرف هذه العملية باللغة الأجنبية ب La relexicalisation، وتتمثل في استعمال معجم اللغة (أ) وفق نحو اللغة (ب). وإنّ المثال التاريخي الكلاسيكي (وقدّمه مبي، 1921:95) هو الذي يخصّ لغة

العجر في أرمينيا حيث إنّ نحوها هو نحو اللغة الأرمينية ومعجها عجري. وحسب بعض المؤلفين فإنّ لهجة الهائتي هي نتيجة لعملية إعادة إنتاج وحدات معجمية باللغة الفرنسية للغة إفريقية هي الفان (البنين)..¹⁹. ويتراءى لنا في ذلك أن مثل هذه الظواهر اللغوية تعكس درجة تعالق كفاءات الفرد في لغات مختلفة إلى حدّ التداخل أحيانا على مستوى ما يفترض أنه يشكل ثوابت اللغة، ونقصد بذلك المستوى القواعدي الأساسي في كل لغة.

ويُفترض في حالة إعادة إنتاج وحدات معجمية بلغة أخرى قيام متعلم اللغات في أطوار متقدمة من التّعلم بعملية أولية أساسها التّقابل بين اللغات التي يعرفها بدرجات متفاوتة مما يفيد في عزل خصائص لغته عن خصائص لغة أخرى، وهي من تجليات تفعيله لمعارف لغوية ضمنية كامنة. ولا يلجأ إليها لتحقيق حاجة تعبيرية أنية فقط، بل قد تسم سلوكه اللغوي في معظم الوضعيات التّواصلية وتتحول إلى عادة كلامية لديه، وإن كان في ذلك حسب ما هو ظاهر ابتعاد عن المألوف في استعمال اللغات -الكلام- فيما هو مساس بالسلامة النحوية التي تقتضي تشكيل كلام سليم بمراعاة قواعد اللغة المتحدث بها.

وما توضحه ظاهرة إعادة بناء الوحدات المعجمية وكذا اللغة الوسيطة هو كون اللغة الأولى-اللغة الأم- التي تشكل بطبيعتها تجربة لغوية سابقة لدى الفرد تمثل اللغة السند التي ترافقه وتؤهله لاكتساب لغات أخرى بعدها، والدليل على ذلك عدم استقرار معرفته في اللغة الثانية إلّا بعد ابتعاده شيئا فشيئا عن التداخلات بينها وبين لغة ثانية لم يكتمل اكتسابها بعد. وما تجدر الإشارة إليه أنّ الأمر لا يخص المعرفة النحوية المحضة، إذ يتمّ تجاوزها إلى المعرفة بطريقة ضبط الفرد لسلوكه اللغوي وفق حاجاته التعبيرية في سياقات تواصلية كثيرة التّنوع وشديدة التّعقيد.

خاتمة

نصل بعد هذا العرض لبعض مظاهر فاعلية اللغة الأم في اكتساب المعرفة بأنظمة لغوية أخرى إلى التأكيد على طبيعة الكمون التي تطبع الكفاءة في اللغة الأولى، والتي تجعل تأثيرها داخليا وضمنيا، يأخذ أشكالا مختلفة. وهي من ناحية تكون بمثابة مرجعية لسانية ثابتة بالنسبة للمتعلم يعود إليها بطريقة طبيعية آلية إلى حد ما؛ وتمثل من ناحية أخرى اللغة السند في كونها أداة يُستعان بها في ملء النقص وتجاوز العقبات أثناء بناء معرفة لغوية بالتحديد، وهو ما يؤكد تأثير المعرفة اللغوية الأولى التي تمثلها اللغة الأم.

وتكشف بعض الظواهر اللغوية التي أشرنا إليها عن درجة هذا التأثير، فإن كانت اللغات الوسيطة مرحلة انتقالية بين معرفة هي في طور الاكتساب وبين كفاءة يصبو المتعلم إلى تحصيلها فإنها تتم في الوقت ذاته عن صعوبة تجاوز المعرفة بنظام لغوي راسخ ولازال متحكما في كل عملية تمثيل وترميز لغوي. أما فيما يتصل بظاهرة إعادة بناء الوحدات المعجمية في اللغة الثانية فإن ذلك أمر من شأنه التأكيد على حاجة المتعلم إلى تفعيل مكونات لغته الأولى في مرحلة من مراحل ضبط معرفته باللغة الثانية، فيتم اللجوء إلى معرفته النحوية الأولى في تركيب الوحدات المعجمية في لغة مختلفة عنها. وإن كان في هذه العملية ضرب من الأداء اللغوي البعيد عن المعيار فهو يبين أهمية المنوال المثبت في الذهن في بناء تعلمات لغوية جديدة، إذ يكون الأداء اللغوي لدى متعلم اللغة الثانية أساسا على منوال لغته الأولى.

الإحالات

¹ - رشيدة العلوي كمال، كيف يكتسب الطفل أنساق لغته؟ أفريقيا الشرق، المغرب، 2016، ص 29.

² - François Bresson, Acquisition et apprentissage des langues vivantes. Langue Française, N°8.1970, pp 24-30.

نقلته رشيدة العلوي كمال، كيف يكتسب الطفل أنساق لغته؟ ص132.

³ - ذكره: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009، ص173.

⁴ - المرجع نفسه، ص 173 و 174.

⁵ - Rémy Porquier, Communication exolingue et contextes d'appropriation : le continuum acquisition/apprentissage, Bulletin VALS-ASLA (Association suisse de linguistique appliquée) 59,1994, pp.159-169, p161.

⁶ - William.Francis Mackey, Interaction, interférence et interlangue : Rappports entre bilinguisme et didactique des langues, Langues et linguistique, n°8, tome1, 1982, p51.

⁷ - Ibid, pp 52 et 53.

⁸ - Ibid, p53.

⁹ - ذكره: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص 173 .

¹⁰ - William.Francis Mackey, Interaction, interférence et interlangue : Rappports entre bilinguisme et didactique des langues, p 58.

¹¹ - Ibid, p 58.

¹² - Vincent Louis, Interactions verbales et communication interculturelle en FLE, Intercommunications s.p.r.l et E.M.E, Bruxelles et Fernelmont ,2009, pp 228 et 229

¹³ - Sonia El Euch, L'organisation cognitive chez un plurilingue est-elle composée, coordonnée ou...hybride? Synergies Monde n°7, 2010, pp.41-50, p 44.

¹⁴ - Rémy Porquier, Communication exolingue et contextes d'appropriation : le continuum acquisition/apprentissage, p165.

¹⁵ - Sonia El Euch, L'organisation cognitive chez un plurilingue est-elle composée, coordonnée ou...hybride?, p 44.

¹⁶ - Daniel Baggioni, Entrelangue, In Sociolinguistique-concepts de base, Marie -Louise Moreau (éd) , Pierre Mardaga, 1997, p140.

¹⁷- Stéphanie Galligani, Réflexion autour du concept d'interlangue pour décrire des variétés non natives avancées en français. Revue des Linguistes De L'Université Parisx Nanterre, 2003, p143.

-Référence électronique Stéphanie Galligani, « Réflexion autour du concept d'interlangue pour décrire des variétés non natives avancées en français », Linx [En ligne], 49 | 2003, mis en ligne le 18 mars 2011, consulté le 04 décembre 2018. URL : <http://journals.openedition.org/linx/562> ; DOI : 10.4000/linx.562.

¹⁸- Ibid, pp 144-147.

¹⁹- Robert Chaudenson, In Sociolinguistique-concepts de base, Marie – Louise Moreau (éd), p 239.

المراجع

¹- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، 2009.

²- رشيدة العلوي كمال، كيف يكتسب الطفل أنساق لغته؟ أفريقيا الشرق، المغرب،

2016.

³- Daniel Baggioni, In Marie –Louise Moreau(éd). Sociolinguistique-concepts de base, Pierre Mardaga, 1997.

⁴- Robert Chaudenson, In Marie –Louise Moreau (éd), . Sociolinguistique-concepts de base, Pierre Mardaga, 1997 p.

⁵-Sonia El Euch, L'organisation cognitive chez un plurilingue est-elle composée, coordonnée ou...hybride ? Synergies Monde n°7, 2010, pp.41-50.239.

⁶- Stéphanie Galligani, Réflexion autour du concept d'interlangue pour décrire des variétés non natives avancées en français. Revue des Linguistes De l'Université Paris x, Nanterre, 2003.

-Référence électronique Stéphanie Galligani, « Réflexion autour du concept d'interlangue pour décrire des variétés non natives avancées en français », Linx [En ligne], 49 | 2003, mis en ligne le 18 mars 2011, consulté le 04 décembre 2018. URL : <http://journals.openedition.org/linx/562> ; DOI : 10.4000/linx.562.

⁷- Vincent Louis, Interactions verbales et communication interculturelle en FLE, Intercommunications s.p.r.l et E.M.E, Bruxelles et Fernelmont ,2009.

⁸-William. F. Mackey, interaction, interférence et interlangue : Rappports entre bilinguisme et didactique des langues, Langues et linguistique, n°8, tome1, 1982.

⁹-Rémy Porquier, Communication exolingue et contextes d'appropriation : le continuum acquisition/apprentissage, Bulletin VALS-ASLA (Association suisse de linguistique appliquée) 59, 159-169, 1994.

اللغة العربية ودورها في بناء الشخصية الوطنية

أ.ياسين بوراس

ج/ محمد البشير الإبراهيمي

برج-بوعريج

مقدمة: تظهر اللغة في المجتمع ككيان له وظائف متعددة تتجاوز حدود التواصل لتكون أداة فعالة في العديد من مجالات الحياة من خلال قوة التأثير التي تتميز بها إن الخطابات اللسانية التي تنتجها اللغة كفيلة بخلق إنسان آخر بديلا عن نسخته الأصلية وهنا تظهر قدرتها في تحديد طبيعة الشخصية التي يظهر عليها الإنسان، وإن اللغة بهذا قوة، ومعنى هذه القوة أنها يد فاعلة في المجتمع، ولا بد أن تستثمر في جميع مناحي الحياة الاجتماعية لهذا الإنسان، ولهذا فمعظم المجتمعات المنهزمة في الحرب العالمية الثانية ما ارتضت لنفسها أن تتخلى عن لغاتها في أحلك الظروف التي مرت بها، أمام ما عايشته من نتائج الحرب وويلات الجهل والفقر والجوع، لأنها كانت على يقين بأن اللغة هي التي ستصنع ذلك الإنسان القادر على بناء وطنه من جديد.

ومن هنا صار لزاما علينا أن نحدّد هذه العلاقة القائمة بين اللغة والشخصية الوطنية من خلال مختلف العلاقات القائمة بين اللغة ومختلف الجوانب الشخصية للفرد في مجتمعه، بما فيها الشخصية الدينية والشخصية النضالية والشخصية السياسية، والشخصية العلمية، والشخصية الإعلامية، أين تظهر العلاقة بين اللغة ومختلف جوانب الشخصية الوطنية التي تقوم ببنائها، هذه العلاقة التي نقتن إليها فلاسفة القرن الثامن عشر، وأساتذة اللسانيات في القرن العشرين، بعد أن لاحظ هومبولت (Wilhelm von Humboldt) الفيلسوف والرياضي الألماني تطابق اللغة عندما يقول: إن اللغة تطابق العقلية الوطنية. ويسانده في ذلك اللغوي السويسري

الكبير دي سوسير (Ferdinand de Saussure) عندما يقول: إنّ اللغة تشبه وجهي الورقة، الفكر وجهها واللفظ ظهرها، ولا يمكن أن نقطع الوجه دون أن نقطع الظّهر في نفس الوقت، وكذلك الأمر، فاللغة حيث لا يمكن أن نعزل اللفظ عن الفكرة والفكرة عن اللفظ. ومن هاتين النظريتين يمكن أن نستخلص دور اللغة الأساس في تكوين العقل بصفة عامّة والعقلية الوطنية بصفة خاصّة فعبقرية اللغة الوطنية تخلق عبقرية العقلية الوطنية والطرائق الناجعة لتطوير المعرفة بمعناها العريض، أي المعرفة الفكرية والمعرفة الشعورية والمعرفة الحسية (العاطفة مثلا) ومعارف أخرى.¹

إنّ اللغة بهذا ليست مجرد صورة مادية لتمثيل الواقع، يتم إدراكها عن طريق حاسة السمع، بل هي وعاء لكل ما يرتبط بالمجتمع من حياة سياسية واقتصادية، واجتماعية، ودينية، وثقافية... إلخ، بل إنها تكاد تكون المقوم الأساس لكل واحد من هؤلاء، "ولهذا لم يخطئ الاستعمار الفرنسي في الجزائر، عندما تطرق إلى مشكل مسخ الشخصية الجزائرية وفرضها وتذويبها عن طريق تحريم تدريسها، وذلك حقبا بعد احتلال الجزائر. وتحريم اللغة العربية (لغة القرآن الكريم!) لعب دورا أساسيا في بلورة فكرة الحركة الوطنية الجزائرية وتحريم البلاد.² بعد أن أحسّ الشعب الجزائري بخطورة الاستعمار الذي تعرّض له، من خلال حرمانه من أدنى حق في الوجود وهو اللغة، "هكذا نرى من خلال هذا المثال أنّ اللغة ليست بريئة وأنها هي المقوم الأساسي في بلورة الشخصية الوطنية والشعور الوطني الذي يعبر عن الانتماء إلى شيء يسمى الوطن.³

وحيثما نتساءل عن دور اللغة في بلورة هذه الشخصية فلا شك في أنّ العودة على السؤال الفلسفيّ حول علاقة اللغة بالفكر أو أسبقية الفكر على اللغة عند فلاسفة القرنين السابع عشر والثامن عشر من أمثال ديكارت (René Descartes) وشوبنهاور (Arthur Schopenhauer) أو فلاسفة القرن التاسع عشر من أمثال

الفيلسوف الاسكتلندي هاملتون (William Hamilton) والفيلسوف الفرنسي هنري برغسون (Henri Bergson) يتضمّن الإجابة عن علاقة اللغة بالفكر أولاً وبالشخصية ثانياً، خاصة حينما يؤكدون على أسبقية الفكر على اللغة، ويقرون باعتماد الأول وهو الفكر على الثاني وهو اللغة، أين تظهر اللغة هنا كوعاء للفكر ويظهر بذلك تأثيرها على الآخرين في ما تحمله من أفكار. ولكن بالنظر إلى طبيعة اللغة مقارنة بالفكر فإنّ العلاقة الجدلية بين اللغة والفكر تتجاوز هذا الجدل القائم بين هؤلاء الفلاسفة حول أسبقية الفكر على اللغة أو أسبقية اللغة على الفكر عند الإنسان، إلى سؤال أعمّ منه، وهو كيف تستطيع أن تتمثّل اللغة الفكر، أمام محدودية اللغة وسعة الفكر؟ ولا شكّ في أنّ الإجابة عن هذا السؤال تغني عن الإجابة عن السؤال الأول.

إننا حينما نقف على ما نشترك فيه مع الآخرين من أفكار، فلا شكّ في أنّ اللغة من تترجم هذا الفكر المشترك، وتحولّه فيما بعد إلى عمل، أين يظهر التّطابق بين اللغة والفكر، ويتلاشى أمامها السؤال حول أسبقية أحدهما على الآخر، إننا هنا إزاء علاقة منطقيّة تتجاوز حدود الزّمان حول أيّهما أسبق، هل اللغة أم الفكر؟ لأنّ وحدة التّفكير بهذا هي من وحدة اللغة، ووحدة اللغة من وحدة التّفكير، بهذا يمكن أن نفسّر بشكل أكبر العلاقة القائمة بين اللغة والفكر من جهة، وعلاقة اللغة بمختلف جوانب الشخصية الوطنيّة من جهة ثانية، خاصة حينما يتعلّق الأمر بدور اللغة في بناء هذه الشخصية.

وبكلّ بساطة فإننا حينما نتحدّث عن علاقة اللغة بالدين؛ نجد دور اللغة بالنسبة للدين لا يقتصر على ممارسة مختلف الشّعائر الدينيّة، بل يتجاوزه إلى كونها وسيلة لغرس مبادئ هذا الدين في الفرد أولاً والمجتمع ثانياً، وهنا تظهر علاقة اللغة بالدين في كونها وسيلة لنشره بين أفراد المجتمع، وكلّما كان المجتمع بهذا متجانساً لغويّاً كلّما اتّحد عقديّاً وهكذا، وبهذه العلاقة الاستلزاميّة يُمكن فهم العلاقة التي

تجمع بين اللغة العربية والإسلام في أيّ مجتمع إسلامي. والأمر نفسه ينطبق على علاقة اللغة بالشخصية النضالية والتي تتحول معها اللغة إلى أداة للدفاع عن الوطن، من خلال تكريسها لخدمة القضايا الكبرى للأوطان، كالاستقلال أو مواجهة أيّ عدوان أجنبي. أما فيما يتعلق بعلاقة اللغة بالشخصية السياسية فتتمثل في كونها وسيلة لممارسة أيّ نشاط سياسي، بما فيها تأسيس الأحزاب، وإلقاء الخطب، والتعريف بالبرامج السياسية، وغيرها من الأنشطة التي تصبّ في ممارسة العمل السياسي، والذي تتحول معه اللغة كذلك إلى أداة لتكوين الشخصية السياسية تكريسا لمبدأ الديمقراطية في المجتمع الذي يتميز بالتعددية الحزبية. والأمر كذلك بالنسبة للشخصية العلمية التي تعتمد اللغة أداة لتحصيل المعرفة، حيث يمتنع بناء هذا النوع من الشخصية الوطنية في غياب دور اللغة في التعليم والعكس صحيح "لأنّ الطالب الذي يبدأ سلّم التدرّج العلمي بغير اللغة وفنونها، لن يصل إلى ما يصبو إليه، ولو عمّر ما عمّر نوح؛ لأنّه فاقد لآلة الفهم فيجد الطريق سهلا في أوله، فإذا قطع شوطا استوحشه؛ لو عورته فيقعد عن السير لصعوبته، ويبقى كلّ ما حصله من معارف ما هو إلاّ ثقافة عامّة، قدّ فيها غيره فيظلّ أبد الدهر مقلّدا يتقلّب على موائد الآخرين".⁴ وتتجاوز العلاقة بين اللغة والعلم تلك العلاقة الآلية والتي تُتملّ فيها اللغة وسيلة للعلم؛ إلى اعتمادها أداة لتحقيق التراكم المعرفي، وهذا مع التقادم الذي يحصل على مستوى اللغة؛ بحيث تكون فيها اللغة أكثر ثراء من حيث المعرفة بشكل "يقصر فيه عمر طلب العلم جدّا؛ لأنّ اللغة حينئذ ستكون لغة الأسلاف ممّن دوّنوا العلم وحفظوه، فلن يشعر معه طالبه بعناء في مطالعة ما كتبه، ولا بتعب في فهم ما قالوه، وسيدمن النّظر في تراثهم ... وحينها سيعيش حقيقة العلم".⁵

وتتجاوز بهذه العلاقات القائمة بين اللغة ومختلف جوانب الشخصية الوطنية وظيفة اللغة في المجتمع تلك الوظيفة الأساسية للغة وهي التواصل، إلى بناء الشخصيات الوطنية، ويُفصّدُ بالشخصية الوطنية تلك الشخصية التي تنتمي إلى هذا

الوطن أو ذاك جسدا وروحا، بشكل يجعلها قادرة على التضحية من أجله بالنفس والنفيس، وهنا لا شك في أنّ اللغة تلعب دورا مهماً في بناء هذا النوع من الشخصيات أمام حاجة المجتمعات إليها، لما تحمله اللغة من فكر مشترك، ووعي جماعي، وحس قومي، يُمكن هذا الفرد من معرفة واجبه اتجاه وطنه معرفة حقيقية. وقد لعبت اللغة العربية في الجزائر خلال مراحل تاريخها ولا زالت، دورا مهماً في بناء العديد من الشخصيات الوطنية، التي خلّد تاريخ الجزائر أسماءهم وإذا ما تساءلنا عن الدور الذي قامت به اللغة العربية في بناء هذه الشخصيات، وجدنا الإجابة عنه في مختلف المجالات التي أسهمت من خلالها اللغة العربية في بناء هذه الشخصيات الوطنية، وهو ما تستهدفه هذه المداخلة من خلال وقوفها على مجمل الجوانب الشخصية التي تسهم اللغة العربية في بنائها، بما فيها الشخصية المسلمة، والشخصية النضالية، والشخصية السياسية والشخصية العلمية، والشخصية الإعلامية.

أولاً- الشخصية المسلمة: ارتبط الإسلام باللغة العربية أكثر من ارتباطه بأيّة لغة من اللغات على وجه هذه الأرض، لحكمة اقتضاها الله في دينه، وألحق العلم بها في غيبه؛ "فقد اختار لهذا الدين نبياً من جنس العرب، واختار العرب ليكونوا هم حملة الرسالة معه، واختار أرض العرب لتنتقل منها هذه الدعوة، لأنه ربّما لو نشأ هذا الرسول في الأمم الكبرى التي يحكمها كسرى أو قيصر، لعلّه أُبيدت دعوته من أول يوم ولم يُسمَح له بالوجود، فاختار الله أرض العرب لأنه كان فيها خصائص معيّنة... وأنّ الله اختار هذه اللغة لتكون لغة كتابه الخالد وكلامه المعجز، فاختار القوم لما لهم من خصائص معيّنة، واختار الأرض لما لها من طبيعة معيّنة، واختار اللغة لما لها من خصائص معيّنة كذلك."⁶ وعلى هذا الأساس فإنّه لا يمكن اعتبار أيّة لغة من هذه اللغات، مهما كان حجمها من الرقي والازدهار

والتطور، قادرة على بناء هذا النوع من الشخصية؛ أي الشخصية المسلمة، مقارنة باللغة العربية التي هي لغة هذا الدين.

ويمكن القول أمام هذا الافتراض بأن الإسلام جاء للناس كافة، وبالتالي فإنه لا يمكن قصره على لغة بعينها دون أخرى، ولكن بالنظر إلى بعض الشعائر الدينية التي يتضمنها الإسلام كالصلاة والحج مثلا، والتي تُعدّ فيها العربية لغة أساسية في ممارسة هذه الشعائر الدينية، يمكن تفسير هذه العلاقة الاستلزامية بين الإسلام واللغة العربية؛ حيث تتجاوز وظيفة العربية بالنسبة لهذا الدين في المجتمعات الإسلامية، ممارسة مختلف الشعائر الدينية، إلى استنباط أحكامه الشرعية التي يتعدّد في حال عدم المعرفة بقواعد اللغة العربية معرفة هذه الأحكام، وعلى هذا الأساس فقد عُدّ معرفة العربية في الشرع من الواجب عند علماء الدين، مثلما ذهب إليه ابن تيمية في قوله: إنّ اللغة العربية من الدين، ومعرفتها فرض واجب فإن فهم الكتاب والسنة فرض، ولا يفهم إلا باللغة العربية، وما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . وكذلك الأزهر في قوله: إنّ تعلم العربية التي يتوصّل بها إلى تعلّم ما تجزئ به الصلاة من تنزيل وذكر فرض على عامة المسلمين. وإنّ على الخاصة التي تقوم بكفاية العامة فيما يحتاجون إليه لدينهم الاجتهاد في تعلّم لسان العرب ولغاتها التي بها التوصل إلى معرفة ما في الكتاب (القرآن) ثم في السنة والآثار وأقوال أهل التفسير، من الصحابة والتابعين من الألفاظ الغريبة، فإنّ الجهل بذلك جهل بجملته علم الكتاب... إلخ.⁷

ولقد تحوّل مع هذه العلاقة الاستلزامية بين اللغة العربية والدين الإسلاميّ تعلّم العربية في المجتمعات الإسلامية إلى واجب على عامة المسلمين، ما سمح لها بأنّ تنتشر في مختلف بقاع الأرض مشرقا ومغربا لتشمل سبعا وخمسين دولة في كلّ من آسيا وأفريقيا وأوروبا؛ حيث استطاعت العربية من خلال هذا الدين أن تفرّض نفسها على العديد من المجتمعات التي انتقلت مع اعتناقها له، من لغاتها الأصلية

إلى اللغة العربية وصارت فيها هذه اللغة أداة لترسيخ الثقافة الإسلامية في هذه المجتمعات أو بناء الشخصية المسلمة في الأوطان التي تدين به، وهي الوظيفة التي لا يمكن أن تضاهيها فيها أية لغة من دون منازع.

وبهذه العلاقة التي تجمع بين اللغة العربية والدين الإسلامي، يُمكن فهم دور اللغة العربية في بناء الشخصية المسلمة في الجزائر أو غيرها من الأوطان التي تدين بهذا الدين، باعتبارها اللغة التي نزل بها وانتشر، وفُهمَ وفسر، ومنها تُرجمُ وعُلمَ؛ وبهذا فدورها لا يقتصر على ممارسة الشعائر الدينية لهذا الدين فحسب، بل يتجاوزها إلى اعتماده أداة لترسيخ هذه العقيدة في المجتمعات الإسلامية جيلا بعد جيل، أو أداة لبناء الشخصية المسلمة في الأوطان التي تدين به؛ هذه الشخصية التي تعرف قيمة الوطن بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى، الصدق، والأمانة، والوفاء وغيرها من الصفات والقيم التي حث الإسلام على التحلي بها. وحينما نتحدث عن دور اللغة العربية في بناء الشخصية المسلمة في الجزائر، فيكفي دليلا على ما للغة العربية من دور في بناء هذه الشخصية الوطنية، تحول معظم علمائها حديثا إلى مدافعين عن العروبة والإسلام فيها، بمن فيهم مؤسسي جمعية العلماء المسلمين من أعضائها أو الذين تتلمذوا على يد مشايخها، بمن فيهم عبد الشيخ الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ الأمين العمودي، والشيخ عبد القادر بن زيان والشيخ العربي بن بلقاسم التبسي، والشيخ مبارك بن محمد المليي، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ السعيد الزاهري، والشيخ محمد خير الدين، والشيخ يحيى حمودي والشيخ أبو يعلى سعيد الزواوي، والشيخ الفضيل الورثيلاني، والشيخ محمد بن علي السنوسي، والشيخ سيدي محمد الطيب بن مبروك باشا، والشيخ محمد الشبوكي، والشيخ أحمد حماني، والشيخ عبد الرحمان شيبان، والشيخ إبراهيم مزهودي من الشمال⁸. والشيخ عدون بن الحاج اشرفي، الشيخ صالح بن قاسم با بكر، الشيخ إبراهيم بن عمر بيوض، وأبو اليقظان إبراهيم بن الحاج عيسى من

الجنوب.⁹ وغيرهم كثير ممن كان لهم الفضل في الدعوة، والإصلاح، ومحاربة البدع والخرفات، حفاظا على عقيدة التوحيد في المجتمع الجزائري.

ويكفي دليلا على دور اللغة العربية في بناء الشخصية المسلمة في الجزائر تحول معظم علمائها إلى مدافعين عن العربية باسم الإسلام، فهذا البشير الإبراهيمي يقول: "إنّ اللغة العربية في القطر الجزائري ليست غريبة ولا دخيلة؛ بل هي في دارها وفي حماها، وهي ممتدة الجذور مع الماضي، ومشتدة الأواخي مع الحاضر، طويلة الأنان في المستقبل، ممتدة مع الماضي؛ لأنها دخلت هذا الوطن مع الإسلام على ألسنة الفاتحين، ترحل برحيلهم وتقيم بإقامتهم، فلما أقام الإسلام بهذا الشمال الإفريقي إقامة الأبد، وضرب بجرائه فيه، أقامت معه العربية لا تريم ولا تبرح، ما دام الإسلام مقيما لا يترحزح، ومن ذلك الحين بدأت تتغلغل في النفوس، وتتصاغ في الألسنة واللّهوات، وتتساب بين الشفاه والأفواه."¹⁰ وهكذا بفضل العربية في بناء الشخصية المسلمة تحول معظم مشايخ الإسلام في الجزائر إلى مدافعين عن العربية، إلى درجة صارت فيه الغيرة على العربية مبدأ من مبادئ المواطنة اللغوية في هذا الوطن، بعد إيمانهم بأنّ "الغيرة على اللغة العربية هي قبل كلّ شيء تعبير عن الارتباط العضويّ بين الفرد وجماعته، هي إخلاص للتربية التي وُلد عليها الإنسان، ووفاء عميق للوطن والجماعة، فالإنسان يحيا باللغة، ويعيش تغيراتها وتطوراتها بحكم أنّها كائن ينمو مع النمو التدريجيّ للواقع لهذا توجد اللغة مع الفرد وجودا كينونيا، تتقوى بقوته وتتحصن بحرصه وصدق غيرته على وجودها في حياته"¹¹

ثانيا- الشخصية النضالية: يقصد بالشخصية النضالية تلك النفوس التي فدت بروحها هذا الوطن والتي كان لها الفضل في تحريره من قبضة الاستعمار، قادة وثوار. ولقد كان للغة العربية كذلك دور مهم في إخراج العديد من الشخصيات النضالية إبان الثورة التحريرية، وهنا لا يمكن إغفال دور كل من جمعية العلماء

المسلمين الجزائريين والكشافة الإسلامية الجزائرية في انتشار العديد من ضحايا الفرنكوفونية الاستعمارية، وبخاصة إذا علمنا أن معظم قادة الثورة الجزائرية هم خريجو المعاهد الفرنسية، وأن جمعية العلماء المسلمين والكشافة الإسلامية الجزائرية، هي من أعادت بناء هذه المواهب أو صقلها بشخصيات وطنية جعلتها تشعر بمسؤوليتها الكبرى اتجاه هذا الوطن في محتته آنذاك، وهو التحرر من الاستعمار. فحينما نتحدث عن مفجري الثورة التحريرية من مجموعة القادة الاثنى والعشرين، نجد العربي بن مهدي من الفوج الكشفي بسكرة، وديدوش مراد من الفوج الكشفي بالمرادية العاصمة، وباجي مختار وسويداني بوجمعة من الفوج الكشفي بقالمة، وآيت أحمد حسين من الفوج الكشفي بعين الحمام، وعبد العزيز محمد من الفوج الكشفي بالأغواط... إلخ،¹² وبهذا يكون الفضل للغة العربية في إخراج هذه التلة من الشباب الثائر على الاستعمار الفرنسي، بعد إيمانه بأن القضية الوطنية هي مسؤولية الجميع.

وقد لعبت بهذا كل من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والكشافة الإسلامية الجزائرية دورا مهما في إعداد هذه الشخصيات النضالية لقيادة الثورة التحريرية فمع كون جمعية العلماء المسلمين الجزائريين آنذاك جمعية دينية اقتصر دورها على الإصلاح من خلال زرع الأخلاق والقيم الإسلامية في المجتمع الجزائري إلا أن دورها في تحرير هذا الوطن كان يوازي دور قادة الثورة التحريرية، من خلال ما أعدته لهذه الثورة من رجال، خاصة إذا علمنا أن "المبدأ الذي سلكته الجمعية كان يرمي إلى غاية جلية فالمبدأ هو العلم والغاية هي تحرير الشعب الجزائري".¹³ وكله ضمن مبادئها الثلاثة، وهي: الإسلام والعروبية والوطن. "قالمتمعن في الظروف التي وُلدت فيها الثورة، سيما منذ مظاهرات 1945، يدرك جيدا أن هناك رجالات كانوا يدعون لها بطرق مختلفة، وليس بطريقة واحدة، فمنهم من كان يُعد لها بتوفير الأسلحة، والتدريب العسكري، ومنهم من كان يجمع لها المال والوسائل

المادية، ومنهم من كان يخطط لها بالتكوين المعنوي وتربية النفوس على حب الوطن والجهاد في سبيله.¹⁴ وجمعية العلماء المسلمين إحدى الأيدي الداعمة لمسار هذه الثورة من خلال عملها على تربية هذه النفوس المخلصة للقضية الوطنية. وإذا كان لجمعية العلماء المسلمين دور في إعداد النفوس النبيلة أو الشخصيات النضالية لقيادة هذه الثورة، فإن دور الكشافة الإسلامية لم يكن أقل شأنًا، وإن ظهرت بعدها بسنوات قليلة، والمنتج لتاريخها منذ تأسيسها يدرك أهميتها بالنسبة للثورة التحريرية؛ حيث "أنجبت المدرسة الكشفية طليعة ثورية كانت قمة في التضحية وأداء الواجب الوطني؛ إذ سجل لنا التاريخ قائمة طويلة لقاافلة الشهداء الذين ترعرعوا في أحضان هذه المدرسة الوطنية التي ربّت في نفوس عناصرها حبّ الوطن والتضحية من أجل أن تحيا الجزائر حرة مستقلة؛ فكانوا سباقين إلى ميدان الاستشهاد وأوفياء لأداء اليمين؛ فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه في أداء الواجب نحو الله و الوطن؛ ونذكر من بينهم باجي مختار، وديدوش مراد، وسويداني بوجمعة وأحمد زبانه، وزيجود يوسف، وكيلاي الارقط، وعلي بن مستور، والعربي بن مهدي، وعواطي مصطفى، وحسيبة بن بوعلي، ومسعودة باج، ومحمد بوقرة وعبد الحق قويسم... إلخ.¹⁵ وغيرهم كثير ممن تربت نفوسهم على الإخلاص لهذا الوطن ضمن أفواج هذه الجمعية، والتي "عند اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954، تسارعت للالتحاق بصفوف الثوار، وهذا بعد حلها كبقية المنظمات؛ فدعمت جبهة وجيش التحرير الوطني بكفاءات شبانية تتمتع بروح انضباطية عالية، وغيره وطنية."¹⁶

ولقد كان بهذا اللغة العربية دور مهم في بناء العديد من الشخصيات النضالية إبان الثورة التحريرية والتي ترعرعت بدورها في أحضان كل من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي اعتبرت اللغة العربية مبدأ من مبادئها (الإسلام، العربية الجزائر) والكشافة الإسلامية الجزائرية التي اعتمدت هذه اللغة في التربية والتعليم

وبهذا فإنه لا يمكن إنكار ما للغة العربية من فضل في بناء هذا النوع من الشخصية الوطنية.

ثالثا- الشخصية السياسية: تلعب الشخصية السياسية دورا مهما في تنظيم شؤون البلاد، وعلى هذا الأساس فهي تعد الشخصية الوطنية الأهم في تاريخ الدول في عصرنا الحالي، لما لها من دور فعال في قيادة المجتمع نحو تحقيق التنمية وتطوير الذات اجتماعيا، وسياسيا، واقتصاديا...إلخ. وهنا لا يمكن إنكار دور اللغة في بناء هذا النوع من الشخصيات الوطنية أمام حاجة المجتمعات الدولية إليها. وإذا ما تساءلنا عن الدور الذي لعبته اللغة العربية في بناء هذه النوع من الشخصية الوطنية في الجزائر، فإنه لا يمكن بأية حال من الأحوال إنكار ما للغة العربية من فضل في بناء العديد من النخب السياسية في مختلف الهيئات العليا لهذه البلاد، بدءا بالهيئة التنفيذية المتمثلة في رئاسة الجمهورية التي تداول على رئاستها ثمانية رؤساء،¹⁷ وانتهاء بالبرلمان بغرفتيه، والذين كان للعربية الفضل في تكوين شخصيتهم السياسية، لقيادة الجزائر نحو ما هي عليه الآن من الرقي والازدهار والتطور.

وإذا ما استثنينا الدور الذي لعبته اللغة العربية في بناء هذا النوع من الشخصيات الوطنية، في الهيئات العليا لهذه البلاد، فإنه لا يمكن إغفال دورها في بناء العديد من الشخصيات السياسية، من قادة الأحزاب في هذا الوطن، والذين كان للعربية دور مهم في تكوين شخصيتهم السياسية، بدءا برؤساء حزب جبهة التحرير الوطني الذي يمثل الأغلبية في البرلمان الجزائري حاليا، وانتهاء برؤساء الأحزاب التي شكلت الأقلية فيه علما أن عدد هذه الأحزاب بلغ ثلاثة وستين حزبا وطنيا (63 حزبا) منذ دخول الجزائر مرحلة التعددية الحزبية سنة 1989، والتي لا يمكن أمامها إنكار دور اللغة العربية في تكوين النخب السياسية التي من شأنها تكريس

مبدأ الديمقراطية على مدار ثلاثة عقود من تاريخ الإعلان عن هذه المرحلة في الدستور الجزائري وبالتحديد في مادته الثانية والأربعين.

رابعا- الشخصية العلمية: يُقصد بالشخصية العلمية تلك الشخصية التي حصلت من العلم ما يؤهلها لأن تكون مدرسة للأجيال اللاحقة، في علم من العلوم أو مجال من المجالات التي استأثرت باهتمام هذه الشخصية بحثا وتعلّما، وهنا لا شك في أنّ اللغة كذلك تلعب دورا مهما في بناء هذا النوع من الشخصية الوطنية باعتبارها وسيطا بين المعرفة والفرد في مجتمعه. ويؤكد هذه العلاقة بين اللغة والشخصية العلمية تاريخ العلوم الذي يدلّ بدوره على أن كافة العلوم مصدر تواجدها اللغة وهو ما يحتم على الفرد أن يستوعب التعبير اللغوي الخاص بكل علم من العلوم لإثراء المعرفة.¹⁸ وإنا بهذه العلاقة بين اللغة والمعرفة إزاء قانون علمي يفسر لنا العلاقة بين اللغة والشخصية العلمية في وطن من الأوطان؛ حيث تظهر الكفاءة العلمية لبعض الأفراد فيها مرتبطة بمدى تحكّمهم في اللغة باعتبارها وعاء للفكر، أو باعتبارها "تعبّر في جميع الحالات عن المعرفة، لكنّ اللغة مادّة والمعرفة فكر".¹⁹

ويفسر لنا بشكل أكبر هذه العلاقة بين اللغة والمعرفة، اعتماد بعض المجتمعات في قياس المستوى الثقافي أو العلمي بصفة عامّة، على مدى تحكّم الفرد فيها في أكبر عدد ممكن من اللغات، مما يمكنه من تعدّد مصادر المعرفة، إنا هنا إزاء تعدّد مصادر المعرفة التي تتيحها اللغة "على اعتبار أنّ من يتسلّح بالتعدّد اللغوي كثنائي اللغة مثلاً، عادة ما يكون ثنائي الثقافة حين يستمد معرفته من تلك اللغات التي يتقنها، ويتأثر بها؛ ليعمد على تطبيق مضامينها في حديثه، وسلوكه، وعمله وحتى في أحاسيس انفعالاته عن مصدر وعيه وإدراكه، بدلالة ظاهرة الحركات التعبيرية واللفظية، محتمة أياها المعاشية في مجتمعين متفاوتين في العادات والتقاليد كمن يعيش ويواصل تعليمه العلمي التخصصي في بلد أجنبي تتفاوت فيه ما ورثه عمّا هو في مجتمع وطنه الأم ... وهنا يتضح بأنّ اللغة هي عماد الثقافة، طالما

تشكل ظاهرة اكتساب معرفة جديدة لبناء الشخصية المعطاءة المتمسمة بروح التفاضل في الأخذ والعطاء.²⁰ وبهذه العلاقة يمكن فهم دور اللغة في بناء ثقافة الفرد وبناء شخصيته العلمية بصفة عامة.

ومن هذا المنطلق الذي تشكل فيه اللغة أداة لبناء الشخصية العلمية في المجتمعات، فإنه حينما نتحدث عن العلم في الجزائر وعلمائها، لا يمكن كذلك بأي حال من الأحوال إنكار ما للغة العربية من فضل في تكوين العديد من الشخصيات العلمية في هذا الوطن، في مختلف المجالات أو العلوم التي استأثرت باهتمام العلماء الجزائريين؛ ففي مجال الشريعة والإصلاح نجد: الشيخ ابن العنابي، والشيخ محمد بن علي السنوسي، والشيخ محمد بن أبي القاسم الهاملي، والشيخ محمد بنعزوز القاسمي الحسني، والشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ البشير الإبراهيمي، والشيخ عبدالرحمن الأخضر، والشيخ العربي التبسي، والشيخ أحمد توفيق المدني، والشيخ الطيب العقبي، والشيخ الفضيل الورثيلاني، والشيخ مبارك الملي، والشيخ محمد علي دبوز والشيخ عبد الرحمن الجبلاني، والشيخ أحمد سحنون، والشيخ أبو إسحق إبراهيم اطفيش، والشيخ أبو بكر جابر الجزائري، والشيخ عبد اللطيف سلطاني والشيخ إبراهيم بيوض، والشيخ عبد القادر المجاوي، والشيخ سليمان بن حاج داود بن باسعيد بن يوسف العطاوي الميزابي، والشيخ أحمد بن يوسف الولي الصالح الملباني الجزائري،²¹ والشيخ الطاهر آيت علجت، والشيخ أبو عبد السلام والشيخ عبد الرحمان شيبان، والشيخ السعيد أبهلول وغيرهم كثير. وفي مجال الشعر والأدب نجد: محمد العيد آل خليفة، ومفدي زكريا، والطاهر وطار وواسيني الأعرج، وأحلام مستغانمي ورشيد بوجدره. وفي مجال الرياضيات والعروض موسى الأحمد نويوات. وفي مجال الفلسفة مالك بن نبي، وفي مجال التاريخ أبو القاسم سعد الله، وإسماعيل العربي. وفي مجال اللسانيات عبد الرحمن الحاج صالح، وصالح بلعيد وعبد الجليل مرتاض، وفي مجال النقد عبد المالك مرتاض

وأمنة بلعلی، وزاهية إسماعيل الصالحي، ومالك علولة، وميلود حميدة... إلخ. وغيرهم ممن كان للعربية الفضل في شحذ هممهم نحو طلب المعرفة في هذه المجالات العلمية، مع الإشارة إلى أنّ تغييبها في تعليم التخصصات العلمية في الجامعات الجزائرية، كان قد حال بينها وبين الشخصيات العلمية في هذه التخصصات.

5- الشخصية الإعلامية: لا نقصد بالشخصية الإعلامية سوى تلك الشخصية التي خدمت الإعلام في أيّ وطن من الأوطان، متحلية في ذلك بأخلاقيات المهنة المعروفة، وهي التحري والصدق والأمانة، معتمدة في بناء شخصيتها الإعلامية على لغة وطنية، تمثل لسانها الناطق في هذا المجال. وهنا حينما نتحدث عن الإعلام الجزائري؛ فإنّه لا يمكن إنكار فضل اللغة العربية في إخراج العديد من الشخصيات الإعلامية التي يُشهد لها باحترافيتها داخل الوطن وخارجه، ويكفي دليلا على ما للغة العربية من فضل في إخراج هذه الشخصيات اشتغال معظم الشخصيات الإعلامية الجزائرية في كبرى القنوات الإعلامية العربية، ومن ألمع هذه الشخصيات فيروز زياني، ووسيلة عولمي، وخديجة بن قنة، وحسينة أوشان وعبد القادر عياض وحفيظ دراجي، ومجيد بوطمين وغيرهم ممن يشتغلون بقناة الجزيرة الإخبارية أو الرياضية، وكذا رفيق سحالي بقناة فرانس 24، وصهيب شراير بقناة العربية الإخبارية، وفضيلة السويسي بقناة سكاى نيوز عربية وكمال عمّان بقناة روسيا اليوم، ولخضر بريش وعادل خلو بقناة بي إن سبورت القطرية ويزيد موقاي بقناة mbc الرياضية، وسمير بوخليفة بقناة الدوري والكأس القطرية... إلخ. من دون أن ننسى الشخصيات الإعلامية الجزائرية التي ظلت في خدمة الإعلام الجزائري عبر القنوات العمومية أو الخاصة، والذين من أشهرهم كريم بوسالم، وخالد بن أحمد خلفاوي، وأمينة نذير، وفريدة بلقسام وصورية بوعمامة، وزهية بن عروس، ومحفوظ بن حفري، وسمير عقون، وجعفر سلمات، وتوفيق دربال

وقادة بن عمّار، وبلال بيناري... وغيرهم كثير، ممّن خدموا مختلف القنوات الوطنية واعتمدوا العربية لسانهم الناطق فيها.

إنّ العربية بهذا فتحت المجال أمام العديد من الشخصيات الإعلامية الجزائرية، للظهور في الساحة الإعلامية وطنياً وعربياً، كما مكّن الإعلام الجزائري من أن يحتلّ مكانة مرموقة في سوق الإعلام العربيّ، خاصّة بعد أن عرف الإعلام الجزائريّ عدّة قنوات وطنية، أسهمت بشكل كبير في تطوير الإعلام الجزائريّ على مستوى اللّغة والأداء، وسمحت للكثير من الشخصيات الإعلامية أن يلمع بريقها في سماء الإعلام العربيّ، ولم يكن الفضل في ذلك لأيّ لسان دون العربية التي صقلت هذه المواهب؛ فأبدع ناطقوها في هذا المجال.

خاتمة: تناولت هذه المداخلة علاقة اللّغة بصفة عامّة بالشخصية الوطنية، ثم دور اللّغة العربية في بناء هذه الشخصية في المجتمعات الناطقة بها، ويرتبط موضوع هذه المداخلة بموضوع هذا اليوم الدراسيّ (الحقوق اللغوية للطفل الجزائريّ بين المطالب الاجتماعية وحقوق الإنسان) في كونه يدافع عن أحد الحقوق اللغوية للطفل، والتي يجب على المجتمعات الدولية مراعاتها، وهو تعلّم اللّغة التي تسهم في بناء شخصيته الوطنية، لأننا حينما نتحدّث عن الحقوق اللغوية للطفل، فنحن نتحدّث عن واجب إنسانيّ اتّجاه هذا المخلوق الضعيف الذي جعله الله أمانة في أعناقنا، ونحن في خيارتنا اللغوية لما يتعلّمه من لغة، نحدّد له سلفاً -من دون خيار له- طبيعة الشخصية التي يكون عليها، باعتبار أنّ اللّغة تلعب دوراً في بنائها. وعلى هذا الأساس فنحن مُطالبون أمام هذا الواجب، بأنّ نوجّه تعليمه اللغويّ نحو تعلّم اللّغة التي تُسهم في بناء شخصيته الوطنية أولاً وقبل كلّ شيء. وهي الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أمام ما أسهمت به اللّغة العربية في بناء العديد من جوانب الشخصية الوطنية، مثلما توضّحه النتائج الآتية لهذه المداخلة:

- تُعدُّ اللغة العربية في المجتمعات الناطقة بها أداة لبناء الشخصية المسلمة بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى الصدق والأمانة والوفاء للوطن، وهذا لارتباطها بهذا الدين ارتباطا متلازما.

- أسهمت اللغة العربية ولا زالت في بناء العديد من الشخصيات النضالية إبان الثورة التحريرية، لما تحمله من تاريخ مشترك يمكن الفرد في مجتمعه من معرفة واجبه اتجاه هذا الوطن في المحن الكبرى التي يمر بها، أو تتربص به.

- أسهمت اللغة العربية في بناء العديد من النخب السياسية على مستوى الهيئة التنفيذية أو التشريعية والتي كان لها الفضل في قيادة الجزائر، نحو ما هي عليه الآن من التطور والرقى والازدهار، أو في تكوين العديد من قادة الأحزاب الذين كرسوا أنفسهم لخدمة النشاط السياسي، حفاظا على مبدأ الديمقراطية في هذا البلد.

- يُعدُّ الفضل للغة العربية في بناء العديد من النخب العلمية في مختلف العلوم الإنسانية خاصة، لما لها من تراث عريق مع هذه العلوم، والذي شكّلت من خلاله رافدا معرفيا لتكوين هذه الشخصيات العلمية في الجزائر.

- يرجع الفضل للعربية في تكوين العديد من الشخصيات الإعلامية التي مثّلت الجزائر وطنيا وعربيا وفتحت الآفاق أمام نجوم الإعلام الجزائري.

وبهذه النتائج التي تثبت دور اللغة في بناء الشخصية الوطنية، نقرّ بأن الشخصية الوطنية التي يمكن أن تُبنى بلغة أجنبية، إما أن تكون شخصية وطنية عرجاء من دون مقومات، أو شخصية وطنية مشكوك في وطنيتها، مع تحفظنا على هذه الكلمة بالنسبة للمواطنين الذين حتمت عليهم ظروف الحياة، أن يتعلموا داخل هذا الوطن أو خارجه بلغة أجنبية كانت السبيل الوحيد لبناء شخصيتهم الوطنية.

الهوامش:

- ¹ - رشيد بوجدره "أهمية اللغة في تكوين الشخصية الوطنية" جريدة الخبر، تم استرجاعه يوم: 14-02-2019، على الرابط [https://www.elkhabar.com].
- ² - المرجع نفسه.
- ³ - المرجع نفسه.
- ⁴ - إسلام بن نصر الأزهرى، أثر اللغة العربية في تكوين الشخصية العلمية، تم استرجاعه يوم: 14-02-2019، على الرابط [https://www.alukah.net/Books/Files/Book_8720/BookFile/allughat%20alearabiat.pdf].
- ⁵ - المرجع نفسه.
- ⁶ - الجزيرة، برنامج الشريعة والحياة، حوار ماهر عبد الله مع يوسف القرضاوي حول "اللغة العربية ودورها في خدمة الأمة والإسلام" 29-04-2001، تم استرجاعه يوم: 09-02-2019 على الرابط [https://www.aljazeera.net].
- ⁷ - أحمد محمد جمال "اللغة العربية لسان وكيان" مجلة البحوث الإسلامية، المملكة العربية السعودية، الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء، رمضان 1395، ع1، ج1، ص94.
- ⁸ - ينظر: أحمد عيساوي، أعلام الإصلاح الإسلامي في الجزائر، ط خاصة، مؤسسة البلاغ للنشر والدراسات والأبحاث، الجزائر: 2013.
- ⁹ - ينظر: محمد علي نبوز، أعلام الإصلاح في الجزائر، ط1. مطبعة البعث، الجزائر: 1974.
- ¹⁰ - حاكم عمارية "دفاع إبراهيمي عن أصالة اللغة العربية في الجزائر" أعمال ندوة دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الحفاظ على اللغة العربية وأثره في الهوية اللغوية، دط. المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر: 2016، ج2، ص235.
- ¹¹ - المرجع نفسه، ج2، ص233.
- ¹² - أميرة زروال، الكشافة الإسلامية الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية (1930-1954م) بحث ماستر، جامعة 08 ماي 1945 قالمة، الجزائر، 2016-2017، ص66.
- ¹³ - سمير أبيض، الجهود التربوية لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في بناء المجتمع الجزائري: 1931-1956" مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، مركز جيل البحث العلمي الجزائر: 2016، ع26، ص104.

- ¹⁴ - محمد البشير الإبراهيمي، في قلب المعركة، ص7-8. نقلا عن: جهاد أعمار، دور رجالات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الثورة التحريرية (1954-1962)، بحث ماستر، جامعة محمد بوضياف بالمسيلة، الجزائر، 2017-2018، ص44.
- ¹⁵ - جمال محمد "دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الثورة التحريرية" تم استرجاعه يوم: 28-01-2019، على الرابط <https://9alam.com/community/threads/dur-alkshaf-/> [alislami-algzari-fi-althur-altxhri.10795]. وينظر: خامس سامية والعبد اللاوي شافية "دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية" نقلا عن: أميرة زروال الكشافة الإسلامية الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية (1930-1954م)، بحث ماستر، جامعة 08 ماي 1945 قالمه، الجزائر، 2016-2017، ص66.
- ¹⁶ - خامس سامية والعبد اللاوي شافية، "دور الكشافة الإسلامية الجزائرية في الحركة الوطنية والثورة الجزائرية" نقلا عن: أميرة زروال، الكشافة الإسلامية الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية (1930-1954م)، بحث ماستر، جامعة 08 ماي 1945 قالمه، الجزائر، 2016-2017 ص68-69.
- ¹⁷ - يُنظرُ في هذا: السيرة الذاتية لكل من رؤساء الجمهورية الجزائرية أحمد بن بلة، وهواري بومدين، وعلي كافي، والسيد فخامة رئيس الجمهورية الحالي عبد العزيز بوتفليقة.
- ¹⁸ - ميخائيل ممو "دور اللغة وأهميتها في حياة الشعوب" يومية إيلاف الإلكترونية، تم استرجاعه يوم: 14-02-2019، على الرابط [\[https://elaph.com/Web/opinion/2016/3/1079989.html\]](https://elaph.com/Web/opinion/2016/3/1079989.html).
- ¹⁹ - رشيد بوجدره "أهمية اللغة في تكوين الشخصية الوطنية" جريدة الخبر.
- ²⁰ - ميخائيل ممو "دور اللغة وأهميتها في حياة الشعوب" يومية إيلاف الإلكترونية.
- ²¹ - ويكيبيديا الموسوعة الحرة "قائمة أعلام الجزائر" تم استرجاعه يوم: 28-01-2019، على الرابط [\[https://www.marefa.org/\]](https://www.marefa.org/).

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري

د.زهرة بوضرة

جامعة الشلف

المدخل:

تهتم المؤسسات الوطنية التربوية والاجتماعية والهيئات الطبية بالتنشأة اللغوية للطفل الجزائري بداية من قدرته على الاستجابة والتفاعل مع البيئة المحيطة بدءا بالمحيط العائلي مرورا بالمؤسسة التعليمية وصولا إلى المحيط الاجتماعي... الخ حيث تهتم في المراحل الأولى من عمر الطفل بتبليغه كلمات بسيطة ومتداولة تمثل شفرات أساسية لفهم العالم المحيط به مع تقدم الطفل نحو سلم الإدراك الذي بموجبه يتم إحقاقه بالمؤسسة التربوية في أوائل أطوارها حيث تمثل دار الحضانه بعد المحيط العائلي (البيت و الأسرة) أولى الوشائج التي تقدمه وتحضره للعالم الخارجي، فيتعلم الطفل نطق الحروف والكلمات في السنوات الأولى من عمره يساعده بالدرجة الأولى الوالدان والأم بالدرجة الأولى على إنطاقه، وتعليمه بعض الكلمات الأولية التي تساعده على التأقلم والتحاور مع المحيط الخارجي، ويتقدم الطفل في العمر ليصبح قادرا على تشكيل الكلمات بشكل صحيح واكتساب بعض المفردات الجديدة التي تعينه على تحديد مقاصده والتواصل مع المحيطين به وهو بشكل أصوات منقطعة، تكون الأم القدرة على فهمها انطلاقا مما حباها الله به من غريزة الأمومة وركز على دور الأم على اعتبار أنها الأقرب إلى الطفل سواء من ناحية العاطفة أم من ناحية الوقت الذي تقضيه معه خصوصا إذا كانت امرأة غير عاملة (مأكثة في البيت)، وبمجرد ما يصبح للطفل القدرة على تركيب الكلمات يصبح جاهزا للبقاء بالمؤسسة التربوية بعد أن مر على المرحلة التحضيرية التي يتعلم فيها من خلال احتكاكه بزملائه وأصدقائه في الروضة، أساسيات التكم

بطريقة ترفيحية تمكنه من الاستعداد للمرحلة التالية، عن طريق تعلم الأرقام والتمييز بين الألوان ومعرفة مسميات الأشياء عن طريق المراجع بين الطريقة التعليمية والأسلوب الترفيهي.

المشاكل اللغوية عند الطفل الجزائري:

قبل الخوض في الموضوع يهمنا أن نقف عند مقرة "طفل" لنتمكن من تحديد الإطار المفهومي والعملية للمجال البحثي، فالطفل لغة عند ابن هيثم: كل مولود يوضع من بطن أمه إلى أن يبلغ الحلم، وعند علماء النفس والاجتماع فقد اتفقوا على أن مرحلة الطفولة عندهم تبدأ من مرحلة الولادة إلى أن يصل الطفل إلى مرحلة البلوغ وذهب البعض إلى أنها تستمر إلى أن يبلغ الاثنا عشرة سنة، إلا أن القانون الدولي فصل في الأمر وحدده من خلال اتفاقية حقوق الطفل الصادرة عام 1989 بأنه الإنسان الذي لم يتجاوز الثامنة عشرة، ولم يبلغ سن الرشد بعد.¹ وبداية عن المراحل الإعدادية الأولى للطفل الجزائري بداية من مرحلة التنشأة الأسرية والمؤسسات التعليمية والاجتماعية يظل الطفل الجزائري ينتقل بين مختلف هذه البيئات المحيطة مقلدا ومحاكيا للوسط الذي يعيش فيه معتمدا في مختلف تواصلاته على أداة اللغة التي تعتبر من الركائز التي تقوم عليها الأمم وتبنى على أساسها الحضارات، واللغة العربية تعتبر من اللغات السامية التي تقترب بجذورها في عمق التاريخ إضافة إلى كونها لغة الكتاب المقدس ولغة تخاطب أهل الجنة.

وقد أضفت إلى جانب ذلك من ضمن اللغات العالمية الأربع (الإنجليزية الإسبانية، الصينية، إلى جانب اللغة العربية)، وقد شهدت هذه اللغة ازدهارا باهرا في العصور التي بلغت بها الأمة العربية الاسلامية أوجها، وبالرغم من أنها تعتبر إحدى اللغات العالمية إلا أنها تعيش فترة من الركود والضعف والانهازم بدأت مع عصور الانحطاط وتستمر إلى غاية أيامنا هذه وقد تشجع على هذه الوضعية اكتساح التكنولوجيا لمختلف مجالات الحياة، بما فيها مجال اللغة وصار لزاما على

هذه اللغة أن تجاري مثل هذه التطورات والتغيرات وصار النظام العملي يدفعها دفعا لتبني هذه التداعيات ولو بصفة شكلية فأفرغت اللغة من محتواها وحواملها المادية والمعنوية، ولم يمنحها الوضع القائم فرصة الوقوف عند خصوصيتها الأدائية والمعرفية فكان أن ضيعت الكثير من كوامن القوة فيها بمحاولتها القفز على الزمن وتجاوز المثبتات التي تقف حجر عثرة في طريق تطورها، وكأن الأمر صار قدرا محتوما أن تعيش هذه اللغة غريبة على أبنائها عاجزة عن توسل وتمثل هذا العصر واستيعاب مختلف تحولاته ومجاراة مختلف تطوراتها، والأدهى والأمر من هذا أن يصيب هذا الضعف مختلف مستعملها، بمن فيهم أطفالنا الذين يعتبرون وريث هذه اللغة ومورثها عن طريق المؤسسات الاجتماعية أو التعليمية. ويرى محمد زيان حمدان أن كل مرحلة لها تأثيرها في اكتساب الطفل جانبا من جوانب المجتمع الذي يعيش فيه عموما² مما يمنح اللغة بعدا اجتماعيا بدليل أن الانسان لو عزل عن المحيط الاجتماعي فلا يستبعد أن يصير أخرسا أو أن يصدر أصواتا ليس لها معنى وتكون اللغة في العادة ترجمة مباشرة لبيئته الاجتماعية تعكس معايير الأخلاقية والدينية والثقافية.... الخ السائدة فيه.

المشاكل اللغوية عند الطفل الجزائري:

لذلك وجب العناية بهذه الفئة من المجتمع التي تمكنها استشرافا بالنهوض بهذه اللغات إذا ما نحن دعمناها بالوسائل الضرورية للرفي بلغتها الأم، فعند التحاق الطفل بالمدرسة يكون والدعاء قد تكون لديه رصيد لغوي في الأغلب من اللغة العامية إذا لو يعتن والده يتلقينه بعض المفردات الفصيحة في المرحلة الإعدادية يجد الطفل نفسه في مواجهة مع اللغة الفصحى بتشعب قواعدها وتعدد أبنيتها ورسم حروفها الإملائية التي تخالف أنظمة اللغة العامية التي تبدو له بسيطة ما دام تعود عليها، ويواجه الطفل في هذه المرحلة مشكلة التعثر في النطق السليم لمجموع الأصوات المركبة للمفردات والتمييز فيما بينها لمرحلة أولية ثم بعدها يواجه مشكلة

رسم هذه الحروف أو الأصوات والتّمييز بين مختلف أشكالها ويتلقى الطّفل اللغة عن طريق عمليات الاكتساب والتّعلم، فأما الاكتساب فهي عملية لاشعورية تتم عن غير قصد وتنمي لديه المهارات اللغوية، ولا يشغل تفكير الطّفل لا يهّمه الخضوع للقواعد النحوية لأنه لم يكتسبها بعد وإنما يقوم بنطق اللغة وفقا لما تعود على سماعه عن طريق الوالدين أو المحيط الذي يعيش فيه، أما تعلم اللغة فهي عملية واعية يقوم بها الطّفل المتعلم وفقا لقواعد اللغة العربية التي يملئها عليه المعلم ويلزمه بها عن طريق التّلقين والتّكرار وتصحيح الأخطاء.

وتتحقق هاتان العمليتان في مراحل متعاقبة من عمر الطّفل التي تعتبر من أخطر مراحل عمر الإنسان كونها مرحلة بنائية، تتدخل فيها مجموعة من العوامل التي تسهم في إدراك الطّفل لهذا الطارئ الجديد من بينها:

1- الأسرة: التي تلعب دورا أساسيا في تكوين الملكة اللغوية لدى الطّفل التي تمكنه من إدراك ذاته أولا ثم المحيط الذي حوله ثانيا إذ تعتبر الأسرة المهد الأول للطفل وأول جماعة إنسانية يتفاعل معها" تمكنه من تطوير رصيده المعرفي وعبر عنه بواسطة اللغة عن طريق السّماع والتّقليد.

2- المدرسة: وفيها يكتسب التلميذ الأصول اللغوية والمعرفية الأولى تمكنه فيما بعد من تمييز الغث من السّمين، حتى يتمكن من تلبية جميع احتياجاته وحل مشكلاته الخاصة أو العامة إلى جانب تعلم المهارات الحركية اللازمة للمشاركة في الأنشطة الجماعية إلى جانب تعلم الكتابة والقراءة.

3- المجتمع: بمختلف مكوناته ومستوياته وآلياته يمكن الطّفل ممارسة وظيفته الاجتماعية والتّواصلية عن طريق النطق وتوسيع آفاقه والانتقال به من مجرد إتقان اللغة والتّحدث إلى اكتساب مختلف المعارف والمهارات التي تمكنه من ممارسة مختلف النشاطات وتبادل المعارف والمصالح عن طريق التّوظيف الجيد للغة من أصل تحقيق الأهداف المنظرة، فاللغة ظاهرة اجتماعية مكتسبة وأفضل وسيلة

لتعلمها هي الواقعة التي يكتسب بها الطفل لغة مجتمعه المستعملة وسيلة لتعلمها هي الواقعة التي يكتسب بها الطفل لغة مجتمعه المستعملة في الحياة اليومية" عن طريق عمليات التجريب والممارسة التي تتشكل عن طريق التجربة التي تقتضي الوقوع في الخطأ وتصويبه إما تصويبا ذاتيا عن طريق المقارنة أو تصحيحا.

يتم اكتساب اللغة لدى الطفل عامة والجزائري خاصة من خلال عدة مراحل أوجزها العالم الدنماركي جيسبرسن Jespersen في قوله "مرحلة السياق ومرحلة إدراك الأصوات وتنقسم اللغة إلى لغة صغرى ولغة كبرى"³.

- **المرحلة الأولى:** والتي يتم عن طريق المستويات غير اللفظية للتعبير عن احتياجات الطفل الأولية حسب دراسة أجراها وولف Wolff سنة 1969م⁴ كالرغبة في الأكل عند الجوع والشعور بالألم يقوم بالتعبير عن ذاته من خلال التصويت المتمثل في الغالب في البكاء طلبا لحاجياته الضرورية والبيولوجية، أو عن طريق حركات عضوية عفوية كالضحك، الصراخ، اللعب... إلخ وغيرها من الحركات الإنفعالية وتستمر هذه المرحلة من الولادة حتى المرحلة التي يقوم فيها بإنتاج أصوات غير دالة في نفسها يتمكن كل من الوالدين والأم بالدرجة الأولى من فهمها إما عن طريق الإشارة أو تبعا لظرف أو الحالة التي يمر بها الطفل أو المولود الذي لا يتجاوز عمره من سنة إلى سبعة أشهر، وتسمى هذه الطريقة بالمناعة حيث يعمل فيها الرضيع على توليد أصوات انطلاقا من الأصوات التي يسمعا ضمن المحيط الذي يعيش فيه وتشكل هذه المرحلة فترة المحاكاة اللغوية⁵، فقد أكد مكارتي Mc.caartty 1954م -على أن بداية السلوك التقليدي كانت في معظم الدراسات الشهر التاسع من عمر الطفل، ثم يعمل بعد ذلك على ترتيب هذه الأصوات واستخلاصها بمساعدة الوالدين في معظم الأحوال أو المربية أو أي شخص آخر يتولى تربيته هذا الرضيع وتستمر هذه المرحلة طوال الشهور الأولى من حياة المولود، وقد تمضي هذه الأشهر (lebalillage) دون أن ينطق بضع

كلمات رغم قدرته على فهم معظم ما يسمعه، ثم تزيد كمية الكلمات مع نهاية السنة الثانية وبداية السنة الثالثة⁶.

- ثم يبدأ الرصيد الصوتي للطفل بالاتساع لأنماط صوتية غير لغوية انطلاقا من الوسط العائلي الذي يعيش فيه أو الطبيعي حتى تتعدى حدود الأصوات التي تحتويها اللغة الأم، لدرجة يعجز فيها البالغ عن تقليد بعضها وهنا تبدأ عمليات تركيب الأصوات وترتيبها طبقا لتلك الأصوات التي يلتقطها من المحيط الاجتماعي وتسمى هذه المرحلة بمرحلة التقليد.

- ويعمل الطفل بعد ذلك على ترديد المقاطع الصوتية كأنه يعمل على ترسيخها فالاستجابة الطوعية للأصوات تشكل حافزا لترديدها لمرات متعاقبة ويجد في ذلك متعة حتى وهو يرددها على نفسه وبشكل متكرر مثل (بابا، بابا، بابا) وبداية من سن الثالثة يعمل على تكرار الكلمات التي يسمعها ليؤلف من مقاطعها جملا بشكل تدريجي تبعا لتطور مستوى الفهم لديه وإن كان سابقا لمرحلة التعبير لديه التي تضل قاصرة عن استيعاب مختلف المعاني التي يعبر بالعديد منها بكلمة واحدة فتتوب الكلمة لديه عن جمل كاملة وعن معاني متجددة.

- وتعد هذه المراحل أهم مرحلة لغوية في حياة الطفل الجزائري والتي تمكنه من التواصل مع المحيط الخارجي بشكل طبيعي لكونها مراحل القاعدية وأي اختلال في تكوين الرصيد اللغوي للطفل فقد يؤدي إلى اختلالات حادة في اكتساب اللغة وفقدان الكفاية اللغوية مما يؤثر سلبا على تجاوبه مع المحيط الخارجي ويخلق له مشاكل أو عاهات لسانية قد تكون دائمة وتترتب هذه العمليات أو الانجازات اللغوية وفقا لمعايير المدة والتعاقب (التسلسل) والإيقاع حيث ترتب الجمل بشكل تعاقبي في مدة زمنية معينة تتفاوت حسب طول أو قصر أو تكرار المقاطع أو الوقفات التي تفصل بين الملفوظات التي تحدث إقاعا ناتجا عن الحالة النفسية

والذهنية للمتكلم، فإنا نرى كيف يتمكن الطفل من اكتساب مفهومي الزمان والمكان المرتبطين بالمعايير المذكورة آنفاً، وكيف يتمكن الطفل من اكتساب هذين المفهومين؟.

- يكتسب الطفل هذه المفاهيم من خلال التجربة⁷، حيث نجد العديد من الباحثين الذين اشتغلوا بمراحل هذا الاكتساب نذكر من بينهم فيرت FARTH الذي يرى بأن تتبع مراحل النمو اللغوي عند الطفل ينبغي أن تكون مرتبطة بالتجارب الهامة التي تمر بها حياته، مرحلة المهد ومرحلة الجلوس ومرحلة السير ومرحلة السير خارج المنزل ومرحلة الذهاب إلى المدرسة. التي تعتبر طريقاً لنمو المعرفة الذاتية لديه والتي تمكنه من التحكم في أعضاء جسمه فيعمل من خلال ذلك على تصحيح إدراكاته السمعية والبصرية المتأنتية من المحيط الخارجي، والتي تعمل الأم بالدرجة الأولى على ترسيخها لديه من خلال لغة الإشارات وما يقابلها في الاستعمالات اللغوية والتي يدعمها حب الاستطلاع لديه وتلقائية الحركة والتي لم تأطر بعد والتي توجهه نحو المصادر السمعية والحركية التي تشد انتباهه، ومن خلال هذه الممارسات يتمكن بفضل المواهب العقلية والفطرية من تحديد وإدراك المسافة التي تفصله بين الأصوات والأشياء ومواقعها، هذا فيما يخص الإدراك البصري والسمعي وعلاقته بتحديد المواقع (الأمكنة) والتي تمكنه من تحديد الاستجابات انطلاقاً من اتحاد الوضعيات والحركات الملائمة عن طريق عمليات عقلية ونفسية مركبة ومعقدة، وقد تستعمل بعض الدلائل كوسائط معينة على الفهم اللغوي.

وقد أولى بياجى (Piaget) عناية بالغة بالعمليات المعرفية العليا، مؤكداً على تبعية اللغة للفكر، فبحث في مصادر الوظيفة التصورية السابقة للغة التي تتشكل من خلال التقليد واللعب الرمزي، التي تمثل الأطوار الأولى في البناء والتشكل اللغوي والتطور الذهني للطفل، الذي يسبقه تنسيقات وارتباطات غير لغوية كالألعاب التي تتكون من أجزاء يعيد الطفل تركيبها من أجل تشكيل الصورة الكاملة، وتعمل على

تلقيته كيفية لترتيب وتركيب الأشكال وأساس هذه العملية ذهنية ونفسية الذي تقوم عليه عملية تركيب اللغة.

إن العلاقة بين الجانب اللساني والآخر الاجتماعي وثيقة الصلة باكتسابات الطفل اللغوية فهناك بعض العوامل التي تسهم في بناء شخصية الطفل اللغوية فبعض الأطفال الذين ينتمون إلى أوساط اجتماعية راقية تتوفر لديهم مهارات لغوية وكفاءات معرفية رفيعة.

وهناك دراسات متخصصة في مجال تعليم اللغة للأطفال الصغار خصوصا أولئك الذين يعانون من مشاكل نطقية تعرف بالدراسات الأرتوفونية، تعتمد على ملاحظة السلوك اللغوي وتحليله لدى الطفل والعاجز عن الأداء اللغوي.

وتعتبر بعض الدراسات البراغماتية اللغة استجابة لمنبه خارجي وهي بهذا المفهوم تسلك سلوكا وظيفيا تعتمد في هذا السلوك على أسس عضوية فيزيولوجية فاللغة هي نتاج حركات مجتمعة متناسقة يؤديها جهاز التصويت (النطق).

وتتلازم هذه الوظيفة وتتطلب تنسيقا بين جهازي النطق والتنفس، هذه الأخيرة تتألف من ظاهرتين: ظاهرة ميكانيكية (الحركات التنفسية) و ظاهرة كيميائية (المبادلات الغازية $O_2 - CO_2$ - expiration-inspiration) والتي يتم من خلالها إدخال الهواء وإخراجه عن طريق عضلات التجويف الصدري والرئة، أما الظواهر الكيميائية فتتضمن المبادلات الغازية في الرئة ونقلها عبر الدم والتفاعلات التي تتم على مستوى الخلية، وتشكل أعضاء النطق حواجز في طريق الهواء الذي يخرج من الرئتين والذي بفضلها تتمايز الأصوات اللغوية.

وتكشف اللغة عن نشاط فكري ناتج عن تنسيق الحركات الحسية الحركية اللازمة لإنشاء الكلام ويكتب الشخص اللغة تدريجيا اعتمادا على مجموعة من الوظائف المرتبطة وفي هذا الكلام تفصيل قد يبعدنا عن الغاية المتوخاة من البحث وتتكون للطفل مجموعة من المعارف لها علاقة بعمل الحواس، في سن السادسة

والثانية عشرة من عمره، من خلال تناسق النشاطات الحسية والإدراكية التي تمكنه من إدراك العالم الخارجي بالموازاة مع إدراكه لذاته كتحديد الإتجاه مثلا، والذي يتم عن طريق تضافر عضلي عصبي، والطفل الذي يفرق بين المفاهيم الزمكانية ويحدد توقعه بالنسبة للعالم من خلال عملية التلقين والاكْتساب التي ترسخ في ذهنه أنه أكبر أو أصغر من أخيه مثلا، وأن السنة تنقسم إلى شهور والشهور إلى أسابيع والأسابيع إلى أيام والأيام إلى ساعات، وأنه يبدأ بالنهار ثم يأتي المساء فالليل، يمكنه عبر التكرار والحفظ والفهم من التفريق بين "الفوق"، "التحت"، و"القبل والبعد"... إلخ ومن ثم التفريق بين خ، ح، ج، ع، غ... إلخ، وأن المفعول به يأتي بعد الفعل والفاعل إلخ.

هذا عن طرق اكتساب اللغة السليمة وفي حالة ما إذا حدث أي خلل عضوي أو عصبي فسوف يؤدي بالضرورة إلى خلل في النطق وبعض الاضطرابات التي نذكر منها:

- التأخر اللغوي لدى الطفل:

إن بعض الأطفال ولأسباب معينة يعانون من مشاكل في اكتساب اللغة ويخفقون فيها، فقد يتجاوز سن الطفل الثلاث سنوات أو أكثر حتى سن ست سنوات وهو لا يزال يعاني من اضطراب أو ببطء أو ثقل في النطق أو استعمال الكلمات وتركيبها وحتى فهمها وتخزينها في ذاكرته، لهذا يجب التفريق بين الاضطرابات النطقية والاضطرابات اللغوية، فهناك علاقة طردية بين القدرات العقلية للطفل وإمكاناته اللغوية، والبيئة اللغوية المحفزة⁸ إذ يظهر تأثير البيئة ابتداءً من الأسبوع العاشر تقريبا فالأطفال الذين ينشأون في أسر يكثر فيها حديث الوالدين مع بعضهما البعض يناغون بدرجة أكبر وتنوع أوسع من الاطفال الذين ينشأون في أسر قليلة الحديث والحوار⁸.

في حين تأتي بعض هذه الاضطرابات من بعض الاصابات كالتعرض لنزيف أو تجلط دماغي أو التوقف عن النمو في بعض المناطق الدماغية وتعرف هذه

الحالات SLD إلى جانب عوامل أخرى تسهم تأخر اللغوي للطفل كضعف أو فقدان السمع والبكم وانخفاض القدرات العقلية بسبب الإعاقة الذهنية التي تختلف في شدتها من طفل لآخر حسب نسبة الإعاقة، كما تعمل الازدواجية اللغوية على التأثير سلبا على اكتساب الطفل أي بلغة خاصة إذا وجدت أكثر من لغة متداولة في البيت فاختلاف أنظمة كل لغة مبنى ومعنى قد يؤدي به إلى الخلط على مستوى إدراكه، إلى جانب هذه العوامل هناك مجموعة من العوامل الوراثية التي تسبب التأخر اللغوي، أضف إلى ذلك الولادة المبكرة "الأطفال الخدج" الذين يتضاعف لديهم هذا الاحتمال إلى جانب اضطرابات التوحد وفرط الحركة، وهناك حالة نادرة وهي حالة التوأم المتشابه الذي يتواصل الوالدان مع طفل واحد ويهملان الآخر فيميل الطفل الآخر إلى اختراع لغة خاصة يتواصل بها مع الأهل في غياب الرعاية الكافية وقد يستمر الأمر إلى خمس وست سنوات.

الهوامش :

- ¹ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة، صدر عام 1960، مادة الطفل.
- ² - محمد زيان حمدان، علم النفس النمو اللغوي، مجالاته ونظرياته وتطبيقاته المدرسية دار التربية الحديثة، 2002، ص192.
- ³ - Houde. O, vocabulaire des sciences cognitives . PUF. Paris, 2003, P14.
- ⁴ - نجم الدين على مروان، النمو اللغوي في تطويره في الطفولة المبكرة، مكتبة الفلاح 2005، ص63.
- ⁵ - عبد الكريم محمد شطناوي، تطور لغة الطفل، ط1، 1992، ص20.
- ⁶ - كرم الدين ليلي أحمد، اللغة عند الطفل، تطور العوامل المرتبطة ومشكلاتها، القاهرة 2001، ص83.
- ⁷ - Troadec B, psychologie du développement cognitif colin, paris , 1998 p22.
- ⁸ - نجم الدين على مروان، النمو اللغوي وتطويره في الطفولة المبكرة، مكتبة الفلاح 2005، ص69.

الإعلام الموجه إلى الطفل الجزائري وأثره على نموّه اللغوي

- دراسة تحليلية لنماذج مختارة -

الدكتور محمد سيف الإسلام بوفلاقة

جامعة عنابة، الجزائر

توطئة:

تعدّ مرحلة الطفولة مرحلة حاسمة، إذ تشهد تغيّرات عديدة على مختلف الأصعدة، ويعدّ النمو اللغوي من أهم الجوانب في هذه المرحلة، التي تتطور فيها شخصية الإنسان، وتتبلور بشكل سريع، ولذلك فالطفل يحتاج إلى توجيهه، ودعمه بالقيم التربوية التي تتسجم مع ثقافة المجتمع الجزائري، والتي تسهم في ترسيخ الهوية اللغوية، والثقافية لديه، ولذلك كان من الضروري أن يتناسب الإنتاج الإعلامي في حقل الأطفال مع درجة نموّهم النفسي، واللغوي إذ تتبدى مظاهر التطور اللغوي في ميادينه المتعدّدة، انطلاقاً من الفونولوجية التي يكتسبها الطفل في الأشهر الأولى، ثمّ يكتسب ذخيرة من المفردات مع نهاية السنة الأولى من عمره وصولاً إلى قدرته على التعبير، وبسرعة عمّا يحيط به وهذا من خلال احتكاكه بالمحيطين به الذين يسهمون في تطوره اللغوي.

ويبتذل هذا البحث في إطار علم اللغة النفسي⁽¹⁾ الذي اهتمّ بكثير من القضايا التي تتصلّ بكشف النقاب عن قدرة الطفل على اكتساب اللغة، التي تتجلى أهميتها من خلال الدور الذي تؤديه في حياة المرء، ولذلك تتبع أهميتها من أهمية الثروة اللغوية ذاتها التي يكتسبها الطفل.

ومن ناقل القول إنّ الإعلام له تأثير واضح، وفعال على لغة الطفل الجزائري سلبيّاً، وإيجابياً، فهو ينعكس على تطوّر الثقافة، والعلم، والوعي الاجتماعي، والسلوك

الإنساني، فالطفل عندما يتحدث إلى الآخرين لا يقتصر غرضه على التواصل والإعلام، وتبليغ أفكاره، أو تكوين علاقات اجتماعية مع غيره فحسب، فقد يكون هدفه التنفيس، وإخراج ما يحيش في صدره من أحاسيس فياضة، فهو لا يشعر بالراحة إلا إذا بثّ مكنوناته، وعبر عنها، ولا يستطيع تحقيق هذا الأمر، إلا إذا امتلك ذخيرة لغوية واسعة، أما إذا كانت ثروته اللغوية محدودة فسيعجز في التعبير عن هواجسه، ومشاعره، ممّا يعكس سلباً على نفسيته، وهذا ما يؤدي به إلى القلق واضطراب الشخصية، والتوتر...

ويهدف هذا البحث إلى إيضاح أثر الإعلام الموجه إلى الطفل على النمو اللغوي، وتنمية المقدرة اللغوية عند الطفل الجزائري، بصفتها أحد أبرز العوامل التي تؤثر في بناء شخصيته، مما يمكنه من التفوق التعليمي، والفكري، ويجعله قادراً على الانسجام الاجتماعي، والتوافق النفسي مع محيطه، والتفاعل مع أقرانه إذ أنّ اتساع الحصيلة اللغوية عند الطفل يؤدي إلى انفتاح شخصيته على المحيط واكتسابه الثقة بنفسه، كما ينجم عنه (الاتساع) نمو روح الجرأة الأدبية، والألفة عنده، فالمقدرة اللغوية لا تقتصر على امتلاك أكبر عدد ممكن من الألفاظ والكلمات، أو القدرة على الكلام، أو التواصل مع الآخرين فحسب، فهذه بعض مظاهرها، وأشكالها، وما نرمي إليه بقولنا المقدرة اللغوية هو أنها تتضمن عدة مهارات، وتتسم بالشمولية، ومن بين هذه المهارات: الكتابة، والفهم، والتفكير والتواصل، وتحصيل المعرفة، وكسب الثقافة وتحقيق الهوية. لأجل كل ذلك، يسعى هذا البحث إلى الكشف عن أثر الإعلام الموجه إلى الطفل في الجزائر على تنمية الثروة اللغوية لديه، وإبراز محطات اكتسابها على مختلف المستويات الدلالية واللفظية، كما يبيّن العوامل الإعلامية المؤثرة فيها ويوضح أساليب تنميتها من خلال تحليل ودراسة قصائد شعرية منتقاة- قُدمت في برامج إعلامية ذائعة الصيت، وموجهة إلى الأطفال، وقد ثبت أنّ نسبة عالية من الأطفال الجزائريين يتابعونها- على مختلف المستويات، ولاسيما المستوى المعجمي الفني الذي يساهم

في تزويد الطفل بحصيلة لغوية متميزة، تسهم في اكتسابه ثروة لغوية، كما يُعين البحث مدى مراعاتها للخصوصيات اللغوية للطفل الجزائري، ومدى انسجامها مع مرحلته، ولا يقتصر البحث على الإشارة إلى الجوانب الإيجابية في الإعلام الموجّه إلى الطفل الجزائري، بل يُنبه كذلك إلى بعض الظواهر السلبية التي تؤثر سلباً على لغته.

وقد دفع الباحث إلى دراسة هذا الموضوع، وتسليط الضوء عليه أسباب مختلفة ومتعددة، من بينها ما لاحظته من فوارق بين الأطفال في مرحلة التعليم الابتدائي حيث إن بعضهم يتسم بضعف قدرته على التحصيل الدراسي، وعجزه على التعبير بتلقائية نظراً لضعف الثروة اللغوية لديه، بسبب عدم الاهتمام بالمطالعة، ومتابعة برامج إعلامية مفيدة تشجّع على القراءة، وتتميز بالجديّة في تقديم نصوص سردية (قصصية)، وشعرية (قصائد، وأناشيد) لطيفة، وفصيحة موجّهة إلى الطفل، بلغة طافحة بالجمال، وبسيطة، وسليمة، إضافة إلى ما شاهده (الباحث) من ندرة التركيز على مراعاة القدرات اللغوية، والعقلية للطفل في بعض البرامج الإعلامية، ولذلك فهو يُنبه إلى بعض القضايا المتصلة بسوء التخطيط، وضعفه، كما يُقدم جملة من التوصيات، والمقترحات التي تتصل بخصائص اللغة المعروضة في وسائل الإعلام الموجّه إلى الطفل، وينصح بالحرص على توظيف اللغة الجمالية، والتعبير الإبداعي والأدبي، الذي يتوخى الغاية الأدبية، والتوصيلية ويتميز بالإيحاء الشعوري، ويُخاطب الوجدان، مثلما يُخاطب العقل، ويُظهر الثقافة التي تتلاءم مع بيئة الطفل، والتوجّه الفكري الذي ينسجم مع مرحلته العمرية بتوظيف كتابة فنية إبداعية، تُسمى بالكتابة التوليفية، كما يقترح الباحث عدة اقتراحات من بينها السعي إلى انتقاء قصص من التراث الأدبي، والقيام بإعادة كتابتها، ومعالجتها بطرائق حديثة تنسجم مع بيئة الطفل المعاصرة، دون الإخلال بأصولها، وفكرتها، التي هي مستمدة من مصدر تليد، مع حسن اختيار الألفاظ وجودة التعبير عن المعنى.

إن أهمية هذا البحث تتجلى في مزجه بين الشق النظري، والجانب التطبيقي حيث يهتم بتحليل مجموعة من النصوص الأدبية الشائقة التي عرضت في برامج إعلامية متنوعة (منوعات الأطفال، ومغامرات الأطفال، والقصص العلمية، والأدبية والتسلية ذات المواقف...)، ويركز على خصائصها، ومستوياتها.

أولاً: الخصائص والسمات اللغوية للطفل في مراحل نموه المختلفة:

إن اللغة التي تقدم في وسائل الإعلام الموجه إلى الطفل يجب أن تتسجم مع مستوى نموهم اللغوي وتتفق مع درجة تقبلهم للألفاظ، والعبارات، والجمل، وقد حظيت الخصائص، والسمات اللغوية المتصلة بمراحل نمو الطفل باهتمام واسع من لدن علماء النفس، واللسانيات وعلماء الاجتماع، وفقهاء اللغة، ويقع الإجماع تقريباً على أن الطفل يُصدر في أيامه الأولى تعبيرات عن حالاته الجسدية، ويُحاول الربط بين أصوات يسمعها، ودلالات يفهمها، وما يصدر عن الطفل في الأيام الأولى من حياته هو عبارة عن صراخ، وفي الشهر الثالث ينطلق في اكتساب مختلف الإشارات المعبرة عن الألم، وينطلق بالضحك، أو ما يُعرف بالكغكغ في الشهر السادس، وعند بعض الأطفال في الشهر الثامن، فالنمو اللغوي عند الطفل يمر بثلاث محطات رئيسية هي:

1-مرحلة الصياح أو الصراخ: يصف أصحاب النظرية التواصلية الصراخ بأنه تواصل غير لغوي، فهذه المرحلة تدرج في إطار المرحلة ما قبل اللغوية، أو مرحلة ما قبل الكلام، حيث تكون حصيلة الطفل الصوتية عند الولادة محصورة في الصراخ أو الأصوات التي هي نتيجة طبيعية لضغط الهواء الداخل إلى الرئتين أول مرة وأهمية هذه المرحلة تكمن في تدريب الجهاز النطقي للطفل على أداء الأصوات اللغوية المختلفة، وتتجلى من الناحية الفسيولوجية، والناحية اللغوية (2)

2-مرحلة المناغاة: وتطلق هذه المرحلة من الشهر الثالث، أو ابتداءً من منتصف الشهر الثاني، وتستمر إلى غاية نهاية السنة الأولى من عمره، وفيها يُناغي الطفل نفسه بأصوات متفرقة، وعشوائية، ثم يشرع تدريجياً في الاستجابة

إلى أصوات غيره من الذين يُحيطون به، كما يصدر عدة أصوات شبيهة بأصواتهم، فهو مُقلد في هذه المرحلة، وهناك من يُسمي المرحلة التانيّة بمرحلة البأبأة، نظراً لترديد الطّفل لحرف الباء، وقد لاحظنا أنّ بعض العلماء يُقسمون هذه المرحلة إلى شقين: من الشهر السادس إلى الثامن، تكون فيها مقاطع مكرّرة تقترب من الكلمات، ومن الشهر الثامن إلى العاشر تُدعى بالمناعة غير المكرّرة ويذهب أصحاب فرضية اللام استمرارية إلى أنّه لا توجد علاقة بين المناعة والسلوك اللغوي، ويرى بعض الباحثين أنّ هناك مرحلة صمت تقع بين المناعة ونطق الكلمات الأولى، ولعل أبرز ما يؤثّر في تطوّر المناعة التمييز السّمعّي، إذ يُفرق الطّفل بين الأصوات التي يصدرها هو، وبين الأصوات التي تصدر من حوله، كما تتطوّر المناعة نتيجة الإحساس بالقدرة، إذ أنّ العامل الوجداني يكتسي أهمية كبيرة، وهو الذي يُحفّز الطّفل على مواصلة المناعة وينبع ذلك من إحساس الطّفل بالقدرة على إصدار الأصوات، كما أنّ هذه المرحلة تتطوّر بفضل التعزيز حيث إنّ الأمّ تسعد عندما يصدر الطّفل تلك الأصوات، فتقوم بتكرارها مما يُشكل حافزاً للطّفل حتى يُكرّر الأصوات (3).

3-مرحلة الكلام: وهذه المرحلة تنقسم إلى قسمين: مرحلة اللّغة الصّغيرة ومرحلة اللّغة المشتركة، أو لغة الجماعة، وفي هذه المرحلة يتبدى تأثير المجتمع في الطّفل حيث تظهر تأثيراته عليه، وتُسمى أيضاً هذه المرحلة بمرحلة استعمال اللّغة، أو مرحلة النّمو اللغوي، وهي تنطلق مع نهاية السّنة الأولى من عمر الطّفل ففي هذه المرحلة يحتاج الطّفل بشدّة إلى وجود وسط اجتماعي مشجع، ففي الشّق الأوّل من هذه المرحلة تظهر طلائع الكلام، وتبدأ النّروة اللغويّة بالنشوء، والنّمو المتدرّج، فأوّل نطق لغوي للطّفل يبدأ بالكلمات، ثم يزداد حجم الذّخيرة اللغويّة ويتوسّع نطق الكلمات، إذ يستخدم الأطفال جملاً مكوّنة من كلمتين، ثمّ من ثلاث كلمات، كما يستخدم الأطفال أدوات ربط غير صحيحة، وتتسم لغة الأطفال في هذه المرحلة بالتمركز حول الذات، وعدم الدّقة، والوضوح، والميل إلى التعميم، ونجد

من يُقسم هذه المرحلة النهائية للطفل في تطوره اللغوي إلى المراحل الفرعية التالية:

أ- مرحلة الكلمة الواحدة. ب- مرحلة الكلمتين. ج- مرحلة الأكثر من كلمتين. (4)
إنّ هناك عدة مؤثرات قد تساهم في التأثير على هذه المراحل، وتسهم في تمهيتها ولعل أبرزها انعكاس التطورات التكنولوجية، ووسائل الإعلام على التحولات الطبيعية لمختلف مراحل نمو الأطفال اللغوي، وجل الدراسات تشير إلى ضرورة الجمع بين المستويات النفسية، وسماتها، وخصائصها، والمستويات اللغوية والأدبية، وهذا ما يُعرف بمراحل النمو اللغوي، والتي تنقسم إلى:

أ- مرحلة ما قبل الكتابة (من 3 سنوات إلى 6 سنوات تقريباً): وهذه المرحلة هي التي تسبق بداية تعلّم الكتابة، وتُسمى أيضاً بمرحلة الواقعية، والخيال المحدود بالبيئة، ونلاحظ فيها ميلاً من قبل الطفل إلى وسائل الإعلام التي تربط القصص بالحيوانات، والطيور، وتتسم هذه المرحلة بقلّة النمو الجسمي بعض الشيء مقارنة بمراحل أخرى، وفيها يتعلّق الطفل بالقصص الخيالية، والحكايات الخرافية، ولذلك نجد من يسمي هذه المرحلة بمرحلة الخيال الإيهامي، فالطفل لا يستطيع فهم مدلولات اللغة، لذلك فمن الأفضل توجيهه إلى البرامج الإعلامية التي تُقدّم القصّة عن طريق التعبيرات الصوتية، والشفوية بالكلام واللجوء إلى التمثيل والقيام بحركات تُسهل عليه الفهم، أو يُمكن تقديم أناشيد وقصائد موجهة إلى الطفل في برامج إذاعية تكون مُسجلة، لأنّ خيال الطفل في هذه المرحلة يكون حاداً ويغلب عليه التفكير الحسي الذي يتعلّق بأشياء محسوسة ولموسة والتفكير بالصور الذي يستعين فيه بالصور الحسية المختلفة، ولا يُمكن أن نُغفل أن تطوّر لغة الطفل يعتمد اعتماداً كبيراً على مستوى النمو الجسمي، والعقلي والانفعالي، والنفسي ولاسيما نمو أجهزة الجسم التي لها صلة بعملية النطق، أمّا استخدام اللغة، فإنه يعتمد إلى درجة كبيرة على تعلم الطفل لمفردات اللغة، وطرائق بنائها في أنساق لفظية

فالطفل يُلْفِي أَنْ اللّغَةَ تتعلّق بحاجاته، ومتطلّباتها، وتتّصل بها اتصالاً وثيقاً ممّا يُشجّعه على تعلّمها، واكتسابها⁽⁵⁾.

ب-مرحلة الكتابة المبكّرة (من 6 سنوات إلى 8 سنوات تقريباً): في هذه المرحلة يكون الطّفل قد تعلّم فنيّات القراءة، والكتابة، حيث إنّهُ يكون قد ألمّ بكثير من القضايا والخبرات المتعلّقة ببيئته، وفي هذه المرحلة يحتاج إلى البرامج الإعلاميّة التي تُتمّي الجانب الأخلاقي، والتربوي باستخدام القدوة، والعبرة والتّمثيل⁽⁶⁾، وخاصة القصص التي تُركّز على الجوانب الإرشاديّة والتّعليميّة وتوجه الأطفال إلى القيم والمثل العليا، وتعمّق الشّعور بالانتماء إلى الوطن العربي، كما تلفت انتباه الطّفل إلى الاهتمام بجمال الوطن، والتأمّل في طبيعته، فضلاً عن الدّعوة إلى الاعتزاز بالدين الإسلامي الحنيف، وقيمه الأخلاقية الرّفيعة، والدّعوة إلى الاعتزاز باللّغة العربيّة والتّمسك بها، والحث على العلم، والمعرفة، والارتباط بالمؤسّسات التّربوية (المدرسة)، مع إبراز القيم التّربوية، والمدرسيّة، وإيضاح القيم الاجتماعيّة النّبيلة (العادات والتقاليد الفاضلة)، وتبنيّ القيم الأسريّة، والبيئيّة، وقيم التسليّة، والتّرويح عن النّفس، والقيم الأخلاقية الرّفيعة مثل الابتعاد عن الغرور التّاكيد على شرف العمل، والاجتهاد وفي هذه المرحلة تتّسم مقدرة الطّفل على فهم اللّغة المكتوبة بالمحدوديّة، لذلك من الأفضل التّركيز على تلقينه بعض القصص والأناشيد والقصائد الشّعريّة عبر التّصوير وعبر وسائل الإعلام، مع الاستعانة بالرّسومات التّوضيحيّة، والحرص على الابتعاد عن العبارات الغامضة، والصّعبة.

ج- مرحلة الكتابة المتوسطة (من 8 سنوات إلى 10 سنة تقريباً): تتميز هذه المرحلة بارتفاع الحصيلة اللّغوية، بعد أن تعلّم الطّفل القراءة، والكتابة، ومن الأفضل في هذه المرحلة القيام بتشجيع الطّفل على القراءة، وتقديم عبارات سهلة ومتداولة، ومألوفة لتنمية حصيلته اللّغوية، وتزويده بالكلمات القريبة من محيطه.

د-مرحلة الكتابة المتقدّمة (من 8 سنوات إلى 10 سنة تقريباً): في هذه المرحلة يتقدّم الطّفل بسرعة، إذ يتّسع القاموس اللّغوي عنده بشكل لافت للانتباه فالثّروة

اللغوية عنده تتجلى في أربعة جوانب، هي: نسبة اتساع المعجم اللغوي لديه، ومدى قدرته على التمكن من التعبير الشفهي، والكتابي، ومدى طلاقة وسلامة نطق الحروف ومدى فهمه لمدلولات الكلمات، فالقاموس اللغوي عند الطفل ينطوي على الكلمات التي يتلقاها، ويستوعب مدلولاتها الحقيقية، ويستخدمها، فقاموس الطفل يتجلى في شقين: الكلمات التي يعرف دلالاتها عند الاستماع، أو القراءة والكلمات التي يستخدمها، وبعض العلماء يُحدّدون القاموس اللغوي للطفل بأربعة أقسام: القاموس السمعي، والقاموس الكلامي، والقاموس القرائي، والقاموس الكتابي (7).

هـ-مرحلة الكتابة الناضجة: (من سن 12 إلى 15 سنة تقريباً): إنّ هذه المرحلة تتسم بالامتلاك النهائي لخاصية اللغة، ولعل أفضل الطرائق لتمكين الطفل من اكتساب لغة سليمة، وتعزيز ذخيرته اللغوية هي تشجيعه على القراءة في مرحلة النضج.

والجدير بالذكر أنّ هذه المراحل تعرف تداخلاً، واختلافاً بين شتى البيئات والمجتمعات، كما تجدر الإشارة إلى أنّ درجة التقدم العلمي تؤثر بشكل كبير في إنتاج الفروق الفردية بين الأطفال، فالحاسوب على سبيل المثال يُسهم في تنمية المقدرة اللغوية عند الطفل، إذ يستطيع التعامل مع الحاسوب قبل السنة الرابعة من العمر، وينمي وعيه، ويقوي مداركه، ويزيد من حدة نشاطه، كما يوفر الحرية وعدم الخضوع لنظام المدرسة، ويسهم في اختياره للموضوع، ويطور الطفل بوساطة الحاسوب مهارته في القراءة، والكتابة، والفهم، والاستيعاب، والرسم وإعداد البرامج كما يعزز ذخيرته من خلال سماع اللغة العربية الفصيحة، وهي تؤدّي إلى الأداء السليم، والجميل عن طريق برامج تلاوة القرآن الكريم، وإلقاء الشعر، ويساعد الحاسوب الطفل على التخلص من كثير من مشكلات النطق والسلوك كالتلعثم، والتردد، والارتباك، ويُقدم له مساعدة كبيرة على النطق الصحيح للأحرف اللثوية، والحروف القمرية، وخاصة الجيم، والحروف الشمسية، ويمكنه من قراءة الأعداد المكتوبة بالكلمات، وتطبيق كثير من القواعد، كما يعلمه فن

الإلقاء، والخطابة والمحادثة، وإجراء المقابلات، والحوار، ويوفّر له قراءة سهلة وواضحة ممتعة (8). والحق أنّ النمو الإدراكي للطفل، الذي يستطيع من خلاله أن يُفسر، ويُصدر بعض الأحكام، ويصبح ذا وعي، يمر بأربع محطات رئيسة، هي: المرحلة الحسية الحركية التي يغلب عليها الرّمز للأشياء بكلمات، وعبارات ومرحلة ما قبل العمليات، والتي تنطلق من نهاية السنة الثانية، وتمتد إلى حوالي السنة الرابعة، وتتسم بأنّ الطفل تُصبح له القدرة على التفريق بين أوجه التشابه والاختلاف بين الأشياء، كما يتمكّن من تصنيف الأشياء إلى مجموعات، ومرحلة العمليات الحسية التي تمتد إلى السنة الثامنة، وفيها يستطيع الطفل أن يحل مشاكله المادية عن طريق استخدام الحواس أمّا المرحلة الأخيرة فهي مرحلة العمليات المجردة، وأهم ما يميّزها اكتساب الطفل للقدرة على استخدام المنطق، ووضع الفرضيات من خلال عمليات عقلية مجردة، أي أنّه ينطلق في استعمال تفكيره من أجل حل المشكلات (9).

ويبقى للطفل عالمه الخاص الذي يختلف كل الاختلاف عن عالم الكبار، فله لغته التي تتسجم مع نمو حواسه، وإدراكه، وعندما يسمع، ويُشاهد من حوله، فهو يسعى إلى التعبير بلغته الخاصة، وذلك بإعادة صياغتها، وتوليدها من لغة الآخرين، ذلك أنّ الطفل يملك طاقة استيعابية هي التي تتحكّم في ما يسمع، وفي الأداء، وهذا ما يُسمّى بالكفاية اللغوية الفطرية، ولا يُمكن تصحيح لغة الطفل، لأنّه لا يُدرك الفروقات بين كلامه، وكلام أهله، ولذلك فلغة الطفل تمر دائماً بمراحل تتناسب مع نموه العقلي، ويبقى الدور الأكبر للأهل، والبيئة التي تنمي لغته، وتوفّر له المادة اللغوية التي تمكنه من اكتشاف لغته، وقواعدها (10).

ثانياً: الإعلام الموجه إلى الطفل الجزائري ودوره في تنمية الثروة اللغوية:

شهد العالم في العصر الحديث ثورة كبيرة في وسائل الإعلام، والاتصالات التي تتطور تطوراً مدهشاً، وهائلاً، والطفل الجزائري يكتسب ثروته اللغوية من خلال المحيطين به، ومنها الأسرة، والمجتمع، والمدرسة، ولكن هناك عوامل أخرى ذات أهمية

بالغة في تنمية لغة الطفل، ومن أبرز هذه العوامل وسائل الإعلام، والاتصالات مثل: المذياع (الراديو)، والتلفاز، والهاتف، والحاسوب والشبابة (الأنترنت)، وهذه الوسائل تتفاوت من حيث قدرتها على تنمية الثروة اللغوية عند الطفل، وهذا يرجع إلى مدى الانتشار وحجم تعلق الطفل بهذه الوسائل فالطفل يلتقي عن طريق هذه الوسائل بغيره من المتكلمين الذين يتحدثون لغته ويصغي إلى حواراتهم، ويتأثر بها، فتعلق بذهنه وبذاكرته كثير من الألفاظ والكلمات العربية الفصيحة، فيختزن دماغه جملة من الألفاظ، والتراكيب التي تتردد في الوسائل الإعلامية، وذلك على قدر إصغائه إليها وبمقدار ما يمتلك من فطنة ونباهة، ومقدرة على الربط، والتّمييز والتقليد، والحفظ وهذا ما يُمكنه من تعزيز قاموسه اللغوي، وإثراء معجمه، وتوسيع ذخيرته اللغوية (11) ومن أهم وسائل الإعلام التي تُسهم في إثراء المعجم اللغوي للطفل الصحافة الأدبية الموجهة له فهي أحسن وسيلة لتشجيعه على القراءة، وإثراء قاموسه اللغوي فالصحافة المكتوبة وسيلة جيدة للاتصال بالطفل، فالإتصال هو أساس كل تكيف وتفاعل، وهو ضرورة لا غنى عنها، إذ أنّ الطفل في مختلف محطاته الحياتية يعيش في اتصالات مستمرة لا تنتهي من أجل إشباع حاجاته المختلفة، ورغباته المستمرة تنهض على مشاركة الآخرين من أجل اكتساب المعارف، والأفكار، والخبرات التي يحتاج إليها حتى ينمو عقلياً، ولذلك تهتم عدة مؤسسات بصحف الأطفال، ومجلاتهم نظراً لأهميتها الاستثنائية في تكوين الطفل وإعداده، ومن حق الطفل أن يتذوق الأدب الذي يُنمي فيه الجوانب الجمالية، والفنية فهو تعبير عن حكمة الإنسانية، وقد تنوّعت الصّحف الموجهة إلى الأطفال ما بين صحف مصوّرة، وحائطيّة، ومطبوعات متنوّعة، وهي تنهض على مقومات رئيسية، لا يُمكن تجاوزها، ولعل أبرزها الاهتمام ببحوث الطفل، والتّسيق والتّفاعل بين صحافة الطفل، ومختلف وسائل الإعلام التي تخاطب الطفل، والاستفادة من مختلف الأساليب التي تجذب انتباه الطفل، وتثير اهتمامه، وتنبث فيه الشّوق إلى القراءة، ولا بد من مراعاة قواعد، وأسس مخاطبة الأطفال عن طريق الحرص على

قواعد الكتابة السهلة الواضحة، وتركيز الاهتمام على الظروف المحيطة بالطفل⁽¹²⁾. ومن أهم الأهداف التي يسعى إليها الإعلام الموجه إلى الطفل تزويده بالحقائق المتنوعة، والمعارف المختلفة، وإمتاعه من خلال اللغة الموظفة، والترفيه عنه وتسليته، وإشباع رغبته في الاستمتاع بجماليات القصة، والقصيدة الشعرية الجميلة والصورة الجذابة، وتدريبه على تذوق الفن، والجمال، وذلك عن طريق تربية حواسه وتنمية قدراته الإبداعية، والفنية عن طريق الحرص على تنميق الرسوم والألوان والصور، والنصوص، كما يجب العمل على توجيهه، وتعويدته على القيم الحميدة والفاضلة، من خلال تقديم مضمون هادف بأسلوب شائق يُناسب الأطفال ويُشوقهم مما لا يشوبه شك، ولا يُخامر أدنى ريب أن صحافة الأطفال لها دورها البالغ في تنمية الثروة اللغوية عند الطفل والإسهام في نموه عقلياً، وعاطفياً، واجتماعياً وتمدهم بذخيرة حيّة من المعلومات وتؤثر في بناء الاتجاهات التي تنمي وجدان الطفل في شتى المجالات، ومختلف الميادين⁽¹³⁾.

وينبغي التأكيد على أن الإعلام قد يحمل الغث، والسمين معاً، والضار والنافع في الآن ذاته، ولكن هذا الأمر لا يصرفنا عن الفوائد الجمّة، والثمرات التي ترتجى من الإعلام الموجه إلى الطفل، فالقصة التي تُعرض في الإعلام المرئي (التلفزيون-السينما) تقوم بوظائف عديدة، ومتنوعة تنتوع بقدر تنوع طبيعتها من متعة، وبهجة ومن معرفة، وثقافة، وخيال علمي، ومن تنمية نفسية، واجتماعية وتربوية، والأهم من كل ذلك أنها تُقدّم مادة لغوية، وتثري قاموس الطفل، وتعلّمه أوليات الكتابة، والقراءة والنطق الصحيح، وتوجهه إلى الربط بين الدلالة البصرية والسمعية، فضلاً عن تقديمها النصيحة، والمعلومة الصحيحة من مختلف الجوانب الاجتماعية والاقتصادية والفكرية، والدوقية، وبذلك يقع الانسجام، والتكامل بين الجانب الروحي، والجانب المادي، والحق أن الأجهزة الإعلامية الراقية، والمفيدة قد تقوم بدور يُنافس دور المدرسة، بل قد يتفوق عليها، ولاسيما عند تقديم المادة القصصية بشكل جيد، عندما تتضافر الجهود، ويقع التعاون بين الإعلاميين

والتربويين، على نحو ما تمّ من نجاح وتمييز كبير في برنامج (افتح ياسمسم) (14) على سبيل المثال، فمن أهم الأدوار التي تؤديها قصص الأطفال تنمية الثروة اللغوية للطفل، وصيغ التراكيب اللغوية الصحيحة، وبذلك فهي تُجنبه الوقوع في الأخطاء، وتُمكنه من معرفة اللغة التي يتعلّم بها، ويتخاطب بها مع أقرانه العرب ولاسيما في ظل وجود ما يُعرف بالازدواجية اللغوية، واللغات الشعبوية المتعدّدة في إطار البلد الواحد، والشعب الواحد على مستوى الوطن العربي، فالقصص تُعلّم اللغة العربية الفصحى الوسطى، وترتبط عملية التنمية اللغوية للطفل بمساعدته على التّخاطب السليم بلغته، ذلك أنّها تُعلّمه النطق الدقيق، من حيث سلامة مخارج الألفاظ، وجودة الإلقاء، وتنمية قدرته على التّعاظم مستقبلاً مع الأعمال الأدبية الراقية، كما أنّها تُنمي روح الانتماء إلى الوطن، وهذا الأمر يتبدى في القصص التي تُبرز الوطن لا كصورة شاعرية مجردة، وإنّما بصفته يشكّل منبئاً للخير والنماء، والعطاء، وتعمل قصص الأطفال على تنمية الميول القرائية في شخصيّة الطفل، إذ تُحببهم في المطالعة، والقراءة، والتأمّل في الكتب، والمجلات والصّحف التي تحتوي على أقسام خاصة بالأطفال، وهذا ينعكس إيجاباً على تنمية المقدرة اللغوية، ورفع حصيلة المعجم، فحب الطفل لوسائل المعرفة يخلق في نفسه حالة من الشّعور، والاندفاع، والانسجام تتمثل في تفاعله، واندماجه مع المادة القرائية وعشقه لها، بغرض إشباع حاجاته، وإثارة عواطفه، وانفعالاته، وهو تنظيم وجداني يتّسم بالثبات، ويُعطي الفرد انتباهاً، واهتماماً لموضوع محدد، كما يشترك في أنشطة إدراكية، أو عملية ترتبط به، ويشعر بقدر من الراحة في ممارسته لهذه الأنشطة (15). وتختلف معايير، ومقومات القصص، والقصائد التي توجه إلى الطفل من إنسان إلى آخر، ويجب الحرص على عرض الكتب الجيدة في وسائل الإعلام ولعل أبرز عنصر بالنسبة إلى القصص التي تُعرض في وسائل الإعلام هو التشويق الذي ينطلق مع بداية الكتاب، ومقطعه الأول مهم جداً، لأنّه بناء عليه يُحدد الطفل إذا كان يرغب في استكمال قراءة الكتاب، أم لا، لذلك فالبدائيات تكتسي

أهمية بالغة، ومن الأحسن أن تنطلق من نقطة مثيرة تشدّ انتباه الطفل، حتى تكون موفقة، والكتاب الجيد هو الذي يُنمي السلوك الاجتماعي، ويضع الخطط بالنسبة إلى الحياة في المستقبل، ويزيد من معارف الطفل، ويضعه في أدوار الكبار، وذلك من خلال توظيف اللعب، والتخيل، حتى يستطيع تخيل حياته في المستقبل، كما يُنمي ملكة الخيال لديه فعنصر الخيال في كتب الأطفال مهم جداً، كونه يتصل بالإبداع ومن الأفضل أن يكون كتاب الطفل مسهماً في الإحساس بالكلمة، ومعناها، ويُنمي المدارك اللغوية، فحن نُفكر عن طريق اللغة، ونؤثر بها على طرائق تفكير الطفل⁽¹⁶⁾. والرسوم المتحركة التي هي في أصلها مجموعات قصصية موجهة إلى الطفل عندما يتم تجسيدها بلغة عربية فصيحة تُسهم في تنمية اللغة العربية، من خلال كلام الشخصيات، والحوار بينها، كما أن البدايات الغنائية المنشدة بلغة عربية فصيحة تعد من الأشكال المحببة للأطفال، حيث يُساعدهم جمال اللحن، وسهولة الكلمات على حفظها، وترديدها، مما يُنمي قاموسهم اللغوي بشكل واسع.

وقد بينت أغلب الدراسات الأكاديمية العربية الرصينة أن الأطفال العرب يفهمون اللغة العربية الفصحى، على الرغم من ضعف قدرة بعضهم على التحدث بها، ذلك أن مهارة الفهم اللغوي، تختلف كثيراً عن مهارة الإنتاج اللغوي، وهذا يُنبه إلى قضية جوهرية وهي أن زيادة المعاني، واتساعها تجعل مدارك الطفل نامية، فاللغة العربية لا تُسبب أي عوائق للطفل في فهم الرسائل الموجهة إليه باللغة العربية، حيث يتم استيعابها بسهولة، ولا بد من استخدام خصائص لغوية مناسبة للطفل، وفقاً لمرحلته العمرية، إذ يجب مراعاة بعض الجوانب اللغوية، ولاسيما فيما يتصل بسلامة الأسلوب الذي يُخاطب به الطفل، والذي يجب أن يعتمد على استخدام الجمل القصيرة، ولا بد من الابتعاد عن الجمل المعقدة، أو الاعتراضية، أو الكلمات الغامضة، والغريبة، والحوشية، ذات الجرس الثقيل على الأذن، ومن الأحسن استعمال أسلوب الطلب من أجل التشويق، مع الابتعاد عن المجازات والاستعارات الصعبة، والكنائيات ذات الدلالات البعيدة، والتي لا تتفق مع مدارك

الطفل، فالأفضل دائماً أن يتم استخدام الأساليب اللغوية المستوحاة من عالم الطفولة، والحرص على الكلمات، والألفاظ المفهومة، والواضحة التي هي سهلة المخارج، ويُستحسن استخدام الأفعال في الجملة، حتى يتعود الطفل على دلالة الحركة الزمنية في اللغة، مع مراعاة العبارات البسيطة المُنسجمة في تسلسلها المنطقي، ومعناها مع الحقائق، والواقع المحيط ببيئة الطفل، مع البعد عن العبارات المجردة التي قد تجنح نحو الخيال المطلق.

ومن السليبيات أن يتم استخدام العامية في دبلجة الرسوم المتحركة الأجنبية أو أن يتم استخدامها مباشرة في الرسوم المتحركة، فهذا الأمر يؤدي إلى عدم وجود لغة نموذجية بالنسبة إلى الطفل، وهناك عاميات كثيرة في الوطن العربي وهذا يجعل الطفل العربي يتعرف على عامية مغايرة للعامية السائدة في بلاده مثلاً: العامية المصرية بالنسبة إلى الطفل الجزائري، ومن السليبيات التي يؤديها استخدام العامية تحريف اللغة العربية، حيث يتم نطقها نطقاً سيئاً يبتعد بها عن الفصاحة ويشوه لغة الطفل، فإذا رسخت اللغة العربية محرفة في ذهن الطفل، فمن الصعب جداً تصحيحها⁽¹⁷⁾. ومما لا يشوبه ريب أن الصحافة الموجهة إلى الطفل، وفي طليعتها المجالات تؤدي بالطفل إلى محبة القراءة، وكلما قرأ اكتشف لغة جديدة. وسيلفي نفسه بعد القراءة، والاطلاع، في كل مرة يكتسب تعبيرات جديدة، وأساليب إنشائية بليغة، ومفردات فريدة، ومعارف لغوية مبسطة، ولكي تحقق مجالات الأطفال هدفها في إيصال اللغة، وتنميتها عند الأطفال، يجب إدراج المفردات اللغوية في برامج التسلية حتى تصل الرسالة بطريقة محببة إلى الطفل، وهو يُمتع نفسه، ولا بد من ضبط الكلمات بالشكل الصحيح لتمكين الأطفال من قراءتها قراءة جيدة، ولاسيما أواخر الكلمات في أقسام الزوايا اللغوية، ولا بد من توضيح الكلمات، أو العبارات فهناك بعض الحروف متشابهة، وقد تختلط على الطفل المبتدئ مثل: الدال، والراء، والذال، والزاي، كما يجب التنبيه إلى التفريق بين الحرف المضعف، وغير المضعف، فهذا الأمر له اعتباره في جداول الكلمات

المفقودة، والكلمات المتقاطعة، وكذلك التفريق بين الألف المقصورة، والياء (18). والحق أن التركيز على السرد القصصي، والأنشيد التي هي قصائد مسرودة بطرائق تربوية، وفقاً لمنهجية سليمة تُنمي ذاكرة الطفل، وتوسعها، وتؤثر في قدرته على التذكر، فالترابط الفكري يُساعد عملية تخزين المعلومات، وأدب الأطفال يجب أن يحرص على التنظيم المنهجي، وينتبه كتابه إلى ضرورة متابعة مستجدات علم النفس، والتربية، وعليه أن يستثمر الدراسات الحديثة التي تمكنه من التفاعل مع عقل الطفل، ووجدانه، وسلوكه، وعليه استخدام الصور الفنية الجذابة التي تُبعد الملل، كما عليه أن يستخدم لغة جميلة، ومبسطة، ويجب التركيز على الجوانب الجمالية، والوظيفية في اللغة، فهناك بعض الفوارق بين الكتابة الوظيفية، والكتابة الإبداعية الفنية، حيث إذا اشتملت اللغة على جمال أداء الفكرة، وحُسن صياغة الأسلوب أضحّت تلك الكتابة كتابةً فنيةً إبداعيةً، وإن أدت هذه الكتابة أفكارها ومقاصدها بلغة سليمة، وواضحة، وليست فيها رمزية، ولم تعتمد على أسلوب بياني جميل أصبحت كتابةً وظيفيةً، ولذلك فالمسألة تتصل بالوظيفة التي تؤديها اللغة، إذ أن وظيفة اللغة في الأدب ترتبط بالجمال، وجمالية التشكيل، وتظل وظيفتها جمالية في المقام الأول، أي أن غايتها التصوير إلى جانب وظيفتها التوصلية، إذ أن هناك الجانب النفعي، والجانب الجمالي (19). ويرتبط التذوق بجملة من الجوانب الجمالية، فتذوق الشيء، يُقصد به كما يرمي إلى ذلك جاكسون في معرض حديثه عن التذوق، هو إدراك قيمته إدراكاً يجعلنا نشعر به شعوراً شخصياً مباشراً، وفي الآن نفسه نشعر حياله برابطة وجدانية، تدفعنا لتقديره، وحبّه والاندماج فيه بحرارة، وحماسة نظراً للجمال الذي أضفاه على أنفسنا، وللتذوق على هذه الصورة أهميته الخاصة في مجال التربية، كما يشير إلى هذا الأمر الباحث أحمد نجيب، وذلك لجملة من الأسباب منها: إنه يحوي بين طياته إدراكنا لقيمة الشيء، وتعلقنا الوجداني به، ومن الطبيعي أن يكون أعظم رسوخاً في النفس، وأطول بقاءً، وأكبر تأثيراً ما سواه من الأمور التي يتعلمها الفرد، كما أن

اللغة، وما تضمنه من تراث أدبي، هي وسيلة من الوسائل التي تمكننا من معرفة عالمنا الحاضر، وماضيه، ومن خلالها يصل إلينا التراث الإنساني، وما لم نصل إلى درجة مناسبة من فهم اللغة الجمالية، وتذوقها، فلن نتمكن من فهم هذا التراث وتذوقه حق التذوق، وعلى الإنسان أن يعنى بانتقاء ألفاظ لغوية لها جمالية، وفهم دقائقها، واستعمالها بوضوح، وتحديد، وهو أمر لا يتم بصورة مرضية ما لم نصل إلى مرحلة التذوق الجمالي للغة، وللتذوق صلته الوثيقة بالتذوق السليم، وتكرار التذوق يُمكن الفرد من معايير ذوقية، وجمالية سلبية قد تتعكس على تصرفاته الأخرى، فنراه يُحسن التمييز، فيقدر كل ما هو جيد، وجميل، ويهدف في عمله إلى الإجابة، والإتقان، ولا ريب في أن التذوق اللغوي يزيد من استمتاع الفرد بلغته الجميلة، حينما يستعملها في الحديث، أو الكتابة، أو القراءة، وقد يفتح له آفاقاً رحبة فسيحة في رياض الفكر، وحدائق الأدب الغناء، وآفاق العلم، والمعرفة⁽²⁰⁾، ويرتقي التذوق الجمالي بالجمهور من خلال وسائل الإعلام، ولو أخذنا القصة نموذجاً، ففي الأدب القصصي الموجه إلى الطفل «ما يُنمي هذا ويثريه، إذ ينعكس ذلك على وجدان الجمهور، وروحه، ووعيه، ويكسبه دقة الملاحظة، وإدراك المعنى والمفهوم، والإيحاء، والخيال، وغير ذلك من مهارات تطور عمل الحواس، لاسيما إذا أحسنا اختيار النص القصصي، ووجهنا الطفل إلى إدراك مواطن الجمال في النص، ونمينا لديه عادة القراءة الذاتية...، والتذوق شيء مهم في حياة الإنسان في كل زمان، ومكان، وعله أكثر دواماً، واستمراراً من الإنسان ذاته، لأنه ينعكس على ما يتركه الإنسان في حياته، وبعد مماته، فيصبح بذلك أكثر من الإنسان خلوداً، والدليل على ذلك ما نراه في آثار الحضارات المتعاقبة على مر السنين... والتذوق العام بمقدور الأمم، والأفراد أن يعملوا على ترقيته، والنهوض به، وأن تغرس في نفوس الناس عشق الجمال، والإحساس به، واستجلاء محاسن الطبيعة ومظاهر عظمة الخالق فيها، وفي ذلك تتدخل عوامل الشعور العام في البيئة الذي يؤثر بدوره في تنشئة الذوق، وبثه، وتنميته في نفوس أبناء هذه البيئة»⁽²¹⁾. وقد

أضحى الفرق بين اللغة الجمالية، والكلام العادي بيئاً، وواضحاً «فاللغة الجمالية، أو الأدبية تتوخى غايتين: غاية أدبية، وأخرى توصيلية، وهذا يعني ازدواجية الوظيفة للأداء اللغوي الأدبي، وأحادية الوظيفة للأداء اللغوي الوظيفي، ولذلك فهناك فروق بين التعبير الوظيفي، والتعبير الإبداعي الجمالي، إذ إن التعبير الوظيفي تعبير موضوعي، الكاتب فيه غير مشغول إلا بالمسألة التي يريد توصيلها، فلا تظهر عواطفه، أو مشاعره، أو مواقفه، وتظهر الكتابة الوظيفية على شكل قوالب، مثل: التقرير، والخبر، والتحقيق، أما التعبير الأدبي، أو الإبداعي فتعبير ذاتي ينطوي على خصائص ذاتية من إبداع صاحبه، والنص الوظيفي لا خيال فيه، في حين يعتمد النص الإبداعي اعتماداً كبيراً على الخيال، وليس المقصود بالخيال الوهم، بل هو القدرة على تكوين العلاقات بين أمور لا يكتشف علاقاتها إلا المبدع...» (22).

ثالثاً: معالجة تحليلية نماذج مختارة: قصائد من (أراجيح تُغني للأطفال،

و غنوا يا أطفال لسليمان العيسى):

خصائص اللغة المعجمية والفنية في ديواني: (أراجيح تُغني للأطفال (23)،

غنوا يا أطفال (24) لسليمان العيسى (25):

استطاع الأستاذ الأديب سليمان العيسى أن يوظف جملة من العناصر الأساسية التي يستعين بها الأدباء في تشييد نصوصهم الإبداعية، وقد تجلت لنا في هذين العملين الأدبيين على النحو الآتي:

1-العنصر الفني: وقد ظهر في ترميق الشاعر سليمان العيسى، لألفاظه

وتراكيبه، وأسلوبه، عل نحو فني طافح بالجمال، ومن ذلك قوله في قصيدة

موسومة ب: «الأزهار تُغني لهاني»

جنُّنا نُغني لهاني أُندي وأحلى الأغاني

لكل طفل جميل في القلب أرجوحتان

عطر البنفسج منه وبسمة الأقحوان

لولا الصغار نسينا سحر الرياض الحسان

من الطفولة كانت لنا أرق المعاني

وأسرة نحن نحيا للحُب لا أسرتان

باسم الزهور جميعاً جننا نغني لهاني

باسم الزهور جميعاً نهدي إليه الأغاني (26)

2-العنصر الخيالي: وقد وظفه الشاعر في مجموعة من النصوص الإبداعية، فأسهم في إثراء نصوصه بالصور، والرؤى، والمشاهد التي زادت النص عمقاً، ولعل أبرز النصوص التي ظهر لنا فيها تبسيط العنصر الخيالي بغرض تقريبه من ذهن الطفل، النص الموسوم ب: «خيال الطفولة»، والذي يقول فيه:

خيالُ الطفولة غريب الخيال

هوى أينما شاء حط الرحال

خيال الطفولة

دعوه يطوف

له العالم الرحب

داني القطوف

له كل حلم

له كل صعب

له المستحيل

قريب المنال (27)

3-العنصر الوجداني: وقد اتضح في دغدغته لعواطف الأطفال، من خلال التأمّلات التي بثها في نصوصه، وسعى فيها إلى ربطهم بعوالم الطبيعة الساحرة والجمال الموجود في هذا الوجود، ومن ذلك قوله في قصيدة معنونة ب: «في الأعالي»

يا نسمة الجبال يا نفية

يا نسمة الجبال

إنّا عشقنا الشمس والحُرّية
في هذه التلال
من صخرة لصخرة تدور
ويضحك الغمام
يرشنا بالأخضر المسحور
فعيشنا أحلام
يا أيها الجيران في السهول
تسلقوا القمم
عيشوا مع النسور والوعول
المجد للقمم (28)

4- العنصر العقلي: وقد بدا جلياً من خلال مجموعة من النصوص التي غلبت عليها المعاني، والأفكار النبيلة، والتي تحمل في طياتها قيم المحبة، والسلام والتسامح، وترمي إلى تعزيز الجانب الأخلاقي، والتربوي في نفسية الطفل، مثل قوله في قصيدة: «الحب هو الأقوى»
الحب هو الأقوى الحب هو الأجل
الحب يضيء لنا خطوات المستقبل
الحب يوحدنا ويُبارك ما نعمل
الحب هو الأقوى الحب هو الأجل (29)

إن ديوان (أراجيح تُغني للأطفال) يتميز بنصوصه الطافحة بالجمال ولغته الراقية، والأنيقة، فشعر سليمان العيسى شعر رائق الديباجة سلس الأسلوب وعذب الألفاظ، من حيث القيمة الفنية يظهر شعره في مجمله عميق الدلالة، وقليل التكلف ويتميز بشعور ذاتي صادق، فشعره كان بمثابة مرآة صادقة لتصوير عوالم الطفولة الساحرة، كما يتجلى لنا ابتعاد الشاعر عن الغموض، فشعره يتسم بوضوح معانيه وصدق عاطفته، وحرارة الشعور.

ونجد الشاعر في كثير من قصائده يتوسل بصور فنية ساحرة، ونجد في شعره الكثير من المعاني مكررة، ولاسيما في قصائده التي يلقي فيها الضوء على قضايا الطفولة، والطبيعة، وهذا يعود إلى عفوية الشاعر، وشاعريته الطافحة وثروته اللغوية الكبيرة، حيث إنه يطرح القضية نفسها، بيد أنه يُعبر عنها تعبيراً يختلف اختلافاً جذرياً عن التعبير الأول، وقد وظف الشاعر التراث في مجموعة من قصائده، وشيّد جسور تواصل وطيدة مع الموروث الشعري العربي القديم ويتضح للدارس أن علاقته بالتراث لا تقوم على التقليد، والتكرار، وإعادة إنتاج التراث كما هو، بل تقوم على التفاعل العميق مع عناصره، ومعطياته، وذلك بغرض تطويعها، وتجسيدها في قصائده، واستغلال طاقاتها، وإمكاناتها الفنية للتعبير عن هواجسه، وإيصال أبعادها النفسية، والشعورية إلى المتلقي، وهذا ما يزيد في نكهتها، فهي قابلة لعدة تفسيرات، ويستطيع القارئ الوقوف على معالمها من خلال تقسيمها إلى مجموعة من الدوال التي تتجلى، وتتمظهر عن طريق جملة من الحقول المعجمية فهناك الحقل التاريخي، والحقل العاطفي الوجداني، والحقل الديني، والحقل الأدبي والحقل الاجتماعي، والاقتصادي.

إن الإبداع الشعري يمتاز بجملة من القيم الفنية، ومجموعة من الخصائص التقنية، وطائفة من المظاهر الفنية التي بفضلها يرتقي العمل، ويسمو، ومن هذه الأصول التي لا يُمكن أن تغيب عن القصيدة الشعرية الموجهة إلى الطفل اللغة الفنية، والمعجم الفني الذي وظفه الشاعر، وهذا ما يسميه بعض النقاد الغربيين لغة التعبير الأدبي، أو القول، فلا بد من التمييز بين اللغة بمعناها المعجمي الخالص واللغة الفنية بمعنى العلامات، أو الشفرات التي يصطنعها الأديب، أو الروائي لتبليغ المتلقي، إذ تتميز بالمفردات الفنية التي يتألف منها العمل الأدبي بمختلف أبعاده، وعناصره اللسانية الكثيرة التشعب، والمعجم الفني هو الذي يمثل في حقيقة الأمر، الشخصية اللسانية للعمل الأدبي⁽³⁰⁾. والمفردات في ديواني: (أراجيح تغني

للأطفال)، و(غنوا يا أطفال) تنتمي إلى مصطلحات، وأطر شتى، وتوزع بينها وفقاً لنسب متفاوتة، وقد أمكننا أن نفرز ونحدد الأطر، والحقول اللغوية الآتية:

1 - حقل الفضاء (الطبيعة): الشمس، السماء، الصحراء، النجوم، المطر الصيف، الخريف، الرمال، الواحة، النهار، الحقل، السحاب، الطرقات، النجمة الصباح، النيل، الشجيرة، الريح، الجبال، السنديانة، النخلة، النسمات، النور، القم السهول، النهر، الحمل، الضفدع، العشب، المرعى، الأرض، الملعب، الضفاف الوعول، الهضاب، الفلوات، الشتاء، الصيف، الوادي، الغمام، الغيم، الحديقة التلال الندى، الضياء، الينبوع، الغابة.

2 - الحقل الديني والأخلاقي والتربوي: متوفر إلى حد كبير: النور، الله النبي، القرآن، الرحمن، مريم القصص، الآخرة، الآية، المسجد، السجادة، الأذان الصلاة، المعجزة، التقوى، البر، محمد رسول الله، الخير، الشر، الحب، السلام التسامح، المحبة، العظيم، الفرسان، الإيمان.

3 - الحقل النفسي: يُسهم بقسط في تكوين المعجم الشعري: الدهشة الاشتياق الغضب، الرحمة، الحنو، الضحك، الغناء، الرقص، الحنين، الخوف الطيب الرحمة، الشفقة، الطمأنينة.

4 - الحقل الاجتماعي والاقتصادي: الحال، جوار، أعيان، عائلة، الأصل الغزاة، فقير، غني، الزراعة، الحقول، التجارة، الدكان، الفرسان، السوق، العرس الأعماق، الآفاق، الانتصار.

5- وصف الشخصية (الإنسان): الحسنة، الرقة، الفتنة، المجد، البكاء الخجل الضحك، النقاء، الحرية، الدوران، السمراء، السرور، العطش، الحلوة، المشاركة المغاربة، العربي، الخطر، الشامخ، البتول الفرحة القلوب، السراء، الضراء، الجيل الصحو، الباسم، الأمل، الإلهام.

وقد لاحظنا أن المعجم الموظف من قبل الشاعر سليمان العيسى وثيق الصلة على المستوى الموضوعاتي، بموضوع الوطن، وقد نوّع في لغته الفنية لدى حديثه

عن الوطن، وذلك من أجل إثراء القاموس اللغوي للطفل، كما أنه يربط بين الطفل والحيوان، ويسعى إلى إنطاق الحيوان بغرض إمتاعه، وربطه بعوالم الطبيعة وتعريفه على خصائصها، ومكوناتها، وهذا ما لاحظناه في مجموعة كبيرة من القصائد من بينها: «الضفدع الصغير براق»، و«الحمل الصغير»، و«بتول تغني لحيواناتها»، و«البلبل يفتح الغناء»، و«الحمار يُدافع عن نفسه»، و«أغنية البجعات»، و«الهرة تبقى هرة»، و«أغنية الإبل»، و«أغنية الطيور»، و«الطائر الجريح»، و«شاعر العصافير»، و«الحيوانات الجائعة»، و«مائدة للطيور» و«الثعلب يدافع عن نفسه»، و«الأرنب يغني»، و«أنا السلحفاة»، و«السلحفاة تدافع عن نفسها»، وغيرها.

وقد نبهت الدكتورة ملكة أبيض إلى أن الحيوان يستأثر بمساحة واسعة في أناشيد سليمان العيسى، فهو صديق مُحبب إلى الأطفال، يُسرون بعشرته، ويُفضون إليه بمكونات صدورهم، ومشاعرهم، فكثيراً ما نراه يُخاطبونه، ويمثلون معه مشاهد مختلفة لا يتيسر لهم القيام بها مع بني الإنسان، فالشاعر يُشيد بجمال الحيوانات، ولاسيما الأليفة منها، ويُبرز مزاياها، وفوائدها، ويتغنى بصداقتها مع الإنسان، كما يشغل النبات حيزاً لا بأس به في هذه الأناشيد، حيث نلاحظ حضوراً طافحاً للأزهار التي يزرعها الأطفال بأيديهم، ويسهرون على رعايتها، وفي هذا دلالة واضحة على تحبيب العمل، والاعتماد على النفس في شخصيتهم المستقبلية كما يستقي شاعرنا من الطبيعة بشتى أشكالها دلالات لطيفة، وينقلنا بين ألعاب الأطفال، وهواياتهم، وهذا الأمر مهم جداً في حياتهم، ونموهم، إذ أن التعليم الجيد في مراحل الطفولة الأولى يجري عن طريق اللعب، وممارسة الهوايات، كما يتحدث الشاعر في قصائده، وأناشيده عن الإنسان، وعمله في عدد من الأناشيد بلغته فنية راقية⁽³¹⁾. والحق أن الشاعر سليمان العيسى قد نجح نجاحاً كبيراً في إثراء لغة الطفل الجزائري، والعربي، من خلال أناشيده للأطفال التي حفظتها الأجيال، نظراً لختها، ورقتها، ولغتها الرشيقية، والموحية، فالشاعر لديه اختيارات

معجمية رحبة جداً، وفي مقدمتها معجم الطبيعة، الذي هو ثري، وغني جداً، ويُعرف الطفل على خصائصها، وسماتها، ويوسع حصيلته اللغوية، فضلاً عن الحقل المعجمية الأخرى، وهي كثيرة جداً، ولا يتسع المقام إلى التطرق إليها نظراً لغزارتها، وتعددتها، وهو يمزج بين معجم الطبيعة، ووصف الشخصية الإنسانية بطريقة بديعة، وهذا ما مكنه من جذب الأطفال إلى قراءة قصائده، وتكرارها وحفظها، حيث إنها أصبحت جزءاً من كيانهم، وثقافتهم، وذاكرتهم، وبقيت تمدهم بالمفردات، والمعاني، والصور، بل وبالقيم التي توجه حياتهم أيضاً، حتى سنوات متقدمة من أعمارهم كما عبرت عن هذا الأمر زوجته الباحثة الدكتورة ملكة أبيض، فما السر وراء هذا النجاح الكبير، وما السبب الذي جعل الشاعر يؤثر في لغة الأطفال، ويسحرهم بأناشيده العذاب؟

إن الشاعر سليمان العيسى يُفسر ذلك، ويُرجعه إلى أنه يبذل جهوداً كبيرة في سبيل إنتاج تلك الأناشيد الطافحة بالجمال، بل إنه يتعب في كل بيت من الأبيات التي يكتبها، وهذا ما يُسميه بالمعادلة الشعرية الجميلة، والتي تنهض على العناصر الآتية: «1- اللفظة الرشيقة الموحية، والبعيدة الهدف، والتي تلقي وراءها ظلالاً وأواناً وتترك أثراً عميقاً في النفس.

2- الصورة الشعرية الجميلة التي تبقى مع الطفل طوال حياته، مرة يلتقطها من واقع الأطفال، وحياتهم، ومرة يستمدّها من أحلامهم، وأمانيمهم البعيدة.

3- الفكرة النبيلة الخيرة التي يحملها الصغير زاداً في طريقه، وكنزاً صغيراً

يشع، ويضيء.

4- الوزن الموسيقي الخفيف الرشيقي الذي لا يتجاوز ثلاث كلمات، أو أربعاً في كل بيت من أبيات النشيد، كما يحرص على أن يتشابه في النشيد الوضوح والغموض، والواقع، والحلم، والمحسوس، والمعقول، والحقيقة، والخيال»⁽³²⁾. وقد تعامل مع اللغة الفنية بسمو، ورشاقة، ورقة، وجنح بقوة إلى الشعرية، والتكثيف وهذا ما جعله يُسهم إسهاماً كبيراً في إثراء، وتنمية القاموس اللغوي للطفل

الجزائري، بزيادة محصوله اللغوي، ومفرداته الوظيفية الضرورية التي يستخدمها في حياته مع أسرته، وفي مدرسته، وفي رحلاته، إذ اكتسب الأطفال كلمات أخرى جديدة، واستمتعوا بجمال التراكيب التي تناسب مستواهم، ونموهم، فالهدف المنشود هو إعداد الطفل إعداداً لغوياً سليماً من حيث سلامة النطق، وزيادة المعجم اللغوي والتعريف بالأنماط اللغوية الأساسية في التراكيب العربية، والإطلاع على بعض الأنماط البليغة القريبة من فهم الأطفال، والتي تتسم بأنها ميسورة على الفهم فالمحصول اللفظي يزداد بمقدار حفظ الأناشيد، والقصائد.

النتائج والتوصيات المقترحة: بعد هذه الجولة مع الأطروحات، والتحاليل التي تتصل بالإعلام الموجه إلى الطفل الجزائري، وأثره على نموه اللغوي، يوصي الباحث بما يأتي:

1- الإفادة من التقنيات الحديثة، واستثمار الوسائل التقنية، والتكنولوجية الحديثة في عرض أدب الأطفال المتميز برقيه، وأفاظه الرشيق، والموحية، والتي تؤثر في نفسية الطفل، وتجذب الأطفال إلى قراءتها مما يُنمي حصيلتهم اللغوية ويوسع مداركهم المعرفية، ويزيد من نسبة المحصول اللغوي الذي يُعد من أبرز موضوعات التخطيط اللغوي، الذي يُركز على التنمية اللغوية المبرمجة. فلا ينبغي إهمال دورها فهناك حاجة ضرورية لاستغلالها في زمننا الراهن، حيث يُمكن أن يلعب أدب الأطفال دوراً مهماً في تأثير وسائل الإعلام على تنمية لغة الطفل الجزائري، ولا بد من السعي إلى إنتاج برامج تقوم بهذه المهمة، ومن أبرز ما يتوجب الاعتماد عليه: الشبكة (الانترنت)، والأفلام التعليمية، والأجهزة المتطورة كالألواح الإلكترونية، والهواتف الذكية؛ مع متابعة تطورات علم الحاسوب للإفادة منه، وتوظيفه في الجانب الإعلامي بطرائق متنوعة.

2- يقتضي التخطيط اللغوي الذي هو عنصر يكتسي أهمية كبرى بالنسبة إلى التخطيط التربوي بصورة عامة، التنسيق في عملية إنتاج برامج الأطفال في وسائل الإعلام، لتعزيز البرامج التي تعرض الأفكار النبيلة الخيرة، مُستخدمة صوراً

شعرية جميلة تظل راسخة في أذهان الأطفال، ونثري قاموسهم اللغوي، ومن الأفضل عرض القصائد المكتوبة من قبل الشعراء، والأدباء الذين لديهم تجربة واسعة في تنمية لغة الطفل الجزائري مثل: محمد الأخضر السائحي، وسليمان العيسى، وجميلة زنير، وسليمان جوادي، ومصطفى الغماري، وغيرهم.

3- إقامة علاقات وطيدة بين المدارس، ومديريات التربية والتعليم، ووسائل الإعلام، وذلك بغرض تنسيق الجهود لإثراء القاموس اللغوي للطفل، فاللغة تصبح مُحِبَّة عند الأطفال عندما تُدمج مع الأنشيد، والمحفوظات، والألعاب، والهوايات فالأطفال يُحبون الإنشاد، وترديد ما يُعرض عليهم في وسائل الإعلام، ولذلك يجب استثمار النتائج المتوصل إليها في ميدان علم اللغة التطبيقي، وفي مجال التخطيط اللغوي، وعلم اللغة النفسي، إذ لا بد من انفتاح كتاب أدب الطفل على وسائل الإعلام، وعلى ميادين علمية جديدة، والسعي إلى خلق علاقة وشيجة بين أدب الأطفال، والعلوم الأخرى مثل: تكنولوجيات الاتصال، والإعلام، من أجل ضمان التواءم، والتلاؤم.

4- تنسيق الجهود، وتوحيدها للنهوض بإثراء المحصول اللغوي للطفل فيما يخص الكتب التي تُولف للتلاميذ في المرحلة الابتدائية الدنيا، فيجب انتقاء نصوص جيدة، تنسم بالجودة، والإمتاع، والفصاحة، لتحبيب اللغة العربية عند الطفل الجزائري، من خلال اختيار الألفاظ العربية الفصيحة القريبة من اللهجة المحلية مثل: البحر، الليل، السماء، النهر، الأرض، القلم، المدينة، الدار، فالألفاظ المتداولة يسهل تعلمها، ولا تستغرق من تلاميذ المرحلة الابتدائية جهداً كبيراً.

5- ضرورة تلاقح الأفكار في تشخيص ما تواجهه اللغة العربية من تحديات في وسائل الإعلام، ومن الأفضل الابتعاد عن العاميات فهي كثيرة، وتؤدي إلى تشويش ذهن الطفل، فعلى أي عامية سيركز، وهي متعددة، ومتنوعة في وطننا العربي.

6- ينبغي أن تتضمن النصوص التي تُعرض في وسائل الإعلام الموجه إلى الطفل أنماطاً لغوية شائعة، ومتداولة، ومألوفة، تكون طافحة بالجمال، فالجمل

والتراكيب المختلفة التي تُبنى من الألفاظ الشائعة تكون محببة على الطفل، مقارنة مع الألفاظ البعيدة عن الأذهان، والتي يستغربها الطفل، ويبدل جهداً كبيراً حتى يألفها، ويستخدمها في استعمالاته، فاللغة هي تراكيب واستعمالات، وكذلك فهي تتشكل من الكلمات، والألفاظ.

7- تركيز الاهتمام على قوائم المحصول اللفظي باللغة العربية، والحرص على التكامل، والانسجام بين الجوانب النظرية، والعملية في مناهج تعليم اللغة العربية، فيجب أن نميز بين ما يحتاجه الطفل، وما لا يحتاجه، إذ ينبغي التركيز على الألفاظ التي تُفيد الطفل في دقة التعبير عن أفكاره، وهواجسه، واهتماماته وفقاً لمرحلته العمرية، فهناك ألفاظ وكلمات يجب تقديمها، وهناك كما يجب تأخيرها إلى مراحل أخرى.

8- الحرص على مواكبة البرامج التي تعرض في وسائل الإعلام للواقع الذي يعيشه الطفل، حيث تكون النصوص المعروضة في وسائل الإعلام لها صلة عميقة بالبيئة التي يعيش فيها التلميذ، مع الاستعانة بوسائل الإيضاح، والفهم مثل: الرسومات التخطيطية، والصور، والأشكال الجميلة، والمُنمقة، والمخططات، وهذا ما يُسهّم في إيضاح المعاني، وتقريب دلالاتها إلى أذهان المتعلمين.

9- الحرص على الثراء الإيقاعي، والموسيقى الخفيفة، والرشيقة في الأناشيد التي تُعرض في وسائل الإعلام الموجه إلى الأطفال، فالمبدع يجب أن يتعامل مع القافية في الأناشيد الموجهة إلى الطفل بحرية، وخفة، حتى يسهل عليه حفظها وإثراء محصوله اللغوي، فالشعر موسيقى، وتنغيم، والطفل بطبيعته يُحب الكلام الموسيقي المقفى.

10- الاستفادة من بعض التجارب العلمية العالمية التي أُقيمت في مؤسسات علمية خاصة بالأطفال، ولاسيما في مجال البرامج التي تُعرض في وسائل الإعلام والحرص على ترجمة بعض القصص التي تتسجم مع ثقافتنا العربية، والإسلامية مما يُشجع الطفل على القراءة، والقيام بتجارب لممارسة أعمال إبداعية، ويجب أن

تتضافر جهود عدة قطاعات في هذا الصدد مثل: (الروضة، والبيت، والثقافة والتعليم).

11- تقديم تاريخ الجزائر، والأمة العربية، والإسلامية بطرائق شائقة من خلال مواد قصصية متميزة، ومسرحيات فنية تتوفر على عناصر جمالية، وقيم سامية، مع توفير القدرة الحسنة التي يتبعها الطفل، وإعداد مسابقات تحفز الأطفال على القراءة، والكتابة، وتأسيس القيم الإسلامية في صور مبسطة، وطرائق شائقة في جمل قصيرة، ومفردات واضحة، مع استخدام أساليب المفاجأة، والإثارة والتنوع لتجنب ملل الطفل.

12- تشجيع الطفل من خلال برامج إعلامية متميزة على تسجيل خواتمه وكتابة يومياته، وتقديم فكرة عن الكتب، والقصص التي قرأها، وتبنيه في وسائل الإعلام الموجه إلى الطفل على تسجيل المواقف، والطرائف، وما شاهده في مذكراته اليومية، وإلقائه في برامج موجهة إلى الطفل، مع تدريبه على محاوره الآخرين دون تعصب أو تشنج، أو انفعال، مما يساعد في تعليمه الطريقة المثلى لأساليب الحوار الهادئ، والمناقشات الهادفة.

13- تشجيع الأطفال في مختلف وسائل الإعلام على تعلم الأساليب اللغوية الفصيحة التي تتميز بها التراكيب العربية، وتنشيط ذاكرتهم الواعية بإجراء مسابقات لحفظ القرآن الكريم، والأحاديث النبوية الشريفة، والخطب الخالدة التي تتفق مع مراحل عمرهم، والحكم، والوصايا، وهذا يعلمهم الأداء، والإلقاء، والإيقاع الذي يمتاز به النصوص الراقية البليغة، ويُنمي الذوق الفني، والقاموس اللغوي، ويصقل قدرتهم على التعامل مع الأساليب البليغة، ويعودهم على الانسجام الصوتي، وينتزع من شخصيتهم الخجل، والتردد، ويُشبع حاجاتهم الوجدانية ويغرس فيهم قيم الخير، ويُعلمهم النطق الصحيح لحروف اللغة العربية، وأصواتها.

الهوامش والمراجع:

- (1) يُعرف باسم علم اللغة النفسي في أغلب المراجع التي أنتجت في المشرق العربي ويُعرفه جملة من الدارسين في بلاد المغرب العربي باللسانيات النفسية، وعلم النفس اللساني، ويُركز علم اللغة النفسي على شتى القضايا المتعلقة بالصلات، والروابط بين اللغة، وعلم النفس، ويصفه الباحث صالح بلعيد بأنه: (فائق التعقيد، والصعوبة، مما يزيد في احتمالات الشطط، فهو فرع يُسهل عملية الاتصال الإنساني في المجموعة اللغوية الواحدة، وبذا نراه يبسر لنا معرفة دور اللغة في المعرفة الإنسانية، ويعكس إنجازات لغة الطفل في تعلم اللغة وحل شفراتها، ويهتم بدراسة اللغة الإنسانية الطبيعية، ودراسة آليات فهمها، واكتسابها، وإنتاجها، كما يهتم بمختلف الدراسات اللغوية، سواء من وجهة نفسية، أم اجتماعية) يُنظر: علم اللغة النفسي، منشورات دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، ط: 02، الجزائر، 2011م، ص: 09.
- (2) د. محمد عودة الريماوي: في علم نفس الطفل، منشورات دار زهران للنشر والتوزيع عمّان، المملكة الأردنية، 1993م، ص: 159. ود. صادق يوسف الدباس: دراسات في علم اللغة الحديث، منشورات دار أسامة للنشر والتوزيع، عمّان، الأردن، ط: 01، 2012م، ص: 42.
- (3) عزيزة سمارة: سيكولوجية الطفولة، منشورات دار الفكر، عمّان، الأردن، ط: 01، 1989م ص: 132. ود. محمد فوزي أحمد بني ياسين: اللغة: خصائصها ومشكلاتها وقضاياها ونظرياتها، منشورات مؤسسة حمادة للدراسات الجامعية للنشر والتوزيع، ودار اليازوري، عمّان الأردن، ط: 01، 2011م، ص: 89-90.
- (4) استقيننا هذه المعلومات من مراجع متنوعة: د. حلمي خليل: اللغة والطفل - دراسة في ضوء علم اللغة النفسي، منشورات دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 1986م، ص: 72. ود. محمد فوزي أحمد بني ياسين: اللغة: خصائصها ومشكلاتها وقضاياها ونظرياتها، ص: 92. ود. معمر نواف الهوارنة: اكتساب اللغة عند الأطفال، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 2010م، ص: 48.
- (5) أحمد نجيب: فن الكتابة للأطفال، منشورات دار اقرأ، بيروت، لبنان، 1986م، ص: 39.
- (6) أحمد نجيب: فن الكتابة للأطفال، ص: 40.
- (7) هادي نعمان الهييتي: ثقافة الأطفال، منشورات سلسلة عالم المعرفة، العدد: 123 مارس 1988م، الكويت، ص: 144. وأحمد نجيب: المرجع السابق، ص: 47.

- (8) د. أحمد زياد محبك: الحاسوب وتنمية المقدرة اللغوية عند الطفل، مجلة المجمع الجزائري للغة العربية، العدد: 07، جمادى الثاني 1429هـ- جوان 2008م، ص: 57. وأحمد نجيب: المرجع نفسه، والصفحة نفسها.
- (9) د. فهد مصطفى محمد: الطفل ومهارات التفكير في رياض الأطفال والمدرسة الابتدائية- رؤية مستقبلية للتعليم في الوطن العربي-، منشورات دار الفكر العربي، ط: 01، القاهرة، مصر 2001م، ص: 13.
- (10) ماجد الصايغ: الأخطاء الشائعة وأثرها في تطور اللغة العربية، منشورات دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، ط: 01، 1990 م، ص: 52.
- (11) د. محمد عبد الله علي سيف العبيدي: اكتساب الثروة اللغوية عند الأطفال، مجلة اللسانيات واللغة العربية، مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة الشهيد باجي مختار بعناية-الجزائر، العدد: 03، جوان 2007م، ص: 199. ود. أحمد محمد المعتوق: الحصيلة اللغوية: أهميتها ومصادرها ووسائل تنميتها، منشورات سلسلة عالم المعرفة العدد: 212، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1996م، ص: 88.
- (12) فاروق خورشيد: الأدب والصحافة، منشورات اقرأ، بيروت، لبنان، ط: 02 1980م ص: 18. ومحمد معوض: دراسات حول صحف الأطفال، منشورات دار الفكر العربي، القاهرة مصر، ط: 01، 1984م، ص: 13. ومحمد الصالح خرفي: الصحافة الأدبية الموجهة إلى الطفل في الجزائر، مجلة الناص، مجلة علمية محكمة تصدر عن جامعة جيجل، العدد: 06 أكتوبر 2005م، ص: 90.
- (13) د. إسماعيل عبد الفتاح عبد الكافي: الطفولة والمستقبل-دراسات في إعلام وثقافة وأدب وحقوق الطفل-، منشورات مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2005م، ص: 20.
- (14) د. يوسف نوفل: القصة وثقافة الطفل، منشورات دار العالم العربي، القاهرة، مصر 2014م، ص: 24.
- (15) د. عبد الرحمن عبد الخالق: دور قصص الأطفال في تنمية الطفل، منشورات دائرة الثقافة والإعلام بالشارقة، الإمارات العربية المتحدة، ضمن سلسلة كتاب الرافد، العدد: 116 أبريل 2016م، ص: 163 وما بعدها.
- (16) د. خالد صلاح حنفي: مقومات الكتاب الجيد للطفل، مجلة العربي، مجلة ثقافية شهرية تصدر عن وزارة الإعلام بدولة الكويت، العدد: 712، مارس 2018م، ص: 170.
- (17) منال أبو الحسن: الرسوم المتحركة في التلفزيون وعلاقتها بالجوانب المعرفية للطفل، دار النشر للجامعات، القاهرة، مصر، ط: 01، 1418هـ-1998م، ص: 56 وما بعدها.

- (18) أحمد حسن الخميسي: تربية الأطفال في وسائل الإعلام، منشورات دار النهار للنشر والتوزيع بالاشتراك مع دار القلم العربي، حلب، سوريا، ط: 01، 2014م، ص: 132 وما بعدها.
- (19) د.موفق رياض مقدادي: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، منشورات سلسلة عالم المعرفة، الكويت، الطبعة الأولى، شوال 1433هـ/ سبتمبر 2012م، ص: 47 وما بعدها.
- (20) أحمد نجيب: فن الكتابة للأطفال، ص: 110.
- (21) د.يوسف نوفل: القصة وثقافة الطفل، ص: 47 وما بعدها.
- (22) د.موفق رياض مقدادي: البنى الحكائية في أدب الأطفال العربي الحديث، ص: 48 وما بعدها.
- (23) صدر هذا الديوان الموجه إلى الطفل، والذي عُرضت ومثلت عدة قصائد منه في وسائل إعلامية عربية متنوعة، عن منشورات كتاب دُبي الثقافية، العدد: 26، يوليو 2009م.
- (24) صدرت سلسلة غنوا يا أطفال التي عُرضت في كثير من وسائل الإعلام العربية المتميزة والموجهة إلى الطفل، ومن أبرزها الفضائية السورية على مدى أكثر من ثلاثين سنة في أجزاء مختلفة، وطُبعت في دار الآداب للصغار ببيروت في طبعات متعددة خلال سنوات السبعينيات والثمانينيات من القرن المنصرم.
- (25) ولد سنة: 1921م بقرية النعيرية (أنطاكية - لواء إسكندرون) حيث تلقى تعليمه الأول في قريته، وفي

د. بصير نور الدين

أستاذ محاضر أ

جامعة امحمد بوقرة بومرداس

الملخص:

إنّ النظام العالميّ الجديد يركز في أهدافه على هدم خصوصيات الآخرين على خطين متوازنين، اللغة والهوية، إذ يرى فيهما عنصرين مركزيين لأية ثقافة أو حضارة، من أجل ذلك لم يعد مقاربات سؤال اللغة نو بعد معرفي فقط؛ بل أصبح يطرح رهانات خطيرة تتعلق بتحسين الهوية، واستمرارها لذا تحرص الأمم، والمجتمعات على رسم سياسات لغوية بأهداف متباينة، والذي من جملة ما يعنيه تلك الاختيارات الكبرى في مجالات العلاقات بين اللغات، والمجتمع لتحقيق الأمن المجتمعي بشقيها التنظيري، والتطبيقي لذا أدركت الحكومات، والأنظمة في العالم أهمية تبني سياسة التخطيط اللغوي التي تهدف إلى حل المشاكل اللغوية وتحقيق العديد من المنافع على كافة المستويات الاقتصادية، والاجتماعية والسياسية، والتعليمية... ،

وتعدّ السياسة اللغوية ذات أهمية قصوى بالنسبة للمجتمعات، والأمم، إذ لا يمكن تصور أية نهضة لأمة دون أن ترسم سياسة لغوية واضحة المعالم تراعي متطلبات المجتمع، والبيئة لتستطيع أن تشيد حضارتها، من هنا كان لا بد أن نعيد النظر في سياسة التخطيط اللغوية التي نتبعها.

تروم هذه الورقة البحثية الوقوف على السياسة اللغوية من نسقية المفهوم إلى ديناميكية الإجراء لتناقش أهمية السياسة اللغوية؟، ما هي الأطراف الفاعلة

والمؤثرة في السياسة اللغوية، ودورها في رسم سياسة التخطيط؟، وما مدى إسهامها في رسم السياسة اللغوية؟، وما هي المؤثرات التي تؤثر على رسم سياسة التخطيط اللغوي؟، وما هي العوامل التي تؤثر على استعمالات الآخرين للغة المتداولة في المجتمع؟، وهل تحديد الوظائف التي تؤديها تلك اللغة تخدم غاية وأهداف سياسية معينة؟ وما حدود العلاقة بين السياسات اللغوية والتخطيط اللغوي؟ ما مدى تأثير السياسات اللغوية في العمق الحضاري والديني والأمني؟، وهل انتصار السلطة السياسية للغة على أخرى يحقق الأمن المنشود وفي اعتقادي سيظل السؤال ما جدوى التخطيط اللغوي مطروحاً للنقاش في مشروع التأسيس للسياسات اللغوية الناجعة في رحلة البحث عن الذات، وسؤال المرجعية الذي ظل الفكر العربي يبحث عنه.

الكلمات المفتاحية: السياسة اللغوية - التخطيط اللغوي - تعليم اللغات - المفهوم -

الإجراء - التربية.

مقدمة:

إنّ تدني المستوى التعليمي في الجزائر يدفعنا إلى إعادة النظر في المنظومة التربوية بإجراء إصلاحات جذرية، وعميقة، جادة، وحقيقية، ولعل ذلك لا يكون إلاّ بسياسة لغوية واضحة المعالم؛ والذي يعدّ ذو أهمية قصوى بالنسبة للعمليات التربوية، إذ لا يمكن تصور أية نهضة تربوية دون تخطيط لغوي واضح المعالم تراعي فيه متطلبات المجتمع، والبيئة، والأهداف لنستطيع أن نشيد منظومة تربوية قوية من هنا كان لا بد أن نعيد النظر في السياسة اللغوية في تعليم اللغات التي نتبعها.

لذا نروم من خلال هذه الورقة البحثية مقارنة تمفصلات العلاقة التراتبية بين السياسة اللغوية، وأثرها في تعليم اللغات الوطنية بين التراكمات المعرفية والمستجدات المنهجية بكل أبعادها الابدستيمولوجية، والمعرفية، والتي يتقاطع من خلالها الإشكال المنهجي الذي يؤصل للسياسات اللغوية، ويمدها بالمفاهيم، ومحاولة

بناء التأسيس المفاهيمي مع الإشكالات التطبيقية، وتنزيلاتها المختلفة، حتى لا تبقى تلك السياسة اللغوية مفصلة عن تطبيقاتها.

ويعدّ موضوع السياسات اللغوية في اعتقادي من المواضيع الأكثر طرحاً في الآونة الأخيرة فقد استحوذ على تفكير الباحثين، والخبراء، والأكاديميين، والقادة السياسيين لما له من أهمية بالغة على مستوى المؤسسات، والمنظمات، والحكومات خاصة في ظلّ التحولات التي عرفتتها المجتمعات في كلّ نواحي الحياة الاقتصادية والسياسية، والاجتماعية، والأمنية.. حتى غدا الاهتمام بالسياسات اللغوية أمراً لا مفر منه إذ أصبح من ملامح الدولة المعاصرة التي أخذت الاستثمار في الجهود البحثية التي ترسم سياسات لغوية واضحة تسهم في تحقيق التنمية والأمن، وتتصدي لزحف السياسة اللغوية العالمية، وتداعيات العولمة.

إنّ النظام العالمي الجديد يركز في أهدافه على هدم خصوصيات الآخرين على خطين متوازنين، اللغة، والهوية، إذ يرى فيهما عنصرين مركزيين لأية ثقافة أو حضارة، من أجل ذلك لم يعد مقاربات سؤال اللغة ذات بعد معرفي فقط؛ بل أصبح يطرح رهانات خطيرة تتعلق بتحسين الهوية، واستمرارها لذا تحرص الأمم والمجتمعات، على رسم سياسات لغوية بأهداف متباينة، والذي من جملة ما يعنيه تلك الاختيارات الكبرى في مجالات العلاقات بين اللغات، والمجتمع لتحقيق الأمن المجتمعي بشقيه التطويري، والتطبيقي لذا أدركت الحكومات، والأنظمة في العالم أهمية تبنى السياسات اللغوية التي تهدف إلى حل المشاكل اللغوية، وتحقيق العديد من المنافع على كافة المستويات الاقتصادية، والاجتماعية، والسياسية.. ، ولعل المستوى التعليمي يأتي على رأس هذه المستويات.

وتعدّ السياسات اللغوية ذات أهمية قصوى بالنسبة للمجتمعات، والأمم، إذ لا يمكن تصور أية نهضة لأمة دون أن ترسم سياسة لغوية واضحة المعالم تراعي متطلبات المجتمع، والبيئة لتستطيع أن تشيد حضارتها، من هنا كان لا بد أن نعيد النظر في السياسة اللغوية التي نتبعها.

ولعل من أبرز المشكلات التي تواجهها الأمة اليوم السياسات اللغوية المتبعة في كثير من الدول العربية التي لا تعترف، أو لم تنشأ أن تعترف بالقيمة التتموية للغة الوطنية في وضع المشاريع الإصلاحية للنهوض باللغة، إذ اعتبرت اللغة الوطنية معطى شكلياً لا يرتبط بأي أفق تنموي، مما قلص من إمكانية الاستفادة منها. واللغة مؤسسة اجتماعية تخضع للتطور وفق آليات سوسيو-لسانية لكنها تقبل التدخل المخطط لها فلا غرابة إذن أن تكون هذه القضية مركز استقطاب الدراسات لسوسيو-لسانية.

واللغة وعاء ثقافي، وحضاري، وفكري، إنها محدد أساس لتتمية أدوات الفكر الإنساني، وخير مثال يمكن أن يحتذي به اليابان، والعبرية، فقد جعلت لغتهما لغة علمية لأنّ بناء الدولة في الحالتين تمّ وفق محددات الهوية الوطنية حتى في أبعادها العنصرية.

وسيطّل السؤال ما جدوى الربط بين السياسات اللغوية، وتعليم اللغة مطروحاً للنقاش في مشروع التأسيس للسياسات اللغوية الناجعة في رحلة البحث عن الذات وسؤال المرجعية الذي ظلّ الفكر العربي يبحث عنه؛ لذا نحاول ونحن نبحت عن السياسات اللغوية تتجاوز العواطف، والاندياع، والآنية، والتفسير السطحي، والشكلي لننزلق إلى العمق حيث تمكننا قراءة، وتفسير، وتأويل المقاصد والأهداف الكبرى التي تبنى عليها السياسات اللغوية تتجاوز في دلالتها السطحية لتكشف عن تراتب الدلالات، لكنها لا تلغي التجارب، ولكن تحولها لغايات وأهداف توصل لمنظومة سياسية، تجمع بين التراكبات المعرفية، والمستجدات المنهجية لتنتقل من التأصيل إلى التحقيق، ومن التصور إلى التفعيل للوقوف على عمق صلة رسم السياسات وتحقيق التعليم..

إنّ الأمة تحتاج إلى سياسة لغوية، فليست المشكلة، ولا القضية في معرفة النظرية لقواعد اللغة، وأصولها؛ بل الذي يحتاجه عموم الناس، والمتكلمون هو الكفاءة اللغوية في النطق، والكتابة، والتعبير نحتاج إلى سياسة لغوية تتسق عمل

المؤسسات المعنية باللغة، وخطاب الناس، ولاسيما الإعلام بوسائله، والتعليم بمناهجه، وطرائقه؛ فتكون الفسحة الميسرة هي الهدف المنشود التحقيق، وحينئذ لا تكون لغة مادة دراسية مجردة مفردة معزولة محصورة بين حيطان قاعات الدراسة في ساعات محدودة؛ بل يجب أن تكون هي لغة الحياة في كل ميادينها.

إننا نطمح أن نضع موضوع السياسة اللغوية موضع مساعلة، ومحاورة حول انخراطها الجاد، وإسهاماتها الفاعلة في بلورة المشروع التربوي باللغة الوطنية، هذا المشروع الكبير سيستفيد من مخرجاته الطفل الجزائري الذي ننشده كرجل المستقبل، والذي ينبغي أن يتلقى تكوينه المعرفي، واللغوي، والثقافي والقيمي، والحضاري وتاريخه، وحضارته بلغته الوطنية، ثم يتوسع بعد ذلك في اللغات الأخرى؛ ومن هذا المنطلق، وفي هذا المسار تدرج راهنية التساؤل والنقاش حول السياسة اللغوية **أهمية الدراسة:** تتجلى أهمية الدراسة في:

- محاولة الوقوف لماذا تعجز اللغات القومية في المحافظة على نقائها سواء في وجه التّسربات المستمرة من العاميات، واللهجات، أم في وجه تغلغل اللغات الأجنبية.

- إنّ اختيار هوية لغوية يرتبط ارتباطاً كبيراً بالسياسة الممارسة في ميدان التعليم.

- تعد اللغة المرجعية التي تشكل المجتمعات فكراً، وحضارياً، وسياسياً.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة لتحقيق جملة من الأهداف:

- الوقوف على السياسات اللغوية المعتمدة تمكننا من الوقوف على آثارها في العملية التعليمية، واللغة الوطنية.

- ضرورة معالجة الاختلالات في السياسات اللغوية، خاصة في ظل غياب التخطيط اللغوي في التعليم، والإعلام، والإدارة.

- تزايد الاهتمام بالسياسات اللغوية للحفاظ على اللغة الوطنية لمواجهة عولمة الانقسام والضياع في نسق المنافسة الكونية.

- إنَّ السِّياسات اللغوية الغربية تربطها بالبحث العلمي وتسعى بكل ما أوتيت من قوة لاستعمال اللغة القومية، ولذلك تلقى كل الدعم المادي لإنجاز الأبحاث العلمية، ولا يكتفي بذلك؛ بل يمضي لأبعد حد ممكن في إذابة ونسف الهوية اللغوية الذاتية عن طريق ضرب أركانها من الداخل.

السياسة اللغوية ودلالة المفهوم: ومفهوم السياسة اللغوية بهذا الامتداد والجولان يغري بمزيد من البحث، والتّقيب لاستتكاك منطلقات بنائه فتمدده وامتداده يفرض نظراً ابستمولوجياً جديداً؛ لأنّ للسياسة اللغوية أهمية كبرى في نجاح العملية التّعليمية، فهي إحدى الأدوات الفعالة لتشجيع التّفاعل الإيجابي، واستجابة لتلبية احتياجات المجتمع، ومتطلباته.

السياسة اللغوية : هي تلك الجهود المعتمدة الهادفة إلى التّأثير على السّلك اللغوي للأفراد من حيث اكتسابهم، وتعلمهم للغة، والجهود المبذولة بغية التّأثير في بنيتها، وتحديد الوظائف التي تؤديها في مجتمع ما.¹

وهي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية.²

السياسة اللغوية هو ذلك التّخطيط الذي نترجمه في الواقع.³

ومفهوم التّخطيط اللغوي يفرض وجود سياسة لغوية، والعكس ليس صحيحاً.⁴

علم اللغة التّطبيقي فهناك تعليم اللغة الأم وتنمية مفرداتها في الأساليب والترجمة وتخطيط السياسة اللغوية القومية.⁵

والسياسة اللغوية هو ذلك النشاط الرسمي التي تضطلع به الدولة، وتنتج عنه خطة تنصب على ترتيب المشهد اللغوي في البلاد، وخاصة التي تنتشر فيها أكثر من لغة رسمية، وإدارية، ويمثل الجهود المتكاملة التي يقوم بها الأفراد والجماعات والمؤسسات للتّأثير في الاستعمال اللغوي، والتّصور اللغوي.⁶

وأصحاب القرار توكل إليهم مهمة تطبيق السياسة اللغوية... ، الحكومة تراقب النظام المدرسي، ووسائل الإعلام، وتمكن الإستراتيجية المثلى بالنسبة إليها في إدراج الإصلاح اللغوي المختار.⁷

التخطيط لغة: جاء في لسان العرب في مادة خطط الخط الطريقة المُستَطيبة في الشيء⁸ ؛ ويقال الكلاً خُطوطُ في الأرض أي:، والخطُ الطريق يقال الزم ذلك الخط، ولا تظلم عنه شيئاً.

والتخطيط التّسطير؛ تقول خُطّطت عليه ذنوبه أي سَطّرت⁹.

الخط : الطريق¹⁰ ، وفي أساس البلاغة: الزم الخط أي: الطريق¹¹.

والخطة: الإقدام على الأمور؛ يقال: جاء وفي رأسه خطة إذا جاء وفي نفسه حاجة، وقد عزم عليها.¹²

وجاء في المعجم الوسيط التخطيط: ووضع خطة مدروسة للنواحي الاقتصادية والتعليمية، والإنتاجية، وغيرها للدولة¹³.

التخطيط اللغوي اصطلاحاً: نشاط يتمّ خلاله وضع الأهداف، واختيار الوسائل، والتكهن بالنتائج بصورة واضحة، ومنطقية، ويرتكز على المشكلات اللغوية من خلال اتخاذ القرار بالنسبة إلى الأهداف البديلة، والخيارات لإيجاد الحلول.¹⁴

التخطيط: تلك الجهود المبذولة لتغيير شكل لغة ما، واستعمالها.¹⁵

ويعرف بأنه ذلك السلوك وتلك المجموعة من التفاعلات التي تصاغ من خلالها القرارات الرسمية، والملزمة، ويتم تنفيذها لصالح السياسة اللغوية، ويتفرع من علم السياسة العام.¹⁶

وقد يعرف بأنه البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق سياسة لغوية ووضع الوسائل موضع التنفيذ.¹⁷

وهو الترجمة التطبيقية العملية لسياسة لغوية بعينها¹⁸؛ أي: الانتقال بها من العمل التّظيري إلى رحابة الفعل التّطبيقي.

أهمية السياسة اللغوية لجودة العملية التعليمية: إن الارتقاء بالعمل التربوي لا يتم إلا من خلال التعلم، والتعليم، وتأهيل السياسات اللغوية، ومواكبة التغييرات، وسرعة التعامل مع تغير وسائل التقييم، والمحاسبة، والتحفيز قد أصبح أحد الشروط الضرورية للنجاح في عصر التقنية، والمعلومات.

و اللغة وعاء ثقافي، وحضاري، وفكري، إنها محدد أساسي لتنمية أدوات الفكر الإنساني، وخير مثال يمكن أن يحتذي به اليابان، والعبرية، فقد جعلت لغتها لغة علمية لأن بناء الدولة في الحالتين تم وفق محددات الهوية الوطنية حتى في أبعادها العنصرية.

و منذ القدم اعتبر الفلاسفة أن اللغة وعاء للفكر اعترافا بالعلاقة التفاعلية بين هذين المعطيين البنائين، ولعل العمق الفكري للغة هو الغائب في أفق مشاريع التخطيط التي تصوغها السياسة الوطنية في تنميتها، أو الحفاظ على خصوصية هويتها اللغوية.

وأهمية التخطيط اللغوي الذي لا يقل أهمية عن التخطيط الثقافي والاقتصادي لذلك تسعى لربط جسور التواصل بين اللغة، والاقتصاد، وعدم الفصل بينهما، لأن التنمية الاقتصادية تفقد جوهر ديمومتها ما لم ترتبط بالتنمية البشرية، وفي اعتمادها على اللغات الوطنية، هذا من جهة، ومن جهة أخرى ربط أهداف التخطيط اللغوي وغاياته في وضع إستراتيجية لغوية تحافظ على مقومات الهوية.

ولهذا يكتسي موضوع اللغة أهمية خاصة في ظل التحولات المعاصرة خصوصاً التحديات المفروضة عليها...، ولا تزال اللغة العربية أسيرة هذا الوضع الذي تتأثر أكثر من تؤثر، وتتبع أكثر من أن تبعد.¹⁹

والحضارة لا تنعكس في شيء مثل انعكاسها في الكلام واللغة، وكل قصور أو نقص في اللغة دليل قاطع على تخلف ذلك المجتمع عن ركب الحضارة والتطور.²⁰

السياسة والصراعات اللغوية: الصراعات اللغوية هي نوع من الصراعات السياسية، فخلف كل حرب لغوية حرب من نوع آخر، فالنخطيط اللغوي يمثل شكلاً

من أشكال هذا الصراع²¹؛ يقول كالفي: إنّ السياسات اللغوية جارية في كل مكان وتصاحب كل مرة الحركات السياسية والاجتماعية، ذلك أنّ التغيير اللغوي يأتي ليدعم بروز الأمم، وتماسكها، وأحياناً على العكس يصاحب تفكك بعض البلدان إلى كيانات سياسية جديدة.²²

يقول الباحث فلوريان كولماس: إنّ صياغة سياسة لغوية رشيدة في دولة متعددة اللغة هي في ذاتها مسألة اقتصادية، ويجب أن تكون لها أسبقية عظيمة مثلها مثل المسائل الاقتصادية الأخرى.²³

ويذهب أيضاً إلى أنّ التخطيط اللغوي الجيد من العوامل التي تساعد على انتشار اللغة.²⁴

لذلك نجد كالفي يؤكد على ضرورة ربط السياسات اللغوية بالتنمية، إنّ السياسة اللغوية المنسجمة، والعقلانية يجب أن تتساءل عن أهمية الفرنسية بالنسبة لمستقبل إفريقيا، وما هو الدور الذي تلعبه اللغات في التنمية، وما مكانة الفرنسية في هذه السيرورة؟²⁵

وجميع الدول التي حققت تنميتها البشرية في النصف الثاني من القرن العشرين، واحتلت أعلى المراتب في سلم التنمية البشرية، مثل كوريا وفنلندا تستعمل لغتها الوطنية الفصيحة المشتركة في التعليم، والإعلام، والحياة العامة فالسياسات اللغوية، والتعليمية، والإعلامية هي من السياسات التي تشارك في إيجاد التنمية البشرية، وتعزيزها.²⁶

فإنّ الاستعمار في العالم العربي، والإسلامي سعى بكل الوسائل إلى تغيير بنية التعليم، والتربية كجزء من مخطط واسع للفصل بين الإنسان، ومقوماته الحضارية بهذه الدول.²⁷

قوة الدول في قوة لغتها: لقد أدركت الشعوب الحية أنه لا وجود لها على خريطة العالم المعولم إلا بتمسكها بلغتها الأم، والحفاظ على ذاتها الثقافية وهويتها

المميزة، ولذلك كان عبد القادر الفاسي الفهري يربط بين اللغة، والسيادة والسياسة اللغوية.²⁸

ولا شك أن قوة الدول في قوة لغتها؛ يقول ابن حزم رحمه الله: "فإن اللغة يسقط أكثرها، ويبطل بسقوط دولة أهلها، ودخول غيرهم عليهم في مساكنهم، أو بنقلهم عن ديارهم، واختلاطهم بغيرهم، فإنما يقيد لغة الأمة، وعلومها، وأخبارها قوة دولتها، ونشاط أهلها، و فراغهم، وأما من تَلَفَتْ دولتهم، وغلب عليهم عدوهم واشتغلوا بالخوف، والحاجة، والذل وخدمة أعدائهم فمضمونٌ منهم موت الخواطر وربما كان ذلك سبباً لذهاب لغتهم،

ونسيان أنسابهم، وأخبارهم، وبُيود علومهم، هذا موجود بالمشاهدة، ومعلوم بالعقل ضرورة".²⁹

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "... فإنّ اللسان العربي شعار الإسلام وأهله واللغات من أعظم شعائر الأمم التي بها يتميزون".³⁰
فقوة اللغة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بقوة الدولة، ولذلك هناك ترابط قوي بين اللغة والدولة، والسياسة.³¹

يقول المسدي: " فاللغة القومية ليست مجرد وسيلة تعبير، وتفاهم بين إنسان وآخر إنّها بحكم منطقتها الداخلي، وتاريخياتها، وبنائها، وتراكيبها رابطة اجتماعية فكرية من الدرجة الأولى، يتبين ذلك من زوايا ثلاث من النظر يتكامل بعضها: فاللغة أداة تلقي المعرفة، وأداة التفكير، ورمزه، وتجسيده، إنّها الفكر نفسه في حالة العمل".³²

غياب منهجية سياسية لغوية: إذ إنه لا توجد حتى الآن سياسة لغوية في الجزائر، وقد تقاطعت آراء

كثير من الباحثين في ذلك منهم الباحث صالح بلعيد، فقد تطفن إلى غياب سياسة لغوية، وهو ما ذهب إليه السياسي عبد الحميد مهري، فقد أشار إلى هذه النقطة في إحدى محاضراته التي ألقاها في مقر جمعية الجاحظية. وكذلك الباحثة خولة طالب

الإبراهيمي قد تعرّضت للقضية اللغوية في الجزائر، في أطروحتها الدكتوراه في الآداب بعنوان: "الجزائريون والمسألة اللغوية". كما خصّص أيضا الدكتور محمد العربي ولد خليفة كتابا لهذه القضية بعنوان: "المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية" صدر عن ديوان المطبوعات الجامعية ومؤسسة ثالة للنشر، سنة 2003. فمتى ستستفيد الطبقة السياسية من هذه الأعمال العلمية الجديرة بالترجمة إلى قرارات سياسية؛ لذلك يجب في وضع التخطيط للغوي أن لا نروم القضاء على الهوية، واللغة.³³

وقد أكد هذه الحقيقة أحمد درويش في غياب سياسة قومية لغوية استشرت فوضى التّغريب على كل المستويات..³⁴

إنّ اللغة العربية ليست مادة دراسية فحسب كباقي المواد الأخرى؛ بل هي وسيلة لدراسة المواد الأخرى، وإذا كان الانفصال بين المواد مقبولا إلى حد ما، فلا ينبغي أن تكون العربية منفصلة عن بقية المواد³⁵، وهي النتيجة التي وصل إليها الباحث الجزائري الدكتور علي تعوينات أن هناك تأثيراً للمستوى في اللغة العربية على المستوى في المواد الدراسية الأخرى مثل التربية الرياضية (الحساب) وغيرها.³⁶

وغياب سياسة لغوية يلقي بثقله على تعليم اللغة القومية التي توضع مشكلات تعليمها في ذيل قوائم الأولويات لعدم أخذها مأخذاً جاداً في التعليم كما كان يقول جابر عصفور³⁷؛ ويضيف قائلاً: والتعليم خاصة في مراحلها الأولى هو حجر الزاوية في التثقيف اللغوي للناشئة.. ولن ينصلح حال تعليم اللغة القومية في المدرسة.³⁸

إنّ السياسة اللغوية ما تزال تسير بخطى متناقلة في بلداننا العربية على حين استطاع الكيان الصهيوني بسبب التخطيط اللغوي المدروس أن يحيي به لغة كانت في عداد الموات في ظرف لا يتجاوز السنتين

عاماً تحولت العبرية من لغة مهجورة في الأديرة، والكنائس إلى لغة التعليم العالي في كل جامعاته!!؛ يقول سعيد يقطين: إن دخول عصر المعلومات.. . يتطلب وعياً بهذا التحول.. ، وفي اعتقاده أن يترجم هذا الوعي إلى واقع من خلال التخطيط، والاستثمار.³⁹

الأولوية والأسبقية للغة الأصلية: إن الأسبقية التي تحظى بها اللغات الأجنبية في الجزائر، والوطن العربي عموماً في مجال التعليم، وغيرها من المجالات الحياتية أثرت سلباً في استيعاب اللغة القومية لأن إهمالها، والاقتصار على تعلم لغة ثانية جعل الفرد يفكر، ويتمص هوية، وثقافة، وقيم، ومبادئ الأخر وبالتالي فقد لغته، وهويته، وقيمه، ومبادئه، لأن زاوية النظر تكون مبنية على ثقافة مغايرة جعلته أسيراً له.

ولأن اللغة ليست وسيلة للتعبير عن الأفكار فحسب؛ بل هي نفسها التي تشكل تلك الأفكار.⁴⁰

التخطيط اللغوي والوحدة اللغوية لمواجهة الانقسام والضياع: في ظل الصراع وشدة التنافس بين اللغات، تزايد الاهتمام بضرورة التخطيط اللغوي للحفاظ على الوحدة اللغوية لمواجهة الانقسام والضياع في نسق المنافسة العالمية خاصة في عصر العولمة، ولعل من أبرز المشكلات التي تواجهها الأمة اليوم السياسة اللغوية المتبعة في كثير من الدول العربية التي لا تعترف، أو لم تتشأن أن تعترف بالقيمة التنموية للغة في وضع المشاريع الإصلاحية للنهوض باللغة العربية، إذ اعتبرت اللغة معطى شكلياً لا يرتبط بأي أفق تنموي، مما قلص من إمكانية الاستفادة منها.

إن أفراد أي مجتمع من المجتمعات البشرية حين يتحدث أفراد لغة واحدة لا شك أن ذلك عاملاً من عوامل توحيد أفكارهم، ومشاعرهم، وثقافتهم، وأخلاقهم وسياساتهم.. ؛ لأنهم يشتركون في أمور كثيرة تعمل على توحيدهم أكثر من تشتتهم وتمزقهم، واختلافهم.. .⁴¹

فالهولنديون يعرفون أن لغتهم ليست هامة حيث لا يتكلم بها أكثر من خمسة عشر مليوناً، ولذلك لا يوجد شاب هولندي لا يعرف بجانب اللغة الأم لغتين، أو ثلاثاً من اللغات الحيّة، ولكن أحداً لا يناقش بالمرّة في أن التّعليم في جميع مراحلها يجب أن يكون باللغة الهولنديّة، فما بالك باللغة العربيّة، وهي لغة أهم بكثير من اللغة الهولنديّة باعتبار عدد الناطقين بها، وباعتبار تاريخها وتراثها، وحتى باعتبار اعتراف العالم بها.⁴²

السياسة اللغوية وانعكاساتها على اللغة والهوية: لقد كانت إشكالية اللغة والهوية، ولا زالت قضية جوهرية، تثار في مختلف الميادين المعرفية، إذ لا نشك مطلقاً في أهمية اللغة كمقوم رئيس في تشكيل الهوية، لذلك نؤكد على التّرابط العضوي بينهما، إنّ التّخطيط اللغوي الجيد من شأنه المحافظة على الهوية اللغوية مع ما يشهده العالم من تحولات فكرية، وسياسية، وصراعات، وتحولات اجتماعية متسارعة؛ يقول المسدي: إنّ العلاقة بين اللغة، والهوية ليس كما عند الغرب فهي عندهم مبحثاً ثقافياً انترولوجياً، وعندنا سياسي استراتيجي.⁴³

وهذا ما يدفعنا إلى البحث عن مراكز الالتقاء بين الهوية واللغة، على اعتبار أن اللغة هي أول ثابت من ثوابت الهوية المجتمعية، فهي العنصر المركزي الذي يجعل من جماعة معينة تمتلك خصائص ومميزات تختلف عن باقي الجماعات، هذا لأن اللغة ترتبط بشكل قوي بهوية الإنسان. فهي الوعاء الحافظ لتاريخه وتراثه.⁴⁴ هناك أسئلة كثيرة طرحت، وما تزال تلوح في أذهان الباحثين حول العلاقة الجدلية المتجذرة بين اللغة والهوية، هل يصبح لزاماً علينا اليوم أن نطرح هذا السؤال نفسه، والذي ظل يتكرر لسنوات طويلة، خاصة بعد الهزات والتطورات التي عرفتھا الدول العربية على الصعيدين السياسي والاجتماعي، هل ما زالت اللغة العربية معبرة عن الهوية وعنواناً للوجود.

ولا يمكن الحديث عن اللغة دون الحديث عن الهوية لأنّ اللغة تحمل هموم متكلميها، وتنظم سلوكهم وتفاعلهم

وتوحد انتمائهم. فقيمة اللغة إذن ليست في طبيعتها ولا تقع في أساس مكوناتها الداخلية إنما هي فكرة أو مفهوم أو صفة ميزها الناس بها وتفاهموا على الاعتراف بها واعتبارها فيها دون سواها. وهي بالتالي تحليل رؤية هؤلاء⁴⁵. الناس للواقع الذي يعيشونه وتعكس انطباعاتهم وتلقيهم للأحداث التي يمرون بها"

واللغة كما يراها فيصل الحفيان هي أقدم تجليات الهوية لدى الجماعات البشرية، إذ لا شك أن تشكّل هذه الجماعات قد ارتبطت ببحثها عن وسيلة للتفاهم. وإذا كنا لا نعرف - على وجه الدقة - طبيعة هذه الوسيلة الآن.

- فإنّ المؤكد أنها مع بعض التجاوز "لغة"، وأنها هي التي مكنتها من أن تُكوّن مجتمعاً أحس أفراده بأن شيئاً⁴⁶ مشتركاً يجمعهم مع من يتفاهم معهم من ناحية، ويميزه أو يميزهم عن غيرهم من ناحية أخرى.

والمشكلة التي نعاني منها أنّ مؤسساتنا التربوية، وغيرها تحولت من الحرب على العربية التي عمّر مدة طويلة من الزمن إلى الحرب على الهوية" فظل الهجوم على العربية، وما زال بأنّها لغة لا تصلح للعلم والمعرفة، وهذا ما حدا بكثير من الدول العربية لتدريس العلوم باللغات الأجنبية ممّا منح الأسبقية للغات الأجنبية في السياسات التعليمية كل ذلك شكل تهديدا للغة العربية والهوية العربية وهي منطلقات في اعتقادي غير مقنعة وغير علمية وغير مبررة، كل ذلك أدى إلى تقوية الأنساق اللسانية الأجنبية على حساب النسق اللغوي العربي، وبالتالي عمدت إلى إنتاج ميولات إلى الآخر بحكم الصورة النمطية المسبقة عن تخلف اللغة العربية عن مواكبة التقدّم والحداثة والعلوم التطبيقية. لذلك أي مشروع سياسي طموح لا بد أن يحترم مقومات الهوية.

إنّ التفريط في اللغة هو تفريط في الهوية، وكسر لهيكل تماسك المجتمع

ووحده. ⁴⁷

يقول كافي: إنّ السياسات اللغوية جارية في كل مكان، وتصاحب كل مرة الحركات السياسية، والاجتماعية، ذلك أنّ التغيير اللغوي يأتي ليدعم بروز الأمم وتماسكها، وأحياناً على العكس يصاحب تفكك بعض البلدان إلى كيانات سياسية جديدة.⁴⁸

فاللغة هي السبيل القوي للحفاظ والثبات على المشاركة في الجماعة وعلى الهوية الخاصة بكل فرد، ويورد (ر. ل. تراسك) مثلاً على أنّ الحفاظ على اللغة حفاظ للهوية بأنّ هناك سبباً يستخدم لغة خاصة بطبقته وحين التخلي عن هذه اللغة وتناول لغة أخرى ليست من طبقته يعني هذا التخلي عن لغته وعن هويته، وكأنّه يقول: "لم أعد واحداً من جماعتكم" لذا تعدّ اللغة أداة بالغة القوة للإعلان عن هوية شخص ما والحفاظ عليها.

فقد حرصت الأمم حرصاً شديداً منذ القدم على الحفاظ على لغاتها واستمرارها لأنها تشكل هويتها، ومرجعيتها، فالعناية بلغة الأم تصبح جزءاً لا يتجزأ من شخصية صاحبها، وتظل قائمة حتى ولو زاحمتها لغات أخرى فيما بعد فتبقى أقرب اللغات للتعبير عن الخلجات الدقيقة إرسالاً، واستقبالاً.

يقول حسام الخطيب: لا يكاد يختلف اثنان في أنّ مدارسنا، ومؤسساتنا تظهر عجزاً فادحاً في مجال تعليم اللغة العربية حتى لتبدو حصة العربية في المدارس مثل حصة اللغة الأجنبية، وهناك شبه اتفاق بين مدرسي اللغة العربية لى ظاهرة الضعف، وأنّ كثيراً من الطلاب لا يعرفون لغتهم القومية، ولا يحسن استخدامها ويراهما عبئاً، على الرغم من الجهود المبذولة في المجال التربوي

إنّ الإنسان، كما يذهب إلى ذلك جان فرانسوا ماركيزيه، كان يبحث منذ البدايات عن مرآة يمكن أن يجد فيها صورة هويته المشتتة، وقد جمعت وجرى فهمها أخيراً، وهو يعثر على غذاء بحث كهذا في اللغة، الفلسفة، والآداب..

فمما لا شك فيه أنّ حجر الأساس لتحول كبير في مفهوم الهوية يليق بالعالم الجديد قد وُضع، وتبدو مسألة الهوية في هذا السياق كعملية تكيف مع العالم المقبل

وما يرافقها من صخب، وضجيج يشبه ما حدث عند المنعطفات الكبرى في التاريخ الإنساني كلها؛ إذ لم تولد دولة المدينة من غير ضجيج وآلام، ولم تولد الدول القومية من غير ذلك، ولم تولد الإمبراطوريات الكبرى من غير معاناة.

لا تمتلك سياسة لغوية ذات خطة واضحة للرقى باللغة العربية في مجال التعليم، والتربية، والتخطيط يمثل الروح العلمية التي قوامها أن تدرس الأشياء لمعرفة قوانينها بغية التأثير على مجرياتها، لذلك فإن نجاح العملية التعليمية، يتوقف على عمليات التخطيط العملي المستمد من واقع المؤسسات، وذلك لأجل التغيير والتطوير، وتحسين الواقع الحالي لما يخدم المستقبل، ومتطلباته.

فاللغة هي السبيل القوي للحفاظ والثبات على المشاركة في الجماعة وعلى الهوية الخاصة بكل فرد، ويورد (ر. ل. تراسك) مثالا على أن الحفاظ على اللغة حفاظ للهوية بأن هناك سبباً يستخدم لغة خاصة بطبقته وحين التخلي عن هذه اللغة وتناول لغة أخرى ليست من طبقته يعني هذا التخلي عن لغته وعن هويته، وكأنه يقول: "لم أعد واحداً من جماعتكم" لذا تعد اللغة أداة بالغة القوة للإعلان عن هوية شخص ما، والحفاظ عليها.⁴⁹

ولعل أكبر تهديد يهدد المنظومة التربوية وهو خلق هوية ذات مفاهيم وقيم هجينة تغييب فيه المقومات الشخصية، لذا كما يقول صالح بلعيد: أن نأخذ الهوية البعد الروحي في المقام الأولى، وأكثر ما يتجسد في المنظومة التربوية.⁵⁰

فاللغة ليست مجرد أداة للتواصل فقط كما يروج له التيار التغريبي والفرنكوفوني، إذ يرفضون ربط اللغة بالهوية، ومن ثم يرفضون ربط التخطيط والسياسة اللغوية بالهوية، من هنا كان ضروري التماهي بين السياسة، واللغة والهوية.⁵¹

السياسة اللغوية بين فاعلية التطوير وآليات التدمير: معظم السياسات اللغوية في العالم بأسره تسعى، وتهدف أن تكون لغتها الوطنية المشتركة لغة العلم والمعرفة، ومن ثم تسعى لتعميمها، وتنميتها، وتطويرها، وتيسير استعمالها لتكون

اللغة الرسمية المكرسة بقوة الدستور عبر الإجراءات القانونية، والمؤسساتية كالمجامع اللغوية، والمعاهد، ومراكز البحوث، والإجراءات الثقافية، والإعلامية والمؤسسات التربوية التي تجعل اللغة الوطنية في التعليم، والتدريس، وتجعل التمسك بها من أهم مظاهر وجودها؛ لذا لا ينبغي الاختلاف حول جوهر بناء سياسة لغوية تعزز مكانة اللغة الوطنية التي تزيد من وحدة الثقافة، ووحدة الوطن ووحدة التاريخ، ووحدة المصير،؛ فاللغة العربية لا تقترب بهوية ضيقة فهي الجامعة، فهي ليست مرتبطة بهوية ابتلاعية، ولا هوية اقصائية،⁵²

ونأمل أن يتخذ السياسيون العرب بكل توجهاتهم توحيد السياسة اللغوية والحرص عليها فهي الهوية الباقية للرب مع عقيدتهم، وقرآنهم.⁵³

ولا يمكن أن يتم الاتحاد والإخاء بين الناس، وصيرورة الشعوب الكثيرة أمة واحدة إلا بوحدة اللغة؛ إذ مازال الحكماء الباحثون في مصالح البشر العامة يتمنون لو يكون لهم لغة واحدة مشتركة، يتعاونون بها على التعارف، والتآلف ومناهج التعليم، والآداب، والاشترك في العلوم، والفنون، والمعاملات الدنيوية، ولا شك أن هذه الأمنية قد حققها لنا الإسلام بجعل اللغة العربية لغة القرآن، والدين والتشريع والحكم لغة لجميع المؤمنين به، والخاضعين لشريعته، إذ يكون المؤمنون مساقين باعتقادهم ووجدانهم إلى معرفة لغة كتاب الله، وسنة رسوله لفهمهما، والتعبد بهما والاتحاد بإخوتهم فيهما، وهما مناط سيادتهم، وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وبذلك كرر في القرآن بيان كونه كتابا عربيا وحكما عربيا، وكرر الأمر بتدبره، والتفقه فيه والاتعاظ، والتأدب به.⁵⁴

إن وحدة اللغة هي أهم، وأمتن الروابط التي تربط الأفراد بعضهم ببعض وهي أفضل العوامل التي تؤثر في تكوين شخصيات الأمم.⁵⁵

تكذيب فريّة العربية لا تصلح للعلوم والتقنية: ظلت النخب التي مسخت بالاستغراب، والاستلاب في الأوساط الأكاديمية تردد فريّة أنّ العربية لا تصلح لتدريس العلوم التقنية، وأنها عاجزة عن استيعاب التقدم العلمي والمصطلحات

العلمية، والحضارية التي نشأت في لغات أخرى، وتحاول إقناع نفسها بهذه الكذبة وتعمل جاهدة لإجهاض أيّ عمل للنهوض باللغة العربية في مجال البحث العلمي. وهي الفرية والمغالطة التي ردها ومازال يردها كثير من الباحثين، هؤلاء يعلمون خصوبة اللغة العربية وغناها وقدرتها غير المحدودة على استيعاب كل مصطلحات العلم الحديث، ربما أكثر من لغات أخرى كثيرة على الرغم من وجود بعض النقائص، أو عن طريق الاشتقاق، أو نحت ألفاظ جديدة، وهم يدركون المحاولات العلمية الناجحة سواء التي بُذلت بواسطة أفراد، أم جماعات، أم هيئات (مثل مجامع اللغة العربية)، والتي تمّ فيها نقل مصطلحات العلم الحديث والحضارة المعاصرة إلى اللغة العربية. وأثبتت هذه المحاولات بالفعل - قدرة اللغة العربية - على استيعاب كل مصطلحات الحضارة الحديثة، وهم يعلمون أكثر من غيرهم حال اللغة العربية في عصور الحضارة العربية الإسلامية وازدهار العلوم، وكيف كانت اللغة العربية تستوعب العلوم المختلفة، وتمتلك من الغنى والخصوبة، والتجدد ما يجعلها قادرة على التعبير، والتأثير، سواء في العلوم التي نشأت في ظلّ الحضارة العربية، والإسلامية، أم التي نقلت إليها عن طريق الترجمة، أعتقد أنّ الإشكالية التي يطرحونها، وطبيعة النقاشات المرتبطة بها، لم تتمّ حتى الآن معالجتها بالشجاعة المطلوبة، وبالديمقراطية التي تعتمد الحوار البناء الحوار العلمي البعيد عن التبعية، والأحكام المسبقة.

إنّ التّكذيب الحقيقي لهذه الفرية والرد على هذه المغالطة ما نشهده من دولة اليابان، والصين، وألمانيا، واليونان وكوريا الجنوبية، وأندونيسيا، وغيرها من الدول التي تدرس العلوم بلغاتها المحلية، ولم تنعزل هذه الدول عن التّقدم العلمي الذي يجري في العالم خاصة، وأنّ أسس، وقواعد العلوم الأساسية، والرياضيات ثابتة لا تتغير.

وتؤكد محيا زيتون على ضرورة استعادة دور اللغة العربية كعامل محفز على التّعاون العربي، كما تدعو لوضع خطط للتعليم في البلدان العربية كأولوية تعمل

على تمكين إجادة اللغة العربية، . . . ، وتتبنى فكرة أن تكون اللغة العربية هي الوسيط الرئيس للتدريس في المدارس، ومؤسسات التعليم العالي.⁵⁶ ويقول محمد الغزالي والتفسير الوحيد الذي نستطيع أن نقدمه لهذا التناقض هو أن الدول التي سادت فيها لغات غير لغتها القومية قد أتاحت لها الفرصة لأن تلاحظ أكثر الأثر الهدام لإهمال اللغة الأم، وأن تؤمن أكثر باستحالة تحقيق الوحدة الثقافية والاستمرارية التاريخية وربط الأجيال الجديدة بواقعها، مما أدى إلى تخبط وفشل عمليات التتمية المتكاملة، في حالة الاستمرار في تجاهل اللغة القومية.⁵⁷

السياسة اللغوية والمجتمع: اللغة مؤسسة اجتماعية تخضع للتطور وفق آليات سوسiolسانية لكنها تقبل التدخل المخطط لها فلا غرابة إذن أن تكون هذه القضية مركز استقطاب الدراسات السوسiolسانية.

تشكل اللغة الركيزة الأساس في بناء المجتمعات، وليست هناك لغة خارج المجتمع، ولا مجتمع من غير لغة، وهي أضخم عملية حضارية تنشئ الحضارة وتمثلها، وتعبّر عنها، وهي ذات رصيد حضاري لا حدود له، والانتماء إلى اللغة هو انتماء إلى وجود معين، فموقع اللغة هو الحياة نفسها، ولا وعي من غير لغة يقول المسدي: "وبين اللغة، والمجتمع علاقة متبادلة.. ، فلا تتحرر دون مجتمع يتحرك، ولا مجتمع يتحرك من دون لغة. . ، فإنّ المشكل اللغوي هو في الواقع تحليل للنسيج الاجتماعي الثقافي الأولي، والأساسي الذي تقوم عليه الوحدة الثقافية القومية، وهذا التحليل ليس في واقعه لغوياً بقدر ما هو تحليل للمجتمع".⁵⁸

لا شك أن العوامل الاجتماعية، والسياسية، والثقافية تؤدي إلى انحدار استخدام اللغة في السياق الثقافي العام، خصوصاً مع تدني طرائق الأداء اللغوي حتى في المستويات، والجماعات التي ينبغي أن تتميز بسلامة أدائها اللغوي، وتبرأ من العجمة، والمغالط، والركاكة، أو غير ذلك من علامات الضعف اللغوي الذي شاع⁵⁹ إلى درجة مخيفة.

إنّ أحد المرئكزات الأساسية للتعليم الرسمي التأكيد على مسألة الحديث والقراءة بتصحيح ما يقوله الطلاب وما يكتبونه.⁶⁰

تحدي الوقوف في وجه الحملات المسعورة على اللغة العربية: لقد أصبح من الركائز الرئيسة للحادثة أن يكس الحداثي نمطية اللغة، وأن يستحدث لغة حداثية جديدة تنمرد على القوالب المعروفة تحت ستار أنّ هذه القوالب قد لاكتها الاسنة حتى باتت فارغة من مضامينها الحقيقية.⁶¹

ما أكثر ما يجري العدوان على هذا اللسان الذي وسع الدين، والقرآن، ولعلّ سبب إعلان الحروب على اللغة العربية الفصحى هي كون تلك اللغة لغة القرآن الكريم، ولغة الحديث النبوي الشريف، ولغة حضارة، وتراث الأمة.

إنهم يريدون أن تكون هناك لغة للمعبد وهي العربية، ولغة للمعهد العلمي وهي الإنجليزية أو الفرنسية، أو ما إلى ذلك.. وهذه قضية خطيرة جداً.. وشيئاً فشيئاً سوف تنفصل العربية عن الحياة..، وسوف يكون انقطاع عن التّواصل اللغوي وإدراك الميراث الثقافي، والتّفاهم مع القرآن بالنسبة للأجيال القادمة.. فالقضية ذات أبعاد متعددة وخطيرة.. اتفق علماؤنا على أنّ النظم العربي جزء من النص القرآني.. جزء من الوحي..، ولا يمكن أن يسمّى وحياً أبداً لو ترجم القرآن إلى لغة أخرى، مهما كانت الترجمة.

ولعل هذا ما دفع طه حسين أن يدعي أنّ الأمم كانت لهم لغتهم الطبيعية المألوفة التي تفكر بها، وتطبقها، ولها في الوقت نفسه لغتها التي تقرأ بها كتبها المقدسة والعرب حسب رأيه منهم لا يختلفون عنهم.⁶²

تحصين الذات: استتير ما قاله إدوارد سعيد عن الثقافة لإسقاطه على اللغة فإننا سوف نفتتح ولا بد بأنّ جدلية تحصين الذات وتوكيد الذات التي تحقق من خلالها الفصحى هيمنتها على المجتمع، والدّول، لهي جدلية معتمدة على تلك الممارسة الدائمة التي تمارسها الدّعوات المشبوهة للتخلي عن الفصحى لعزل ذاتها عن كل ما تتصوره لا يمت بصلة إلى ذاتها هي. وأما الأسلوب الذي يتم به هذا

العزل فهو على الدوام وضع العاميات، واللهجات، واللغات الأخرى المدعومة فوق الفصحى.⁶³

الفجوة بين لغة المدرسة واللغة التي يتعلمها الطفل في المجتمع: من يُحضّر الأطفال مسبقاً لمجابهة الاختلاف القائم بين لغة البيت، وما تتطلبه المدرسة في ميدان التفاعل اللغوي في الصف، مما يمكن أن يعرقل الطفل على المشاركة في العملية التعليمية. فالاختلافات في الضوابط اللغوية بين البيت، والمدرسة.

هناك فجوة كبيرة الإجراءات بين القانونية والممارسات التطبيقية: إن اللغة العربية لا تكاد تسجل إلا حضوراً رسمياً شكلياً على مستوى الدستور دون ترجمة هذا الدستور على مستوى الممارسة.

من المفروض أنّ ترسيم لغة ما في الدستور يُكسبها وضعاً قانونياً يحميها ويكفل لها الاستعمال في مختلف الإدارات، والمؤسسات، ونواحي الحياة إنّ رسمية العربية في الدساتير العربية كان من المفروض أن تقوم بمختلف الوظائف: التعليم ونشر المعرفة، والتواصل، والإعلام، والإشهار...⁶⁴

إنّ السيادة في نظرنا هي الكفيلة بالنهوض باللغة العربية في التعليم، عندما أصدرت الجزائر قانوناً يتمّ بموجبه تعميم استخدام اللغة العربية وقعه الرئيس الشاذلي بن جديد 1991م لكنه جمد هذا القرار ثمّ شلت ضده حملات مسعورة من قبل فرنسا، واللوبي الفرانكفوني، ولم يهدأ لهم بال حتى أصدر البرلمان الأوروبي قراراً ضد القانون الجزائري 1997م جاء فيه أنّ اللغة العربية فرضت عنوة على المجتمع الجزائري في التعليم والقضاء والإدارة... والدول الغربية عموماً، وفرنسا خصوصاً تعمل جاهدة على منع أيّة محاولة جادة لإعادة الاعتبار للغة العربية والغريب أن فرنسا ذاتها أصدرت 1994م قانوناً لحماية اللغة الفرنسية.⁶⁵

يقول الفهري الفاسي: إنّ تعارض القوانين، والدساتير اللغوية مع الممارسة هو إحدى ملامح السياسة اللغوية في المغرب العربي.⁶⁶

فهيمنة اللغة الأجنبية في التعليم على حساب السنّ الهوية لها انعكاس سياسي سلبي، وعدم احترام القانون، والحقوق اللغوية للمواطنين.⁶⁷

السياسة اللغوية و الإستراتيجية: إنّ نجاح العملية التربوية يعتمد على وجود سياسة واضحة، وإستراتيجية لاختيار اللغة التي يتلقى بها الطفل معارفه مما يجعلها تعتمد على مدخل رئيس لإنجاح الأهداف التربوية، لأنها تقوم بدور محوري وبالتالي تمكنه من تحقيق الاستراتيجيات، والأهداف التربوية التعليمية.

إنّ مستقبل الأمم، والمجتمعات، وتطورهم يعتمد بالدرجة الأولى على مستواهم العلمي، والمعرفي من أجل ذلك تحرص الأمم، والمجتمعات على الاهتمام بقطاع التعليم، وجودته الذي يسهم في تنمية العملية التربوية، بوضع سياسة لغوية تخدم اللغة الوطنية، وتعززها لأنه كما يقول نبيل علي وليد التفاعل بين التربيّة والمجتمع، والتكنولوجيا.⁶⁸

ولما كانت الإستراتيجية هي فن استخدام الوسائل لتحقيق الأهداف والأغراض التربوية كان وضع إستراتيجية سياسية ضرورة ملحة في النظام التربوي لأنه من الأنظمة الاجتماعية الهامة، والحساسة في أي مجتمع حيث أنّ محور النظام التربوي هو بناء إنسان صالح قادر على الإسهام الفعّال في بناء وتقديم مجتمعه ونحن هنا نتحدث عن النظام التربوي بكلّ مكوناته؛ قيادة، وطلبة وهيئة تدريس وإداريين، وأبنية، ووسائل تعليمية، ومناهج وما إلى ذلك⁶⁹؛ ويبقى في اعتقادنا أنّ العنصر البشري هو الأهم.

السياسة اللغوية ومراعاة الاختلاف: إنّ الاختلاف بين الأفراد والمجتمعات، حق أقره القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾.⁷⁰

إنّ هذا الاختلاف الذي قامت عليه الحضارات، والثقافات والذي استفادت من منجزاته الشعوب، والأمم، يصبح لا معنى له عندما يتحول إلى صراع، إنّ

التواصل الذي يتأسس على تفاعل حر بين ثقافات مختلفة، ينشد خيراً يتوزع على الجميع دون زيغ، أو محاباة، وهذا التفاعل يكون له أثر لفكر حوارى يؤمن بالاختلاف، والمساواة في آن، دون أن يرى أن بعض الشعوب أقل شرفاً من شعوب أخرى.

أصبحت السياسة اللغوية تلعب دوراً كبيراً في حياة الأمم المعاصرة حيث تحولت إلى جزء من يوميات الإنسان المعاصر، وأداة للتأثر، والتأثير، وهو الذي أضحى لا يستغني عنها، والتي أحدثت داخل النظم الثقافية للمجتمعات زلزالاً عنيفاً فأصبح بعيداً عن المراقبة ويملك مساحة من الحرية التي تجعله يتحرر من القيود والترويح للأفكار، والمعتقدات من دون رقابة سلطوية، وهي معضلة فكرية إجرائية ؛ صحيح لا قيمة للفكرة مهما كانت طبيعتها إلا إذا شاعت بين الناس، ولعل خير وسيط يحمل هذه الأفكار الوسائط الاجتماعية.⁷¹

فالأمة التي لا تنتق بقدراتها، ولا تقدر إمكاناتها الذاتية حق قدرها؛ لا يمكن إلا أن تكون على الدوام ظلاً للآخرين، تابعة لهم، لا تعتمد إلا على ما يقولون، ولا تنفذ إلا ما يقررون، وهذا هو التسول الحضاري بعينه، الذي يُمثّل قمة العجز والفشل، والاستسلام أمام التحديات التي تواجهها.⁷²

الخاتمة:

فهذه الورقة البحثية لا تدعى - ولا ينبغي لها أن تدعى - الإحاطة بكل تفصلات السياسة اللغوية، ولم يكن هدفها رصد جميع محطاتها بكل تفاصيلها ورؤاها لأنّ هذا العمل يحتاج في حقيقة الأمر لأكثر من جهد باحث، كما يحتاج إلى فضاء أرحب الذي لا تسمح به هذه الدراسة على الرغم من أهميته في رصد الذاكرة التاريخية للأمة، ولكنها حاولت جاهدة القبض على مفاصل هذه السياسة اللغوية بما يفي بالغرض في المساحة الممنوحة لي في هذه الساحة العلمية على الرغم من أهمية هذا المشروع لبيان الاختلالات الفكرية التي أوقعت هذا الفكر في قطيعة معرفية، وانتكاسة فكرية مع المرجعية التي اعتمدها الأمة؛ بل حاولت الدراسة الوقوف على بعض مظاهر هذه السياسة في تعاملها مع اللغة الوطنية ودعوتها للتخلي عن اللغة الوطنية عبر بعض الإشكاليات التي حددت كإطار للمعالجة، والمقاربة.

ولكن حسبها أن تكون قد أثارت بعض الأسئلة، وطرحت بعض الإشكالات وأثارت بعض المساحات المظلمة، وكشفت عن بعض المواطن الخفية، وأسهمت بشكل، أو بآخر في تجلية الظاهرة، وبلورتها وفق الرؤية التي ارتضاها البحث الذي لا يؤمن بالإجابات القطعية، والأحكام المبرمة عن الذات إنّ الخوف على اللغة العربية، والذات، والوطن.. . أمر مشروع في ظل رؤية التبدلات الجارفة والعميقة التي أحدثها زلزال التغيير، التحديات في كل الأمصار، وعند كل الشعوب دون استثناء، لذلك نؤكد أنّ الأسئلة التي طرحتها هذه الورقة البحثية على نفسها ليس بالضرورة أن تجد الحلّ الحاسم لها غداً، ولكنها تبقى تُصرُّ على طرحها وتدعو الباحثين لمناقشتها مناقشة علمية هادئة هادفة بعيدة عن الارتجالية وردّة الأفعال الآتية، والمرحلية؛ فلا يزال السؤال مطروحاً حتى نصل إلى الإجابة المناسبة، والعلاج الشافي الذي من خلاله يمكن أن تستردّ اللغة الفصحى حيويّتها وتستردّ الأمة مزيداً من ملامح شخصيتها، ومكانتها، وعلى الرغم من تباين الآراء

واختلاف وجهات النظر بين الباحثين حول كيفية الحفاظ على اللغة، وما هي أولويات الأهداف، والسبل الكفيلة للنهوض بها، إلا أننا ندعو للعودة إلى تعزيز وتعميق وإحياء اللغة العربية، والحفاظ عليها من عوامل الطمس الذي تتعرض لها. خاصة في ظل الخوف كل الخوف من الحملات المسعورة، والتخطيط الاستراتيجي للقضاء على اللغة العربية، وفي ظل الكونية، والهيمنة الغربية أن تسعى إلى سن قانون دولي جديد يفرض اللغات الأجنبية، والعامية، ويحميها بقوة القانون.

ومن ثمّ العمل الجاد على إعادة الاعتبار للغة العربية لأنّ اللغة ميزانٌ دقيق ومعيارٌ أساسي في حفظ الهوية، وتحديد الذات، فهي شريان الأمة، وأفئوم الحضارة، ومصدرٌ عظيمٌ من مصادر القوة، وإذا أضاعت أمة لسانها أضاعت تاريخها، وحضارتها، كما تضيع حاضرها ومستقبلها.

وتبقى قضية اللغة العربية قضية من أهم قضايا مشروع التجديد، والإصلاح لا يمكن أن تحصل نهضة حقيقية لهذه الأمة بغير نهضة لغوية، متزامنة مع المشروع الكلي، وخادمة له. !

لم تكن اللغة يوماً نافلة في مجال التدافع الحضاري، وساحة الصراع الأيديولوجي إلا عند من لا يفقه سنن المغالبة بين الأمم، والشعوب؛ بل كانت ولا تزال من أهم مواقع الصراع الفكري، ومن أخطر أسلحة الاحتواء الاستراتيجي لثقافات الشعوب، وتمييعها؛ لإخراجها عن طبيعتها وصبغتها؛ ولولا ذلك لما كانت الفرنكوفونية اليوم تجري في تنافس محموم مع الأنجلوسكسونية؛ لاحتلال مواقع التأثير الثقافي في العالم.

ومن هنا تعيش اللغة العربية اليوم أزمة شديدة على وزان الأزمة العامة للأمة بما هي مغلوبة على أمرها، تستهلك أكثر مما تنتج في كل المجالات تقريباً من عالم الأفكار إلى عالم الصناعات، إلى عالم العادات وأشكال (الموضة)، حتى تسريحة شعر الرأس، ولحن الخطاب في التّحية، أو إلقاء الخبر.

أزمة اللغة العربية اليوم واقعة بما هي مبرجة للاغتيال، ضمن مشروع استعماري تدميري كلي لهوية الأمة، في إطار الاستعمار العولمي الجديد للعالم. ولذلك كان لا بد من تسليط الضوء على السياسة اللغوية في مشاريع إصلاح التعليم المتتالية، وقضية اللغة العربية؛ فكانت تأخذ السياسة اللغوية مركزاً محورياً لدى اهتمام السياسيين، وصناع القرار خاصة في ظل الإصلاحات الجديدة للدولة والعولمة، لذا كان من الضروري الاهتمام بموضوع السياسة اللغوية وكيف يمكن أن تسهم في تحقيق الأهداف التربوية باللغة الوطنية.

إنّ الحكم على قصور وعدم كفاءة سياسة لغوية معينة يحتاج إلى مزيد من البحث، والدراسة، لذلك ليس من أهداف، ولا من غايات هذه الدراسة الانتصار لسياسة لغوية على أخرى كما ليس من أهدافها الحكم على الآراء فتتصبب نفسها لتصويب أناس، أو لتخطئة آخرين؛ بل كان هدفها هو مقاربة مفهوم السياسة اللغوية، ودورها في تحقيق العملية التعليمية بمقاربة واعية نستفيد من مخرجاتها لعلها تبصرنا أكثر، وتزيد وعينا أكثر بأهمية رسم سياسة لغوية لنخلص إلى نتيجة ما كنا لنصل إليها.

في ختام هذه الورقة نؤكد على الدور الذي يمكن أن تلعبه السياسات اللغوية في تحقيق الأمن، وفي تنمية المجتمع، وذلك بالحرص على أداء وظائفها، ومهامها الموكلة إليها، والعناية بالبحوث العلمية المنجزة باللغة العربية، وما ينجم عنها من نتائج تقودنا إلى خدمة التنمية الشاملة.

إنّ رسم الخطط، والسياسات اللغوية للرفعي بالمجتمعات أمنياً، وتنموياً ما زال بعيداً يحتاج في حقيقة الأمر لقرار جري، حتى وإن كانت هنالك قرارات اتخذت من بعض الدول في هذا المجال، لكن تبقى في اعتقادنا غير كافية للنهوض بالسياسة اللغوية بسبب بعض المعوقات تحول دون الاستخدام والتوظيف الأمثل لهذه السياسات وتشجيعها، ودعمها، فالحال في العالم العربي لم يتغير فهو متشابه ليس هناك استثناء إلا بعض الدول العربية، السياسة اللغوية المتبعة ليس بأفضل

حال، فلا يزال توظيف نتائجها في تنمية المجتمعات ضعيفاً دون المستوى المطلوب حتى الآن، فما زالت النخب الأكاديمية غير مقتنعة ولا مؤمنة بأهمية ومكانة اللغة العربية في مجال البحث العلمي، إذ تنظر إليه نظرة إزدراء واحتقار، وتجعله في ذيل اهتماماتها الطويلة العريضة، وتعمل على تقزيم دوره في تنمية المجتمع وإبعاده في رسم السياسات، وصنع القرار.

إنّ تفادي حدوث الجريمة في اغتيال اللغة العربية وفتح الأبواب أمام سياسة لغوية في الوطن العربي باللغة العربية من شأنه أن يعيد للأمة قوتها، ويجعلها تعيش معنى وجودها.

إنّ تدريس العلوم التّقنيّة في المدارس، والجامعات العربية باللغة العربية ممكن التطبيق، إذ تؤكد الدراسة الحاليّة على أنّ خلاص المدارس، والجامعات من أزمتها يتوجب اتخاذ قرارات سياسيّة جريئة حتى تنهض باللغة الوطنيّة، وإقامة مجتمع معرفي بلغته الوطنيّة لابد من ثورة شاملة على الممارسات بإعادة هندسة بعض المفاهيم، والسلوكيات التي تبلورت نتيجة للسياسات، والتشريعات المتبعة وفق رؤية إستراتيجيّة واضحة ومستمرة لكي لا تذوب مضامينها في أشكالها.

لا شك أنّ هذا لا يحل بمجرد ورقة في مؤتمر؛ بل الأمر يحتاج لمزيد من الدراسات، والحوار، والمناقشة والتنسيق.

النتائج: توصلت الدراسة إلى النتائج التاليّة:

- ضرورة إعادة النظر في السياسة اللغوية لإصلاح أوضاع اللغة الوطنيّة.
- العمل على ترقية وتطوير اللغة الوطنيّة لتكون أداة تعليميّة فاعلة في جميع مستويات التعليم وفق إستراتيجيّة واضحة تضمن الهوية الوطنيّة.
- الضعف في مخرجات التعليم يرجع لضعف إتقان اللغة العربية لدى المتعلم.
- عدم وجود سياسة لغوية تغطي جميع مراحل التعليم باللغة الوطنيّة.
- ضعف وظيفة اللغة في الاستعمال في الأسرة، والمدرسة، والمجتمع والإعلام.. . بسبب الهزيمة النفسيّة والمواقف السلبية.

إنّ السياسات اللغوية المتبعة في كثير من الدول العربية خفية، أو علناً ترجح هيمنة اللغات الأجنبية في-

التكوين العلمي، والتقني.. . ، وتجعل اللغات الوطنية في الهامش.

- اللغة الوطنية ،تربط الفرد بوطنه، وقيمه الروحية، وتاريخ بلاده؛ ممّا يغرس في قلبه محبته، والدفاع عنه؛ ولهذا فإن المرحلة التي يمكن الاطمئنان فيها على الطفل الذي نريد أن نعلمه لغة أجنبية هي المرحلة التي تأتي بعد أن يرسخ في معرفة لغة وطنه، ويكتسب فيها ملكته، ويعرف عقيدته الدينية، ومن ثم يصبح محصناً من كل تيار أجنبي.

- على الرغم من إقرار معظم دساتير الدول العربية على أنّ اللغة العربية هي اللغة الرسمية ، نلاحظ غياب تفعيل تلك التدابير، وعدم وجود استراتيجيات، أو سياسات لمعظم الدول العربية في المجالات المختلفة للارتقاء باللغة العربية في ظلّ التحديات.

-ضرورة الارتقاء بالإعلام العربي شكلاً، وذلك باستخدام لغة فصحة سليمة ميسرة، ومضموناً بالأمانة المهنية حتى يسهم، ويؤثر في السياسة اللغوية.

- غياب الإستراتيجية التي تبلور سياسة التعليم، وغياب الطابع القومي في التعليم، وعدم إسهام من يعينهم الأمر في تطويره.

المصادر والمراجع:

- الإدارة التربوية والسلوك التنظيمي: د. هاني عبد الرحمن صالح الطويل، ط 3. 2001م دار وائل للنشر والتوزيع، عمان الأردن.
- الإحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ط. الأولى 1404 دار الحديث، القاهرة.
- أساس البلاغة : الزمخشري، 1399هـ، 1979، دار الفكر.
- أساسيات اللغة تراسك:، ت. رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، ع381، ط1، 2002.
- أضواء لى الدراسات اللغوية المعاصرة: نايف خرما 1978، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون - والآداب، الكويت.
- اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. الثانية ، 1369، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة.
- إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية: أحمد درويش، ط. 1، 2006، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع.
- تاج العروس من جواهر القاموس: المرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- التجارة بالتعليم في الوطن العربي: الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية: زيتون، محيا مركز دراسات الوحدة العربية 2013، بيروت، لبنان.
- التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي كوبر، ترجمة: خليفة الأسود 2006: مجلس الثقافة ليبيا.
- تدريس فنون اللغة المربية: مذكور علي أحمد 2000، دار الفكر العربي القاهرة مصر.
- التعدد اللساني واللغة الجامعة: عثمان سعدي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر 2014.
- التعريب والتنمية البشرية في كتاب العربية: الراهن والمأمول: علي القاسمي 2009 المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر.

- تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا 1990 م، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
- التّواصل الدائم اللغة في عالم الإنترنت والحوال، تأليف: نوامي س بارون ترجمة: د. محمد مازن جلال1436، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض.
- الثقافة العربية وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي: د. نبيل علي ط.. الثانية 2012، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
- حرب اللغات والسياسات اللغوية: لويس جون كالفلي، ترجمة: حسين حمزة، ط. 1 2008 مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان.
- حصوننا مهددة من الداخل: محمد محمد حسين، ط. الخامسة 1398، المكتب الإسلامي بيروت.
- دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة: نور الدين صدار كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية الجزائر.
- السياسات اللغوية: لويس جون كالفلي، ترجمة: محمد يحياتن، ط. الأولى، 1430 2009 الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم.
- السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها: جيمس وطوليفسون، تر: محمد خطابي، ط. 1 2007 مؤسسة الغني، الرباط، المغرب.
- السياسة اللغوية في البلاد العربية بحثا عن بيئة طبيعية عادلة وديمقراطية وناجعة: عبد القادر الفهري، ط. الأولى 2013، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان.
- سيكولوجية اللغة والمرض العقلي: جمعة سيد يوسف 1990، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
- شبكات التواصل الاجتماعي: د. فيصل محمد عبد الغفار، ط1، 2015 الجنادرية للنشر والتوزيع.
- صعوبات تعلم اللغة العربية لدى تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي في المناطق الناطقة بالبربرية والمناطق الناطقة بالعربي دراسة ميدانية مقارنة مجلة جامعة أم القرى. العربية والأمن اللغوي: زهير غازي زاهد، 2000 مؤسسة الوراق، عمان الأردن. -

- العرب والانتحار اللغوي: د. عبد السلام المسدي، ط. الأولى 2011، دار الكتاب الجديد لبنان.
- علم الاجتماع اللغوي: لويس جون كالفني ترجمة: محمد يحياتن، 2006، دار القصة.
- علم الإعلام اللغوي: عبد العزيز شرف، ط1، 2000، مكتبة لبنان.
- العالم والنص والناقد : إدوارد سعيد، ت: عبد الكريم محفوظ 2000 من منشورات اتحاد الكتاب العرب.
- لسان العرب: ابن منظور، ط. الأولى، دار صادر، بيروت.
- اللسانيات الاجتماعية: جوليت غارمادي، تر: خليل أحمد خليل، ط. 1 1990 دار الطليعة بيروت، لبنان.
- لغة الطفل العربي دراسات في السياسات اللغوية وعلم اللغة النفسي: علي القاسمي 2005 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.
- اللغة العربية القيمة والهوية: بسام بركة، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002.
- لغة الهوية والتعلم بين السياسة والاقتصاد نموذج تماسكي تنوعي وتعددي: عبد القادر الفاسي الفهري، عدد1، مجلد1، سنة2016، تبين للدراسات الفكرية والثقافية.
- اللغة والاقتصاد: فلوريان كولماس، ترجمة: د. أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان، 2009 سلسلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت نوفمبر.
- اللغة وعلم اللغة: جون ليونز، ط. الأولى، دار النهضة العربية.
- اللغة والاقتصاد: فلوريان كولماس، تر: د أحمد عوض م راجعة عبد السلام رضوان، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب الكويت سنة 2001 م.
- اللغة والهوية: إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات: فيصل الحفيان، مجلة التسامح العدد الخامس 1425هـ- 2004.
- مخاطر العولمة على الهوية الثقافية: د. محمد عمارة، ط1. 1999م، نهضة مصر

للطباعة.

-المعجم الوسيط : إبراهيم مصطفى - أحمد الزيات - حامد عبد القادر - محمد

النجار تحقيق، مجمع اللغة العربية، القاهرة.

- مع الله دراسات في الدعوة والدعاة محمد الغزالي، ط. الأولى، دار نهضة مصر.

-مرايا الهوية: الأدب المسكون بالفلسفة، جان فرانسوا ماركويه، ترجمة أ. كميل داغر

مراجعة لطيف الزيتوني، دار الدعوة.

بدعم من مؤسسة الفكر العربي، دار المنظمة العربية للترجمة، الطبعة الأولى 2005.

-مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد، ط. الأولى، دار نهضة مصر.

-من قضايا السنتية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقاربة تراثية: ميشال زكريا ط.

1 1993 دار العلم للملايين، بيروت.

- من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع الثقافي: سعيد يقطين

ط. 1. 2005، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب.

- نحو ثقافة مغايرة : جابر عصفور، ط. الأولى 1428-2008، الدار المصرية

الليبية.

- الهوية الوطنية صالح بلعيد، ص: 55.

- الهوية: المسدي، ص: 403.

- واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتأمرين، لسعيد عبد

الكريم زيد مكتبة وهبة بمصر 1997م.

language Planning and Social Change Cooper, 1989,Robewt IL. -

.45 P,

الهوامش:

45. language Planning and Social Change Cooper, 1989,Robewt IL. p¹
- ² .حرب اللغات، ص: 221
- ³ السياسة اللغوية خلفياتها ومقاصدها: جيمس وطوليفسون، تر: محمد خطابي، ط. 1 2007 مؤسسه الغني، الرباط، المغرب، ص: 25 .
- ⁴ .حرب اللغات، ص: 222
- ⁵ .اللغة وعلم اللغة: جون ليونز، ط. الأولى، دار النهضة العربية، ص: 52
- ⁶ انظر: لغة الطفل العربي دراسات في السياسات اللغوية وعلم اللغة النفسي: علي القاسمي 2005، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص: 31 .
- ⁷ السياسات اللغوية: لويس جون كالفي، ترجمة: محمد يحياتن، ط. الأولى، 2009 1430، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ص: 132.
- ص: 18.
- ⁸ لسان العرب: ابن منظور، ط. الأولى، دار صادر، بيروت/287/7، تاج العروس من جواهر القاموس: المرتضى، الزبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية/248/19،
- ⁹ لسان العرب: ابن منظور، 287/7،
- ¹⁰ تاج العروس من جواهر القاموس 248 /19 .
- ¹¹ أساس البلاغة: الزمخشري، 1399هـ، 1979، دار الفكر، ص: 168 .
- ¹² تاج العروس من جواهر القاموس 252 /19.
- ¹³ المعجم الوسيط: إبراهيم مصطفى – أحمد الزيات – حامد عبد القادر – محمد النجار، تحقيق مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، 244/1.
- ¹⁴ من قضايا السنية دراسات لغوية اجتماعية نفسية مع مقارنة تراثية: ميشال زكريا، ط. 1 1993 دار العلم للملايين، بيروت، ص: 11 .
- ¹⁵ اللسانيات الاجتماعية: جوليتت غارمادي، تر: خليل أحمد خليل، ط. 1، 1990 دار الطليعة بيروت، لبنان، ص: 209 .

- ¹⁶ انظر التخطيط اللغوي والتغير الاجتماعي كوبر، ترجمة: خليفة الأسود 2006: مجلس الثقافة لبيبا، ص: 1
- ¹⁷ حرب اللغات، ص: 221 .
- ¹⁸ علم الاجتماع اللغوي: لويس جون كافي ترجمة: محمد يحياتن، 2006، دار القصبه ص: 111 .
- ¹⁹ نحو متقافة مغايرة : جابر عصفور، ص: 242 .
- ²⁰ انظر: علم الإعلام اللغوي: عبد العزيز شرف، ط1، 2000، مكتبة لبنان، ص: 32 .
- ²¹ حرب اللغات والسياسات اللغوية: لويس جون كافي، ترجمة: حسين حمزة، ط. 1 2008، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، ص24 .
- ²² السياسات اللغوية: لويس جون كافي، ترجمة: محمد يحياتن، ط. الأولى، 2009 1430، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ص: 132 .
- ²³ فلوريان كولماس، اللغة والاقتصاد، تر: د أحمد عوض م راجعة عبد السلام رضوان عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والاداب الكويت سنة 2001 م ص 161 :
- ²⁴ اللغة والاقتصاد: فلوريان كولماس، ترجمة: د. أحمد عوض، مراجعة: عبد السلام رضوان، 2009 سلسلة المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، نوفمبر ص: 235 .
- ²⁵ السياسات اللغوية: لويس جون كافي، ص: 134 .
- ²⁶ التعريب والتنمية البشرية في كتاب العربية: الراهن والمأمول: علي القاسمي 2009 المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص: 146.
- ²⁷ انظر واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتأمرين، لسعيد عبد الكريم زيد، مكتبة وهبة بمصر 1997م. انظر واقع العالم الإسلامي بين تغريب التعليم وكشف تخريب المتأمرين، لسعيد عبد الكريم زيد، مكتبة وهبة بمصر 1997م.
- ²⁸ السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص: 85 .
- ²⁹ الأحكام في أصول الأحكام: علي بن أحمد بن حزم الأندلسي، ط. الأولى، 1404، دار الحديث القاهرة 34/1 .

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

- ³⁰ اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم: أحمد بن عبد الحليم بن تيمية، تحقيق: محمد حامد الفقي، ط. الثانية، 1369، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ص: 203 .
- ³¹ السياسة اللغوي، عبد القادر الفاسي الفهري، ص: 05.
- ³² العرب والانتحار اللغوي: د. عبد السلام المسدي، ط. الأولى 2011، دار الكتاب الجديد، لبنان ص: 134 .
- ³³ السياسة اللغوية في البلاد العربية، ص: 44 .
- ³⁴ انظر: إنقاذ اللغة إنقاذ الهوية: أحمد درويش، ط. 1، 2006، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ص: 35 .
- ³⁵ تدريس فنون اللغة العربية: مذكور علي أحمد 2000، دار الفكر العربي القاهرة، مصر ص: 312.
- ³⁶ صعوبات تعلم اللغة العربية لدى تلاميذ الطور الثاني من التعليم الأساسي في المناطق الناطقة بالبربرية والمناطق الناطقة مجلة جامعة أم القرى، دراسة ميدانية مقارنة 5 / 106
- ³⁷ انظر: نحو متقافة مغايرة : جابر عصفور، ط. الأولى 1428-2008، الدار المصرية اللبنانية ص: 123 .
- ³⁸ انظر: نحو متقافة مغايرة : جابر عصفور، ط. الأولى 1428-2008، الدار المصرية اللبنانية ص: 123 .
- ³⁹ من النص إلى النص المترابط، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي: سعيد يقطين ط1، 2005 المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ص: 29.
- ⁴⁰ انظر: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة: نايف خرما 1978، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص: 221.
- ⁴¹ انظر: سيكولوجية اللغة والمرض العقلي : جمعة سيد يوسف 1990، عالم المعرفة المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ص: 156.
- ⁴² مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد الغزالي، ط. الأولى، دار النهضة، مصر ص: 60 .
- ⁴³ الهوية، ص: 277 .

⁴⁴ دور اللغة العربية في الحفاظ على مقومات الهوية القومية وكسب رهانات وتحديات العولمة : نور الدين صدار، الجزائر، ص: 7 .. كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، دون سنة النشر

⁴⁵ اللغة العربية القيمة والهوية: بسام بركة، مجلة العربي، العدد 528، نوفمبر 2002 ص: 86.

⁴⁶ اللغة والهوية: إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات: فيصل الحفيان، مجلة التسامح العدد الخامس 1425هـ-2004

⁴⁷ الهوية: المسدي، ص: 71 .

⁴⁸ السياسات اللغوية: لويس جون كالفي، ترجمة: محمد يحياتن، ط. الأولى، 2009 1430، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف، مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم، ص: 132.

⁴⁹ انظر أساسيات اللغة تراسك، ت. رانيا إبراهيم يوسف، المجلس الأعلى للثقافة المشروع القومي للترجمة، ع381، ط1، 2002، ص: 96-97.

⁵⁰ الهوية الوطنية صالح بلعيد، ص: 55.

⁵¹ الهوية: المسدي، ص: 403 .

⁵² السياسة اللغوية في البلاد العربية بحثا عن بيئة طبيعية عادلة وديمقراطية وناجعة: عبد القادر الفهري، ط. الأولى 2013، دار الكتاب الجديد المتحدة، لبنان، ص: 41 .

⁵³ العربية والأمن اللغوي: زهير غازي زاهد، 2000 مؤسسة الوراق، عمان، الأردن ص: 73 .

⁵⁴ انظر: تفسير المنار: محمد رشيد بن علي رضا 1990م، الهيئة المصرية العامة للكتاب 212/11 .

⁵⁵ مع الله دراسات في الدعوة والدعاة محمد الغزالي، ط. الأولى، دار نهضة، مصر ص: 37.

⁵⁶ انظر التجارة بالتعليم في الوطن العربي: الإشكاليات والمخاطر والرؤية المستقبلية: زيتون، محيا، مركز دراسات الوحدة العربية، 2013، بيروت، لبنان ص: 288 .

⁵⁷ انظر مشكلات في طريق الحياة الإسلامية: محمد، ط. الأولى، دار نهضة مصر ص: 67 .

⁵⁸ العرب والانتحار اللغوي: د. عبد السلام المسدي، ط. الأولى 2011، دار الكتاب الجديد، لبنان ص: 135 .

⁵⁹ نحو متقافة مغابرة : جابر عصفور، ط. الأولى 1428-2008، الدار المصرية اللبنانية ص: 121.

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

- ⁶⁰ التّواصل الذّائم اللّغة في عالم الإنترنت والجوال، تأليف: نوامي س بارون، ترجمة: د. محمد مازن جلال 1436، دار جامعة الملك سعود للنشر، الرياض: ص: ن.
- ⁶¹ الحداثة في العالم العربي دراسة عقديّة 1524/4 .
- ⁶² حصوننا مهددة من الداخل: محمد محمد حسين، ط. الخامسة 1398، المكتب الإسلامي، بيروت، ص: 213 .
- ⁶³ العالم والنص والناقد : إدوارد سعيد، ت: عبد الكريم محفوظ 2000 من منشورات اتحاد الكتاب العرب، ص: 23/1.
- ⁶⁴ لغة الهوية والتّعلم بين السّياسة والاقتصاد نموذج تماسكي تنوعي وتعددي: عبد القادر الفاسيالفهري، دد1، مجلد1، سنة2016، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، ص: 43-48.
- ⁶⁵ انظر التّعدد اللساني واللغة الجامعة: عثمان سعدي، منشورات المجلس الأعلى للغة العربيّة الجزائر 2014، 155/1⁶⁵ .
- ⁶⁶ لغة الهوية والتّعلم بين السّياسة والاقتصاد نموذج تماسكي تنوعي وتعددي: عبد القادر الفاسيالفهري، دد1، مجلد1، سنة2016، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، ص: 43 .
- ⁶⁷ لغة الهوية والتّعلم بين السّياسة والاقتصاد نموذج تماسكي تنوعي وتعددي: عبد القادر الفاسي الفهري، دد1، مجلد1، سنة2016، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، ص: 43.
- ⁶⁸ الثقافة العربيّة وعصر المعلومات رؤية لمستقبل الخطاب الثقافي العربي: د. نبيل علي ط.. الثانية 2012، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، ص: 300.
- ⁶⁹ الإدارة التربويّة والسلوك التنظيمي: د. هاني عبد الرحمن صالح الطويل، ط 3. 2001م، دار وائل للنشر والتّوزيع، عمان الأردن، ص: 100.
- ⁷⁰ سورة المائدة، الآية: 48.
- ⁷¹ شبكات التّواصل الاجتماعي: د. فيصل محمد عبد الغفار، ط1، 2015، الجنادرية للنشر والتّوزيع، ص: 139 .
- ⁷² مخاطر العولمة على الهوية الثقافية: د. محمد عمارة، ط1. 1999م، نهضة مصر للطباعة ص: 44 .

أثر الإعلام على لغة الطفل الجزائري سلبا وإيجابا: دور وسائل الإعلام في اكتساب اللغة عند الطفل (التلفاز أنموذجا)

أ.إيمان قليعي

جامعة الشلف: حسيبة بن بوعلي

نصّ المداخلة:

أصبحت وسائل الإعلام المسموعة والمرئية والمكتوبة تحتل مركزا مهما في جميع أوساط الشعوب، وقد فرضت وجودها في شتى النواحي، لكن ما لا يمكن نكرانه ما لوسائل الإعلام من تأثير في اكتساب اللغة عند الطفل، بحيث أصبح الطفل يجد التلفاز مؤنسا له إذ أضحي يعيش معه أكثر مما يعيش مع أسرته، كما أصبحت ثمة برامج باللغة العامية وأخرى بالفصحى، وهناك برامج عربيّة والأخرى معرّبة، ما جعلها تؤثر سلبا على الطفل وتعيّنه خليطا عجيبا، فكلما اكتسب قيمة لغويّة اختلطت عليه بمصطلحات جديدة تناقضها ما يجعل الطفل يعيش فوضى وتداخل لغوي، ولهذا فالإعلام سلاح قوي وله وسائل متعددة في الميل اللغوي المؤثر في تقويم لسان الطفل وتطوير اللغة إذا كانت سليمة وأحسن التعاطي معها، كما يعمل على هدم اللغة إذا كانت فجوة وعاميّة مخالفة للعرف اللغوي.

لذا سنقف في هذه الورقة البحثيّة على: تبيان ما أثر الإعلام على لغة الطفل؟ وما واقع الاستعمال اللغوي في وسائل الإعلام عند الطفل؟ وما هي الإستراتيجيات اللغويّة لتهديب لغة الإعلام والنهوض بلغة الطفل الموجهة للمراحل العمرية المختلفة؟ أي ما السياسة اللغويّة المقترحة؟ وما واقع التأثير الذي يتلقاه الطفل من هذه الوسائل؟ وكيف يمكن أن تتصرّف الأسر العربيّة تجاه الإفادة من التلفاز وما يلحقها من الوسائل دون تعميّة أبنائها؟ وكيف يمكن توجيه هذه الوسائط بحيث

تخدمنا ولا تغرينا؟ وكيف السبيل إلى مراقبة بعيدة لأولادنا؟ وما هي وسائل توجيه إعلامنا عامة؟ وهل نحن في حاجة إلى التخطيط اللغوي اليوم؟

تعتبر اللغة ميزة من الميزات الأساسية التي يختص بها الإنسان دون سائر الكائنات وهي العمود الفقري للحضارة الإنسانية التي تجعل الإنسان إنسانا، بحيث لا نستطيع أن نتصور مجتمعا بشريا بدون لغة، فهي القلب النابض بالنسبة للفرد وجزء لا يتجزأ من كيانه.

مفهوم اللغة:

يقول ابن جني معرّفا اللغة أنها: "أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم"¹، أما تشومسكي فقد عرفها على أنها: "مرآة الفكر في نتاج الذكاء الإنساني خلقت عند كل فرد بواسطة عمليات تقع في خارج متناول الوعي والإرادة"²، إذا فاللغة تعدّ من أهم مظاهر السلوك الإنساني، وذلك لأهميتها الوتقى بالإنسان، كما يمثل اكتساب اللغة وارتقاؤها أحد الموضوعات الهامة في علم النفس الارتقائي وعلم النفس اللغوي، بحيث تعتبر تعلّم اللغة من الخصائص التي تميّز الكائن البشري عما سواه³، كما أنّ الاهتمام متزايد لدراسة تطور اللغة خاصة عند الطفل، لأن اللغة عنده تنمو وتتطور إلى أن يلم بها ويصبح قادرا على استعمالها في عملية تواصله مع أفراد بيئته الطبيعيّة⁴، لأن مرحلة الطفولة تعتبر البداية الأولى للملكة اللغوية لدى الطفل، إذ تعدّ تمهيدا لتنتشنتهم حتى يكونوا قادرين على التمكن اللغوي، والتعبير بلغة سليمة خالية من الأخطاء.

مفهوم الإعلام:

جاء في لسان العرب لابن منظور: الإعلام مصدر أعلم ويقال استعلم لخبر فلان وأعلميه حتى أعلمه واستعلمي الخبر فأعلمته إياه، وأعلم فارس جعل لنفسه علامة الشجعان وأعلم الفرس أي لفّ عليه صوفا أحمر أو أبيض في الحرب، وأعلم نفسه وسماها بسيمة الحرب.⁵

أما اصطلاحاً: "هو كل عنصر قادر على أن يعبر بواسطة رمز أو إشارة أو أنه نشر عناصر المعرفة، أو وقائع، أو أحكام، أو تعليق رأي في صيغة مناسبة وذلك بواسطة وسائل الاتصال بالجمهير، والإعلام الناجح والمؤثر والفعال إنما يكون باللغة التي تمثل عنصراً مهماً في أية ثقافة أو حضارة".⁶

وبعد استعراضنا لتعريف الإعلام يمكن أن نخلص إلى تعريف شامل للإعلام على أنه يشمل أوجه كافة النشاط التي تستهدف تزويد الجمهور بكافة الحقائق والأخبار الصحيحة والمعلومات السليمة، إلى جانب أنه يسهم في تشكيل أكبر درجة ممكنة من الوعي والمعرفة والإدراك والإحاطة الشاملة لدى فئات جمهور المتلقين للمادة الإعلامية بكافة الحقائق والمعلومات الموضوعية الصحيحة عن هذه القضايا والموضوعات، ويسهم في تنوير الرأي العام وتكوين الرأي الصائب لدى الجمهور في الوقائع والموضوعات والمشكلات المثارة والمطروحة.⁷

إلا أنّ مع تطوّر وسائل الإعلام والاتصال وثورة المعلومات لم يعد الإعلام المعاصر أداة لتوصيل المعرفة وتزويد الناس بالخبر والحدث، وإنما تعدّى ذلك كله ليصبح أداة فعالة لصناعة الرأي العام، والذي لم يعد بدوره مستقبلاً للمعلومة أو الخبر بل أصبح يتفاعل ويتأثر عقلياً وفكرياً وسلوكياً⁸، بحيث أصبحنا نجد في العصر الحالي الإعلام بوسائله الحديثة وبرامجه المتنوعة وخاصة المرئية يحدث تغييراً مقصوداً في اتجاهات الأفراد وسلوكهم الاجتماعي خاصة عند الطفل كذلك تعدّ وسائل الإعلام المرئية وخاصة التلفزيون من أهم الوسائل المؤثرة في سلوكيات واتجاهات الأفراد، بحيث أثبتت الدراسات العلمية أنّ تأثير التلفزيون في الأطفال له تأثير كبير أكثر من وسيلة أخرى، كما أنّ تأثيره في هذه الفئة العمرية أوسع وأشمل من تأثيره في أي فئة عمرية أخرى، وذلك لأنه يجمع بين الصوت والصورة ويتمتع بالقدرة على جذب الانتباه أكثر من غيره.⁹

مفهوم الطفل (الطفولة):

الطفل لغة: كلمة الطفل في لسان العرب لابن منظور: هو الولد حتى البلوغ ويستوي فيه الذكر والأنثى، والجمع أطفال، والطفل والطفلة الصغيران، والطفل الصغير من كل شيء¹⁰ ويقول جل ثناؤه ﴿ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ﴾¹¹.

اصطلاحا: هي المرحلة الأولى لتكوين ونمو الشخصية، وهي مرحلة للضبط والسيطرة والتوجيه التربوي والطفولة أيضا هي الفترة التي يكون خلالها الوالدان هما الأساس في وجود الطفل وفي تكوينه عقليا وجسميا وصحيا¹²، لذا تعتبر مرحلة الطفولة هي أهم المراحل التي يمر بها الإنسان في حياته، لأنها المرحلة التي تبدأ معها شخصية الطفل بالتشكيل وأخذ الملامح الخاصة بها، كما تعد الطفولة مرحلة القدرة الزمنية التي يبدأ معها الطفل باكتساب المعرفة والمعلومات والمهارات من الوالدين والأسرة، ويبدأ من الولادة وينتهي عند سن 18 تقريبا.¹³ وتجدر الإشارة إلى أن الطفولة لم تعرف اهتماما موسعا ومكثفا إلا خلال منتصف القرن العشرين، حيث ارتبط مفهوم حقوق الطفل بشكل بارز مع مفاهيم حقوق الإنسان، والتي عرفت أول تجسيد لها من خلال إعلان جنيف لحقوق الطفل سنة 1924م.¹⁴

مفهوم الملكة اللغوية: إنّ الملكة صفة نفسانية إنسانية راسخة، فقد عرفها الشريف الجرجاني: "الملكة هي صفة راسخة في النفس، وتحقيقه أن تحصل للنفس هيئة بحسب فعل من الأطفال، ويقال لتلك الهيئة كهيئة نفسانية، وتسمى حالة مادامت سريعة الزوال، فإن تكررت ومارستها النفس حتى رسخت تلك الكيفية وصارت بطيئة الزوال فتصير الملكة وبالقياس إلى ذلك الفعل عادة وخلقاً".¹⁵ ويعني أنّ الملكة حالة مستمرة وبطيئة راسخة في نفس الإنسان، وتتبنى على أفعال مكررة إلى أن تتحول الملكة إلى عادة وخلق وصناعة.

حيث يقول ابن خلدون في هذا الصدد: "الملكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال، لأن الفعل يقع أولاً ولا تعود منه لذات صفة ثم تتكرر فتكون حالاً، ومعنى الحال أنها صفة غير راسخة ثم يزيد التكرار فتكون ملكة أي صفة راسخة¹⁶ وكانت ملكة اللغة العربية تكتسب طبيعياً بالسماع حين كان المتكلم ينشأ في وسط لغوي كله عربية فصحي، فلا يحتاج أن يتعلمها على يد معلم¹⁷.

مفهوم التخطيط اللغوي:

لغة: التخطيط من فعل خطّ: خطط ومضارعه يخط خطأ، خط الكتاب بالقلم: كتبه، وخط وجه الغلام: امتدّ شعر لحيته على عذاريه، خط على الأرض: رسم علامة أو خطأ¹⁸.

اصطلاحاً: يعد التخطيط اللغوي فرعاً من علومات اللغويات الاجتماعية التي تعنى بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع ومدى تأثير كل منها بالآخر، ويعنى التخطيط اللغوي بدراسات المشكلات التي تواجه اللغة سواء أكانت مشكلات لغوية بحتة كتوليد المفردات وتحديثها وبناء المصطلحات وتوحيدها، أم مشكلات غير لغوية ذات مساس باللغة واستعمالها¹⁹.

وبهذا كان التخطيط اللغوي منصبا على معالجة المشكلات اللغوية وإيجاد حلول لها لذلك هو عبارة عن خطة مرسومة لإيجاد معالجة ملائمة تكون الأفضل والأحسن بالمقارنة مع غيرها، لذلك فإنه يهدف إلى التأسيس لعلم رسم السياسات اللغوية العربية يشتمل على التخطيط لمكانة التعريب واللغة العربية، وتحديدتها وتطويرها وبناء مصطلحاتها، وتخطيط تعلمها واكتسابها²⁰.

أثر الإعلام في اكتساب اللغة عند الطفل:

يعدّ الإعلام ووسائله من أهم الموضوعات ذات الأبعاد الاجتماعية التي تتنافس الأسرة في تنشئة الطفل، وبخاصة التلفاز بحيث أصبح الطفل في وقتنا الحاضر يجلس ساعات طويلة في مشاهدة برامج التلفزيون التي تماثل أو تفوق تلك الأوقات

التي يقضونها في البيت أو في المدرسة، لذا صار التلفزيون يخاطب نفسيّة الطفل ويتفاعل معه، فيؤثر في تصرفاته ونمط حياته²¹، لأنّ الطفل محدود الخبرة والتّجربة في الحياة، خاصة في مراحل العمر الأولى، كما أنه لا يملك القدرة على التّحليل والنقد العقليين، لذلك يمكننا القول أنّ الإعلام ووسائله سلاح ذو حدّين، فله جانب إيجابي وآخر سلبي، فيكمن الجانب الإيجابي في أنّ جلوس الطفل أمام الشاشة لساعات طويلة وبنسبة تركيز قد تصل إلى 70% من حجم الطّاقة الفكرية والعقلية التي يمتلكها تؤدي إلى حدوث نوع من التّعلم الاجتماعي.²²

كما تعمل شاشة التّلفاز بالتّعاون مع قنوات التّشعّنة الاجتماعية الأخرى على إعداد وبناء شخصيّة الطفل وسلوكه الاجتماعي أو تعديل ذلك السلوك من الحالات التي يكون فيها تأثير الأب والأم والأسرة سلبية أو عدم وجود مؤسسة الأسرة أصلاً.²³

- يضيف البهجة في نفس الطفل وهذا ما يوضح مدى متابعة الأطفال لبرامجهم المفضلة كما يتمتع بقدرة على جذب انتباه أكثر من غيره بين وسائل الاتصال لأنّه يجمع بين الصوت والصورة ويعتمد على حاستي السّمع والبصر.

- كما أنّ أثر التّلفاز على الأطفال أشدّ وأسرع منه على الكبار، لذا نجدهم متقمصين لدور الشخصيات التي يعرضها ومقلّدين لكثير من الحركات التي يشاهدونها.

- يقوم التّلفاز بدور تربوي خاصة عند الطفل ويوسع خبراته المعرفية ويزيد في حصيلته اللغوية حتى إنّ برامجه المختلفة أصبحت تشكّل حياته الفكرية الوجدانية والسلوكية²⁴، وكذلك التّسلية والترفيه والترّويح عن نفوس الأطفال.

- ينقل المعارف والقيم والتقاليد من جيل إلى جيل، كما يسهم في نقل التّراث

الثقافي.²⁵

- إشباع حاجات الطفل الإنسانية في تلك المرحلة، خاصة بالنسبة للنمو العقلي كالبحث والاستطلاع والاكتشاف.
- كما تسهم وسائل الإعلام والتلفزيون في توفير بعض البرامج التعليمية للطفل التي تعرض فيها المعلومات بطرق مميزة، مهمة للأطفال ما يجعل الطفل يحفظها وترسخ في عقله.
- كما تنمي الملكات العقلية والفطرية لديه وتشبع لديه روح الاستطلاع من خلال البرامج الثقافية.
- يسهل عملية الفهم والاستيعاب لما يشاهدونه، كما يمكن من الاستعانة بوسائل تعليمية أخرى أثناء عرض البرنامج التعليمي، الأمر الذي يزيد من فعالية البرنامج ويجعله أكثر يسرا وأنجع للتعلم ويخلق جوا من الرغبة والتشويق لدى المتعلم.²⁶
- أما سلبيات التلفاز بالنسبة للطفل: لا مفر من تأثير لغة الإعلام والتلفاز على الطفل خاصة لما يلحق اللغة العربية من هجين نتيجة الاستغلال السيئ لوسائل الإعلام، فأصبحنا نجد الأطفال يكتسبون اللغة التي تطرق أسماعهم يوميا من خلال مشاهدتهم للبرامج ليلا نهارا وهذا ما يؤثر سلبا على الطفل لأنه يكرر ما يشاهده ويسمعه من التلفاز عن طريق التقليد والمحاكاة خاصة عند مشاهدته لبرامج تحتوي على الكثير من السلوكيات والأفعال السلبية كظاهرة العنف وأساليب المصارعة.²⁷
- كما أن لاستعمال العامية واللغة الأجنبية تأثير على لغة الطفل لأنه يتلقاها سماعا لا صناعة، فاللغة تكسبهم الملكة اللغوية، لهذا يجب أن تستغل أحسن استغلال وتفادي استعمال العامية.
- يؤثر التلفاز كذلك على العلاقات الأسرية بحيث يصبح الطفل دائم الانشغال بمشاهدة برامج المفضلة، ما يقلل من درجة تفاعله مع أفراد أسرته وانعزاله عنهم.

- كما أن جلوس الطفل ساعات طويلة أمام التلفاز أو الإنترنت يؤدي إلى ظهور أعراض جسميّة ونفسية بسبب تركيزه مع الصور، كالتوتر العصبي، وضعف البصر (الرؤية).

- التلفاز يقدم للطفل مادة جاهزة لا يحتاجون في معظم الأوقات جهدا عقليا لفهمها، كما لا يعطيهم أي فرصة للتحليل أو التّحريض أو النقد لما يشاهدونه لذلك فإنه من الممكن أن تقل ممارسة الأطفال للتفكير والإبداع.

- كما تعدّ الازدواجية اللغوية من أبرز القضايا التي تؤثر على لغة الطفل فثمة برامج باللغة العامية وأخرى بالفصحى، وثمة برامج عربيّة وأخرى معرّبة وكل هذا يؤثر سلبا على الطفل ويجعله يعيش متاهة اللغة، فكلما اكتسب قيمة لغويّة إذ هي تتلاشى باصطدامها بما يناقضها، مما يجعل الطفل يعيش في خليط عجيب وفوضى وتداخل لغوي في البرامج التي تعرض في وسائل الإعلام.

- ضرورة التخطيط اللغوي والنصوص باللغة العربية وحماية الطفل

أصبحت تعاني برامج الأطفال من غياب الإستراتيجية اللغوية التي تسهم في تهذيب لغة الإعلام والنهوض بلغة الطفل، ولعلّ هذا راجع إلى الفوضى التي تعم الساحة البرمجية في وسائل الإعلام، بحيث أصبحنا نجد أنّ اللغة في هذا البرنامج هي لغة هجينة ودخيلة وفقيرة إلى حدّ بعيد في ألفاظها، تجمع في آن واحد بين كل من العربية واللسان الدارج والأجنبية، ما يجعل هذا المستوى الهجين يشكل مشكلة لغوية تؤثر سلبا على تعميم اللغة العربية²⁸ خاصة عند الطفل وتؤدي إلى تقليل فرص تعلم اللغة الوطنية المشتركة وتعزيزها لذلك فالمشهد اللغوي في وسائل الإعلام في البلدان العربية يهتمّ اللغة العربية وذلك لعدم التزامه باللغة الرسمية التي تنص عليها دساتير الدول العربية، وعليه لا بد في هذا المقام من وضع خطط إستراتيجية يتم من خلالها تحسين الأداء اللغوي للطفل، وذلك بوضع سياسة لغوية واضحة يشارك في تنفيذها المعنيون بالأمر من أجل غرس الفصحى وتمييزها

وتهذيب العامية²⁹، وأن يكون هناك تخطيط لغوي قائم على تنسيق المؤسسات اللغوية ووسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية في إيصال المعلومات بلغة عربية فصيحة.

خاتمة

يعد التنازع من أهم الوسائل التي تساعد في تنمية الملكات اللغوية عند الطفل، لذلك فإكتساب الأطفال للغة العربية السليمة رهين على الإعلاميين القائمين على برامج الأطفال، لأن تحسين الأداء الإعلامي فنيا وقيما يساعد ويجذب الطفل إلى حالة التقدم اللغوي في نطق اللغة العربية الفصيحة واكتسابهم القيم والمبادئ وتشنتهم تنشئة اجتماعية صحيحة، وإذا أسيء استخدامه فإنه يؤدي إلى اكتساب العادات السلوكية السيئة، لأن الطفل ما هو إلا مقلد لما يشاهده أو يقرأه في وسائل الإعلام، لذلك تعتبر وسائل الإعلام شريكا منافسا للأسرة في مسؤوليتها حيث لها سلاح ذو حدين تكون إيجابية إذا أحسن التعاطي معها وتتحول إلى شريك سلبي يحمل كل المخاطر والحالات السيئة التي تشوب سلوك الطفل خلال تلقيه بعض التأثيرات السلبية التي تؤثر في تكوين شخصيته، كما ينبغي على الأسرة أن تقوم بوظيفتها على أكمل وجه في تنشئة أطفالها، لأنها هي المؤسسة الأولى التي تقوم بعملية التوجيه والإرشاد والتعليم والمتابعة المستمرة لأبنائها، لأنه مهما بلغت الوسائط الأخرى من قوة وتأثير فإنها لا تحدث من الأثر في نفوس الأبناء ما تحدثه الأسرة.

توصيات

أسعى في هذه الخاتمة إلى تقديم بعض التوصيات والحلول:

* يجب إلزام الإعلاميين استعمال العربية الفصحى خاصة في برامج الأطفال
قصد تعليم اللغة بشكل مبسّط من أجل تشكيل ذهنية الطفل وتسلّيته بما يقدم في نفس
الوقت. 30

* إلزام جميع المؤسسات الإعلامية العربية بتعيين مدقق لغوي واحد على الأقل
لتجنب الأخطاء اللغوية.

* الاهتمام بإنتاج البرامج التلفزية المعدة للأطفال لتحسين أدائهم اللغوي وتنمية
ثقافتهم.

* تقديم مشاريع طويلة المدى في ترقية لغة الطفل وفي كفاءات التحكم في آليات
الغمر اللغوي الأجنبي.

* يجب وضع إستراتيجية لغوية لبرامج الأطفال تستهدف وضع خطط طويلة
الأمد للنهوض بلغة الطفل الموجهة لمراحل العمر المختلفة.

* أن تكون البرامج هادفة شاملة تسهم في تنمية ثقافتهم، وفي تطوير قدراتهم
اللغوية والاجتماعية والوجدانية والأخلاقية، وتشجيع في نفوسهم البهجة وتحفزهم
على التفكير الإبداعي.

* دعوة أفراد الأسرة إلى التّدخل باختيار البرامج والأفلام الجيدة المناسبة للطفل
داخل المؤسسة الأسرية.

* تفعيل دور وسائل الإعلام المسموعة والمرئية في مجال التّرفيه بما يترك
أثرا إيجابيا في شخصية الطفل.

* تخصيص قناة تعليمية هادفة للأطفال تعرض فيها برامج تعليمية وبرامج
متنوعة مع المحافظة على اللغة العربية الفصحى بالدرجة الأولى.

* القيام بحملة إعلامية ضخمة لتشجيع الأطفال على تعلّم اللغة العربية
وخصوصا في القنوات الموجهة للأطفال.

الهوامش :

- 1 - ابن جني، الخصائص، (ج 1، ص 33).
- 2 - ينظر: راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامة، فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها، دار عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2009، ص 11.
- 3 - جمعية سيد يوسف - سيكولوجية اللغة وطبيعة المرض العقلي - سلسلة كتب شهرية يصدرها مجلس الثقافة والفنون والكتاب، الكويت، العدد 145، ص 112.
- 4 - ميشال زكريا، الاستنّة لعلم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان، 1983، ط 1، ص 123.
- 5 - أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مج 2، ط 2، دار الجليل، دار لسان العرب، بيروت، 1388 / 1398.
- 6 - هادي نهر، الكفايات التواصلية والاتصالية، دراسة في اللغة والإعلام، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2003، ص 84.
- 7 - محمود منصور هبة، قراءات مختارة في علوم الاتصال بالجماهير، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2004، ص 02.
- 8 - الإنترنت، أحمد حسن محمد، التأثير الإعلامي في الظواهر الاجتماعية بين السلب والإيجاب شبكة المشكاة الإعلامية، 2003، ص 03.
- 9 - الإنترنت، سارة راشد، التلفزيون والتنشئة الاجتماعية للطفل، مجلة العالمية، الكويت <http://www.Sittings.teneciee.com>.
- 10 - لسان العرب لابن منظور، مرجع سابق، مج 11، ص 401.
- 11 - الحج، الآية 05.
- 12 - موسى نجيب موسى، معوض، الطفولة... تعريفات وخصائص، شبكة الألوكة www.Aloukah.net، ص 01.
- 13 - الإنترنت، عبد الرزاق مختار حمودة، الشعور النفسي لدى الطفل ما قبل المدرسة جمهورية مصر العربية، العدد 13، 2008.
- 14 - محمد السيد فهمي، أطفال الشوارع، المكتبة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000 ص 34.

- 15 - أحمد سعدي، اللسانيات التطبيقية والملكات اللغوية، حدود الواقع وآفاق التوقع، دار الرأية للنشر والتوزيع، الأردن، عمان، 2017، ص 91.
- 16 - مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت 2002، ص 554.
- 17 - مقدمة ابن خلدون، المصدر نفسه.
- 18 - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المعجم العربي الأساسي، ط 1، تونس 1989، مادة خطط.
- 19 - فواز عبد الحق الزبون، "دور التخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربية والنهوض بها" أعمال الموسم الثقافي السابع والعشرون لمجمع اللغة العربية الأردني، مؤتمر دور اللغة العربية في المؤسسات الأردنية واقعا وسبل النهوض بها، منشورات مجلة اللغة العربية الأردني، ط 1 2009، الشركة الجديدة للطباعة والتجليد، ص 85.
- 20 - ينظر: فواز عبد الحق الزبون، المرجع نفسه، ص 95-96.
- 21 - عيد الجليل الزويبيعي، ومحمد إلياس بكر، وإبراهيم عبد الحسن الكناني، علم نفس الطفل، ط 1، بغداد، مطبعة أوفست، الرشيد، 1979، ص 73.
- 22- سوزان يوسف أحد، تأثير شاهد العنف في أفلام الكارتون في التلفزيون مصر القاهرة، المجلة المصرية لبحوث الإعلام مطبعة كلية الإعلام العدد 8، 1997 ص 98.
- 23- إحسان محمد الحسن العائلة والقرابة والزواج، لبنان بيروت، دار الفلسفة للطباعة والنشر 1981، ص 30.
- 24- مروة أحمد غانم، توظيف بعد أناشيد فضائية طيور الجنة في تنمية مفاهيم التربية الإسلامية والميول نحوها لدى طالبات الصف الرابع الأساسي، رسالة ماجستير كلية التربية، الجامعة الإسلامية غزة 1433-2012 ص 52، 54.
- 25- أحمد محمد زيادي وآخرون، أثر وسائل الإعلام في الطفل، عمان، المؤسسة الأهلية للنشر والتوزيع، 1989، ص 101.
- 26 - ينظر: عبد المحسن بن عبد العزيز أبانمي، الوسائل التعليمية مفهومها وأسس استخدامها ومكانتها في العملية التعليمية، مكتبة الملك فهد، ط 1، 1414هـ، ص 33.
- 27 - أسيل عبد اللطيف السامرائي، العنف في برامج الأطفال، أطروحة دكتوراه، كلية الإعلام جامعة بغداد، بغداد، 2002، ص 36.

- 28 - ينظر: في قضايا الاستعمال اللغوي في البرامج الإذاعية والتلفزيونية العربية، إبراهيم ابن مراد، منشورات مجمع اللغة العربي، دمشق، 2005، ص 13-14.
- 29 - علي القاسمي، العربية الفصحى وعاميتها في السياسة اللغوية، ص 199، كتاب الفصحى وعاميتها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2008.
- 30 - صالح بلعيد حسن، استعمال اللغة العربية في وسائل الإعلام، منشورات المجلس 2018 المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ص 207.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن جني، الخصائص، (ج 1).
- ينظر: راتب قاسم عاشور ومحمد فؤاد الحوامدة، فنون اللغة العربية وأساليب تدريسها، دار عالم الكتاب الحديث، الأردن، 2009.
- جمعية سيد يوسف -سيكولوجية اللغة وطبيعة المرض العقلي- سلسلة كتب شهرية يصدرها مجلس الثقافة والفنون والكتاب، الكويت، العدد 145.
- ميشال زكريا، اللسانية لعلم اللغة الحديث، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع لبنان، 1983، ط 1
- أبو الفضل جمال الدين بن منظور، لسان العرب، مج 2، ط 2، دار الجليل، دار لسان العرب، بيروت، 1388/1398.
- هادي نهر، الكفايات التواصلية والاتصالية، دراسة في اللغة والإعلام، ط 1، دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، 2003.
- محمود منصور هبة، قراءات مختارة في علوم الاتصال بالجماهير، مركز الإسكندرية للكتاب، مصر، 2004.
- الإنترنت، أحمد حسن محمد، التأثير الإعلامي في الظواهر الاجتماعية بين السلب والإيجاب شبكة المشكاة الإعلامية، 2003.
- الإنترنت، سارة راشد، التلفزيون والتنشئة الاجتماعية للطفل، مجلة العالمية، الكويت . <http://www.sittings.teneciee.com>
- لسان العرب لابن منظور، مرجع سابق، مج 11.
- الحج، الآية 05.

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

- موسى نجيب موسى، معوض، الطفولة ... تعريفات وخصائص، شبكة الألوكة [www. Aloukah net.](http://www.Aloukah.net)
- الإنترنت، عبد الرزاق مختار حمودة، الشعور النفسي لدى الطفل ما قبل المدرسة جمهوريّة مصر العربيّة، العدد 13، 2008.
- محمد السيّد فهمي، أطفال الشوارع، المكتبة الجامعيّة، الإسكندريّة، مصر، 2000.
- أحمد سعدي، اللسانيات التّطبيقية والملكات اللغويّة، حدود الواقع وآفاق التّوقّع، دار الرائيّة للنشر والتّوزيع، الأردن، عمان، 2017.
- مقدمة ابن خلدون، تحقيق درويش الجويدي، المكتبة العصريّة، صيدا، بيروت 2002.
- المنظمة العربيّة للتربيّة والثّقافة والعلوم، المعجم العربيّ الأساسيّ، ط 1، تونس 1989، مادة خطط.
- فواز عبد الحق الزبون، "دور التّخطيط اللغوي في خدمة اللغة العربيّة والنهوض بها" أعمال الموسم الثّقافي السّابع والعشرون لمجمع اللغة العربيّة الأردني، مؤتمر دور اللغة العربيّة في المؤسّسات الأردنيّة واقعها وسبل النهوض بها، "منشورات مجلة اللغة العربيّة الأردني، ط 1، 2009، الشركة الجديدة للطباعة والتّجليد.
- عيد الجليل الزويبيعي، ومحمد إلياس بكر، وإبراهيم عبد الحسن الكنانّي، علم نفس الطّفل، ط 1، بغداد، مطبعة أوفست، الرشيد، 1979.
- سوزان يوسف أحد، تأثير شاهد العنف في أفلام الكارتون في التّلفزيون مصر القاهرة، المجلة المصريّة لبحوث الإعلام مطبعة كليّة الإعلام العدد 8، 1997.
- إحسان محمد الحسن العائلة والقرابة والزواج، لبنان بيروت، دار الفلسفة للطباعة والنشر 1981.
- مروّة أحمد غانم، توظيف بعد أناشيد فضائيّة طيور الجنة في تنمية مفاهيم التّربيّة الإسلاميّة والميول نحوها لدى طالبات الصف الرابع الأساسيّ، رسالة ماجستير كليّة التّربيّة، الجامعة الإسلاميّة غزة 1433- 2012.
- أحمد محمد زيادي وآخرون، أثر وسائل الإعلام في الطّفل، عمان، المؤسّسة الأهليّة للنشر والتّوزيع، 1989.

- ينظر: عبد المحسن بن عبد العزيز أبانمي، الوسائل التعليمية مفهومها وأسس استخدامها ومكانتها في العملية التعليمية، مكتبة الملك فهد، ط 1، 1414هـ.
- أسيل عبد اللطيف السامرائي، العنف في برامج الأطفال، أطروحة دكتوراه، كلية الإعلام جامعة بغداد، بغداد، 2002.
- ينظر: في قضايا الاستعمال اللغوي في البرامج الإذاعية والتلفزيونية العربية، إبراهيم ابن مراد، منشورات مجمع اللغة العربي، دمشق، 2005.
- علي القاسمي، العربية الفصحى وعاميتها في السياسة اللغوية، ص 199، كتاب الفصحى وعاميتها، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، 2008.
- صالح بلعيد حسن، استعمال اللغة العربية في وسائل الإعلام، منشورات المجلس 2018 المجلس الأعلى للغة العربية، دار الخلدونية للطباعة والنشر والتوزيع الجزائر.

«الرسوم المتحركة ودورها في إثراء المصطلحات

التاريخية لدى الطفل»

دراسة وصفية في «مصطلحات الثورة التحريرية الموظفة

في سلسلة الجزائر تاريخ وحضارة — أنموذجا»

أ/ دليلة قدور

نص المداخلة

يعد التلفزيون من بين وسائل الإعلام التي تعمل على تربية الفرد وتنقيفه، فهو يسهم من خلال مختلف المواد الإعلامية في مجال التعلم الذاتي ويؤثر في تكوين عادات الأفراد واتجاهاتهم وأنماط سلوكهم.

ولقد أثبت علماء النفس أن التلفزيون يأتي في علم التربية الحديث بعد الوالدين مباشرة، ولا غرابة عندما أطلق الأمريكيون على التلفزيون منذ السبعينات من القرن العشرين لقب (الأب الروحي) وقد يكون ذلك من وراء تخلي بعض الأولياء عن الدور الذي أنيط بهم في تربية الأبناء، وانصراف المرين في المدرسة عن أداء مهامهم التربوية تجاه تلاميذهم، ما مهد السبيل لاقتحام التلفزيون حياة الأطفال.

ولعل من بين البرامج التلفزيونية المفضلة لدى الطفل العربي بما فيه الجزائري برامج الرسوم المتحركة والتي تشكل الآن متنفسا لقضاء وقت الفراغ والترفيه والتعلم، وتبرز أهميتها في تلبية احتياجات الطفل ومدركاته بما يتماشى وواقعه الثقافي والاجتماعي.

في هذا السياق، دلت بعض البحوث الإعلامية أن معظم برامج الرسوم المتحركة المعروضة للطفل العربي والجزائري على وجه خاص مصدرها أجنبي وتقدم في غالبها بلغاتها الأصلية أو مدبلجة بلغة ركيكة، أو باللهجات العامية، مما يؤثر على سلامة لغة الطفل، ناهيك عن بعض مضامينها التي تحمل قيما منمطة لا تراعي الخصوصيات الثقافية للشعوب بما فيها اللغة والتاريخ.

وأمام هذا الوضع المعولم بتجلياته ومخاطره على الهوية الثقافية، حاولت بعض مؤسسات الإنتاج السمعي البصري الوطنية التخفيف من وطأة التبعية لبرامج الطفل الأجنبية المستوردة وتعميق الإحساس بالانتماء لأمة عظيمة، من خلال الانتقال من حيز الاستهلاك إلى حيز الإبداع بإنتاج رسوم متحركة نابغة من خصوصية المجتمع الجزائري ومرجعياته التاريخية وعلى وجه التحديد ثورة التحرير الجزائرية، والتي مازالت تشكل ليوما هذا مصدر إلهام للمبدعين والمنتجين في عالم الصورة لاسيما وأنا أصبحنا نعيش أزمة تشكيل في الهوية الوطنية.

ومن هذا المنطلق، بات لزاما علينا البحث فيما يعرض من رسوم متحركة وطنية مستوحاة من الثورة التحريرية، والدور الذي يمكن أن تلعبه في إثراء لغة الطفل، نتساءل إذن عن أهم المصطلحات التاريخية الواردة في الرسوم المتحركة «الجزائر تاريخ وحضارة» أنموذجا؟

ويندرج تحت هذا السؤال الرئيس مجموعة من التساؤلات الآتية:

ما هو واقع الرسوم المتحركة في الجزائر؟

ما هي أبرز مصطلحات الثورة التحريرية الموظفة في الرسوم المتحركة

«الجزائر تاريخ وحضارة»؟

هل تعزز الرسوم المتحركة المكتسبات اللغوية للطفل؟

أهداف الدراسة:

تسعى الدراسة لتسليط الضوء على أهمية الرسوم المتحركة في إثراء المكتسبات اللغوية لدى الطفل، من خلال محاولة معرفة مدى اهتمام منتجي الرسوم

المتحركة في بلادنا بموضوع ثورة التحرير الجزائرية، فضلا عن استخراج أهم المصطلحات التاريخية التي وظفتها الرسوم المتحركة « الجزائر تاريخ وحضارة» لصناعة صورة ذهنية عن قيم نوفمبر ودلالاته الرمزية لدى الطفل.

أهمية الدراسة:

تأتي أهمية الدراسة في تناولها موضوعا هاما قد عرف نقصا على مستوى الأبحاث العلمية والأكاديمية، وتكتسب أهميتها في التعرف على واقع الرسوم المتحركة في الجزائر وما مدى اهتمامها بالتاريخ الوطني واستعمالها السليم والوظيفي للغة مادة التاريخ.

حدود البحث المعرفية: تعتمد الدراسة للخروج من منحنى التأثير المباشر لوسائل الإعلام إلى الدخول في مقاربات اتصالية أخرى أبرزها مقارنة التفاعلية الرمزية¹: «التي تهتم بطبيعة اللغة والرموز في شرح عملية الاتصال في إطارها الاجتماعي حيث تتحدد الاستجابات من خلال نظام الرموز والمعاني الذي يبينه الفرد للأشياء والأشخاص والمواقف. ولقد كان هدفنا من وراء اعتماد هذه المقاربة إكساب الدراسة شرعية علمية بالنظر لما قدمه النموذج الرمزي من نتائج في أن وسائل الإعلام ووسائلها خاصة التلفزيون يعتبر مصدرا مستمرا للنماذج الرمزية ويوفر أسبابا كافية لتوقع أن يقوم الأطفال ببناء جزء كبير من تصورهم للعالم على أساس المعلومات التي يتم نقلها بوسائل الإعلام الجماهيرية « التلفزيون تحديدا».

منهجية الدراسة:

تتدرج الدراسة ضمن الدراسات الوصفية التي تقدم معلومات وبيانات ذات قيمة علمية وسريعة الفائدة عن الظواهر والأحداث والأشياء، والتي من شأنها أن تؤيد ممارسات قائمة أو ترشد إلى سبل تغييرها نحو ما ينبغي أن تكون عليه.² لقد اعتمد في الدراسة على المنهج الوصفي، والذي يعنى ب: «وصف ظاهرة معينة ماثلة في الموقف الراهن، فيقوم بتحليل خصائص تلك الظاهرة والعوامل

المؤثرة فيها».³، وقد جاء استخدام المنهج الوصفي عند التعرض لتصنيف البيانات الخاصة بواقع الرسوم المتحركة في الجزائر والنتائج المتوصل إليها.

أدوات الدراسة:

إن طبيعة الموضوع والمرتبطة أساسا بمحاولة معرفة مصطلحات الثورة التحريرية الجزائرية في الرسوم المتحركة «الجزائر تاريخ وحضارة»، والذي يقتضي استخدام أداة بحث أكثر دقة تمكننا من الحصول على المعلومات، لذلك تم استخدام أداة تحليل المضمون باعتبارها تقنية غير مباشرة للتقصي العلمي تطبق على المواد المكتوبة، المسموعة أو المرئية والتي تصدر عن الأفراد أو الجماعات حيث يكون المحتوى غير رقمي، ويسمح بالقيام بسحب كفي أو كمي بهدف التفسير، الفهم والمقارنة.⁴ وبالتالي، فإن دراستنا تدرج ضمن مادة تحليل ما يقوله المرسل.

وحدات التحليل: هي عبارة عن وسيلة تستخدم في قياس مدى تردد الموضوع محل البحث في المادة المدروسة.⁵ وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على وحدة العبارة وهي أكبر من الكلمة من الناحية السمנטية، وقد تكون كلمة أو مجموعة من الكلمات تأخذ شكلا متكاملا لإعطاء معنى معين، والهدف منها البحث عن اتجاه القائم بالاتصال إزاء قضية من القضايا.⁶

وهنا سيتم الاعتماد على العد كأسلوب لقياس التكرارات، من خلال تسجيل مرات ظهور كل كلمة لها علاقة بثورة التحرير الجزائرية.

فئات التحليل: يتوقف اختيار فئات التحليل وفقا لإشكالية البحث وأهدافه، وتعد من المحددات الرئيسية لتحليل شكل المادة.

فئات الشكل: هي تلك الفئات التي تصنف المحتوى الشكلي للمضمون المزمع دراسته.⁷ وتدرج فئات الشكل المستهدفة في إطار هاته الدراسة ضمن فئات كيف قيل، وتم تحليل شكل المادة وفق فئة اللغة المستخدمة (فصحى، عامية مزيج) وتتجلى أهمية اختيار اللغة باعتبارها الوعاء الذي يصب فيه الفكر، وهي الواصل

بين المرسل والمتلقي في مضمون وسائل الإعلام الجماهيرية، ومن ثم يعد تحليلها من الأهمية التي تجعل كل رسالة مرتبطة بطبيعتها.⁸

عينة الدراسة وحدودها:

تعد العينة « جزءا من مجتمع البحث الأصلي يختارها الباحث بأساليب مختلفة وبطريقة تمثل المجتمع الأصلي وتحقق أغراض البحث »⁹، بمعنى أن الباحث في هذا النوع من العينات ينتقي أفراد عينته بناء على معرفته بمجتمع بحثه دون أن يكون هناك قيود أو شروط¹⁰. أما بالنسبة لمجتمع الدراسة هي جميع حلقات الرسوم المتحركة « الجزائر تاريخ وحضارة » التي تناولت موضوع الثورة التحريرية. وقد اعتمدنا على العينة القصدية لكونها « تقوم على اختيار عدد من الحالات أو الأفراد على أساس أنهم يحققون أغراض الدراسة.¹¹ وعليه اخترنا عدد مفردات العينة بأربع حلقات نذكرها كالاتي: الحلقة 44 (المواجهة)، الحلقة 45 (مؤتمر الصومام)، الحلقة 46 (معركة الجزائر الجزء الأول)، الحلقة 47 (معركة الجزائر الجزء 2). ويرجع سبب اختيارنا لهاته الحلقات بحكم أنها تتضمن محتويات معرفية مقدمة في برنامج السنة الرابعة من التعليم المتوسط.

مفاهيم الدراسة من الناحية الإجرائية:

المصطلحات التاريخية في الدراسة: ونقصد بها تلك المصطلحات ذات الانتشار الوطني والتي كانت تجري على ألسنة الشعب الجزائري إبان الثورة التحريرية المضفرة، وهي مصطلحات تم اختيارها بناء على مرجع دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية 1954 – 1962 للدكتور عبد الملك مرتاض¹².

الدراسات السابقة: من بين الدراسات الوطنية التي تناولت الرسوم المتحركة

نجد:

برامج الأطفال في التلفزيون الجزائري، نموذج الرسوم المتحركة

1999 — 2001¹³

تناولت هذه الدراسة برامج الأطفال التي جرى بثها في التلفزة الجزائرية خلال فترة 1999 — 2001، ولاسيما الرسوم المتحركة من حيث مضمونها كقيم ثقافية ومدى علاقة هذه القيم بمنظومة قيم المجتمع الجزائري، كما تدرس جمهور هذه البرامج، مركزة على مسلسلات الرسوم المتحركة التي تعامل معها الأطفال، ثم التعرف بخصوص هذه البرامج شكلا ومضمونا، من خلال الاهتمام بعنصرين أساسيين وهما « الرسالة والمستقبل » مع الكشف عن ملامح العناصر الاتصالية الأخرى وأهمها المرسل ثم رجوع الصدى من خلال التحليل والاستبيان. وارتكزت أهم نتائج الدراسة المتعلقة بمكانة الرسوم المتحركة فيما يلي:

تحتل برامج الإنتاج الوطني والعربي الموجه للطفل الدرجة الأدنى، مع تأكيد التأثير السلبي للإنتاج المدبلج الذي قدمته التلفزة الجزائرية على مستقبل الطفل.

— أعرب الأطفال جميعهم ذكورا وإناثا أن ما يدفعهم إلى مشاهدة الرسوم المتحركة إنما هو حاجتهم للترفيه والتسليّة والتفيس عن نفوسهم أمام سوء التفاهم أحيانا داخل الأسرة أو في المدرسة أو في مجرى العلاقات مع الزملاء. لذلك تكون هذه الرسوم المتحركة متنفسا لهم أي بمعنى آخر تفتح لهم بابا للهروب مما هم فيه وتشخيص الأوهام كحقائق واقعية قد تسبب لهم فيما بعد عزلة عن العالم المعيش أو التمرد عليه.

الرسوم المتحركة في التلفزيون الجزائري: دراسة في القيم والتأثيرات¹⁴

تتناول هذه الدراسة الرسوم المتحركة من حيث مضمونها وجمهورها، حيث تشمل على تحليل مضمون عينة من سلاسل الرسوم المتحركة التي يبثها التلفزيون الجزائري بهدف التعرف على خصائص هذه البرامج الشكلية والضمينية، كما تشمل على استبيان كيفية تفاعل عينة من الأطفال مع هذه البرامج المدروسة بغرض معرفة الجانب التأثيري للرسوم المتحركة.

قامت الباحثة بتحليل مضمون عينة من سلاسل الرسوم المتحركة التي بثها التلفزيون الجزائري خلال الثلاثي الأول من عام 1996 من خلال الاعتماد على تقنية تحليل المضمون، وكان من بين نتائج الدراسة:

أن مشاهدة الرسوم المتحركة احتلت الصدارة ضمن النشاطات الترفيهية التي يفضل الأطفال القيام بها في أوقات الفراغ؛

يفضل معظم الأطفال المستجوبين برامج الرسوم المتحركة التي بثتها القناة الجزائرية لأنهم يفهمون لغتها، كما أن برامجها تلبي أذواقهم.

لم يجد الأطفال صعوبة في فهم الرسوم المتحركة الناطقة بالعربية باختلاف جنسهم ومستوياتهم الاجتماعية.

ملل الأطفال من السلاسل التي تعرض لمدة طويلة في عدة أجزاء، كما أنهم يريدون من خلال متابعة الرسوم المتحركة الجمع بين المسلي والمفيد، فالرسوم المتحركة بالنسبة لهم ليست وسيلة للترفيه فقط، بل يعتبرونها مصدرا للمعلومات والمعارف.

الإعلام التربوي التلفزيوني وبناء القيم لدى الطفل الجزائري: الرسوم المتحركة « الجزائر تاريخ وحضارة أنموذجا»¹⁵

حاولت هاته الدراسة التطرق لإشكالية من الإشكاليات التي تخص دور الإعلام التربوي التلفزيوني في بناء القيم لدى الطفل الجزائري، هذا الموضوع الذي لم ينل حظه من اهتمامات مراكز البحوث والجامعات من مختلف التخصصات، ولذا اتجهت الباحثة لتناوله من خلال أحد برامج المحبة لدى الطفل وهي الرسوم المتحركة، وبحثت عن إمكانية إسهام الرسوم المتحركة في بناء القيم من خلال الأنموذج المقدم «الجزائر تاريخ وحضارة».

اندرجت الدراسة ضمن الدراسات الوصفية واعتمدت بشكل أساسي على أداة الاستبيان في معرفة كيفية تلقي وتفاعل الطفل مع الرسوم المتحركة، بحيث وزعت

الاستمارة على الأطفال القاطنين بالجزائر العاصمة والذين تمتد أعمارهم من 9 سنوات إلى 11 سنة.

و من بين النتائج المتوصل اليها نذكر: أن الخطاب المرئي مازال يشكل بيئة معرفية ومصدرا للقيم الأخلاقية ولكن هذا لا يلغي ضرورة الاهتمام بضبط علاقة الطفل بالتلفزيون خاصة اذا علمنا من خلال هاته الدراسة أن عامل الصدفة يشكل نسبة معتبرة في انتقاء المحتوى.

أن للجماعات المرجعية دور في توجيه الأطفال لمشاهدة المحتوى التلفزيوني الذي يصب في الإعلام التربوي، وهذا في حد ذاته شيء ايجابي وجب تثمينه علاوة على ذلك بينت الدراسة أن نجاح رسالة الإعلام التربوي في تعزيز الانتماء للوطن وتنمية مفهوم المواطنة لدى الطفل مرتبطة بحسن توظيف القائم بالاتصال للرموز اللغوية، الموسيقية والبصرية وعناصر الإدراك البصري.

التعقيب على الدراسات السابقة:

يمكننا القول أن الدراسات السابقة قد وفرت مرجعية معرفية عن دوافع مشاهدة الطفل لبرامج الرسوم المتحركة وأوضحت لنا كيف أن التلفزيون يحتل مكانة بارزة في ملء وقت فراغ الطفل مع خطورة بعض المضامين على قيمه، إلا أنها لم تقدم تحليلا للغة في الرسوم المتحركة الوطنية، ومدى إسهامها في إثراء الرصيد اللغوي للطفل واكتفت بمعرفة مستويات الفهم اللغوي لدى الأطفال.

واقع الرسوم المتحركة في الجزائر

تعد الرسوم المتحركة من الأفلام التي ظهرت مع بداية القرن العشرين غزت القلوب والعقول، من كل طبقات المجتمع وفئاته، وجاءت شخصياتها وأبطالها ذات شبه بالبشر، في صور متحركة وناطقة معا، حتى بات لأبطالها هويات مشهورة ميكى ماوس، دونالد داك، بوباي، الهرة فريتز، طوم وجيري.. إلخ، الى جانب ذلك صيغت روايات معروفة مثل ثليجة البيضاء والأقزام السبعة وبنوكيو في هيئة

أفلام طويلة ومتسلسلة اجتذبت ملايين المشاهدين.¹⁶ بمن فيهم أطفال العالم العربي شأنهم شأن بقية الأطفال في العالم.

وما تجدر الإشارة إليه، أن نسبة كبيرة من أفلام الرسوم المتحركة مستوردة وأعدت وأخرجت لغير بيئتنا، وقد يكون بعضها وضع من قبل أعدائنا لغزو عقول أطفالنا وتشويه القيم التي تربوا عليها.

وتحمل هذه الأفلام الأجنبية بذور الفكر الغربي ومفاهيمه التي تضر بأممتنا وحضارتها، ولو أننا أمعنا النظر فيها لوجدنا الكثير من السلبيات منها ما ينافي الآداب العامة، ويوحي بالجريمة أو يحرص عليها أو يمجدها، وما من شأنه هدم العقيدة الدينية.¹⁷ الأمر الذي قد يرجع للغيب الواضح لأي إنتاج عربي في هذا القطاع رغم جماهيريته الكبيرة، وتذكر إحدى الدراسات¹⁸: «أن حجم ما تم إنتاجه على مدى نصف قرن من الرسوم المتحركة لا يزيد عن أربع ساعات مجتمعة.

و تعكس هاته الحقيقة، الإحصائيات الواردة عن قناة التلفزيون الجزائري (الأرضية)¹⁹ فيما يخص عدد ساعات برامج الطفل لعام 2018، والتي بلغت 327 ساعة من مجموع البرامج 6740 ساعة، أي ما يعادل 5,47 %، وتتوزع هذه النسبة بين البرامج الوطنية الموجهة للطفل والمقدرة ب 40 ساعة و 58 دقيقة أي ما نسبته 0,60 % وتمثلت هاته البرامج في برنامج كوني، ثل الزهور، ستيو الصغار، أوبيرات بسمة الطفولة ومسرحية أطفال ذكرى وأمل. إضافة لبرامج الأطفال العربية المدبلجة وعددها 25 برنامجا بمقدار 327 ساعة أي بنسبة 4,87 % ومنها رواد الماء، افتح ياسمسم، الثور الخارق، فريق الصحة، المماليك الثلاث، أبطال الكونفو، اكتشافات سمس وليبيب، علبة الألوان، قصص من الغابة بيت الصيصان، أما الأفلام الغربية الموجهة للأطفال فقد قدرت ب 31 فيلما بمعدل 46,40 ساعة أي بنسبة 0,69 % . وبمقارنة بسيطة مع عام 2017 نجد أن عدد ساعات البرامج الوطنية للطفل قد تضاعلت بعدما كانت تقدر ب 82 ساعة أي بنسبة 1,22.

وفي هذا السياق، أرجع «طيب شريف بشير» المنتج الجزائري لسلسلة «الجزائر تاريخ وحضارة» الركود الموجود في البرامج الوطنية الموجهة للطفل الجزائري وخاصة الرسوم المتحركة، لغياب توزيع الإنتاج الوطني للسوق العربية والأجنبية. داعيا إلى ضرورة توجه المنتجين للسوق العالمية للرقى بهذا القطاع وتحقيقا للجودة، فضلا عن مع العمل على تفعيل المبادلات وتسويق انتاجات الرسوم المتحركة العربية في إطار اتحاد إذاعات وتلفزيونات العرب.²⁰

و يرجح يعقوب الشاروني رئيس مركز ثقافة الطفل في مصر، تعثر الإنتاج في هذا المجال لارتفاع كلفته، والتي يمكن تجاوزها إذا ما عرضت تلك الأعمال عروضاً جماهيرية لكسب دخل يتيح الفرصة لدوران عجلة الإنتاج، لكن هذا ما لم يتحقق، لأسباب منها أن الأهل لا تذهب بأولادها إلى دور السينما لمشاهدة ما أنتج في هذا القطاع، كما أن المدارس لا تشتري نسخا منها، كما لا يوجد منتج يؤمن بأهمية هذا الدور».

من هنا، تظهر ملامح المشكلة في هذا النوع من الإنتاج، ولكن يبدو أن هناك جهود عربية تبذل هنا وهناك لتحريك قطاع الإنتاج في مجال الرسوم المتحركة ومما ينتج الصدر ويدعو للتفاوض إنشاء قنوات عربية خاصة للأطفال، بدأت تبتث برامج وأفلاما نظيفة ومناسبة للأطفال تدعوهم للفضيلة.²¹ إضافة لبعض الجهود الفردية من قبل المختصين، ففي الجزائر مثلا نذكر منهم²²: «مهند أوشريف» جزائري ومهاجر مستقر في ألمانيا منذ سنوات عديدة وهو مسير لمؤسسة amazigh multimedia مختص في تحويل القصص والحكايات الناطقة باللغة الأمازيغية إلى رسوم متحركة، سبق له انجاز رسوم متحركة وخمسة أفلام قصيرة ويقول في إحدى المقابلات «أحاول من خلال انجازاتي أن أضاهي «سموم» ديزني والمنتجات اليابانية التي تمثل مجتمعات غربية عنا، وهدفنا هو السماح للأطفال بالسفر في عالم الخيال باللغة الأمازيغية، وبتعليمهم التقاليد والقيم الإيجابية»، علما أن الهدف الأول لهذا الفنان هم الأطفال الذين يعيشون في المهجر، ورغم

التكاليف الباهظة التي تكلفه هذه الإنتاجات إلا أنه لم يستسلم ومازال يجتهد، إذ أنه مؤخرا صنع فيلما كارتونيا استلزمت اللقطة منه 25 رسم والفيلم مدته 13 دقيقة ورسم 8000 رسم، بالإضافة إلى التلوين والصوت والتركيب النهائي، إلا أنه خرج بعمل يحمل عنوان le chacal et le chien في محاولة منه إظهار قيمة وأهمية الحرية. إضافة لأعمال مشتركة بين التلفزيون الوطني والخواص، نذكر منها: ²³ «ما تم انجازه من طرف شركة نوميديا المختصة في برامج الأطفال، وهي الشركة التي أنتجت الرسوم المتحركة «المفتش الطاهر» سنة 1999 مسلسل يتكون من 26 حلقة كل حلقة تبلغ مدتها 20 دقيقة، وكليلة ودمنة التي تنتمي للتراث العالمي، مسلسل أدرار 13 وهي قصة صاروخ جزائري مثل apollo بث سنة 2001 يتكون من 26 حلقة وكل حلقة مدتها الزمنية 15 دقيقة وهي برامج عرفت نجاحا معتبرا».

وعلى الرغم من وجود هاته الإنتاجات إلا أنها تبقى ضئيلة ويرجع ذلك لعدة مشكلات يمكن إجمالها فيمايلي: ²⁴ قلة عدد المتخصصين في كتابة وإنتاج برامج الأطفال، قلة الميزانيات المخصصة لبرامج الأطفال، وقلة عائدها المادي، افتقارها إلى الأسس العلمية في مراحل إنتاجها بدء من تخطيطها وانتهاء بتسويقها، غياب التنسيق في مجال إنتاج برامج الأطفال على المستوى الوطني داخل كل دولة عربية، وداخل القناة التلفزيونية الواحدة، ندرة التدريب، أو انعدامه في مجال إنتاج برامج الأطفال، ضعف الإمكانيات الفنية اللازمة لإنتاج هذه البرامج. مشاكل جعلت

التلفزيونات العربية تستورد إنتاجات أجنبية
دخيلة موجهة للطفل، وحال التلفزيون
الجزائري ليس بمنأى عن هاته الوضعية.

وفي هذا الصدد، ذكرت «سعاد بوحمدى» مبرمجة متخصصة في الرسوم المتحركة بالقناة الأرضية للتلفزيون العمومي الجزائري²⁵، أن برمجة الرسوم المتحركة المستوردة لها مجموعة من المعايير غير الموحدة بين باقي القنوات التلفزيونية العمومية، وتتم على أساس جودة الصورة وطبيعة المحتوى إن كان لا يتنافى مع الدين وعادات وتقاليد المجتمع، كما تخضع للرقابة بتفحص الرسائل المشفرة خاصة ما تعلق بالرموز الماسونية. مشيدة بأهمية الإنتاج الوطني في مجال الرسوم المتحركة لدوره في ترسيخ القيم الثقافية لمجتمعنا، هذا من جهة، من جهة أخرى تأسفت لقلّة الإنتاج ووجود سياسة التّكشف التي أثرت على نسبة البرامج الوطنية الموجهة للطفل.

أوضحت السيدة «بوحمدى» أن برمجة الرسوم المتحركة بالقناة الأرضية للتلفزيون العمومي الجزائري تكون على مدار الأسبوع وتتم بمعدل ثلاث برمجيات في اليوم، ومواقيت متباينة 11 سا، و 11.30 سا و 16.30 سا بحيث تكون موجهة في الفترة الصباحية لأطفال ما قبل المدرسة، والطفولة المتوسطة، أما في الفترة المسائية فتخصص للطفولة المتأخرة. مؤكدة أن لغة الرسوم المتحركة المبرمجة في قناة الأرضية يجب أن تكون بلغة عربية مفهومة ولا تخص لهجة بلد معين باستثناء اللهجة الجزائرية التي يجب أن تكون مهذبة في حالة الإنتاج الوطني.

وفي هذه النقطة بالذات، تشير بعض الإحصائيات أن الرسوم المتحركة التي تعرض باللغة العربية الفصحى وبالعامية تحظى على نسبة (78%) من حيث المساحة الزمنية للعرض، وتعتبر هذه النتيجة إيجابية لفهم المعلومات وإدراكها بنفس لغة الطفل وليس بلغة أجنبية، على خلاف عرض الرسوم المتحركة بلغة أجنبية الذي يقلل من انتباه الطفل.²⁶

وهنا تكمن أهمية اللغة في وسائل الإعلام الجماهيرية ليست وسيلة تواصل أو تعبير فقط، بل هي وعاء أيضا للحضارة، سنحاول من خلال هاته الدراسة معرفة المصطلحات الموظفة في الرسوم المتحركة الوطنية والتي تشكل دلالات موضوعية دخلت في الوعي التاريخي الوطني وصارت مرجعيات في فهم التاريخ الجزائري المعاصر، وقبل الشروع في التحليل، سنقدم بطاقة فنية عن الرسوم المتحركة « الجزائر تاريخ وحضارة».

بطاقة فنية عن الرسوم المتحركة « الجزائر تاريخ وحضارة»:

تندرج سلسلة الرسوم المتحركة « الجزائر تاريخ وحضارة» ضمن النوع التاريخي، وتتكون من 50 حلقة وكل حلقة لا تتجاوز 26 دقيقة، والتي تهدف للتعريف بأهم محطات تاريخ الجزائر بدءا من العهد الحجري، مرورا بالحضارات الأولى يوغرطة، يوبا الأول، إفريقيا الرومانية، وصولا إلى فجر الإسلام والفتح الإسلامي، ففترتي الحكم العثماني والاحتلال الفرنسي إلى غاية استقلال الجزائر. هاته السلسلة التي عرضت لأول مرة بالتلفزيون الجزائري ابتداء من عام 2010 ومازالت تبث إلى يومنا هذا بقناتي الجزائرية الثالثة والقناة الناطقة باللغة الفرنسية (كنال ألجيري) بمؤسسة التلفزيون العمومي الجزائري، وأعيد بثها مرات عدة في القنوات الجزائرية الخاصة منها نوميديا الجزائر tv، الهقار وأخرى، بما يقارب 15 عرضا حسب ما أدلى به منتج ومخرج السلسلة «طيب شريف بشير»²⁷

تعد السلسلة الكرتونية التاريخية من أهم وأكبر المشاريع المنتجة في مجال الرسوم المتحركة بالجزائر، بحيث لاقت الدعم من قبل وزارتي المجاهدين والثقافة كما أنها تعتبر الأولى من نوعها عربيا حتى أن بعض الدول العربية اقترحت أن يتم انجاز نفس العمل عن تاريخهم كدولتي ليبيا وسوريا.

اعتمدت الرسوم المتحركة «الجزائر تاريخ وحضارة» على مزيج من اللغة العربية الفصحى والعامية منها، كما تم استخدام موسيقى متنوعة منها المصاحبة للحركة ولمواقف الشخصية الكرتونية وللواقعة التاريخية ومنها الانتقالية المستخدمة

للانتقال من مشهد إلى آخر، إلى جانب المؤثرات الصوتية كصوت انفجار القنابل اطلاق الرصاص، أما الأغنية لم توظف الا قليلا ففي الحلقة الأخيرة تم بث نشيد «نحن طلاب الجزائر»، فضلا عن توظيف التعليق في كل حلقة من خلال تدخل الراوي للتعريف بالواقعة التاريخية والربط بين الأحداث لإتمام المعنى على الصورة المعروضة، فيما تم تجسيد الشخصيات الكرتونية من سير الشخصيات التاريخية قصد تكوين صور ذهنية لشخصيات واقعية.

و فيما يخص طريقة عرض الأحداث التاريخية بهاته السلسلة فقد تم اعتماد الوقائع التي تشكل محل الإجماع من قبل المؤرخين وتجنب كل الرؤى التي هي محل خلاف من خلال الاستناد على مصادر متنوعة منها الكتب التاريخية المدرسية، دراسات المؤرخين والمتخصصين في مختلف الحقب التاريخية، إلى جانب الشهادات الحية لمجاهدين عايشوا ثورة التحرير المباركة، مع توظيف الصور والفيديوهات المعتمدة من مركز الأرشيف الوطني والتي تخص حقبة المستدمر الفرنسي.

عرض الجداول وقراءة النتائج:

الجدول الأول: الحلقة (44) بعنوان المواجهة ومدتها 12,51د

النسبة%	التكرار	العدد المصطلحات
28,41%	17	جبهة التحرير
22,58%	14	الثورة
11,29%	7	مؤتمر 20 أوت
9,67%	6	الشعب

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

قيادة	4	6,45%
الشمال القسنطيني	2	3,22%
المناضل	2	3,22%
العسكر	2	3,22%
استعمار	1	1,61%
فدائي	1	1,61%
الفلاقة	1	1,61%
المجاهدون	1	1,61%
الولاية	1	1,61%
المنطقة	1	1,61%
الشهيد	1	1,61%
المجموع	62	100%

يتضح من القراءة الكمية لمعطيات الجدول رقم (1) الخاص بالحلقة (44) أن أعلى نسبة سجلت من المصطلحات التاريخية عادت لمصطلح جبهة التحرير بنسبة 28,41%، تلاه مصطلح الثورة بنسبة 22,58%، ثم مؤتمر الصومام 20 أوت بنسبة 11,29%، فمصطلح الشعب بنسبة 9,67%، ومصطلح القيادة ب 6,45%، لتحتل مصطلحات الشمال القسنطيني، المناضل والعسكر نسبا متماثلة وهي 3,22%، أما المصطلحات الخاصة ب استعمار، فدائي، الفلاقة، المجاهدون، الولاية، المنطقة والشهيد، فقد نالت نفس النسبة 1,61%.

الجدول 2: الحلقة 45 (المؤتمر) ومدتها 14,12د

النسبة %	التكرار	المصطلحات العدد
20%	16	الثورة التحريرية
17,5%	14	المنطقة
15%	12	مؤتمر الصومام
6,25%	5	القيادة
5%	4	جيش التحرير
5%	4	المجلس الوطني للثورة
3,85%	3	كمين
3,85%	3	كتيبة
3,85%	3	لجنة التنسيق والتنفيذ
2,5%	2	الشعب
2,5%	2	هجوم الشمال القسنطيني
2,5%	2	الشهيد
2,5%	2	الفلاحة
2,5%	2	اشتباك
2,5%	2	الجبهة

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

الجيل	1	1,25%
مجاهد	1	1,25%
اضراب	1	1,25%
استقلال	1	1,25%
المجموع	80	100%

يتضح لنا من قراءة الجدول رقم 2، أن أعلى نسبة سجلت هي مصطلح الثورة التحريرية بنسبة 20%، تلاه مصطلح المنطقة بنسبة 17,5%، فمصطلح مؤتمر الصومام بنسبة 15%، القيادة بنسبة 6,25%، ليحتل مصطلح جيش التحرير والمجلس الوطني للثورة نفس النسبة وهي 5%.

أما مصطلحات كمين، كتيبة، لجنة التنسيق والتنفيذ، فنسبها جاءت متشابهة 3,85%، فيما حازت مصطلحات الشعب، هجوم الشمال القسنطيني، الشهيد الفلاقة، اشتباك والجبهة نفس النسبة 2,5%، لتأتي في ذيل الترتيب كل من مصطلحات الجيل، مجاهد، اضراب، استقلال بنسبة 1,25%.

الجدول رقم 3: الحلقة 46 بعنوان معركة الجزائر الجزء الأول، مدتها

26,45 د

النسبة%	التكرار	المصطلحات
23,68%	18	جبهة التحرير
19,73%	15	اضراب
9,21%	7	جيش التحرير

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

الشعب	6	%7,89
الشهيد	5	%6,57
لجنة التنسيق والتنفيذ	4	%5,26
استعمار	3	%3,94
المجاهدون	3	%3,94
الخواوة	3	3,94%
مؤتمر	2	2,63%
الثورة	2	%2,63
فدائي	2	%2,63
اتصال	1	%1,31
20 أوت	1	%1,31
المناشير	1	%1,31
الأمة	1	%1,31
النضال	1	%1,31
استقلال	1	%1,31
المجموع	76	%100

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

يبين الجدول رقم 3، أن جبهة التحرير تكررت 18 مرة بنسبة 23,68%، تلاه مصطلح الاضراب بنسبة 19,73%، فجيش التحرير بنسبة 9,21%، ليأخذ مصطلح الشعب نسبة 7,89%، الشهيد 6,57%، لجنة التنسيق والتنفيذ 5,26% أما مصطلحات استعمار، المجاهدون، الخاوة فنسبتها تمثلت في 3,94%، أما مصطلحات مؤتمر، الثورة، فدائي فنسبها كانت متشابهة 2,63%، ليأتي في آخر الترتيب كل من هاته المصطلحات اتصال، 20 أوت، المناشير، الأمة، النضال واستقلال التي جاءت بنسب متماثلة 1,31%.

الجدول رقم 4: الحلقة 47 بعنوان (معركة الجزائر الجزء الثاني) مدتها

14,12

النسبة%	التكرار	العدد المصطلحات
21,62%	8	خلايا
16,21%	6	جبهة التحرير
13,51%	5	مناضلون
8,10%	3	فدائي
8,10%	3	الشهيد
5,40%	2	تفتيش
5,40%	2	مجاهد
5,40%	2	لجنة التنسيق والتنفيذ
5,40%	2	جيش التحرير

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

قيادة	1	2,70%
الشعب	1	2,70%
الولاية	1	2,70%
المجموع	76	100%

مما يلاحظ في الجدول رقم (4) أن المرتبة الأولى عادت لمصطلح خلية بنسبة 21,62%، تلاه مصطلح جبهة التحرير بنسبة 16,21%، فمصطلح مناضلين بنسبة 13,51%، أما مصطلح فدائي ومصطلح الشهيد فحاز نفس النسبة 8,10%، لتأخذ مصطلحات تفتيش، مجاهد، لجنة التنسيق والتنفيذ وجيش التحرير نسبة 5,40%، وتأتي مصطلحات قيادة، الشعب، الولاية في آخر الترتيب بنسبة 2,70%.

ومن ثم، ومن خلال قراءة تحليلية لنتائج الجداول الأربعة يتضح لنا أن أعلى نسبة سجلت من مجموع كل المصطلحات التاريخية المذكورة في العينة المختارة كانت لجبهة التحرير الوطني بتكرار قدر ب 43 مرة، هاته العبارة التي لم تكن قائمة رسميا في فاتح نوفمبر 1954 حيث أن المناشير التي وزعت على الناس لتخبرهم فيها بقيام ثورة التحرير الوطني رسميا في فاتح نوفمبر» كانت تحمل إمضاء لجنة الثورة للإتحاد والعمل، ليتغير فيما بعد اسم هاته الهيئة السياسية وتأخذ عبارة جبهة التحرير الوطني ويرجح أن يكون ذلك في أوائل سنة 1955.²⁸ هذا المصطلح الذي أصبح له شأن في تاريخ الجزائر المعاصر.

ليأتي في المرتبة الثانية مصطلح الثورة التحريرية بتكرار قدر ب 30 مرة هذا اللفظ الذي كان يتردد كل يوم عبر أجهزة الإعلام العالمية، حيث فرضت الثورة وجودها واحترامها بفضل تضحيات المجاهدين والمناضلين وكل الطبقات الشعبية وهي من أهم الثورات في العالم، وبفضلها أصبحت الجزائر في عهد قصير ذات سمعة دولية محترمة.

في حين جاءت عبارة مؤتمر الصومام في المرتبة الثالثة بتكرار 20 مرة، ويرتبط هذا المصطلح بتاريخ الثورة الجزائرية وكفاحها ونظامها ومسيرتها، والذي قوم العمل الثوري وكان من أهم مقرراته هيكله الثورة الجزائرية وتنظيمها، حيث أن الثورة الجزائرية ظلت تستمد نظامها ومرجعيتها التاريخية والثورية من مقررات هذا المؤتمر الذي لم ينعقد بعده أي مؤتمر وطني على أرض الوطن الى أن توقف اطلاق النار.²⁹

و عليه نستنتج أن الجانب المعلوماتي المقدم عبر الحلقات المدروسة اذا ما تمت مقارنته بالمحتويات المعرفية المقدمة لتلميذ طور السنة الرابعة من التعليم المتوسط، نجد فيه أوجه تشابه خاصة ما تعلق بالمحور الخاص بمراحل الثورة التحريرية الكبرى من اندلاعها سنة 1954 إلى استعادة السيادة الوطنية سنة 1962، ومن ثم يمكن القول أن مثل هاته الرسوم المتحركة يمكن أن تزيد من كفاءة الطفل المشاهد باستعماله للألفاظ والمصطلحات ذات الصلة في دراسته للثورة التحريرية الكبرى فضلا عن أنه يعتز بماضي بلاده وبهويته الوطنية وأصوله التاريخية.

وعليه فالمادة التاريخية المصورة كرتونيا من خلال هذا النموذج، قدمت لنا جملة من المصطلحات مرتبطة بكونولوجيا الثورة، من شأنها الإسهام في التكامل مع مادة اللغة العربية، فنتعزز المكتسبات اللغوية للمشاهد خاصة ما تعلق بالوقائع التاريخية، الأشخاص والمعالم، الأمر الذي يحتم علينا النظر للغة العربية على أنها لغة العصر الحديث ولا مناص من جعلها وعاء لمضامين إعلامية تعكس هويتنا³⁰ الثقافية³¹

الهوامش

- ¹ محمد، عبد الحميد. نظريات الإعلام واتجاهات التأثير. ط2. مصر: عالم الكتب 2000. ص247.
- ² جودت، عزت عطوي. أساليب البحث: مفاهيمه أدواته طرقه الإحصائية. الأردن: دار الثقافة 2009، ص 189.
- ³ أحمد، بن مرسلي. مناهج البحث العلمي في علوم الإعلام والاتصال. ط4. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية، 2010، ص: 287
- ⁴ موريس، أنجرس. منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية. ترجمة بوزيد صحراوي وآخرون. الجزائر: دار القصب، 2004، ص: 461.
- ⁵ أحمد بن مرسلي، مرجع سبق ذكره، ص: 108
- ⁶ يوسف، تمار. تحليل المحتوى للباحثين والطلبة الجامعيين. ط1. الجزائر: طاكسيج كوم 2007 ص: 85 (بتصرف)
- ⁷ يوسف، تمار. مرجع سبق ذكره. ص: 44
- ⁸ نفس المرجع السابق، ص: 54 بتصرف
- ⁹ جودت، عزت عطوي. نفس المرجع السابق. ص 85.
- ¹⁰ عميرة، جويذة. إحصاءات السكان في الجزائر. ط2. [دم]: عالم الأفكار، 2018 ص143. (بتصرف)
- ¹¹ أحمد، بن مرسلي. نفس المرجع السابق. ص180.
- ¹² أنظر: دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية الصادر عن منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954
- ¹³ مهدي، زعموم. "برامج الأطفال في التلفزيون الجزائري، نموذج الرسوم المتحركة من 1999 إلى 2001: دراسة وصفية ميدانية". دكتوراه. جامعة الجزائر، 2005.
- ¹⁴ رشيدة، بشبيش. "الرسوم المتحركة في التلفزيون الجزائري: دراسة في القسيم والتأثيرات". ماجستير. جامعة الجزائر، 1996 — 1997.

¹⁵ دليلة، قدور. "الإعلام التربوي التلفزيوني وبناء القيم لدى الطفل الجزائريّ الرسوم المتحركة" الجزائر تاريخ وحضارة أنموذجاً: دراسة وصفية في التلقي والتفاعل. ماستر. جامعة الجزائر 3 2017 — 2018.

¹⁶ نزهة، الخوري. أثر التلفزيون في تربية المراهقين. ط1. لبنان: دار الفكر اللبناني 1997، ص 138 — 139 (بتصرف)

¹⁷ أحمد حسن الخميسي. تربية الأطفال في وسائل الإعلام: التفاز — الصحافة. ط1. دار النهار للنشر والتوزيع، دار القلم العربي، 2014، ص 78 83 (بتصرف)

¹⁸ أسامة، ظافر كباره. برامج التلفزيون والتنشئة التربوية والاجتماعية للأطفال. ط1. لبنان: دار النهضة العربية، 2003. ص 167 — 168. (بتصرف)

¹⁹ مقابلة مع فاطمة بلعريب مسؤولة بقسم الإحصائيات بالتلفزيون الجزائريّ الجزائر العاصمة، وهذا بتاريخ 20 — 2 — 2019.

²⁰ يومية الأمة العربية: العدد 2899. ص: 19

²¹ أحمد حسن، الخميسي. مرجع سبق ذكره، ص: 83

²² نبيلة، رقان. "الرسوم المتحركة "البوكيمون" والطفل الجزائريّ: دراسة ميدانية وصفية لسلوك أطفال مدرسة الشيماء ببابا علي تجاه هذه الرسوم المتحركة التي بثت عبر قناة التلفزيون الجزائريّ سنة 2001"، شهادة الماجستير. جامعة الجزائر 3. 2005 — 2006 ص 62 — 64. (بتصرف)

²³ نفس المرجع السابق. ص 64.

²⁴ راسم محمد، الجمال. الاتصال والإعلام في العالم العربي في عصر العولمة. ط1. مصر: الدار المصرية اللبنانية، 2006، ص 154.

²⁵ مقابلة مع سعاد حمدي، مبرمجة متخصصة في الرسوم المتحركة بالتلفزيون الجزائريّ الجزائر، 12 فيفري 2019.

²⁶ أبو الحسن، منال. الرسوم المتحركة في التلفزيون وعلاقتها بالجوانب المعرفية للطفل. ط1 مصر: دار النشر

للجامعات، 1998، ص: 163

²⁷ مقابلة مع طيب شريف بشير، منتج، مخرج وكاتب سيناريو سلسلة الجزائر تاريخ وحضارة الجزائر، 17 أكتوبر 2017 .

²⁸ عبد الماك، مرتاض. دليل مصطلحات ثورة التحرير الجزائرية 1954 — 1962. الجزائر: المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، دت، ص 27 (بتصرف)

²⁹ عبد الملك، مرتاض. نفس المرجع السابق، ص 58.

اللغة الأمّ ودورها في التحصيل المعرفي لدى الطفل التعليم التحضيري ودوره في تنمية المهارة اللغوية لدى الطفل

فايزة مجاهدي

جامعة أبي بكر بلقايد - تلمسان -

طالبة دكتوراه

مقدمة:

شهد العصر الحالي جهودا معتبرة من لدن المربين الذي اهتموا بتربية الطفل في سنّ ما قبل التّمدّس، ولاحظوا تأثير هذه المرحلة على باقي المراحل العمرية لأنها مهمة في حياة الطفل وفيها تتكون معالم شخصيته، فالاهتمام بهذه المرحلة يضمن نشوء فرد قادر على تحمّل المسؤولية مستقبلا، فالطفل يحتاج إلى وسط نفسي واجتماعي مريح لينمو نموا معرفيا واجتماعيا يجعله فردا طبيعيا يسهم في بناء المجتمع.

لذلك اهتمّ علماء التربية بتوفير الأجواء المناسبة بإنشاء مدارس الحضّانة ورياض الأطفال، ولأنّ الطلب أصبح يتزايد على هذه المؤسسات نظرا للتطور الاقتصادي والاجتماعي فهذه المدارس أصبحت غير قادرة على استيعاب الكم الهائل من المتدربين لذلك استحدثت أقسام ملحقة بالمدارس الابتدائية لامتناس هذا الاكتظاظ.

والجزائر خطت نفس الخطوات التي سارت عليها الدول المتقدمة من خلال المراسيم الوزارية التي سنتها من أجل تدريس الطفل وتنشئته تنشئة سليمة، وشهدت الجزائر انتشارا واسعا لهذه المؤسسات، وفتحت أقساما تحضيرية بكلّ المدارس الابتدائية وضمان تربية تحضيرية لكل طفل بلغ سن خمس سنوات.

ويعدّ التعليم أحد القطاعات الهامة ومحورا أساسيا للنهوض بالمنظومة التربوية والاقتصادية ونظرا لأهمية هذه المنظومة قامت الجزائر بجهود كبيرة من أجل بعث هذا القطاع والنهوض به من خلال إصلاحات هامة كلّها تصبّ في صالح الطفل، ومن تلك الإصلاحات استحداث أقسام التحضيري في المدارس.

ومن هنا نطرح التساؤلات التالية: ما مفهوم التربية التحضيرية؟ وما دورها في تنمية لغة الطفل؟ وما هو تعريف التحصيل اللغوي؟ وهل التلميذ يستطيع تنمية قدراته اللغوية في هذه المرحلة؟ ماهي الوسائل التي تستعملها المعلمة في تلقين الطفل الحروف العربية ونطقها نطقا صحيحا؟.

قبل أن نعرّف مرحلة التعليم التحضيري لابدّ من تعريف موجز لمرحلة الطفولة باعتبارها المرحلة المستهدفة من هذا التعليم.

1/ تعريف مرحلة الطفولة:

هي "المرحلة التي تنتهي عند بلوغ سنّ الثنائية من عمر الطفل، ويحتاج في هذه المرحلة إلى عناية خاصة حيث يعتمد نموه الفيزيولوجي اعتمادا كلياً على أمّه عن طريق الرضاعة الطبيعيّة أو الصناعيّة"¹، وهي أهمّ مرحلة في حياة الإنسان لأنها الأساس الذي تبنى عليه شخصيّة الطفل في جميع النواحي، فالطفل في هذه المرحلة يكتسب قابليّة التأثير بكلّ ما يحيط به وهي "المرحلة الأولى التي يعبرها الإنسان خلال حياته نحو المراحل الأخرى الشباب، الكهولة، الشيخوخة"².

1/ مفهوم التعليم التحضيري:

يعدّ التعليم التحضيري المرحلة الأولى التي يتّصل فيها الطفل بالمدرسة وهي "تمدرس الأطفال في سنّ مبكرة أي الفترة الممتدة ما بين خمس وستّ سنوات وهي فترة الطفولة المبكرة"³، فالسنّ القانوني للتعليم هو خمس سنوات، حيث "يعطي هذا التعليم الطفل المهارات العلميّة كي يستفيد منها قبل الالتحاق بالمدرسة"⁴، فهو القاعدة الأساسيّة التي تقدّم الأصول الأولى للمعرفة، وتدريب الطفل على التحصيل اللغوي والتكثيف مع الأجواء الدراسيّة.

ونظرا لأهمية هذه المرحلة أقرت الدولة تكويننا بيداغوجيا مكثفا، لإعداد معلمين أكفاء لتدريس الأطفال، ويشمل هذا المنهج على "الدراسات العامة والدراسات المتصلة بالمواد التي سيدرسها الطفل، والتمرين العلمي على التعليم والنشاط المدرسي تحت إشراف أساتذة مؤهلين تأهيلا كاملا، وتدريب المعلمين العاملين فهذا يحقق التحسين في نوع التعليم وخدماته"⁵. ويتلقى المعلمون دروسا مكثفة قبل توجيههم لتدريس أقسام التحضيري قصد معرفة مدى تأثيرهم في الأطفال خاصة من الجانب اللغوي.

2/ أهداف التعليم التحضيري:

للتعليم التحضيري أهداف يمكن حصرها في:

*/ الأهداف الاجتماعية:

ويصطلح عليه أيضا بالتطبيع الاجتماعي وهو اكتساب الطفل لعادات وسلوكات حسنة من خلال المحيط الذي يعيش فيه، وه "عبارة عن عملية مستمرة من الطفولة إلى آخر مراحل العمر، تستمر هذه العملية بتعلم أسباب الأنماط السلوكية السائدة في المحيط الذي يعيش فيه الفرد ابتداء بمحيط الأسرة، والعائلة، والمدرسة، والمجتمع ككل لما يمثله من عقيدة ولغة وعادات وتقاليد"⁶، فتربيّة الطفل تبدأ من الأسرة التي هي المنشأ الأول للطفل منها يكتسب تربيته وأخلاقه ولغته ثم ينتقل إلى المدرسة التي تكمل مهمة بناء شخصيته.

*/ الأهداف العقلية:

يهدف التعليم التحضيري إلى تنمية قدرات الطفل العقلية لأنّ هذا الجانب مهم في نموّ الجوانب الأخرى العاطفية والحسية والجسمية، فالتعليم التحضيري ينمي قدرة الطفل على الملاحظة والتذكر والانتباه والتخيل، وهذا ما يؤهله لبدء تعلم القراءة والكتابة والحساب ويكون ذلك عن طريق الاستماع الجيد للقصص التي تقصّها المربيّة، والمسرح والتمثيل، حيث يقوم الأطفال بلعب الأدوار لقصة استمعوا إليها"⁷، وأطلقت عليه مونتيسوري اسم "اللعب الوظيفي" وسماه جان بياجى "لعب التمرينات"⁸.

وأثبتت الدراسات أنّ تأثير التربية التحضيرية على نموّ قدرات الطفل العقلية كبير فمثلا على مستوى اللغة فقد توصل جابر وهيبير إلى أنّ الروضة تؤدّي إلى ارتفاع مستوى اللغة عند الطفل وإلى ارتفاع مستوى الأداء في اختبارات الذكاء التي أجريت له وكان هذا في دراستهما التي أجراها على أطفال التحقوا بالروضة وآخرين لم يلتحقوا بها، حيث كشفت الدراسة على تفوق الأطفال الذين التحقوا بالروضة بما يعادل سنتين في النموّ اللغوي كما أنّ متوسط نسب ذكائهم بلغ 123 درجة مقابل 94 درجة فقط للأطفال الذين لم يلتحقوا بالروضة⁹.

*/الاتجاه نحو العمل وتعويد الطفل عليه:

إنّ تكليف الطفل بأعمال ومشاريع في مرحلة ما قبل التّمدرس يؤهّله لتلقّي الأوامر التعليمية اللاحقة وتكون مشاريع بناءة وهادفة تحضّره مسبقا للولوج في عالم الشغل وقد نادى فرويل في أفكاره التربوية بدفع الطفل وحثّه على رعاية الأرض وحرثها الجنان وهي محاولة لتكوين الطفل مستقبلا.

*/النمو الجسمي:

إنّ من أهداف التربية التحضيرية الاهتمام بنموّ الطفل الجسمي مثلما يهتمّ بالجانب العقلي، وذلك من خلال العناية بصحّته والاهتمام بغذائه، وممارسة الرياضة لتنمية عضلاته وتهذيب حواسه، وكذا الاهتمام بسماع القصص والملاحظة الجيدة من خلال المناظر الطبيعية التي تحتويها الكتب.

3/ أسباب الاهتمام بالطفل في مرحلة ما قبل التّمدرس:

إنّ اهتمام علماء النفس والمختصين في التربية بمرحلة التحضيرية ليس صدفة، وإنّما لإيمانهم الكبير بأهميّة هذه المرحلة في حياة الطفل فهي الأساس واللّبنة التي تبنى عليها شخصيته، لذلك أولوها أهميّة كبيرة لأسباب ودوافع متنوعة منها:

أ/ الجانب النفسي:

قبل أربعة عشر قرنا أوصى نبينا الكريم بتربية الطفل تربية حسنة خاصة في مراحل عمره الأولى، ودلّنا - صلى الله عليه وسلم - على طرق ووسائل تساعد على تكوينه

تكويننا سليما، وحتى على العمر الذي يكون فيه الطفل قابلا للتعلّم والتأثر، لأنّ عواطفه وانفعالاته تكون في طور النمو ويمكن للوالدين السيطرة على تلك الأحاسيس وتوجيهها توجيها صحيحا.

وأولى علماء النفس اهتماما كبيرا للطفل في مرحلة التحضيري وجهّزوا مراكز خاصة لذلك كدور الحضانة، واستحدثوا أقساما في المدارس من أجل تتبّع الطفل خلال هذه المرحلة، فالتربية التحضيرية توفر البيئة التربوية اللازمة لضمان نمو وتمدرس أحسن للمتعلّم نفسيا واجتماعيا وجسديا جيدا، فهي تبعدهم عن كلّ ما قد يسبّب لهم عقدا نفسية داخل الأسرة أو خارجها خاصة فيما يتعلّق بالأطفال اليتامى أو أطفال الأمّهات العاملات¹⁰.

ب/ الجانب الاجتماعي:

هناك دافع اجتماعي أدى إلى ظهور التربية التحضيرية لأنّ الطفل يتأثر بالمحيط الذي يعيش فيه، ومنه يستلهم تصرفاته ويبنى شخصيته لذلك يجب توفير محيط اجتماعي صالح بتعويد الطفل على بعض العادات الاجتماعية كالتعاون والعمل في الجماعة واحترام الحقوق والأشخاص وحرية الأفراد، والمحافظة على الممتلكات العامة والخاصة وغرس حبّ الوطن في قلبه.

ج/ الجانب التربوي:

إنّ الاهتمام بالطفل في سنّ مبكرة دفع إلى استحداث التربية التحضيرية فالتربية مهمة وأساسية وهي تلعب دورا مهما في حياة الفرد والجماعة، ونظرا لأهميتها يسهر الآباء والأمّهات على تربية أبنائهم تربية حسنة، لكن التربية التي يتلقاها الطفل في الأسرة غير كافية، لذلك لا بدّ من دفعهم إلى دور الحضانة والمدارس القرآنية لضمان تربية إسلامية وأخلاقية جيّدة. كما تسهم في اندماجه مع أصدقائه وتحفزه نفسيا واجتماعيا وعقليا وجسديا كما سبق وذكرنا، بالإضافة إلى أنّ الطفل في هذه المرحلة يميل إلى اللّعب والتقليد بطبعه لذلك " يجب توفير الجو المناسب لتلبية تلك الميول لدى الطفل

وذلك أنشئت مؤسسات التربية التحضيرية المجهزة بكل ما يمكن أن يلبي طلبات وحاجات الطفل¹¹.

كما تهدف التربية التحضيرية إلى إعداد إنسان متكامل يشارك مستقبلا في بناء الوطن. يقول الأمام محمد عبده "إنّ الإنسان لا يكون إنسانا حقيقيا إلا بالتربية وليست هي إلا عبارة عن طريق الأصول التي جاء بها الأنبياء والمرسلون.. تعلم الإنسان الصّدق والأمانة ومحبة نفسه فإذا تربي الإنسان أحبّ نفسه لأجل أن يحبّ غيره وأحبّ غيره لأجل أن يحبّ نفسه"¹².

4/ برامج التعليم التحضيري:

تتوفّر أقسام التحضيري على معدّات ووسائل تساعد على نموّ الطفل بشكل طبيعي من خلال توفير الأجواء المناسبة للدراسة واللعب، لذلك اهتمّ علماء التربية بتسطير برامج يسير عليها المرّبي في تكوين الطفل طيلة العام الدراسي وتنقسم هذه البرامج إلى أربعة أنواع هي:

*/ البرنامج اليومي.

*/ البرنامج الأسبوعي.

*/ البرنامج الشهري.

*/ البرنامج السنوي.¹³

أ/ البرنامج اليومي: مجموع الأنشطة والألعاب التي يقوم بها الأطفال خلال اليوم الدراسي.

ب/ البرنامج الأسبوعي: يتمنل في الأنشطة والألعاب التي ينجزها الأطفال خلال أيام الأسبوع.

ج/ البرنامج الشهري: كلّ الألعاب والأنشطة والأعمال التي يقوم بها الأطفال خلال الشهر.

د/ البرنامج السنوي: مجموع الألعاب والأنشطة التي ينجزها الطفل خلال السنة الدراسية تحت إشراف المرّبي.

وقد شملت هذه البرامج على:

/* "عمليات تطوير حواس الطفل وحركاته.

/* عمليات تكوير لغة الطفل.

/* عمليات النمو العقلي أو القدرات العقلية مثل: التذكر، الانتباه، التركيز.

/* عمليات النمو الاجتماعي والنفسي وتتمثل في نشاطات ترفيهية وفنية

ورياضية... الخ"¹⁴.

5/ أهمية برامج التعليم التحضيري:

لبرامج التعليم التحضيري أهمية كبيرة تتمثل في تزويد الطفل بالأمن والتغذية والراحة النفسية، وكذلك إثراء معارفه وصلها لأن الطفل يقضي وقتا كبيرا في المدرسة فهو يستفيد من الخبرات التي قد لا يحصل عليها في المنزل¹⁵ كما تقوم التربية التحضيرية بتهيئة الطفل للمراحل الدراسية اللاحقة، وذلك بتلقيه المهارات الأساسية التي تجعله مستعدا للتعليم، كما تحضره نفسيا واجتماعيا من خلال تعويده على نفسه وتفاعله مع الآخرين، أيضا تدريب الطفل على الملاحظة الدقيقة والاستنباط والشرح والتعبير، كما تدرجه على العمل الجماعي وتحبيبه إليه من خلال القيام بالأعمال الجماعية مع زملائه. وقد اعتمدت هذه البرامج على عدة أنشطة لبناء قدرات الطفل على الفهم والاستيعاب منها:

/* التجارب والخبرات العقلية.

/* التعبير الشفوي عن التجارب والخبرات السابقة

/* القراءة والكتابة.

6/ تعريف التحصيل اللغوي:

التحصيل اللغوي هو تحصيل اللغة وتجميعها في ذهن الطفل من مفردات وألفاظ وتعبير.

7/ طرائق تدريس القراءة لتلاميذ التحضيري:

هناك طرق عدّة تعلم مبادئ القراءة وهي تختلف وتتوَع حسب الأهداف التي يرسمها المربي، ويوجد ثلاث طرق رئيسة لتعلم القراءة هي:

أ/ الطريقة التركيبية:

تتضمن الأبجدية والصوتية حيث تبدأ بتعليم الطفل الحروف ثم الكلمات ثم الجمل وتتضمن هذه الطريقة ما يلي:

- رؤية شكل الحرف ومعرفته.

- النطق بالحرف نطقاً سليماً

- إعادة كتابته¹⁶.

وتتدرج تحت هذه الطريقة ثلاثة فروع هي: "الهجائية" وتقوم على تعليم الطفل حروف الهجاء بأسمائها بالترتيب (من ألف إلى الياء) ثم يبدأ بالتدرب على طريقة نطقها مفتوحة ومضمومة ثم مكسورة ومشددة قراءة وكتابة¹⁷، وعندما يتأكد المربي أن الطفل أدرك هذه المهارات تنتقل إلى ضم المقاطع إلى أحد حروف المد الثلاثة مثلاً (با، بو، بي)، ثم تكوين الكلمة.

*/ الطريقة الصوتية:

يبدأ المعلم بأصوات الحروف لا بأسمائها فينطق الحروف منفردة مثال: (ض-ر-ب) ثم ينطقها دفعة واحدة (ضرب).

*/ الطريقة المقطعية:

تبدأ بعرض وحدات لغوية أكبر من الحرف أو الصوت وأصغر من الصوت فيتدرب الطفل على نطق حروف العلة عن طريق كتابة كلمات تبدأ بهذه الحروف، ثم استخدامها كحروف مد لتوضيح أصوات الحروف الهجائية الأخرى مثل (ما-مو-مي) (با-بو-بي)، (ما-ماما).

ب/ الطريقة التحليلية:

هي عكس الطريقة التركيبية حيث تبدأ من الكلمات أي من العبارة إلى الجملة إلى الكلمة¹⁸. ويندرج تحتها نوعان آخران هما:

*/ طريقة الكلمة:

عرض كلمات مألوفة للتلميذ، سهلة التركيب ينظمها المدرس مرة واحدة ويشير إليها ثم يحاكيها الطفل لعدة مرات، حيث يقوم المتعلم بتهجئتها وتحليلها حتى تبقى ذهنية لذلك تعتبر طريقة تحليلية ينطق فيها الطفل بالكلمة دفعة واحدة¹⁹. واعتماد هذه الطريقة يمكن المتعلم من معرفة أصوات الحروف ويتدرّب على نطق الكلمات.

*/ طريقة الجملة:

يعدّ المعلم جملا قصيرة مما يألفه الأطفال، أو جملا بينها ارتباط في المعنى ويكتبها على السبورة ثم ينطق بالجملة ويردّها الأطفال أفرادا وجماعات مرّات كافية ثم يعرض جملة أخرى تشترك مع الأولى في بعض الكلمات وهكذا²⁰، ويعطي المتعلم أمثلة يعرفها الطفل مثلا(الكلب خلف الباب، البطّة تسبح في الماء، بلال يلعب بالكرة).

ج/ الطريقة المزدوجة:

تعرف بعدة تسميات مختلفة منها: الطريقة التوليفية، والتوفيقية، والطريقة التركيبية التحليلية لأنها تجمع بينهما، وهي تمرّ بأربع مراحل:

*/ مرحلة التهيئة والاستعداد:

في هذه المرحلة يكون على المعلم تهيئة الطفل وتنمية استعداده لممارسة أعمال جديدة في بيئة لم يألفها.

*/ مرحلة التعريف بالكلمات:

هي ثاني مرحلة بعد الإعداد، يبدأ المتعلم بقراءة الكلمة ثم الأصوات والحروف ثم تعلم التمييز البصري والسمعي متصاحبين، كما يُطلب منه حصر انتباهه في الرمز المكتوب وصوته المنطوق مع الربط الوثيق بينهما²¹.

***/ مرحلة التحليل والتجريد:**

وهو تجزئة الجملة إلى كلمات وتجزئة الكلمات إلى أصوات، وهذه المرحلة لا تبدأ إلا إذا أيقن المعلم أنّ تلامذته عرفوا مجموعة لا بأس بها من الكلمات والجمل معرفة تامة.

***/ مرحلة التركيب وتكوين الكلمات من الجزئيات:**

بعد أن يتمكن المتعلم من إدراك مجموعة من الكلمات والحروف تأتي مرحلة البناء ويحاول الأطفال توظيف ما تعلموه، وذلك من خلال استعمال الكلمات في تكوين جمل مفيدة.

***/ مهارة تعليم الكتابة العربية:**

تعدّ مهارة الكتابة إحدى المهارات اللغوية المهمة، وهي تأتي متأخرة بعد مهارة القراءة لأنها مرتبطة بها ارتباطاً وثيقاً، فهي على ثلاثة أنواع:

- الرسم الهجائي.
- الخط.
- التعبير الكتابي.

والكتابة لها أساسان هما: أساس آلي وهو تعلم المهارات الخاصة برسم حروف اللغة العربية، ومعرفة شكل الحروف والحركات، وأساس عقلي يتضمّن الإلمام بقواعد النحو والصرف والإعجام.

ومن أهداف تدريس الكتابة لدى المتعلم هي:

- "- رسم الحروف رسماً يجعلها سهلة القراءة.
- كتابة الكلمة حسب قواعد الأملاء الصحيحة.
- تكوين ألفاظ وعبارات وجمل تعبر عن الأفكار والمعاني"²².

وبمرّ تعليم الكتابة بمراحل هي:

***/ مرحلة الاستعداد لتعلم الكتابة:**

تهدف إلى إثارة ميول التلميذ نحو الكتابة باستعمال وسائل مختلفة وبسيطة.

***/ مرحلة تعليم الكتابة:**

تهدف إلى تدريب التلميذ على تعلم الكتابة وتبدأ بتهيئة الطفل جسدياً لتمكينه من السيطرة على وسائل الكتابة.

***/ الرسم الأملائي للحرف العربي وقابليته للتفنن:**

هذا الأمر أدى إلى ابتكار عدة خطوط عربية، حيث تفنن الخطاطون في رسم الحروف العربية وزخرفتها.

8/ أهداف تعليم الكتابة في مرحلة التعليم التحضيري:

- هيئة حسنة وجلسة معتدلة ووضع سليم لليد أثناء الكتابة.
- وضع سليم للكتاب والكراس والقلم.
- نظافة الكراس وجمال الخط وانتظامه.
- تعلم مسك القلم بطريقة صحيحة.
- رسم خطوط متنوعة (عمودية- أفقية- مائلة- منحنية).
- كتابة الحروف المنفردة وإقنانها.
- التمييز بين الحروف العربية نطقاً وصوتاً.
- الكتابة على السطر واحترام أوضاع الحروف وتقنية كتابتها.
- كتابة الحروف وتناسب الأحجام والمسافات.
- ويجب على المعلم أن يعلم الطفل الخط العربي، ومن أسس تعلم الخط هي:
- تعلم الخط على منهج مناسب يعتمد على التكرار والتدريب.
- إعطاء الخط وقتاً يتناسب مع أهمية أدمغة التلاميذ.
- تنبيه التلاميذ إلى العادات السليمة في ممارسة الكتابة كالجلوس باعتدال ورفع الرأس وتدريب الطفل على مسك القلم.

9/ خطوات تدريس الخط:

يعتمد على:

***/ التمهيد:** إخراج الكراسه وأدوات الكتابة.

*/ قراءة النموذج: قراءة النموذج وكتابته على السبورة، ومناقشته وشرحه شرحا ميسرا دون إطالة.

*/ الشرح الفني: يطلب المعلم من التلميذ الانتباه وملاحظة حركة يده أثناء الكتابة.
- الكتابة على السبورة في القسم الأيسر.
- توضيح الأجزاء بالألوان المختلفة مع الاستعانة برسم خطوط أفقية أو رأسية أو مقوسة لضبط أجزاء الحرف.

10/التدريب العملي:

تدريب التلميذ على رسم الحرف في كراس المحاولات.

*/ التوجيه الفردي:

يقوم المعلم بالمرور على التلاميذ وتقييم كتاباتهم بإظهار خطأ كل تلميذ على حدة وتصحيح الخطأ.

*/ التوجيه العام:

إذا لاحظ المربي أن نفس الخطأ شائع بين التلاميذ يأمر بوضع الأقلام وتصحيح الخطأ على السبورة أمام الجميع.

11/ مراحل التدريب على كتابة الخط:

يمرّ المتعلم بعدة مراحل حتى يستطيع رسم الحروف رسما متقنا، وذلك عبر:

*/ مرحلة البداية في تعليم الخط:

يكتفي المتعلم برسم الحروف والكلمات رسما هجائيا صحيحا.

*/ مرحلة تحسين الخط:

كما يستثمر الطفل قدراته العقلية يطالب بتحسين كتابته شيئا فشيئا، وهنا يعتمد على طريقة الإقتفاء وذلك برسم الحرف بنقاط صغيرة، ويقوم المتعلم بتمرير قلمه ورسمه.

*/ مرحلة إجادة الخطّ:

في هذه المرحلة يصبح التلميذ أقدر على الإتقان والمحاكاة والملاحظة بعد تدريب أعضائه وعضلاته، وهنا يلجأ المعلم لاستخدام النماذج الخطّية المتعدّدة في أثناء تدريبه²³.

12/ طرق تدريس الخطّ:

هناك ثلاثة طرق هي:

*/ طريقة تجزئة الحرف: يعني تجزئة الحروف إلى خطوط وأجزاء.

*/ طريقة الحرف المفرد: رسم كلّ حرف على حدة ويمكن للمعلم تعليم الطفل الحروف وفق ترتيبها الهجائي.

*/ طريقة الكلمة: كتابة الكلمة كلّها.

13/ وسائل تعليم الخطّ: هناك عدّة وسائل تربوية لتعليم الخطّ العربي منها:

- نماذج الاقتفاء.

وهي عبارة عن كراسات فيها حروف على شكل نقاط صغيرة، ويقوم المتعلم بتمرير القلم عليها وإعادة رسمها.

- النماذج الخطّة.

- النماذج المطبوعة على الورق المقوى.

- النماذج المكتوبة على السبّورة.

- اللوحات المعلّقة على جدران الفصل.

- نماذج الحروف البارزة أو المحفورة.

14/ أهداف تعلم الخطّ:

- جعل الكتابة واضحة.

- كسب المهارة اليدوية.

- تسمية الإدراك البصري للأشكال.

- صفق القدرات الفنية والعقلية للطفل.

15/ طرق تعليم اللغة للطفل:

إنّ الطفل في أول نطقه يخرج أصواتا غامضة مشفرة لا تفهمها إلا الأم المحنكة فتستجيب لها حسب فهمها لتلك الأصوات، ثم يبدأ الطفل نوعا آخر من التعبير الصوتي أطلق عليه العلماء اسم المناغاة وهي المادة الأولية التي تبنى عليها لغة الطفل في المستقبل، وبعد ذلك يشرع في تقليد أصوات الكبار ويلاحظ أنّ الطفل أثناء الخمسة عشر شهرا الأولى يصدر أصواتا متعدّدة وقدّرها الباحثون بحوالي مائتي نوع.

وفي عمر الثانية يبدأ الطفل بمحاكاة ما تنطق به أمّه وأبوه، فهو يردّد ألفاظا بسيطة مثل: ماما-بابا، فالطفل لا بدّ له أن يسمع أصواتا حتّى يستطيع محاكاتها واكتساب لغته، وهذا من شروط تعزيز الطفل للغته، فما تردده الأم أو المربيّة أو المعلمة يقوم هو بسماعه وترديده حرفيا وتعلّمها وتخزينها في ذاكرته "والطفل بدءا من الخامسة من عمره يتوصّل إلى أن يولّد عبارات جديدة مبتكرة لم تكن قد مرّ بها من قبل إطلاقا وبجانب المحاكاة والتقليد نجد الطفل من صحّة الفرضيات أو عدم صحّتها من خلال مقارنة ما يصدر عنه من كلام بلغة الرّاشدين من حوله، وحين لا تتطابق هذه الفرضيات مع لغة الرّاشدين يسعى الطفل إلى تعديلها هذا ولا تتمو أجزاء الكلام عند الطفل نسبة واحدة فهو ينطق الأسماء ثمّ الأفعال بعد ذلك تتكوّن مرحلة جديدة وهي النطق بالجملة لكن كلّ كلمة مفردة تحمل معنى الجملة وعندما يقول (أكل) معناها أريد أن أكل والجملة التي ينطقها الطفل عبارة عن عدد من المفردات توضح جنبا إلى جنب بنظام بسيط²⁴.

وقد يحسن التلميذ مهارته اللغوية عن طريق اختبار الرموز اللفظية والكلمات الواضحة والمألوفة، كذلك اختبار الجمل القصيرة لأنّ طول الجملة يكون أصعب على الذاكرة من القصيرة، أيضا الابتعاد عن التعقيد في تركيب الجمل فالتقديم والتأخير في التركيب يزيد الفهم صعوبة فجملة= (أكرم الطالب المعلم) أصعب من (أكرم المعلم الطالب) فتركيب الجملة الثانية سهل وطبيعي ويسهل عملية الفهم.

16/ دور التعليم التحضيري في تنمية لغة الطفل:

هناك من يرى أنّ اللغة هي مجرد مجموعة من الرموز المنطوقة التي تستخدم كوسيلة للتعبير، لكنّ اللغة هي وسيلة للتعبير والتواصل بين الأشخاص وبها يعبر الإنسان عن مكنوناته، وأحاسيسه وهي مهمة في حياة الأشخاص.

واللغة العربية هي لغة متميزة فهي لغة القرآن الكريم، وهي أكثر اللغات السامية احتفاظاً بالأصوات فهي معتدلة في عدد الحروف، واللغة العربية لها مخارجها الدقيقة والخطأ يقع في نطقها وربما عند الأطفال بسبب عدم اكتمال أجهزة النطق وقرب مخارج بعض الحروف وصعوبة تطويع اللسان لبعضها لبقائها.

"ومن الكلمات التي يتمّ بها الخطأ(ث-س)، (ق-ك)، (ذ-د)، (ص-س) (ض-د) (صراط-سراط)، (هدر- هذر)، (شمس-سمس)، (قلم-ألم)، وواجب المدرّس أن يقدّر الأداء الصّحيح لكي يتمّ الاكتساب الصّحيح للغة"²⁵.

فالتعليم التحضيري فرصة لاكتشاف الحرف وتكوين الكلمة والجملّة، ودوره كبير في تنمية المهارة اللغوية للطفل من خلال تحفيظه القصص والنصوص، وكذلك التعبير الشفوي الذي يسهم في تعليم الطفل نطق الحرف نطقاً سليماً من الناحية الصرفية والنحوية.

فالأطفال الذين يدرسون في المرحلة التحضيرية هم الأطفال الناجحون في الفصول الدراسية اللاحقة مقارنة بالأطفال الذين درسوا في الصفّ الأول مباشرة فأدراكهم للحروف وحسن نطقها يؤهلهم لقراءة النصوص بسهولة وأريحية.

خاتمة:

إنّ مرحلة التعليم التحضيري لها أهميتها في نموّ الطفل وبناء شخصيته وتحقيق توازنه الفكري، وهي مرحلة حسّاسة في حياة الطفل فهو يحتاج إلى رعاية خاصّة من جميع الجوانب، لذلك بات الاهتمام بهذه المرحلة ضروريا، لذا تكفلت مختلف المجتمعات بتوفير العديد من المؤسسات والهيئات للتكفل بالطفل.

والجزائر على غرار باقي الدول قامت بتوفير ما يسمّى بالتعليم التحضيري للأطفال الذين نقلّ أعمارهم عن خمس سنوات، وذلك لتهيئة الطفل نفسيا واجتماعيا وجسديا وفكريا للمراحل الدراسية اللاحقة.

فالأطفال في مرحلة التحضيري يتلقون برامج خاصّة بهم لمدة سنة تحفّزهم للالتحاق بالسنة الأولى من التعليم الابتدائي، وهذا البرنامج يراعي سنّ الأطفال وحاجة الطفل في هذا العمر للعب لذلك يحتوي البرنامج على عدّة أنشطة هادفة كالرياضة واللعب بالمكعبات والعجين، والمسرح وغيرها من الأنشطة الهادفة بالإضافة إلى تعليم الطفل الحروف ونطقها وكتابتها كتابة صحيحة.

ومن خلال عرضنا لموضوعنا "التعليم التحضيري ودوره في تنمية المهارة اللغوية لدى الطفل" توصلنا إلى النتائج التالية:

- */ التعليم التحضيري يسهم في تكوين شخصية الطفل.
- */ يؤثّر المعلم على التحصيل اللغوي للطفل باستعمال الطرق المناسبة.
- */ الطفل يكتسب رصيда لغويا من خلال البرنامج المسطر، وذلك في حصّة التعبير الشفوي والألعاب القرائية، وسرد القصص.
- */ للوسائل التعليمية دور كبير في جذب انتباه الطفل ومساعدته على تميّة لغته باستعمال أسلوب جذب الانتباه.

المصادر والمراجع:

- 1/ أثر الالتحاق بالروضة في تنمية الاستعداد الذهني لدى الطفل الجزائري. جاجة محمد بلقاسم. رسالة مقدمة لنيل الماستر في علم النفس التربوي. جامعة قسنطينة، 1994م.
- 2/ أصول التربية والتعليم. رابح تركي. الجزائر، ط/2، 1989م.
- 3/ تدريس اللغة العربية: مفاهيم نظرية وتطبيقات عملية. وليد أحمد جابر. دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط/1، 2002م.
- 4/ تدريس العربية في التعليم العام: نظريات وتجارب. رشيد أحمد طعمية ومحمد السيد مناع. دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط/1، 2000.
- 5/ تعليمية مهارتي القراءة والكتابة لتلاميذ القسم التحضيري. ميلودي نسيم. مذكرة ماجستير، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2002م.
- 6/ تربية الطفل قبل المدرسة. سعيد مرسي وأحمد كوثر حسنين كوجك. عالم الكتب، القاهرة، 1991م.
- 7/ توجهات الفكر التربوي في مجلات الأطفال الجزائرية من (1976-1982م) مهدي زعموم. رسالة ماجستير في علوم الاتصال، جامعة قسنطينة، 1989م.
- 8/ فنّ تدريس اللغة العربية وانطباعاتها السلوكية وأنماطها العلمية. صباح سمك. كلية التربية، جامعة الأزهر، مكتبة الأنجلو مصرية، 1975م.
- 9/ مدخل إلى علم النفس المعاصر. مصطفى عشوي. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994م.
- 10/ مدخل إلى التربية. محمد الطيبي وآخرون. دار المسيرة، عمان، 2002م ط/1.
- 11/ مدخل إلى التعليم في الطفولة المبكرة. إيفال عيسى. تر: أحمد حسنين الشافعي دار الكتاب الجامعي، غزة، ط/14، د.ت.
- 12/ مصطلحات ومفاهيم تربوية. عبد الله الزاهي رشوان. دار المسيرة، عمان ط/1، 2005م.
- 13/ مظاهر لغوية ومصطلحات في أدب الطفل وتربيته: فنونه وثقافته. أحمد زلط القاهرة، 2002م.

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

- 14/ الدليل المنهجي للتعليم ما قبل المدرسة. المجلس الأعلى للتربية، منشورات لمديرية التعليم الأساسي، الجزائر، 1997م.
- 15/ الدليل التطبيقي لمنهاج التربية التحضيرية: أطفال (5-6 سنوات). اللجنة الوطنية للمنهاج، منشورات وزارة التربية، الجزائر، د.ط، د.ت.
- 16/ المهارات القرائية والكتابية: طرق تدريسها واستراتيجياتها. راتب قاسم عاشور. د.ط، د.ت.
- 17/ الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية. عبد العليم إبراهيم. دار المعارف القاهرة ط/14، د.ت.
- 18/ النظريات اللسانية وأثرها في تعليم اللغة العربية. عبد القادر زيدان. مذكرة لنيل درجة الماجستير، اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 2013م.

الهوامش:

- 1/ مصطلحات ومفاهيم تربوية. عبد الله الزاهي رشوان. دار المسيرة، عمان، ط/1 2005م ص51.
- 2/ مظاهر لغوية ومصطلحات في أدب الطفل وتربيته، فنونه، وثقافته. أحمد زلط، القاهرة 2002م، ص31.
- 3/ الدليل المنهجي للتعليم ما قبل المدرسة. المجلس الأعلى للتربية. منشورات لمديرية التعليم الأساسي، الجزائر، 1997م، ص10.
- 4/ الدليل التطبيقي لمنهاج التربية التحضيرية: أطفال (5-6 سنوات)، اللجنة الوطنية للمنهاج، منشورات وزارة التربية، الجزائر، ص05.
- 5/ أصول التربية والتعليم. رابح تركي. الجزائر، ط/2، 1989م، ص419.
- 6/ مدخل إلى علم النفس المعاصر. مصطفى عشوي. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر 1994م، ص71.
- 7/ تربية الطفل قبل المدرسة. سعيد مرسي وأحمد كوثر حسين كوجك. عالم الكتب، القاهرة 1991م، ص84.
- 8/ نفسه. ص85.
- 9/ أثر الالتحاق بالروضة في تنمية الاستعداد الذهني لدى الطفل الجزائري. جاجة محمد بلقاسم. رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في علم النفس التربوي، جامعة قسنطينة 1994م، ص27-28.
- 10/ أصول التربية والتعليم. رابح تركي. ص84.
- 11/ أصول التربية والتعليم. رابح تركي. ص86-87.
- 12/ توجهات الفكر التربوي في محلات الأطفال الجزائرية من (1976م-1982م). مهدي زعموم. رسالة ماجستير في علوم الاتصال، جامعة منتوري، قسنطينة، 1989م، ص52.
- 13/ نظم رياض الأطفال في الدول العربية والأجنبية تحليل مقارن. شبل بدران. الدار المصرية اللبنانية، د.ط، القاهرة، 2003م، ص63.
- 14/ مدخل إلى التربية. محمد الطيبي وآخرون. دار المسيرة، ط/1، عمان، 2002م ص296.
- 15/ مدخل إلى التعليم في الطفولة المبكرة. إيفال عيسى. تر: أحمد حسنين الشافعي، دار الكتاب الجامعي، غزة، ط/1، 2004م، ص07.
- 16/ المهارات القرائية وطرق تدريسها بين النظرية والتطبيق. إبراهيم علي. ص105.

- 17/ تدريس اللغة العربية: مفاهيم نظرية وتطبيقات عملية. وليد أحمد جابر. دار الفكر للطباعة والنشر، عمان، الأردن، ط/1، 2002م، ص11.
- 18/ تعليمية مهارتي القراءة والكتابة لتلاميذ القسم التحضيري. ميلودي نسيم. مذكرة ماجستير كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2006م، ص26.
- 19/ النظريات اللسانية وأثرها في تعليمية اللغة العربية. عبد القادر زيدان. مذكرة لنيل درجة الماجستير، قسم اللغة والأدب العربي، جامعة تلمسان، 2013م، ص158.
- 20/ الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية. عبد العليم إبراهيم. دار المعارف، القاهرة، ط/14 د.ت. ص83.
- 21/ تعليمية مهارتي القراءة والكتابة لتلاميذ القسم التحضيري. ميلودي نسيم. مذكرة ماستر إشراف د.منال سعدي، كلية الآداب واللغات، جامعة تلمسان، 2016م، ص28.
- 22/ تدريس العربية في التعليم العام: نظريات وتجارب. رشيد أحمد طعمية ومحمد السيد مناع. دار الفكر العربي، مصر، القاهرة، ط/1، 2000م، ص162.
- 23/ فن تدريس اللغة العربية وانطباعاتها المسلكية وأنماطها العلمية. صباح سمك. كلية التربية، جامعة الأزهر، مكتبة الأنجلو مصرية، 1975م، ص459.
- 24/ المهارات القرائية والكتابية: طرق تدريسها واستراتيجيتها. راتب قاسم عاشور. ص33-36.
- 25/ المهارات القرائية والكفائية: طرائق تدريسها واستراتيجيتها راتب عاشور، ص13-14.

التأثير السلبي للغة الرسوم المتحركة على الملكة اللسانية العربية للطفل الجزائري.

هوارية وناس

جامعة الدكتور مولاي الطاهر، سعيدة

ملخص المداخلة:

اهتم علماء الاجتماع والأنثروبولوجيا بالحياة الطفولية للإنسان منذ بداية القرن 18م، فبدأت الأفكار تتبلور حول معالجة موضوع تربية الأطفال، وانبثقت نظريات في ذلك وبزغ نجم بعض المفكرين والعلماء أمثال "جون دي وي" و"روسو" فانعقدت ندوات ومؤتمرات وأبرمت اتفاقيات من أجل هذا الكائن البشري الضعيف بدون أسرته القوي في وجودها؛ فأسهبوا في الحديث عن حماية الطفولة وكانت الجزائر من بين الدول التي حملت على عاتقها حماية حقوق أطفالها فصادقت على الاتفاق الدولي لحقوق الطفل في بداية سنة 1933 القار بحماية الطفولة ومنحها حقها في الإعلام من خلال البرامج التلفزيونية المخصصة للأطفال.

ولأن العالم بأسره أصبح بفضل العلم والتقدم التكنولوجي قرية صغيرة محيطها هذا العالم ومساحتها الكرة الأرضية، أصبح التلفزيون ثاني مؤسسة من مؤسسات التنشئة الاجتماعية بعد الأسرة من خلال برامج الأطفال والرسوم المتحركة التي يقدمها لشريحة الأطفال باختلاف فئاتهم العمرية ومستوياتهم الثقافية حتى باتت القنوات الخاصة بالرسوم المتحركة تنافس بعضها البعض، بغية الوصول إلى الأجد من أجل أن ينعم أطفالنا بمتعة الحياة؛ وكوسيلة تبليغ تعتمد هذه البرامج بشكل آلي على اللغة العربية باعتبارها موجهة للفئة العربية سواء مترجمة أو غير ذلك. إلا أنه يحدث أن ترتكب في بعض البرامج التي تتحدث بالفصحى أخطاء

نحوية وأخرى تركيبية " تضرب بلغته عرض الحائط. حيث أنّ الطفل مستقبل جيد لكل ما تلتقطه أذناه وتراه عيناه، فهو وعاء فارغ يملأ كما نشاء وكلما نشاء وعليه وقع اختيارنا لهذا الموضوع.

وسنثري هذه الورقة البحثية من خلال الإجابة على الإشكالية التالية: ما مدى تأثير برامج الرسوم المتحركة على لغة الطفل الجزائري؟ وتتفرع منها مجموعة من التساؤلات في مثل: كيف يمكننا حماية أطفالنا من غزو برامج الأطفال لعقولهم ولغاتهم؟ ما الحلول المعالجة لضعف أو تراجع مستوى الأطفال اللغوي الناتج عن متابعتهم للرسوم المتحركة بشكل زائد عن الاعتيادي؟ وتساؤلات أخرى سنثري بها بحثنا.

الكلمات المفتاحية: الرسوم المتحركة- الملكة اللسانية- علماء الاجتماع -

الأنثروبولوجيا.

مقدمة:

تعتبر مرحلة الطفولة الأولى أو الطفولة المبكرة هي المرحلة الأساس في تكوين شخصية الإنسان وتشكيلها التشكيل المناسب أو غير ذلك فهذا يعود للبيئة التي يتربى فيها هذا الطفل ووسط عيشه، ومحيطه، كلّ له تأثير على مدى فاعلية التنشئة؛ ومن بين الأطراف الفاعلة في تكوين شخصية هذا الطفل بدءا بلغته برامج الرسوم المتحركة، حيث تلعب هذه الأخيرة الدور الفعّال في صقل شخصية الإنسان منذ الطفولة لما لها من الأثر البالغ في توجيه نشاطه الذهني والقدرة على تبليغ أفكاره الخاصة؛ فتعد وسيلة قوية في التربية والتعليم لما تحمله من مبادئ أساسية وأخلاق فاضلة ينشأ عليها جيل الأطفال.

ويعدّ الطفل مستقبل الأمة إذا ما صلح صلحت الأمة وإذا ما فسد فسدت به الأمة، لذلك تجد الدول تجدد في مناهجها التربوية بين كل فترة وفترة، وكلّ هذا حتى ترقى بهذا الطفل وتسمو به وبالتالي يسمو بدوره ببلده وبأمته؛ وإضافة إلى التعليم والتعلم في المؤسسات التربوية ها هو الطفل يتلقى تربية أخرى من اتجاه

إعلامي يتبلور في الرسوم المتحركة هذه الأخيرة التي تعمل على التأثير في متلقيها بقصد أو عن غير قصد. فطفل اليوم هو رجل الغد وهو الذي تراهن عليه الدول في بناء مستقبلها فتستثمر فيه قصد ذلك، والطفل سريع التأثر بمن حوله، خاصة إذا كان إعلاما منمقا بالألوان والموسيقى المؤثرة ورسوما متحركة يكبر معها وعليها. لهذا ترمي هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

- تبيان آثار الرسوم المتحركة على لغة الأطفال العربية ووضع سلبياتها تحت المجهر.

- مدى تأثر الأطفال بلغة الرسوم المتحركة واستثمارها في تعليمهم المدرسي.
- إبراز الفروق بين لغات الرسوم المتحركة على اختلاف اتجاهاتها.
- واعتمدنا في ذلك على المنهج الوصفي التحليلي.

1- مفاهيم إجرائية:

مفهوم الطفولة:

يعرف الطفل حسب اتفاقية جنيف الخاصة بحقوق الإنسان للعام 1948 أنه كل إنسان لم يتجاوز سن الثامن عشر من عمره¹.

2- الملكة اللسانية:

يرى البنيويون أن: "الملكة اللسانية يمكن اكتسابها بالمحاكاة أو التقليد أو بالقياس بدرجة أقل"² وهذا يعني أن الملكة اللسانية عند البنيويين تنحصر في التقليد والمحاكاة.

ورأت (شفيقة العلوي) "فيما يخص العلاقة بين الملكة والتأدية" الملكة هي معرفة المتكلم، السامع للغة، أما التأدية فهي الاستعمال الفعّال فهي مواقف مادية واضحة"³. فالملكة حسب رأيها هي معرفة اللغة كما هي والتأدية هي استعمال وتوظيف هذه اللغة.

3- اكتساب اللغة:

ترتبط الملكة اللسانية بقضية اكتساب اللغة والتي عرفت بعلم النفس اللغوي الذي يدرس قضايا اكتساب الكلام وإنتاجه وتفهمه.⁴ فالملكة اللسانية واكتساب اللغة قضيتان متلازمتان، "ومما لاشك فيه أنّ الوظيفة الأساسية للغة هي التعبير عن الأحاسيس وتبليغ الأفكار من المتكلم إلى المخاطب، فاللغة بهذا الاعتبار وسيلة للتفاهم بين البشر وأداة لا غنى عنها للتعامل في حياتهم، ومع ذلك فهي ليست غريزية كما يقرر ذلك الكثير من الباحثين " فهي حسب التعريف مكتسبة لإنجاح عملية التواصل بين أفراد المجتمع، حيث لا يمكن للإنسان الاستغناء عن اللغة باعتبارها ميزة تفرد بها عن سائر الخلق.

3-أ- اكتساب اللغة في الفكر العربي القديم:

شغلت قضية اكتساب اللغة فكر اللغويين وعلماء الكلام والفلاسفة منذ القدم، فاختلّف فيها البعض واتفق البعض الآخر ومن ذلك:

(ابن خلدون) الذي رأى أنّ "اللغات لما كانت ملكات كان تعلّمها ممكناً شأن سائر الملكات"⁵ فهو يرى أنّ اللغة صفة إنسانية يكتسبها الإنسان بالتدرج وعن قصد. وهو عندما يقول أنّ اللغة مكتسبة فهو يميّز بين نوعين من عملية الاكتساب وهما: الاكتساب من خلال التّرعّرع في البيئة وسماع لغتها، والاكتساب بواسطة الحفظ والمران.

فالنوع الأول الخاص باكتساب الطّفل للغته من خلال ترعّرع في محيطه وبيئته، فالإنسان ابن بيئته، يلتقط لغته من مجتمعه الذي يعيش فيه، وقبل ذلك من أسرته... وهذه الملكة كما تقدّم إنّما تحصل بممارسة كلام العرب وتكراره على السّمع والتّقطن لخواص تراكيبه...⁶ فاللغة تكتسب في هذه الحالة من محيط الطّفل وترسخ بالممارسة.

أمّا النوع الثاني فيرى (ابن خلدون) أنّ الإنسان بعد اكتسابه للغة عليه بتربيتها من خلال اتباع طريقة تعلّم اللغة كطريقة مباشرة في تعلّم الملكة اللغوية وهذا من

خلال قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف وحفظ المتون من شعر ونثر. ويردف (ابن خلدون) " وهذا أمر وجداني حاصل بممارسة كلام العرب حتى يصير كواحد منهم، ومثاله: لو فرضنا صبيا من صبيانهم نشأ وربى في جيلهم فإنه يتعلم لغتهم ويتحكم شأن الإعراب والبلاغة فيها حتى يستوي على غايتها ⁷ فالطفل إذا يكتسب لغة البيئة التي يعيش فيها. فاللغة عنده فعل لساني قابلة للتعلم والاكْتساب وتصبح بمرور الوقت والمران ملكة قارة.

وهو الأمر الذي يحدث مع الطفل أثناء مشاهدته لبرامج الرسوم المتحركة حيث تصبح هذه البرامج جزءا من محيطه ولغتها تؤثر في لغته وتتأثر بها فإن كانت سليمة النطق ومخرج الحرف سيظفر باستقامة لسانه، وإن كانت غير ذلك فستأذى لغته.

3-ب- اكتساب اللغة في النظريات الغربية الحديثة:

هي نظريات تربط اكتساب اللغة ببيئة الإنسان وهو ما شاع عند علماء النفس السلوكيين أمثال "واطسن" و"سكينير" حيث منظور السلوكيين للغة يظهر في "لا يرى السلوكيون أية فائدة للمفاهيم العقلية مثل القصد والوعي والتفهم فالأهل هم مصدر المعطيات اللغوية التي يحاكيها الطفل، وعملية التعزيز التي يقوم بها الأهل، هي بالذات العملية اللازمة لتوفير العادات الكلامية، ويتحدد نمو الطفل طبقا للظروف الموضوعية في محيط يراقب هذا النمو ويؤثر فيه".⁸ فاللغة عند السلوكيين تكتسب من بيئة الطفل ومن الظروف المحيطة به والتي من ضمنها برامج الرسوم المتحركة التي تنتمي لمحيط الطفل.

4 - مفهوم الرسوم المتحركة:

هي عبارة عن مجموعة من الصور تمر بسرعة معينة بغرض خداع العين البشرية فالصورة في أساسها تعتمد على ما يعرف بالخداع البصري حيث أن الصورة تظل ثابتة على العين بمقدار 20/1 من الثانية. فنقوم على مبدأ تحريك الصور المرسومة من خلال التصوير الفوتوغرافي، وعرضها بسرعة فتبدو للعين

البشرية أنها تتحرك مع تحدث الشخصية ونطقها في نفس الوقت مع حركتها حتى يظهر للرائي أنها هي التي تتحدث وفي ذلك جودة وإتقان حتى أننا نتعاطف مع الشخصية الكارتونية، ونكرها أن كانت شريرة وننسى أننا نشاهد أوهاما فما هي إلا ورقة مرسومة بالقلم تجري وتتحدث، تبكي وتفرح، تخطط ويغرر بها، وهذا نظرا لقمّة الإبداع فيها. ومنه ما هو عربي الإنتاج ولكن قلة فقط وأغلبها رسوم أجنبية دبلجت إلى العربية وحوّر الكثير منها حتى تلائم البيئة العربية والثقافة العربية.

وتعرف الرسوم المتحركة بأنها " استخدام تقنيات التصوير التي تعتمد على تسجيل اللقطات بشكل منفصل ومتتابع ينتج عنها شريط من الصور يعرف بنظام الحركة المنقطعة تحدث عند المشاهد من خلال شاشة العرض للإيهام بالحركة".⁹ فالرسوم المتحركة هي أفلام ومسلسلات من الرسوم المتحركة، التي تخاطب الأطفال، من خلال قصة تحرك فيها مجموعة من الرسوم الثابتة الملونة، مصحوبة بالصوت والمؤثرات البصرية الأخرى، التي تجذب الطفل وتبهره".¹⁰

أول ما شاع استعمال هذا المصطلح مع بداية القرن الماضي، بظهور شركة (والت ديزني) في عشرينات القرن الماضي، ومن ثم بدأت تتوالى العناوين مثل (توم وجيري)، (النمر المقنع) وهي قصص بصيغة رسوم متحركة الهدف منها الترفيه. فكان من الرسوم ما هو تعليمي ترفيهي محض، مثل "المناهل"، "اسألوا لبيبة"، فكانت بسيطة التقنية، هادفة الرسالة، عميقة الأبعاد، مثلما هو الحال مع برنامج "افتح يا سمسم" الغني برسائله التربوية التعليمية التي تهدف إلى غرس القيم والأخلاق في نفوس أطفالنا بالرغم من أنه أمريكي الأصل، واسمه "شارع السمسم". فقد حوّر البرنامج تماما حيث اشترت حقوقه مؤسسة البرامج المشتركة لدول الخليج العربي، وعملت على اقتباس الفكرة العامة له وإنتاجها وفق ما يتماشى مع أخلاقيات مجتمعنا وثقافتنا العربية، وعقيدتنا الإسلامية المعتدلة.

5- اللغة العربية في برامج الرسوم المتحركة:

تصنف الرسوم المتحركة على حسب المادة التي تقدمها فنجد منها العربية الإسلامية والمدبلجة والعامية.

أ- الرسوم المتحركة العربية الإسلامية:

هي برامج ذات إنتاج عربي تماما: فكرة ونصا وتنفيذا وإخراجا، فهي غير مدبلجة للعربية مثل برنامج " قصص الأنبياء ".
لغة هذه البرامج العربية الفصحى الخالية من الأخطاء من أي نوع، فهي ذات بعد أخلاقي تربوي توجيهي.

ب- الرسوم المتحركة المدبلجة:

يكون هذا النوع من الرسوم مدبلجا عن الرسوم الأجنبية، وتأتي لغته على مستويين:

-المستوى الأول: وتكون لغته العربية فصيحة جدا؛ فالسرد والحوار في هذه الأنواع المدبلجة فصيحان، وتلقائيا تحس أنه طبيعي غير متصنع مما يجعل الطفل أسير هذه النوعية من الرسوم المتحركة؛ فهو لا يحس بأنها مزيفة أو غير واقعية بل عكس ذلك فهي تجعله يندمج فيها لدرجة أنه يقتبس منها في حياته عبارات فيوظفها توظيفا عمليا في علاقاته أو تجاربه الحياتية. وتجد الطفل يفهمها ويندمج معها، وحتى أطفال ما قبل التّمدرس يعيدون بعضا من عباراتها مشافهة وبلغه سليمة كما التقطتها الأذن دون زيادة أو نقصان، مما يجعل اللغة العربية الفصحى متداولة وفعّية.

- المستوى الثاني: العامية سعت بعض شركات الترجمة والدبلجة إلى دبلجة بعض الرسوم المتحركة إلى العامية وهذا حسب رغبة بعض القنوات التي تريد بثها، ولكن العامية يقتصر فهمها على أبناء البلد المنتمين إلى لغة الترجمة لأن مستوى فهم الأطفال واستيعابهم لغات مختلفة ولهجات متعددة محدود؛ فمثلا طفل

من المغرب العربي لا يستوعب لغة الرسوم المتحركة المدبلجة باللهجة المصرية أو اللبنانية وسيجد صعوبة في فهمهما هذا إن لم يفر منهما.

-المستوى الثالث: هجين العربية الفصحى بالعامية

هذا المستوى يشهد ازدواجية في النطق بين الفصحى والعامية مما يربك طاقة استيعاب الأطفال ويعمل على نقل تقنية الخط بين المستويين والميل إلى المستوى العامي لأنه أقرب إلى أذن الطفل ويولد لديه استهانة بالفصحى ولا مبالاة بها. مثل رسوم "داني المهضوم" فتجد الراوي يتحدث فصحى وتجد الشخصيات يتحاورون بالعامية، ومسلسل "الفسحة" خليط بين الفصحى والعامية المصرية. ودفاعهم عن جرمهم هذا هو أنّ العامية طاقتها في التعبير أقوى وإحواؤها تعجز الفصحى عن أدائه وهؤلاء هم أنصار اللهجات العامية.

6- دبلجة الرسوم المتحركة:

تتم الدبلجة من اللغات الأجنبية وغالبا من الإنجليزية أو اليابانية بشكل كبير إلى العربية مع المحافظة على الفكرة العامة للنصوص، ونقلها نقلا مباشرا من لغة الآخر إلى اللغة العربية الفصحى مع المحافظة على أسماء الشخصيات والأماكن كما قد تدبلج هذه الرسوم مع بعض التحوير كتغيير الإطار الخارجي للرسوم من عناوين وأسماء للشخصيات وبلدان.

كما حرصت الشركات المدبلجة على إرسال رسائل أخلاقية ودينية تربوية، تمررها من خلال رسوم متحركة أجنبية لا تمت للإسلام بصلة.

7- تأثير الرسوم المتحركة على لغة الطفل العربي:-

يعتبر التلفاز جزءا أساسيا في حياتنا اليومية ويحتل مكانة كبيرة لدى أطفالنا نظرا لما يقدمه من برامج أطفال ورسوم متحركة ، فتجد الطفل يأنس به ويستمتع أمامه. فيقبل الأطفال على اختلاف أعمارهم وتباين مستويات ذكائهم على مشاهدة الرسوم المتحركة التي تعرضها قنوات الأطفال مما جعل من التلفزيون يصبح واحدا من وسائل التأثير في بناء شخصية أطفالنا من سلوكيات فيزيائية ولغوية؛

نظرا لما يقدمه من إنبهار وإغراء بالاعتماد على الصوت والصورة الملونة، وكذلك ما يقدمه من خيارات مختلفة تلامس كل الأذواق نظرا لتوفره على قنوات متعددة في المجال نفسه، فيجد الطفل ما تشتهيئه نفسه فقط بكبسة زر، يغير ويختار ويعاود الاختيار حتى يجد ما تروقه نفسه ، وهذا كله جعل من الرسوم المتحركة مصدرا موازيا في اكتساب اللغة و منافسا للأسرة في تعليمها للأطفال مما يجعلهم يتأثرون بطريقة سلبية. فالرسوم المتحركة تؤثر بشكل إيجابي كما تؤثر بطريقة سلبية في الأطفال من حيث السلوكات نظرا لما تعرضه من أنواع مختلفة للعنف الجسدي، ومن تأثيراتها السلبية على الملكة اللسانية للأطفال وما تحمله من أخطاء لغوية ونحوية فادحة، تعمل على تكسير استقامة اللسان العربي وبدل أن تقومه تساعد في اعوجاجه وهذا ماتعاني منه اللغة العربية اليوم.

8- إيجابيات الرسوم المتحركة في تعليم اللغة العربية:

يستمتع الطفل العربي بالرسوم المتحركة على اختلاف لغاتها بمستوياتها الثلاثة بالنسبة للعربية (فصيح، هجين، عامي) فترسخ في نفسه عبارات وجمل من كل المستويات.

- فالرسوم المتحركة واحدة من أهم الوسائط التعليمية التي يمكن استثمارها في تعليم اللغة العربية للأطفال، حيث أن الصورة تساوي ألف كلمة. فإذا ما اختلفت المهارة في التعبير التشكيلي مع مهارة التعبير اللغوي في موضوع واحد كانت الرسالة أشد تبليغا ووضوحا لأن من أساسيات ومعايير تصميم الرسوم المتحركة ألا تجذب انتباه الطفل نحو الشكل وتنسيه المضمون. " الرسوم المتحركة تسهم في إكساب الطفل اللغة العربية الفصحى والتي يفنقدها في محيطه الأسري مما يساعده على النطق السليم"¹¹.

- كما أنها إذا أعدت بشكل إيجابي فإنها تعمل على تنشيط التفكير العلمي الصائب في عقول أطفالنا وبالتالي تصبح الرسوم المتحركة ناقلة للعلم والمعرفة وزرع القيم الدينية.

-توظيف الرسوم المتحركة توظيفا سليما يزيد من دافعية التعلّم لدى المتعلمين بسبب ما تحتوي عليه من ألوان مبهرة وموسيقى مؤثرة وتشويق يأسر الطفل أمامها ويكبل عقله.

9-سلبيات الرسوم المتحركة على الطفل:

تشير الدراسات أنّ الطفل الذي يجلس أمام التلفاز لمدة طويلة محققا به بعينين ثابتتين تفكيره يكون مضحلا تماما؛ فالتلفزيون يتسبب في إثارة العنف عند الطفل، وعزلة الطفل وانفصاله عن الواقع، وتعطيل الكثير من النشاطات المفيدة لديه، إلى جانب التأثير القوي على محصلة الطفل اللغوية والخيالية. إذ تشير الدراسات إلى أنّ مشاهدة لطفل في عمر أقل من عامين تعطل النمو الطبيعي لعقله، وهذا يحدث مع كل البرامج حتى وإن كانت تعليمية" فالمشاهدة المفرطة للتلفزيون تؤثر سلبا على نمو وتطور المنطقة المسؤولة عن التخطيط والتنظيم والتركيز والقرارات في الدماغ. وقد أجرى مختصون تخطيطا للدماغ أثناء المشاهدة وتوصلوا إلى تثبيط دماغي على عكس النشاط الدماغي في المطالعة والقواعد. فالتلفزيون يؤدي إلى امتصاص واختزال الطاقات الذهنية والتأثيرات السلبية على نسبة الذكاء والقدرات الإبداعية " 12

ويرى خبراء شركة جنرال إليكتريك: " أنه بعد نصف دقيقة من المشاهدة يبدو الدماغ وكأنه نائم ويصبح عاجزا عن المقاومة فتصب المعلومات فيه صبا لتبدو الآثار الجانبية في النفس والعقل" 13

ويرجح أن يكون الارتفاع المذهل في عدد الأطفال والكبار المصابين باضطراب نقص الانتباه، أو نقص الانتباه للنشاط المفرط مرتبنا بمستويات عالية من مشاهدة التلفزيون والتعرض لوسائل الإعلام. 14 لذلك يرجح وضع الأطفال تحت المراقبة الأسرية، من أجل ضبط الوقت المناسب لمشاهدتهم للرسوم.

-بين مشاهدة الأطفال للتلفزيون المفرطة والتحصيل الدراسي علاقة عكسية حيث يقل تركيز الأطفال ويتراجع مستواهم في فهم اللغة والقدرة على التعبير.

- المشاهدة المفرطة للمتلقي تؤثر سلبا على نمو وتطور المنطقة المسؤولة عن التخطيط والتنظيم والترّكيز والقرارات في الدماغ. فالتلفزيون يؤدي إلى امتصاص الطاقات الذهنية واختزالها إلى جانب تأثيراته السلبية على الذكاء/ والقدرات الإبداعية.¹⁵

- التفاز هو وسيلة غير تفاعلية فيصبح الطفل متلق للمعرفة دون مشاركته في إنتاجها مما لا يؤدي إلى إعمال العقل.

10- مهارة الاستماع ودورها في تعليم اللغة العربية:

يعتمد تعليم اللغة العربية على تنمية أربع مهارات أساس لدى متعلمها: مهارة الاستماع ومهارة التحدث، القراءة ومهارة الكتابة وهي مهارات تكاملية تعمل على التأثير في بعضها البعض وهناك من الخبراء من أعطى الأولوية لمهارة الاستماع في تعليم اللغة العربية قبل باقي المهارات وهذا لأسباب عدة "إنّ أداة الاستماع الأذن تعمل في جميع الاتجاهات... وحاسة السمع لدى الإنسان ترتبط بتعلم الكلام وهي الحاسة المهمة لتطوير المدركات العقلية والفكرية ونموها، فضلا على الحصول على المعلومات، ولذلك إذا فقد الطفل السمع بعد ولادته فقد معه القدرة على نطق الكلام".¹⁶ إذا فالسمع ضروري لتعلم النطق وبالتالي لتعلم الكلام فهو إذا ضروري لتعلم اللغة.

فالاستماع هو أكثر تأثيرا على الملكة اللغوية من السمع إذ هو مهارة تتطلب الاستقبال والانتباه، والتنظيم والفهم والتفسير وإضافة إلى كل هذا فالاستماع يؤدي إلى تقويم الرسائل القادمة من البيئة المحيطة.¹⁷

لأننا نعتمد عليه في تعلم اللغة لما له من قدرة على تحليل وتقويم المعارف المستقطبة.

فالاستماع هو أحد الوسائل التي يعتمد عليها الفرد في اكتساب المعلومات والمعارف المختلفة، حيث تؤدي الكلمة الشفوية دورا مهما في عملية التعليم والتعلم وهي الأداة الأكثر فاعلية في كافة المراحل التعليمية " ¹⁸.

والرّسوم المتحرّكة سمعية بصرية فهي تؤثر على لغة الطّفل من خلال السّمع المتكرر لها، "فنتكرار عمليّة الاستماع تؤدي إلى زيادة التّركيز وتقويّة القدرة على الانتباه ممّا يزيد من تنبيه إدراك السّامع نحو فهم قضايا جديدة"¹⁹.

وهذا ما توفره له الرّسوم المتحرّكة" فعبر الاستماع يكتسب الكثير من المفردات، والجمل والتراكيب والمفاهيم والمعلومات والأفكار والمهارات الأساسيّة الأخرى للغة كالكتابة والقراءة والمحادثة²⁰ فيكتسب الطّفل اللّغة من مشاهداته المتكررة لبرامج الرّسوم المتحرّكة التي تورّثه لغتها كيفما كانت: فصحي، أو عامية أو هجين بينهما فتؤثر على لغته تأثيرا يجعلها راسخة في ذهنه فيوظفها في تواصله الحياتي والمعرفي.

هذا مؤداه أنّ- الاستماع يكون عن قصد ووعي لما يقوله المتحدث ويحلّله ويقومّه.

- والاستماع مهم في تعليم اللّغة العربيّة نظرا لما له من أهميّة في ذلك.

- تكرار أهميّة الاستماع يقوي انتباه السّامع ويزيد من تركيزه.

- الاستماع مهارة تساعد السّامع على تعزيز تفكيره وهذا بعد فهم المعنى الكلي والتفاعل مع الكلام بعد تحليله وتفسيره، وتقويمه ونقده، إلى جانب ربط مضمون الموضوع بالخبرات الشخصية.

ولكن ممّا يعاب على مهارة الاستماع في اكتساب اللغة العربيّة من برامج الرّسوم المتحرّكة هو عدم توفرها على كلّ عناصر الاستماع حتى يكتسب لغة سليمة والتي هي كالتالي:²¹

1- التّلقّي: وهو تلقي الطّفل للصوت واستقباله عبر القناة السّمعية (الأذن).

وهذا عنصر موجود عند الطّفل أثناء مشاهدته للرسوم المتحرّكة .

2- التّفاعل: وهو استثمار الطّفل لخبراته السّابقة التي يمتلكها والتي لها علاقة

بموضوع الاستماع، والاستفادة منها في فهم المعنى الإجمالي للموضوع.

3- النقد وإصدار الأحكام: وهذا عنصر لا يتوفر عليه أطفالنا بحكم ضعف مستواهم التفكيرى، بسبب صغر سنهم وقلة وعيهم وبالتالي عجزهم عن تقييم ما يتلقونه أثناء مشاهدتهم للرسوم المتحركة ونقدها وإصدار أحكام عليها؛ وهذا ما يؤكد لنا فرضية التلقي السلبي لأطفالنا لبرامج الرسوم المتحركة لأنهم في وضعية تلقي تام فهم يستقربون كل الرسائل دون وعي منهم إن كانت صالحة أم غير ذلك.

فعملية اكتساب اللغة لا يمكن أن تحتويه نظرية واحدة، بل تبدأ عملية الاكتساب من مرحلة استعداد الطفل للاكتساب وهي مرحلة عمرية لا يتحكم الطفل فيها بل تكون اعتباطا وبمساعدة البيئة الاجتماعية والثقافية له.

فالطفل يكتسب اللغة الأم دون قصد منه أو وعي لأنها حالة طبيعية يعيشها في مرحلة عمرية، تساعده في تحقيقها ظروف عديدة تحيط به والتي من ضمنها برامج الرسوم المتحركة على شاشات التلفزيون أو الكمبيوتر والتي يركز فيها الطفل على مهارة السماع دون غيرها من المهارات التي تساعد في اكتساب اللغة؛ فيصبح متلق سلبي يحتضن كل يسمعه من أصوات دون أن يتمكن من غربلتها ليأخذ منها الأجود فقط.

الخاتمة:

- 1- يمكننا استخدام الرسوم المتحركة كوسائط تعليمية في تعليمية اللغة العربية.
- 2- فرض الرقابة على أطفالنا من حيث مساعدتهم في اختيار برامج الرسوم المتحركة الأمثل لنموهم الفكري والعقلي و تناسب أعمارهم .
- 3- ترشيد استثمار أوقات الرسوم المتحركة وفق ما تسمح به أعمار أطفالنا. وعدم تركهم أمام هذه البرامج لساعات طوال لأنها مضرّة بصحتهم وبفكرهم حتى وإن كانت سليمة اللغة.
- 4- تقريبا كل برامج الرسوم المتحركة مستوردة من اليابان أو أمريكا لذلك فهي تحمل ثقافة غربية و عقيدة أجنبية على عقيدتنا فمهما كانت الدبلجة حريصة على أفلمتها مع عادات وتقاليد مجتمعنا تبقى تحمل في ثناياها ثقافة غربية معادية لثقافتنا.
- 5- تعتبر الرسوم المتحركة واحدة من أهم الوسائل التعليمية الترفيهية التي يستمتع بها أطفالنا؛ فعلى أصحاب شركات الإنتاج وكتاب القصص و خبراء اللغة العربية استثمار هذه الوسيلة لإنتاج نسخ عربية بأفكار و ثقافة عربية تلائم بيئة أطفالنا، فتجعلنا نحس الأمان.
- 6- تأثير الرسوم المتحركة على الطفل تتعدى تدميرها للغة العربية إلى جوانب أخرى يجب الانتباه لها.

الهوامش:

- 1- فان إفرا، جوديث: التلفزيون ونمو الطفل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ت 2005.
- 2- السيد الشرقاوي: الملكة اللغوية في الفكر العربي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة 2002
- 3- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، ط1، 2004، بيروت لبنان، ص44.
- 4- ينظر، ميشال زكرياء: مباحث في النظرية الأسنوية، المؤسسات الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط2، 1985، ص66
- 5- ابن خلدون: المقدمة، دراسة أحمد الزعبي، ص 635.
- 6 - م. ن.ص، ص1025.
- ابن خلدون: المقدمة، دراسة أحمد الزعبي، ص1025 7
- 8 - ميشال زكريا: قضايا السنوية، دراسات لغوية اجتماعية مقارنة تراثية، ص 107، 108.
- 9 -حسن محمد، وعبد الحكيم باسم: تأثير برمجية حاسب آلي تعليمية باستخدام الرسوم المتحركة على مستوى الأداء المهاري لبعض المهارات بدرس التربية المدنية ص3.
- 10 -ليلي الجهني: أثر استخدام الرسوم المتحركة في ترسيخ بعض القيم العامة لدى أطفال المرحلة التمهيديّة، ص8.
- 11- محمد الشهري (فاعلية برنامج قائم على استخدام نشاطات القراءة في تنمية مهارات الفهم القرائي والاتجاه نحوها لدى تلاميذ الصف السادس الابتدائي، ص 89).
- 12- وليد الفتيحي: العنف ومستقبل الأطفال، (مقال).
- 13- سامي محسن ختاتنة، أحمد عبد اللطيف : علم النفس الإعلامي، ص47
- 14-بيرغر أرثر: وسائل الإعلام والمجتمع، ص 106.
- 15- ينظر، وليد الفتيحي، العنف ومستقبل الأطفال (مقال).
- 16- عبد الهادي أبو الحشيش: مهارات في اللغة العربية، ص156 .
- 17- يحي وعبيد: أنشطة للأطفال العاديين ولذوي الاحتياجات الخاصة في مرحلة ما قبل الدراسة، ص110.

- 18- محمود خاطر وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة، ص163.
- 19- عبد الرحمن الهاشمي وفايزة العزاوي: تدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي ص48.

قائمة المصادر والمراجع:

- ابن خلدون: المقدمة، دراسة أحمد الزعبي، شركة دار الأرقم للطباعة والنشر بيروت-لبنان، (د. ط)، (د. د. تح).
- السيد الشرفاوي: اللغوية في الفكر العربي، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع ط1 القاهرة، 2002م.
- بيرغر آرثر: وسائل الإعلام والمجتمع، عالم المعرفة، الكويت، 2012م.
- حسن محمد عبد الحكيم باسم: تأثير برمجية حاسب آلي تعليمية باستخدام الرسوم المتحركة على الرياضة (رسالة ماجستير)، مصر.
- سامي محسن ختاتنة: أحمد عبد اللطيف أبو سعد: علم النفس الإعلامي، المسرة - عمان 2015.
- شفيقة العلوي: محاضرات في المدارس اللسانية المعاصرة، بيروت- لبنان ط1 2004م.
- عبد الرحمن الهاشمي، والعزاوي وفايزة: تدريس مهارة الاستماع من منظور واقعي دار المناهج للنشر، عمان، ط1، 2005.
- عبد الهادي أبو الحشيش: مهارات في اللغة العربية، دار المسيرة، عمان، د. ط 2003م.
- فان إفرا جوديث: التلفزيون ونمو الطفل، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة 2005م.
- ليلي الجهني: أثر استخدام الرسوم المتحركة في ترسيخ بعض القيم العامة لدى أطفال المرحلة التمهيدية في المدينة المنورة (رسالة ماجستير)، السعودية.
- محمد الشهري: فاعلية برنامج قائم على استخدام نشاطات القراءة في تنمية مهارات الفهم القرائي والاتجاه نحوها لدى تلامذة الصف السادس (رسالة دكتوراه) السعودية.

- محمود خاطر: طرق تدريس اللغة العربية والتربية البدنية في ضوء الاتجاهات التربوية الحديثة، دار المعرفة، القاهرة، ط2.
- ميشال زكرياء: مباحث في النظرية اللسانية وتعليم اللغة بالمؤسسة الجامعية للدراسة والنشر، بيروت لبنان، ط1، 1985م
- ميشال زكرياء: قضايا السنية، دراسات لغوية اجتماعية مقارنة وتراثية.
- وليد الفتحي: العنف ومستقبل الأطفال (مقال)، 2015م.
- يحي خولة، وعبيد ماجد: أنشطة للأطفال العاديين ولذوي الاحتياجات الخاصة في مرحلة ما قبل المدرسة، دار المسيرة للنشر، عمان، ط1، د.ت.

السياسة اللغوية في الجزائر من خلال تخطيط تعليم وتعلم المصطلحات العلمية المدرسية وأثرها على استعمال اللغة العربية

أسارة لعقد

أبو القاسم سعد الله - جامعة الجزائر 2-

ملخص

إنّ ملاحظة تعثرات الوضع اللغوي في المدرسة الجزائرية، يدفعنا إلى محاولة بحث قضية السياسة اللغوية لفهم المشكل وتقديم الحلول، فكان بحثي يروم العكوف على جملة من النقاط أهمها: واقع التخطيط اللغوي في الكتب المدرسية لفهم السياسة اللغوية الجزائرية فركّزنا اهتمامنا حول قضية المصطلحات العلمية والاضطراب الخطير الذي تعانیه منذ البدايات الأولى للتعريب وحتى يومنا هذا رغم اهتمام جهات عدة بها، المصطلحي المرير الذي تعرفه المدرسة الجزائرية بين ما هو عربي وما هو أجنبي - الانجليزي، والفرنسي - برموزه واختصاراته التي لا تزيد التلميذ شيئا سوى الارتباك والقلق تجاه هذه المتقابلات والمترادفات والتي يمكنها أن تسهم في توحيد المصطلح العلمي في المدرسة الجزائرية. وعلى هذا فقد يتبادر إلى أذهاننا التساؤل التالي: ما هي السياسة اللغوية في الجزائر من خلال تخطيط تعليم وتعلم المصطلحات العلمية المدرسية؟ وما هو أثره على استعمال اللغة العربية؟

أولا/ السياسة اللغوية

إنّ الاهتمام بالسياسة اللغوية نابع عن قناعة الأفراد والجماعات بمدى أهميتها في تحديد التوجه اللغوي لدولة ما، فنجاحها في وضع سياسة واضحة وسارية

العمل يعني أنه باستطاعتها أن تقرر أي وضع لغوي تكون عليه سواء من ناحية وضع القوانين والنظم الخاصة بهذه السياسة اللغوية أم من ناحية تطبيق هذه النظم بينما يمكن القول أن أي خلل فيها أو في سبل تطبيقها وتخطيطها سينتج عنه خلافاً في تحديثها وتنميتها ما يجعل إمكانية ضياع هذه اللغة أو تهجين جيل مستوياتها قابلاً للتحقق ومجسداً في الواقع وقبل الحديث عن أي شيء. رأينا أنه لا بد من التعريف بالسياسة اللغوية وبيان الفرق بينها وبين التخطيط اللغوي.

1.1 مفهوم السياسة اللغوية

يذهب بعض الباحثين إلى كون "السياسة اللغوية"، و"التخطيط اللغوي" مصطلحان لمعنى واحد هو مجموعة من القرارات التي تتخذها دولة ما بغرض تغيير واقع لغوي معين قصد ترقية اللغة، وتحديثها، وتنميتها، غير أن هناك من يذهب إلى أن للمصطلحين مفهومين مختلفين وعلى هذا الأساس حاولنا تتبع تعريفاتهما لمعرفة مواطن الائتلاف ومواضع الاختلاف بينهما

✓ السياسة اللغوية هي في الأصل ترجمة للمصطلح الفرنسي *politique linguistique* أو المصطلح الإنجليزي *language policy* وهي بالنسبة لـ «جون لويس كالفي»: «مجملة الخيارات الواعية التي تتخذ في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية»¹؛ بل تتحدد من خلال عدة أبعاد «وهذه الأبعاد تستقى من فلسفة البلد، ومن السياسة التي تنتجها الدولة إزاء المعطيات التي تتحكم فيها»² دون إغفال الجانب الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لهذه الدولة؛ وعلى هذا فإن السياسة اللغوية هي جملة الخيارات التي تقررها الدولة، فلا تتحدد بشكل عشوائي بل بشكل واعٍ بالمعطيات والأهداف والنتائج المبتغاة منها.

✓ أمّا التخطيط اللغوي كما جاء في مقالة «هاوجن Haugen» المعنونة «تخطيط اللغة المعيارية في النرويج الحديث عام 1959م» هو: «كافة الأنشطة المتعلقة بإعداد دليل الكتاب (قواعد الإملاء) أو إعداد كتاب في قواعد اللغة أو معجماً لغوياً من أجل إرشاد الكتاب والناطقين بلغة ما في مجتمع غير متجانس

لغويا»³؛ أي إنّ التّخطيط اللّغوي هو محاولة لتطبيق ما جاءت به السياسة اللّغويّة المسطرة في دستور الدولة.

وعليه فالّتخطيط اللّغوي يختلف عن السياسة اللّغويّة وليس مرادفا لها لأنه مرحلة موليّة لعمليّة وضعها، إذن فالسياسة اللّغويّة توجهات مختارة ووجهات نظر إيديولوجيّة متبناة، بينما التّخطيط اللّغوي هو الاقتراح الفعلي الذي يخلق آليات تنفيذ هذه السياسة⁴، فالعلاقة بينهما علاقة تبعيّة فالّتخطيط اللّغوي تطبيق لهذه السياسة⁵. ومن خلال ما سبق فإنّ محاولة إعادة هيكلة البناء اللغوي لأيّ دولة لا بدّ سينطلق من المؤسسات التي تضمن بنسبة كبيرة نجاح هذه السياسة أو فشلها والتي نجلها في:

✓ **المؤسسات التّعليميّة:** المدرسة، والجامعة وتعد كل من هاتين المؤسستين من أهمّ البيئات التي يمكن من خلالهما أن يكون الوضع اللغوي في الجزائر على غير ما هو عليه.

✓ **المؤسسات البحثيّة:**⁶ المجامع، ومجالس اللغة العربيّة... إلخ. والشيء الذي لا يمكن لأيّ كان أن ينكره هو تلك الجهود التي يقوم بها كل من مجمع اللغة العربيّة خصوصا قبل وفاة رئيسه عبد الرحمان الحاج صالح، وكذلك المجلس الأعلى للغة العربيّة هذا الأخير الذي أصدر العديد من المعاجم المدرسيّة التي تسهم بطريقة أو بأخرى في توحيد المصطلح العلمي في المدرسة الجزائريّة.

غير أنّ عدم إطلاع مؤلفي الكتب المدرسيّة على مثل هذه المعاجم، وعدم تكفل الدولة بنشرها في مختلف المؤسسات التّعليميّة لولايات الوطن قد يؤدي إلى عدم توحيد المصطلح، على مستوى الكتاب المدرسي أولا، وبالتالي على مستوى الاستعمال الحقيقي له، ما أدى إلى بروز ظاهرة التّعدد المصطلحي والمفهوم واحد نحو استعمال مصطلح: (هيولى وسيتوبلازما)، (الغشاء الهيولي والغشاء السيتوبلازمي) و(الخلية البلازميّة والبلازموسيت)، ما يحتمّ على المؤسسات التّعليميّة الاستعانة بمعاجم «المصطلحات العلميّة والفنيّة العربيّة الخاصة الموحدة

المفاهيم، والتي تصدر عن المؤسسات اللغوية العربية في مختلف التخصصات»⁷ وبهذا الشكل تعم الفائدة وتكون الخطوة الثانية في محاولة تحقيق مطامح المجلس الأعلى للغة العربية الساعية إلى توحيد المصطلح العلمي.

✓ وسائل الإعلام والاتصال: الإذاعة، والتلفزيون، والصحافة المكتوبة. ناهيك عن مواقع التواصل الاجتماعي التي أصبحت فضاء تكاد تغيب فيه اللغة العربية في الاستعمال؛ حيث امتزجت اللغة العربية باللغة الفرنسية والانجليزية واللهجات المتعددة. أضف إلى ذلك أن مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي يستعملون في حواراتهم الحروف اللاتينية بدلا من الحروف العربية؛ بل واستخدام الأرقام بدلا من بعض الحروف أيضا «وما من شك في أن الوضع قد أفرز انعكاسات سلبية أضرت بالاستخدام السليم للغة العربية، وخاصة في ظل غياب المسؤولية وانعدام الوعي بخطر تراجع حظ العربية من الاستعمال في مجتمعاتنا سواء في الشأن العام أم الخاص، الرسمي وغير الرسمي، أو بسبب غياب الإرادة في تطوير العربية لتواكب ما تشهده اللغات الأجنبية الأخرى في ظل الحراك المعرفي الذي لا يفتر»⁸، إن وضع اللغة العربية في إطار هذه المواقع لا يثبت عدم مقدرتها على مواكبة التغيرات الحاصلة بقدر ما يعكس انبهارنا باللغات الأجنبية، فاللغة متعلقة بأهلها؛ تعلقو بعلومهم وتراجع بنراجعهم وعجزهم.

2.1 مقومات السياسة اللغوية

فإذا حدث أي خلل في السياسة اللغوية العامة التي تسير عليها الدولة فإن هذا الخلل يشكل خطرا على كفيّة سيرها والعمل بها، ما يجعل الواقع اللغوي للدول يتخبط بين عديد اللغات، وهو الشيء الذي حدث في الجزائر فإذا كانت المؤسسات البحثية -مجمع اللغة العربية والمجلس الأعلى للغة العربية- تعمل بكل ما لديها من إمكانيات في محاولة لترقي استعمال اللغة العربية، فإن المؤسسات التعليمية هي التربة الخصبة التي يُنطلق منها في تطبيق أي سياسة لغوية في أي دولة. واعتبارا

من كون لكل سياسة لغوية مقومات؛ فإنّ أهم مقومات السياسة اللغوية الحكيمة كما وصفها علي القاسمي ما يلي⁹:

- ✓ تعميم استعمال اللغة العربية في البلدان العربية ونشرها في العالم.
 - ✓ تعليم اللغات الأجنبية والتي تعد همزة وصل بين العربية واللغات الأخرى.
 - ✓ الترجمة إلى اللغة العربية ومنها.
 - ✓ تنمية اللغات المحليّة والاهتمام بها.
 - ✓ توحيد المصطلحات العلميّة والتقنيّة في اللغة العربيّة وسيكون نقطة اهتمامنا.
- 3.1 خطوات وضع السياسة اللغوية:** تقوم السياسة اللغوية لأيّ دولة على

جملة من الخطوات نوجزها فيما يلي:

- ✓ جرد الحاجات اللغوية - معرفة المشاكل اللغوية التي يشهدها البلد؛
- ✓ الإحاطة بالمعطيات الاجتماعيّة لذلك البلد؛
- ✓ تحديد الأهداف والغايات؛
- ✓ اختيار الوسائل التي تعمل في تحقيق هذه الأهداف؛
- ✓ التقييم الدائم والمستمر لهذه السياسة.

4.1 أهداف السياسة اللغوية

لأيّ سياسة لغوية أهداف معلنة تمثل تلك التوجّهات التي يريدها الشعب غالبا والمخفي منها، ولسنا هنا في معرض تحديد المعلن منها والمخفي؛ بل في محاولة لتحديد هذه الأهداف عموما بالانطلاق من وصف الوضع اللغوي في الجزائر والذي يدعو للقلق خصوصا عندما يتعلق الأمر باستعمال اللغة العربية في المدرسة والجامعة الجزائرية ومؤسسات الدولة، فما تدعو إليه القوانين ودساتير من تنمية لاستعمال اللغة العربية لا يمثل أبدا الواقع اللغوي لها؛ بل يمكننا القول إنه لا توجد سياسة لغوية بغض النظر عن أهدافها.

وبالحديث عن الأهداف العامة لأيّ سياسة لغوية في أيّ دولة عربيّة فإنّها تتمثل في «تعليم مختلف المواد والأنشطة التعليميّة التعلّميّة باللغة العربيّة لغرض تعميم

استعمالها وتخليصها من التبعية اللغوية، توحيد مصطلحاتها العلمية والتقنية من أجل ضمان اتساع استعمالها، الاهتمام بتعليم اللغات الأجنبية، وكذا تأمين المستلزمات لتعليم اللغة العربية لغير الناطقين بها سواء داخل الوطن أم خارجه»¹⁰. لعل جلّ هذه الأهداف تسعى إليها الدولة الجزائرية غير أنّ قضية توحيد المصطلحات العلمية فحالتها لا يختلف كثيرا عن حال أغلب الدول العربية حيث نلاحظ أنّ التوحيد من أصعب المطامح العربية في تعليم وتعلم العلوم، ولم يتمثل الحال اللغوي في هذا فقط بل تعدى ذلك إلى أنّ الكثير من المصطلحات العلمية تستعمل كما هي في لغاتها الأصلية دون أيّ مقابل لها، ما يجعلنا نتساءل عن السياسة اللغوية في الدولة الجزائرية والتخطيط اللغوي في المؤسسات التعليمية؟

ثانيا/ استعمال المصطلح العلمي أثناء العملية التعليمية-التعلمية

إنّ أهمية الحديث عن استعمال المصطلحات العلمية في التعليم نابع من أهمية هذه الأخيرة في شتى المجالات العلمية والمعرفية والثقافية والاجتماعية والسياسية حاولنا من خلال هذا العمل تتبع عملية استعمال المصطلحات العلمية في الكتب المدرسية في مرحلة التعليم الثانوي.

1. تعليم وتعلم المصطلح العلمي في المدرسة الجزائرية

وفي محاولة تحقيق نجاح العملية التعليمية-التعلمية لابدّ أن نضمن استيعاب التلاميذ لتلك المصطلحات العلمية والمفاهيم المتعلقة بها على اعتبار أنّ ذلك من أهداف تدريس العلوم كما أنّها من أساسيات العلم والمعرفة ومن هذه المنطلقات فإنّ تدريس مصطلحات علوم الأحياء تكون وفق الأسلوبين الآتيين¹¹:

1.1 الأسلوب الاستقرائي

وهو من أهم الأساليب التي تساعد على تعليم وتعلم المصطلحات والمفاهيم العلمية؛ حيث يبدأ المعلم من المواقف العلمية الجزئية وبعد إدراكها وفهمها وفهم علاقاتها وخصائصها المميزة يوجههم إلى المفهوم أو المصطلح المراد تعليمه

وتعلمه فهو: «عملية تفكيرية يتم الانتقال بها من الخاص إلى العام»¹²؛ أي أنه يقوم على «تفكيك المشكلة الرئيسية إلى مشاكل فرعية تفكك بدورها إلى مشاكل فرعية أخرى وهكذا... إلخ. وعندما نصل إلى حل إحدى الفرعيات من خلال ما يتوافر لدينا من معارف، يتصاعد الحل من أسفل إلى أعلى خلال التسلسل الهرمي للمشاكل الفرعية حتى نصل إلى حل المشكلة الأساسية»¹³؛ وهذا التسلسل الهرمي في حل المشكلة هو ذاته التسلسل الهرمي في تعليم وتعلم المصطلحات والمفاهيم العلمية في مادة العلوم فمثلا ظاهرة التركيب الضوئي لا تتضح جليا إلا بعد حل مشكلات عديدة متعلقة بمجمل الظواهر التي يقوم بها النبات نحو: المرحلة الكيموضوئية، والمرحلة الكيموحيوية وغيرهما ليصل التلميذ من خلال هذا إلى التعريف الدقيق لعملية التركيب الضوئي وهو بهذا وصل إلى تعريف المصطلح العام من خلال أخص الظواهر المتعلقة به.

1.1 الأسلوب الاستنباطي "الاستنتاجي"

ويعتمد خلال هذا الأسلوب على تقديم المعلم للمفهوم أو المصطلح العلمي ثم يحاول تقديم أمثلة توضيحية عنهما، فهو ينطلق من الكل إلى الجزء أو من العام إلى الخاص¹⁴.

2. السنة الأولى ثانوي جدع مشترك علوم وتكنولوجيا

إنّ ملاحظة عملية تعليم وتعلم المصطلحات ومفاهيمها العلمية في السنة الأولى ثانوي اعتماد كبيرا للكتب على المصطلح العربي؛ وأغلب الظنّ أنّ هذا راجع إلى عدم معرفة التلاميذ بتلك المصطلحات الأجنبية في هذه المادة، خصوصا وأنّ مرحلة التعليم المتوسط تعتمد بشكل كبير على المصطلح العربي دون الفرنسي، غير أنّها تقدّم المصطلح الفرنسي كمقابل للمصطلح العربي بغرض تعريف التلميذ عن أصل المصطلح العلمي العربي أو المعرّب . ومثالا عن ذلك¹⁵:

المصطلح العلمي	المصطلح المقابل
الإنتاش	Girmination
التّيرب	Terreau
تمايز خلوي	Différenciation cellulaire
التّشكّل	Morphogenèse
التّنامي	Développemant

أضف إلى ذلك التداخل اللغوي بين اللغة العربية واللغة الفرنسية؛ والذي أصبح شيئاً ضرورياً في نظر الأساتذة؛ بدافع أنّ هذا الوضع هو السبيل الوحيد الذي يضمن للتلميذ أن يتعرف على المصطلح إذا صادفه في السنوات الأخرى خصوصاً في التعليم العالي. ولكن هذا التداخل خلق لدينا لغة علمية هجينة؛ فتظهر بعض النصوص العلمية متضمنة للكثير من المصطلحات العلمية الأجنبية ما يشكل هجيناً لغوياً بين العربية والفرنسية مثل:

«تتميز عضلة القلب بقدرتها على النبض التلقائي فهي تضع الدم إلى الشرايين من خلال تعاقب عمليتي الانقباض systle والارتخاء diastole... المركز المبطئ لحركة القلب CCF (Centre Cardio-Accélérateur) والمركز المسرع لحركة القلب CCA (Centre Cardio-Accélérateur)»¹⁶؛ هناك من يرى بأنّ هذا يسهم في إثراء الرصيد اللغوي الفرنسي؛ غير أنّ هناك من يرى بأنّ إدراج هذه المصطلحات بلغتها الأصلية بهذا الشكل يشكل سبباً رئيساً في تنامي اللغة الهجينة. وربما هذا الصواب ذلك لأنّ تنمية الرصيد اللغوي للتلميذ يمكن أن يكون باستثمار نصوص علمية تعلّم في مادة اللغة الفرنسية. ما يدفعنا إلى التساؤل عن المنهجية العلمية التي تجعلهم يترددون بين هذا وذاك؟ والأهم من هذا عن التخطيط اللغوي المعمول به وعليه السياسة القائل بها؟

3. السنة الثانية ثانوي شعبة العلوم التجريبية:

أما في كتاب السنة الثانية ثانوي فقد لاحظنا أنه أكثر تعريفا من كتاب السنة الأولى ثانوي وربما يرجع السبب في هذا إلى تكوين الأساتذة الذين أشرفوا على تأليفه؛ إلا أنه وكغيره من الكتب العلمية:

✓ يتردد في استعماله لبعض المصطلحات العلمية بين المصطلحات المعربة والمختصرات المقابلة لها باللغة الأجنبية مثل: حمض ريبوني نووي منقوص الأوكسجين وADN بل وهناك من يستعمل المصطلح الأجنبي مباشرة Acide Désoxyribonucléique¹⁷.

✓ يستعمل بعض المصطلحات العلمية كما هي في لغتها الأصل نحو: كائن وحيد الخلية من صنف Plasmodium .

4. السنة الثالثة ثانوي شعبة العلوم التجريبية:

من أهم الملاحظات التي سجلناها في كتاب السنة الثالثة ثانوي وأثناء عملية تعليم وتعلم المصطلحات العلمية ما يلي:

✓ استعمال المصطلحات العلمية الفرنسية والعربية في الوقت نفسه؛ بل وتكون عملية الشرح¹⁸ بالجمع بين اللغتين العربية والفرنسية في بعض الأحيان ويبرر أساتذة مادة العلوم بأنّ جلّ تلاميذها المتوجهين نحو دراسة الطب أو الصيدلة أو التخصصات العلمية والتكنولوجية الأخرى يجدون أنفسهم مجبرين على التردد إلى مدارس تعليم وتعلم اللغة الفرنسية لأنهم يجدون صعوبة في دراسة العلوم بهذه اللغة، ولهذا السبب يحاول الأساتذة تعويد التلاميذ على لغة العلوم في المرحلة الجامعية. وأمثلة ذلك كثيرة نذكر منها ما يلي:

«إظهار دور الإنزيم ARN بوليميراز، تم في تجربة استعمال مركب a-

أمانيتين المستخرج من الفطر السام المعروف باسمه العلمي Amanita

phalloides (هذا المركب هو مثبط نوعي لإنزيم ال ARN بوليميراز)»¹⁹

«يعاني بعض الأطفال بعد الولادة من أمراض تسمى أمراض تخزين الغليكوجين أو Glycogénose حيث توجد عدة أنواع من هذا المرض منها 1 Glycogénose Type أهم أعراض المرض هي تضخم الكبد Hépatomégalie بسبب تراكم الغليكوجين»²⁰

حيث نلاحظ من خلال هذه النصوص ظهور عدد كبير من المصطلحات العلمية الفرنسية والمصطلحات العلمية المعربة، ما يجعلنا نفكر في سبب استعمالها كما هي في لغتها الأصل دون ترجمة أو تعريب سوى انبهار المؤلفين لهذه الكتب بالمصطلحات العلمية بلغتها الأصل دون اللجوء إلى ترجمتها أو تعريبها، ويمكن القول أنّ الخطأ ليس فيهم إذا كانت هذه المصطلحات غير مترجمة بل في المؤسسات التي تعمل على هذه القضية.

✓ المختصرات العلمية التي لم توضع لها ترجمة؛ بل يستعملها التلميذ بلغتها الأصل فليس له البديل ونمثل لهذا ب: (HLA) المختصر من المصطلح العلمي الغربي (Humane leucocyte antigène).

5. نتائج عدم التخطيط اللغوي:

إنّ أهم النتائج التي نتجت عن عدم تخطيط تعليم وتعلم المصطلحات العلمية وغياب لأيّ سياسة لغوية بغض النظر عما يقرّ به الدستور من اعتماد للغة العربية لغة التعليم في المدرسة الجزائرية؛ فاتخاذ مثل هذا القرار جعل الفاعلين في تطبيق هذه السياسة اللغوية يحاولون بأيّ طريقة إدراج اللغة الفرنسية لأنها لغة العلوم والتكنولوجيا في الجامعة الجزائرية وربما لم يجدوا أحسن من هذه الطريقة، لأنها الوحيدة التي تسمح بتسلل اللغة الفرنسية والتي تعدّ في نظر هؤلاء لغة العلوم والأقدر على حمل المعاني والمفاهيم العلمية.

1.4 تداخل البنى الإفرادية والتركيبية في استعمال المصطلحات العلمية المدرسية²¹؛ ولعل ما أسهم في تنامي هذه الظاهرة؛ عدم اعتماد آلية واحدة في نقل

المصطلح العلمي إلى اللغة العربية حيث تعتمد أكثر من آلية في نقل مصطلح واحد
مثلا مصطلح إنزيم ATP سنتاز وال ARN رسول:

المصطلح الأول: (إنزيم ATP سنتاز) اعتمد في نقله آلية التعريب: إنزيم
سنتاز. والحفاظ على المختصر بلغته الأصلية.

المصطلح الثاني: (ARN رسول) اعتمد في نقله آلية الترجمة: رسول والحفاظ
على المختصر بلغته الأصلية.

2.4 الخلط اللغوي في تعليم وتعلم المصطلحات العلمية في المدرسة لغة علمية
هجينة فلا هي باللغة العلمية العربية ولا هي باللغة العلمية الفرنسية؛ حيث اختلطت
المصطلحات العلمية العربية بالفرنسية. حيث ينتقل التلميذ أثناء قراءته أو دراسته
لهذه اللغة العلمية بين لغتين هما العربية والفرنسية- وكنا قد مثلنا لذلك بالنصوص
السابقة-

3.4 الاعتماد على المصطلحين العربي والفرنسي والمختصر الممثل لهذا
المصطلح في كثير من الأحيان ما أدى إلى تردد التلميذ على استعمال كل هذه
الوحدات الاصطلاحية. ما يؤدي إلى تعدد الوحدة الاصطلاحية بغض النظر عن
لغتها.

ثالثا/ السياسة اللغوية في تعليم وتعلم المصطلح العلمي المدرسي²²
وأثره في اللغة العربية:

تعدّ المصطلحات العلمية ونظيراتها الرموز والمختصرات التي تعتمد في الكتب
المدرسية أحسن صورة لنمذجة اللغة العلمية التي تحاول قدر الإمكان الابتعاد عن
الكتابة الحرفية لا للمصطلحات العلمية فحسب بل للغة التخصص ككل؛ بل تميل
إلى استخدام الرموز والمختصرات على مختلف أنواعها ولغاتها.

فبقدر حاجة التلاميذ إلى هذه اللغة العلمية بقدر ما سيكون ذلك خطرا على اللغة
العربية، ذلك لأن الكثير من المصطلحات والرموز والمختصرات باللغة الفرنسية

أو الإنجليزية؛ «فاللغة الإنجليزية أكثر اللغات استعمالا للمختصرات، لا لأنها أمست اللغة العالمية الأولى... بل كذلك لأنها منذ الثورة الصناعية في القرن التاسع عشر وهي تكثر من استعمال المختصرات»²³ ولسنا نعيب على الإنجليزية هذا التطور الذي وصلت إليه، أو أن نعيب أبناءها الذين نحوا بها هذا النحو، ولكن أن نتساءل لماذا لا نحاول نحن العرب أن نضع نظاما من الرموز العلمية باللغة العربية؟ أو لماذا بعد أن قطع العرب شوطا في مجال تعريب العلوم يتراجعون عن ذلك وكأنهم لم يفعلوا شيئا؟، فالواقع أن اللغة الإنجليزية عندما تقوم بوضع وصياغة تلك الرموز والمختصرات التي تكون مصطلحاتها هي النواة الأولية فما من مشكل من استعمالها، لأنها نابعة من هذه اللغة خدمة لها، لكن المشكل بالنسبة للغة العربية أن تستعمل جل تلك المصطلحات العلمية والرموز والمختصرات اللاتينية سواء الفرنسية أم الإنجليزية على حساب المصطلحات العربية سواء المعربة أم المترجمة.

وهذا جزء من واقع المصطلحات العلمية في الكتب المدرسية الجزائرية، ففي بداية الإصلاح كنا نتوهم أن تلك المصطلحات العلمية والرموز والاختصارات اللاتينية نوع من أنواع التقدم العلمي والمعرفي لنذكر فيما بعد ونحن باحثون أن ما ذلك إلا نوعا من أنواع التفوق الفرانكفوني في الجزائر، وليست الجزائر فقط التي تعاني مرارة هذا المشكل بل يعاني منه العرب ككل، لذلك فقد شهد الوطن العربي محاولات عدة من أجل تخطيه بدراسة الأسباب وإيجاد الحلول والتي تتمثل جلها في محاولة صياغة رموز ومختصرات عربية لتشكيل نظام يلبي حاجة التلميذ «فلا يوجد نظام كامل متكامل للرموز العلمية العربية لكتابة المعادلات الرياضية والكيميائية ووحدات القياس والرسوم البيانية والتوضيحية»²⁴، وما تلك الجهود التي تبذلها مختلف الجامعات اللغوية وعلى رأسها اتحاد المجامع اللغوية العلمية العربية، ومكتب التنسيق والتعريب بالرباط إلا جهودا بقيت في أحابن كثيرة لصيقة تلك المقالات والمجلات المنشورة والندوات التي تقام من أجل الحد من تلك

المصطلحات العلمية والرموز والاختصارات اللاتينية لأن ذلك سيوقعنا في مشكل «تعدد الدوال بالنسبة للمدلول الواحد، ونعني بذلك ظاهرتي الترادف و تعدد الرموز»²⁵، ولعل هذه النقطة من أهم الإشكالات التي وقعت فيها الكتب المدرسية في الجزائر حيث لاحظنا أن استعمالها للمصطلحات العلمية والرموز والمختصرات لا يخضع لسياسة لغوية محددة المعالم؛ بل إن الأمور تسير بشكل عشوائي هذا ما أوقعنا في تعدد الاصطلاحات لمدلول واحد في أحيان كثيرة، ما يحتم علينا أن نسرع في محاولة كبح لتلك الإنزلاقات اللغوية التي لا تقدم للغة العربية شيئا سوى التقليل من شأنها، ولا تقدم للتلاميذ شيئا في كل المراحل التعليمية سوى تعدد الاصطلاحات التي تربكهم وتزرع فيهم الشك تجاه معلوماتهم ومعارفهم. والشيء الذي لا بد من الاقتناع به هو أن المدرسة هي المكان الأساس الذي يمكننا الانطلاق منه في محاولة لإعادة بناء وهيكل النظام اللغوي وضبط كل مستويات الاستعمال فيه، وإذا كان لا بد من شيء من أجل ضمان فهم واستيعاب التلاميذ لتلك المصطلحات بلغاتها الأصل فمن الضروري النظر في الشكل الذي يجعلهم على دراية بها لكن دون المساس بنظام اللغة العربية، فإذا كان حال الكتب المدرسية كما سلف وأوضحنا فلماذا نتساءل ونحاول بحث لغة مواقع التواصل الاجتماعي، وإذا كان هذا لا يؤثر على استعمال اللغة العربية فلماذا ندعي أن لغة هذه المواقع تحد من استعمال اللغة العربية؛ وأحرى بنا أن ننظر فيما يقدم للأجيال التي ستحمل شعلة هذا الوطن مستقبلا.

الخاتمة:

إن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال البحث في السياسة اللغوية في تعليم وتعلم المصطلح العلمي المدرسي نوجزها فيما يلي:

1- لا بد من التفريق بين مصطلحي السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي إذ يعدّ الأول الجانب النظري والمتمثل في مجمل القوانين والقرارات التي تحدد الإطارين

العام والخاص للسياسة المنفق عليها، أما الثاني فيتعلق بالجانب التطبيقي لهذه السياسة.

2- اعتماد الكتب المدرسية على عديد المصطلحات العلمية الفرنسية أثناء الشرح وهذا ليس له أي مبرر علمي لساني؛ وعلى هذا الأساس لابدّ من إعادة النظر في الكثير من المصطلحات العلمية المدرسية وترجمتها وعدم تقديمها بلغتها الأصلية.

3- من الظواهر اللغوية في الكتب المدرسية ظاهرة التعدد المصطلحي حيث يستعمل مصطلحان للدلالة على المفهوم العلمي الواحد ما يجعلنا ندعو أيضا إلى محاولة تنقيح الكتب من هذه الظاهرة التي تعدّ من أخطر ما يمكن أن تعرفه اللغة العلمية لأن هذا عكس ما تدعو إليه الهيئات العلمية المختلفة في كل أقطار الوطن العربي.

4- من الضروري أن تتكفل الدولة بنشر المعاجم العلمية التي يقوم المجلس الأعلى بتأليفها والمتعلقة بالمصطلحات العلمية المتداولة في الكتب المدرسية؛ والتي يمكن أن تسهم في عملية توحيد المصطلح العلمي في المدرسة الجزائرية.

5- لا يمكننا القول بوجود سياسة لغوية تحكم عملية تعليم وتعلم العلوم في المدرسة الجزائرية وأكبر دليل ما تعرفه الكتب العلمية من خلط بين اللغات.

الهوامش :

¹ - Louis-Jean Calvet : La Guerre des Langues et les politiques linguistiques Hachette Littératures , France , 1999 , p154-155.

² - صالح بلعيد، التخطيط اللغوي الضروري والمعاصر، المجلس الأعلى للغة العربية: أهمية التخطيط اللغوي-اللغات ووظائفها- منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2012م، ص234.

³ - ينظر: بن يشو جيلالي، نحو تخطيط لغوي لتهديب لغة الإعلام في الجزائر، المجلس الأعلى للغة العربية: أهمية التخطيط اللغوي- اللغات ووظائفها-، 2012م، ص315.

- 4- ينظر: محمد مفلح، الآليات التنفيذية في التخطيط اللغوي ودورها في إنجاح السياسات اللغوية، المجلس الأعلى للغة العربية: أهمية التخطيط اللغوي-اللغات ووظائفها- 2012م، ص218.
- 5- ينظر: لويس جان كالفي، السياسة اللغوية، تر: محمد يحياتن، منشورات الاختلاف، الجزائر ط1، 2009م، ص10.
- 6- ينظر: سارة لعقد، دور المؤسسات البحثية في ترقى استعمال اللغة العربية من خلال توحيد المصطلحات العلمية في المدرسة الجزائرية، محمد الغازي، وذكريا السرتي السياسات اللغوية في العالم العربي الرؤى والبدائل -أبحاث محكمة-، مطابع الرباط نت ص ص287.292.
- 7- حمو نعيمة، أسباب الهجين اللغوي، المجلس الأعلى للغة العربية، اللغة العربية بين التهجيين والتهديب الأسباب والحلول، 2010م، ص387
- 8- إيمان جبروعة، أزمة اللغة العربية في دهاليز مواقع التواصل الاجتماعي -توصيف للمشاكل ومحاولة تقديم الحلول-، أعمال الملتقى الوطني: ازدهار اللغة العربية -الآليات والتحديات- 19- 20 أفريل 2017م، منشورات المجلس الأعلى للغة العربية 2017م ص193.
- 9- ينظر: علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العلمية، مكتبة لبنان ناشرون بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص105،100.
- 10- ينظر: محمود السيد، واقع اللغة العربية في الوطن العربي وآفاق التطور، مجلة اللسان العربي، ص23.
- 11- ينظر: زيتون عايش، أساليب تدريس العلوم، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان: ط1 2001م، صص80.81.
- 12- المرجع نفسه، ص107.
- 13- عزيز إبراهيم مجدى، معجم مصطلحات ومفاهيم التعليم والتعلم، عالم الكتب، القاهرة، مصر: ط1 2009م، ص109.
- 14- ينظر: بدر الدين بن تريدي، قاموس التربية الحديث-عربي، انجليزي، فرنسي- منشورات المجلس الأعلى، الجزائر، 2010م، ص50.

¹⁵ - ينظر : السعيد بولودينات وآخرون، علوم طبيعة والحياة السنة الأولى ثانوي جدع مشترك علوم وتكنولوجيا، وزارة التربية الوطنية، 2005م، صص 13-17.

¹⁶ - السعيد بولودينات وآخرون، علوم الطبيعة والحياة السنة الأولى ثانوي جدع مشترك علوم وتكنولوجيا، ص 198.

¹⁷ - ينظر: نصر الدين بوزكريّة وآخرون، علوم طبيعة والحياة السنة الثانية ثانوي شعبة العلوم التجريبية، وزارة التربية الوطنية، ص 89.

¹⁸ - استعمال الدارجة أثناء التّدرّيس، فإذا كان لهم مبرر لاستعمال اللغة الفرنسيّة أثناء شرحهم بداعي أنّ التّلمّيز يجد صعوبة في الدّراسة بها بعد ذهابه إلى الجامعة فلا يوجد أيّ داعي لاستعمال الدارجة أثناء ذلك.

¹⁹ - بوشلاغم عبد العالي وآخرون، كتاب علوم الطبيعة والحياة السنة الثالثة من التّعليم الثّانوي الديوان الوطني للمطبوعات المدرسيّة، الجزائر، 2009م، ص 17.

²⁰ - بوشلاغم عبد العالي وآخرون، كتاب علوم الطبيعة والحياة السنة الثالثة من التّعليم الثّانوي ص 59.

²¹ - سارة لعقد، تداخل البنى الإفراديّة والتّركيبية في المصطلحات العلميّة المستعملة في الكتب المدرسيّة، المجلس الأعلى للغة العربيّة، أعمال ملتقى وطني بعنوان: اللغة العربيّة والتّرجمة، 24 و25 ديسمبر 2017، الجزائر، صص 252-254.

²² - نقترح أن يعرف «المصطلح العلمي المدرسي»؛ على أنّه مجموعة الألفاظ التي يصطّح عليها أهل تخصص ما للدلالة على جملة من النتائج العلميّة المتوصل إليها والخاصة بعلم ما، ويمكننا أن نشير إلى أنّ هذه المصطلحات لا تخرج عن إطار الكتب المدرسيّة المتعلقة بها سواء المقررة وزاريا أم تلك التي تعمل على تأليفها جهات معينة يكون الهدف منها تبسيط الدّروس المبرمجة خلال سنة دراسيّة معينة، ولعلّ تعليم وتعلم هذه المصطلحات وتقديمها للتّلميذ يحصل وفق جملة من الآليات التي تسهم في تبسيطها وتقريبها من أذهان التّلاميذ؛ نذكر منها: آليّة التّعريف التّعليمي آليّة الصورة، آليّة المقابل، آليّة المرادف، آليّة التّمثيل والتّشبيه... إلخ.

²³ - علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون بيروت لبنان، ط 1، 2008م، ص 482.

²⁴ - علي القاسمي، علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، ص 497.

25- الطاهر ميله، نوعية المصطلحات العلمية المستعملة في التعليم الثانوي في الجزائر دراسة تحليلية نقدية، رسالة لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، اشراف: عبد الرحمان الحاج صالح، مخطوط جوان 1980م. ص124.

دور القنوات المخصصة للأطفال في تنمية القدرات

اللغوية للطفل الجزائري:

قناة سبيس تون أنموذجا

أ.وسام بداني

جامعة مولود معمري

تيزي - وزو

مقدمة:

اللغة هي الوسيط الأساس للتفاعل الإنساني، وأداة لتبليغ الحضارة، وهي وسيلة الطفل كما هي وسيلة الراشد في التعبير عن احتياجاته وتفرغ انفعالاته والتعبير عن قناعاته، تعدّ من العوامل الأساسية التي تلعب دورا رئيسيا في بناء جوانب شخصيته، تمكنه من الاشتراك في جميع أوجه الحياة الاجتماعية، وذلك من خلال القدرة على التعبير عن الذات وفهم الآخرين، وعن طريق الأسرة يبدأ الطفل في اكتساب وسائل التعبير اللغوية بما يتناسب ويتوافق مع اللغة السائدة في مجتمعه ومن خلال هذه الوسائل التعبيرية اللغوية يشرع في عملية التأهيل الاجتماعي لشخصيته، فبواسطة اللغة سيكتسب المهارات الاجتماعية، هذه المهارات في مرحلتها الأولى تصله على شكل مفردات لغوية، ولغة الطفل تتطور وتنمو مادام في تواصل دائم مع محيطه، فكلما توقفت صلته بمن حوله وتعددت علاقاته الاجتماعية نمت قدرته اللغوية وتأكّد انتماؤه الاجتماعي واللغوي، وفي ظلّ الانفتاح الذي يشهده العالم والانتشار الواسع لوسائل الاتصال الحديثة، لم تعد الأسرة والمدرسة هي مصدر الطفل الوحيد في التربية والتعليم، فهذه الوسائل أصبح لها دور في تكوين تفكيره وبناء قيمه وتحديد اتجاهاته، ففي الآونة الأخيرة ظهر جليّا اهتمام وسائل الإعلام بالطفل وحقوقه ومشاكله، وذلك من خلال ما يُقدّم من موادّ

إعلامية على اختلافها، في التلفزيون أو في مواقع الانترنت أو المجلات، ويعتبر التلفزيون من الوسائل الإعلامية التي تجذب الأطفال وتسترعي اهتمامهم، بل وتطغى برامجه على يومياتهم وتملأ ساعات فراغهم " فمن المعروف أن الوسيلة ذات الأثر المباشر على الناس، كبارا أو صغارا هي التي تعتمد على أكثر من حاسة واحدة"⁽¹⁾، فهذا الجهاز يستهدف أكثر من حاسة لدى الطفل، فيكون أثره أكثر جدوى وعمقا، إذ يجعل الطفل يتصل بعالمه الخارجي ويعتبر على عادات وتقاليده الشعوب الأخرى، ويعمل على إثارة خياله وتحفيز آليات التفكير والتعبير لديه، وذلك من خلال تنمية قدراته اللغوية، وكما يرى أحد الباحثين فالإعلام يعتبر المنهج التربوي الأول والمدرسة هي المنهج التربوي الثاني، فدور المؤسسة الإعلامية لا يقل أهمية عن دور المؤسسة التربوية في التنشئة، ففي ما مضى كانت القنوات التلفزيونية تخصص وقتا لبيت البرامج المخصصة للأطفال، ولكن اليوم ومع ما يشهده العالم من ثورة هائلة في نقل المعلومات والاتصال؛ فالطفل الجزائري وكغيره من الأطفال يعيش هذه الثورة المعرفية التي مكنته من استقبال العديد من القنوات التي تلبي رغباته ويجد فيها ضالته، إذ تبت برامجها طوال اليوم بشكل متواصل، فهذه القنوات أتاحت للطفل فضاء إعلاميا مفتوحا يتواصل معه في أي وقت شاء، وأصبح هذا العالم الافتراضي هو عالمه الخاص وقوته في سلوكاته، وعلى الساحة التلفزيونية العربية توجد مجموعة من القنوات المخصصة للأطفال، والتي تتنوع موادها الإعلامية بتنوع الفئة المستهدفة أو المواضيع المقدمة، أو اللغة المستعملة مثل: قناة MBC3، spacetoon، براعم، طيور الجنة، كراميش، طه... وتعتبر قناة سبيس تون (spacetoon) من بين القنوات التي حازت على اهتمام الطفل الجزائري على غرار الكثير من أطفال العالم العربي، هذه القناة العربية التي تبت برامج متنوعة للأطفال على مدار اليوم، تمزج بين التعليم والمعرفة والترفيه والذي دعانا لاختيار قناة سبيس تون هي الأهمية التي توليها القناة للغة العربية، إذ

تقتصر في تقديم مادتها الإعلامية على اللغة العربية الفصحى فقط، على عكس بعض القنوات العربية الأخرى التي تمزج بين العامية والفصحى أو تستعمل العامية فقط في برامجها، وهذا الاهتمام باللغة العربية تجاوز البرامج المقدمة إلى تخصيص فقرات وفواصل لتعليم اللغة العربية وقواعدها على شكل أغان وأناشيد تشد الأطفال إليها، فاستقطبت هذه القناة العديد من الأطفال وجعلتهم يتعلقون بها ويقضون أوقاتهم في مشاهدتها، لذلك حاولنا من خلال هذه المداخلة الموسومة بـ "دور القنوات المخصصة للأطفال في تنمية القدرات اللغوية للطفل الجزائري: قناة سببس تون أنموذجاً، أن نبين الدور الذي تلعبه هذه القنوات في تنمية الحصيلة اللغوية للطفل الجزائري وفي إكسابه مهارات التواصل وذلك بالبحث في الإشكالية التالية:

- ما واقع اللغة العربية في قنوات الأطفال؟
- ما مدى ممارسة قنوات الأطفال لدورها اللغوي في تدعيم القدرات اللغوية للطفل؟
- ما الأثر الذي تتركه اللغة المستعملة في قناة سببس تون على القدرات اللغوية للطفل الجزائري؟ وإلى أي مدى تسهم في تشكيل لغته؟
- كيف يمكن الاستفادة من هذه القنوات في خدمة اللغة العربية وترقيتها؟

مرحلة الطفولة والنمو اللغوي:

- تعتبر مرحلة الطفولة مرحلة مهمة في حياة الإنسان فهي الفترة الأكثر تأثيراً في بقية حياته، يبني فيها الطفل تصوراته ويكسب سلوكياته وتتشكل معالم شخصيته، فالطفل في هذه المرحلة يسعى إلى تدعيم كيانه واثبات ذاته، وتعرف مرحلة الطفولة بأنها "المرحلة العمرية الأولى التي يمر فيها الإنسان في بواكير وجوده الذاتي والاجتماعي والتي تحدّد سماتها في أنماط السلوك والميول، وأوجه النشاط المؤسسة على خصوصية في البناء الجسدي والعقلي والتّمثيل اللغوي

وأساليب اللعب والحركة، ووسائل التعبير عن المشاعر والأحاسيس والحاجات وسبل إشباعه⁽²⁾، فالطفل في هذه المرحلة يتأثر ببيئته وتؤثر فيه، فيسعى لتشكيل بنيته المعرفية من خلال اتصاله بمحيطه ومجتمعه، فتستوقفه تجارب وأحداث تشدّ انتباهه بحكم أنها مواقف جديدة لم يمرّ عليها من قبل، فيحاول التكيف معها ويبنى استراتيجياته في التعلّم، ومن خلال هذه المواقف تتولد لديه آليات جديدة للتعامل مع مواقف أخرى لم يسبق له مصادفتها "فكلّ الأطفال يمرّون بسلسلة من المراحل قبل أن تتكوّن لديهم القدرة على الإدراك والفهم في مجالات وحقول ناضجة، فالتعلّم من خلال الشرح أو سؤال الطفل مجموعة من الأسئلة يمكنه فقط التأثير في النمو العقلي في حالة إذا كان الطفل قادرا على استيعاب ما يقوله وما يفعله، وهذا الاستيعاب يقيد ويحكم من خلال المرحلة العمرية التي يمرّ بها"⁽³⁾، ومرحلة الطفولة لا تؤثر على الطفل من الناحية الصحية أو النشاط الحركي والذهني فقط، بل تؤثر في نشاطه اللغوي فكما يحتاج الطفل للعناية والرعاية الصحية لينمو جسديا، فهو في حاجة لينمو لغويا فهذه المرحلة مهمة في صقل ملكته اللغوية وتنمية قدراته فهي تعدّ تمهيدا لتمكّنه لغويا، وقد أثبتت الدراسات التربوية أن من أبسط الطرق لاكتساب الطفل للغة هي إقامته في سنوات حياته الأولى علاقات ثابتة بينه وبين المحيطين به مباشرة، فالطفل في سنواته الأولى ورغم محدودية قدراته العقلية إلا أن ما يسمعه من حديث وما يتردد على مسامعه من كلمات وأغانى يساعد في زيادة رصيده اللغوي وتنمية قدراته وتكوين قاموسه اللغوي، فالأسرة تقوم بدور مهم في إعداد الطفل لاكتساب المهارات اللغوية وتنمية القدرات العقلية، فالطفل الذي ينشأ في بيئة تستخدم فيها المفردات اللغوية السليمة والمتنوعة، يكون أكثر قدرة على اكتساب اللغة بسرعة مما يسهم في تنشئته بطريقة أفضل، فالقدرة اللغوية "قدح للاستعداد اللغوي، عن طريق عوامل النضج والبيئة، كما أنها تدخل في كل مجالات اللغة وأنشطتها"⁽⁴⁾

فالقدره هي ما يستطيع الإنسان إنجازه من أنشطة عقلية أو حركية كالرياضة أو الحفظ أو التحدث بلغة أجنبية، وتعدّ القدرة اللغوية من أهم السمات البارزة للتنظيم العقلي للإنسان، فالعامل اللغوي له دور في تحديد الفروق الفردية في النشاط العقلي، واتساع حصيلة الطفل من الألفاظ والتراكيب اللغوية وتنوع مستوياتها تجعله أكثر فهما لما ينطق أو يكتب، فتعلم أي لغة يتم بعملية تراكمية تمرّ على مراحل يكتسب فيها الفرد المهارات اللغوية شيئاً فشيئاً حتى يصل إلى مستويات الأداء المختلفة في ممارسة هذه اللغة، وذلك من خلال القدرة الكامنة لديه "التي يحيلها النضج الطبيعي والتدريب والتعليم إلى قدرة فعلية"⁽⁵⁾.

1-1- العوامل المؤثرة في النمو اللغوي:

هناك مجموعة من العوامل تسهم في تحفيز النمو اللغوي عند الطفل ولها دور في بناء لغته وهي "العمر الزمني والجنس والذكاء، والصحة العامة والبيئة"⁽⁶⁾

أ/ العمر: تزداد الحصيلة اللغوية كلما كبر الطفل فالنمو الجسدي يقابله نمو للمدركات الحسية والكلامية، وكلما زاد العمر زاد النمو العقلي وزادت الخبرة.

ب/ الجنس: أثبتت الدراسات أن النمو اللغوي عند البنات يكون أسرع من الذكور وهذا في السنوات الخمس الأولى.

ج/ الذكاء: هناك علاقة بين النمو اللغوي وعامل الذكاء فالأطفال الذين يتميزون بالذكاء العالي تكون حصيلتهم اللغوية أكثر من قرنائهم.

د/ البيئة: تلعب البيئة التي ينشأ فيها الطفل دوراً مهماً في نموّه اللغوي وتتحكم فيها مجموعة من العوامل وهي: المستوى الاقتصادي والاجتماعي للأسرة نوع الخبرات التي يتعرض لها الطفل (كالتلفزيون ونمط الحياة الأسرية والتفاعل الاجتماعي والرعاية).

1- اتفاقية حقوق الطفل والإعلام:

الطفل كغيره من أفراد المجتمع له وضع اجتماعي لا يقل أهمية عن الكبار وله حقوق ينادي بها كفلها له القانون وشرعتها له المواثيق الدولية، حماية له باعتباره مكونا أساسيا في بناء المجتمعات، ومستقبلا واعدة لبناء الأمم، فقد أصدرت الأمم المتحدة اتفاقية حقوق الطفل سنة 1989 وصادقت عليها دوليا سنة 1990، وتتضمن الاتفاقية 54 مادة موضحة بطريقة مباشرة للحقوق التي يجب أن يتمتع بها أي طفل وفي أي مكان كان ودون تمييز، والدول الأعضاء بموافقتها على الالتزام بالوثيقة تكون قد ألزمت نفسها بضمان حقوق الطفل وتحملت مسؤولية هذا الالتزام، والجزائر كانت من بين الدول التي صادقت على هذه الوثيقة، وبمصادقتها فهي تقر أن هذا القانون جزء لا يتجزأ من تشريعاتها الداخلية، وفي ظل التحديات القائمة والمستجدات العالمية وما يشهده العالم من انفتاح وثورة إعلامية واتصالية، لم يكن الطفل بمعزل عن هذا، إذ يعايش هذه الثورة الهائلة في نقل المعلومات، فصارت هذه الفئة مستهدفة وأصبحت المواد الإعلامية التي تقدم للأطفال تشهد إقبالا كبيرا من شركات الإنتاج، وهذا لما تشهده من إقبال كبير من طرف الأطفال وما تحققه من أرباح فهذه الوسائل تربط الطفل بعالمه الخارجي، وتزوده بخيارات متعددة تلبي حاجاته ورغباته، فأصبح إعلام الطفل يشهد تناميا ملحوظا ويعمل على استمالة الطفل والسيطرة عليه، لذا فكلما عملت الجهود الدولية من خلال الاتفاقيات على ضمان حقوق الطفل في البقاء والنمو والرعاية والحماية، سعت كذلك لضمان حقوق الطفل الإعلامية، فهذه الحقوق لا تقل أهمية عن الحقوق الأخرى، فقد أوصت اتفاقية حقوق الطفل بإعطاء الطفل حرية التعبير وأكدت على دور وسائل الإعلام⁽⁷⁾ وأثرها على شخصيته فنصت المادة 13 من الاتفاقية على:

"يكون للطفل الحق في حرية التعبير، ويشمل هذا الحق حرية طلب جميع أنواع المعلومات والأفكار وتلقيها وإذاعتها، دون أي اعتبار للحدود، سواء بالقول أم الكتابة أم الطباعة، أم الفن، أم بآية وسيلة أخرى يختارها الطفل".
ونصت المادة 17 من الاتفاقية على:

"تعترف الدول الأطراف بالوظيفة الهامة التي تؤديها وسائل الإعلام وتضمن إمكانية حصول الطفل على المعلومات والمواد من شتى المصادر الوطنية والدولية وبخاصة تلك التي تستهدف رفاهيته الاجتماعية والروحية والمعنوية وصحته الجسدية والعقلية".

كما حرصت الاتفاقية على ضمان الحقوق اللغوية للطفل وذلك بتشجيع وسائل الإعلام على إيلاء عناية خاصة للاحتياجات اللغوية للطفل ودعت إلى عدم جواز حرمانه من الحق في التمتع بثقافته أو الجهر بدينه وممارسة شعائره أو استعمال لغته.

2- وسائل الإعلام وتأثيرها على لغة الطفل:

كان الإنسان في الماضي يتصل بأفراد مجتمعه في المحيط الذي يعيش فيه ويلتقي بهم في أماكن ومرافق يقصدونها، لكنه الآن يتصل بفئات متعددة متى شاء وأنى شاء بواسطة الأجهزة والوسائل الإعلامية المختلفة، فعن طريق هذه الأجهزة يتبادل الناس الآراء والخبرات، وينقل بعضهم إلى بعض المعارف والأفكار وتلتقي ثقافتهم، ويُعتبر التلفزيون المصدر الأول للإعلام والثقافة، فقد اتسعت رقعة انتشاره وكان النصف الثاني من القرن العشرين عصر التلفزيون فانتشر في البلدان العربية انتشاراً واسعاً، فجذب إليه المشاهدين كباراً وصغاراً، ورغم أن الإعلام في وقتنا هذا قد اتخذ أشكالاً متعددة خاصة مع ما شهده العالم من ثورة تقنية فتعددت الوسائل الإعلامية وتتنوع، إلا أن التلفزيون كان ولا زال حاضراً في الساحة الإعلامية بمكانته وأثره على المشاهدين، وقد كان لفئة الأطفال النصيب الأكبر من

هذا التأثير، فالطفل ينجذب للتلفزيون بفضل تقنياته المتنوعة فهو يخاطب السمع والبصر، ويسهم في إيجاد لغة اجتماعية مشتركة بين الأطفال، وينمي الحوار الاجتماعي، ويذيب الفوارق الاجتماعية "فالتلفزيون وسيلة جذب إعلامي للكبار وللصغار، فهو يمتلك القدرات الفنية التي يعينه على تحويل الخيال إلى واقع مرئي وهو يحول القصص والروايات إلى صور متحركة مشاهدة، يملؤها النشاط والحيوية"⁽⁸⁾ واليوم لم يعد التلفزيون مجرد وسيط إعلامي لتقديم الأخبار والبرامج فقط بل تعدى إلى الدور التعليمي وذلك من خلال ما يقدمه من مواد تعليمية تسهم في إيصال المعلومات، فالطفل أثناء مشاهدته للتلفزيون وبدون وعي منه يعرف مجموعة من الحقائق ويكتسب عددا من الاتجاهات والسلوكيات، ومن الناحية اللغوية التلفزيون له أثر على تكوين لغة الطفل ونموها، خاصة أن النمو اللغوي عنده مرتبط باستماعه إلى كلام الآخرين في المراحل الأولى من تعلمه للغة فقد "دلّت الدراسات أن علاقة التلفزيون في تعليم النطق ونمو اللغة عند الطفل تظهر في العمر ما بين ثلاث سنوات أو أربع سنوات، فقد ثبت أن الطفل في هذه السن يستوعب 20% من مسار الأحداث الواردة في البرامج التي يشاهدها، ويستطيع أن يتابع عشرين فعلا أو حركة كاملة متلاحقة"⁽⁹⁾.

3-1 - خصائص التلفزيون:

- يجمع بين الكلمة المسموعة والصورة المرئية مما يزيد من قوة تأثيره فهو يعتمد على أكثر من حاسة من حواس الطفل فيكون أثره التعليمي أكثر جدوى.
- المادة الإعلامية المعروضة فيه أقرب بديل للخبرة الحقيقية التي يمكن أن يجربها الطفل في الواقع.
- التكرار: فمعظم البرامج لها قابلية العرض بشكل مكرّر مما يساعد على تثبيت ما يتلقاه الطفل من مكتسبات ومعارف.

3-2- قنوات الأطفال:

منذ ظهور التلفزيون حاولت القنوات الجامعة تلبية حاجات المشاهدين من خلال صياغة برامج متخصصة في مضمونها، محاولة تحقيق التوازن والاستجابة لرغبات مشاهديها، ففي السنوات الأخيرة شهدت الساحة الإعلامية ظهور العديد من القنوات المتخصصة إما من حيث محتواها أو من حيث الجمهور المستهدف فالقناة المتخصصة تقابل القناة الجامعة أو الشمولية وهي التي تخلت عن شمولية المضمون والمقصد لتختص في مجال برامجي منفرد أو لتتوجه إلى جمهور محدد⁽¹⁰⁾، وكما ذكرنا من قبل ففئة الأطفال كان لها نصيبها من هذه الثورة الإعلامية، فقد أصبحت البرامج الموجهة للأطفال تشهد إقبالا منقطع النظير وبدأت قنوات الأطفال تزداد وتتنوع، بعد أن كان الطفل الجزائري يشاهد برامج المفضلة مرة واحدة يوميا على التلفزيون الوطني، فالجزائر من خلال قنواتها الوطنية كانت لها تجربتها في إنتاج برامج الأطفال ومحاولات هادفة لإعداد مضامين تتناسب وثقافة الطفل الجزائري، كبرنامج هيا نلعب وبرنامج استراحة الاثنين...، لكن الملاحظ أن القنوات التلفزيونية العربية كانت تعاني ندرة في إنتاج أفلام الكرتون وبرامج الأطفال المحلية مما فتح الباب أمام استيراد البرامج من الدول الأخرى كاليابان والولايات المتحدة الأمريكية، فمع الانفتاح الذي يشهده العالم لم تعد هذه البرامج تسد حاجة الطفل العربي، ومع الوقت وجد نفسه أمام قنوات متخصصة للأطفال تبت برامجها بشكل متواصل، فأصبحت هذه القنوات قبلة الأطفال في كل وقت ينهلون منها معارفهم ويكتسبون منها تجاربهم وتعتبر هذه القنوات "رافدا أساسيا من روافد تربية الطفل وتنشئته اجتماعيا ونفسيا وعقليا وتطوير ملكاته وتهذيبها... وتتمية مهاراته الذهنية، كما أنها تعطي للطفل فرصة للاستمتاع بطولته وتفتح مواهبه وتنسج علاقاته بالعالم من حوله"⁽¹¹⁾ أما من الناحية اللغوية فيبرز دور هذه القنوات من خلال تأهيل ملكة الطفل وتدريبه على الممارسة من

خلال ما يقدّم من برامج كالأغاني التعليمية فالإيقاع فيها يشدّ الطفل فيتفاعل وينسجم مع أنغامها ممّا يقوده لمحاكاتها وتقليدها، فهذه القنوات لها دور في تشكيل الرؤية اللغوية للطفل الجزائري وفي صناعة معجمه اللغوي، بحكم أنه يمنحها اهتمامه ومعظم وقته، فعندما تثبت هذه القنوات برامجها باللّغة العربيّة، تستقرّ في أذهان الأطفال وتطبع تلك الأساليب اللغوية وتتشكل لديهم قدرات لغويّة، هذه القدرات سيستخدمونها فيما بعد ويحاكون ذلك النموذج في تعبيرهم وأثناء حديثهم بشكل تلقائي، فمن خلال هذه القنوات التي تحرص على استعمال اللّغة العربيّة في تقديم مادتها الإعلاميّة، يكون الطّفل قد حصلّ رصيذا لغويا ومعرفيا، يشكل نواة لقاموسه اللّغوي والمعرفي ويزيد رصيده من المفردات والألفاظ، وهذا ما يفيد في مراحل تعليمه المختلفة وفي حياته وتواصله الاجتماعي بشكل عام فاللّغة تحقق للفرد وجوده الاجتماعي قبل أن تكون أداة للتعبير والتّواصل وكما أن هناك قنوات عربيّة تحرص على استعمال العربيّة الفصحى في برامجها وفي ما تقدمه من أغاني وأناشيد، فإن هناك قنوات أخرى تمزج بين العاميّة أو الفصحى أو تستعمل العاميّة فقط، هذه القنوات تلجأ إلى "لغة عاميّة إقليميّة تحدّد الاكتساب اللّغوي والفكري للطفل وتضيّق عليه أفاقه الثقافيّة وتظهر له أن اللّغة وكأنها لغات شتى، متفرقة مختلفة يصعب التّمكن منها"⁽¹²⁾.

3- قناة سبيستون وترسيخ اللّغة العربيّة:

سبيس تون "spaceton" قناة تلفزيونيّة عربيّة متخصصة في عرض الأفلام والرسوم المتحرّكة الخاصة بالأطفال، "تعتبر ثالث قناة متخصصة في الرسوم المتحرّكة في الوطن العربي، تعرض أهم المسلسلات الكرتونيّة العالميّة، بالإضافة إلى عدد من الأغاني والأناشيد وال فقرات القصيرة الهادفة، بدأ بث القناة في مارس سنة 2000 ضمن برامج تلفزيون البحرين الحكومي، وانطلقت كقناة مستقلة سنة 2002"⁽¹³⁾ ارتبطت أعمال القناة بمركز الزهرة الذي يُعتبر من المراكز المهمّة في

ميدان الدبلجة حيث قام بدبلجة جميع الأفلام الكرتونية التي تعرض على قناة سببسون.تون.

تقوم القناة على فكرة التوسع في الفضاء والتنقل بين الكواكب، وتأخذ في الحسبان الفئة العمرية التي توجه لها برامجها، فقد قسمت برامجها على كواكب لهذا الاعتبار، فالأطفال ينتقلون فيها من كوكب إلى آخر طيلة ساعات البث، فكل كوكب من الكواكب مخصص لفئة من الأطفال، فكوكب "بون بون" للأطفال في سن ما قبل المدرسة وكوكب "أبجد" للأطفال الروضة أو سنوات الدراسة الأولى، وكوكب "زمردة" مخصص للفتيات، وكوكب "أكشن" مخصص للذكور، وكوكب "كوميديا" مخصص للهزل والضحك وكوكب "تاريخ" الذي يركز على المسلسلات التاريخية من العصور القديمة وكوكب "رياضة" يقوم بعرض أفلام الرياضات المختلفة وكوكب "علوم" يهتم بعرض البرامج ذات الطابع العلمي، أما كوكب "مغامرات" فيعرض المسلسلات التشويقية، وكوكب "أفلام" يقوم بعرض الأفلام فقط.

وبالنسبة للبرامج التي تعرض على القناة وكما سبق الحديث عن ندرة إنتاج أفلام الكرتون المحلية على القنوات العربية، تقوم قناة سببسون بدبلجة الأعمال الأجنبية إلى اللغة العربية فتغير أحيانا عناوين المسلسلات وأسماء الشخصيات والأماكن وأجواء القصة التي يطغى عليها الطابع الأجنبي، لتصبح عربية وتقرّبها لبيئة الطفل العربي.

وبالنسبة للغة العربية، تحرص القناة على استعمال اللغة العربية الفصحى فيما تقدمه من مواد إعلامية كالأفلام وبرامج الكرتون، وحتى الإعلانات الترويجية التي تعرض على القناة تكون باللغة العربية الفصحى، فالمذيعون فيها يعتنون بدقة التعبير والأداء الجميل فالتصحيح اللغوي والتدقيق النحوي يبدو جليا من خلال ما يعرض ولأن معظم البرامج تكون باللغة العربية الفصحى والأطفال يقبلون على مشاهدة هذه البرامج بشكل يومي، فتجري العبارات التي تسمع في البرامج على لسان

الطفل بكل سلاسة وعفوية، ويكون استعماله لها تلقائيا، فالطفل يكتسب من هذه البرامج مفردات قريبة من بيئة العربية وتتأثر لغته بتلك المفردات، فيتمثلها في مواقف من حياته اليومية وقد يكون لها دور في مساندة المادة التعليمية التي يتلقاها في المدرسة، فمثلا يعرض على القناة كرتون باسم باص المدرسة العجيب وهو عبارة عن برنامج تقوم فيه أستاذة العلوم رفقة تلاميذ قسمها بالسفر عن طريق باص عجيب متحوّل فتنقل في الطبيعة وتلج لجسم الإنسان، لتقدّم لتلاميذها المعلومة العلمية بشكل مباشر وبتجربة كأنها حقيقية، فالحرص على الجانب العلمي من أولويات القناة.

وتلعب قنوات الأطفال دورا مهما في تنمية الجانب اللغوي إذ تعمل على ترسيخ اللغة العربية الفصحى لدى الأطفال، لأن الحوارات تدور على ألسنة أبطالهم المحببين، فالطفل ينشأ في أحضان هذه البرامج وتسجل ذاكرته أصوات المتحاورين، فيألف لغته ولا يجد حرجا في فهمها، ويكتسب رصيда لغويا مهما خاصة إذا اقترن اللفظ بالصورة والصوت، فالأطفال يعرفون بتفضيلهم لكل ما هو ملون ومتحرك، وتلعب الأغاني والأناشيد دورا في تنمية القدرات اللغوية وتوسيع المعجم، فالأغاني والأناشيد الموجهة للأطفال في قناة سببستون تؤدي بلغة سهلة وبسيطة، وبأسلوب لغوي مؤثر، تساهم في النضج اللغوي ويجد الطفل فيها التقاء الكلمة مع الفكرة التي تنيرها، فالأطفال يتعلقون بهذه الأناشيد وتكون لديهم قابلية لترديد ما سمعوه، فيحاولون تقليدها لحنا وكلمات مما يساعد في تنمية مهارة الاستماع والحديث لديهم، تقول نور الهدى لوشن "فاطلب من أي طفل في أي موضع أو مكان من وطننا العربي أن يغني أغنية، فلن تجد ترديدا إلا لما تبثه القنوات العربية"⁽¹⁴⁾، فحرص القناة على عرض هذه الأناشيد راجع لإسهامها في:

- دفع الطفل إلى تحسين النطق وإخراج الحروف من مخارجها.
- تزويد الطفل بثورة لغوية تعينه على إجادته التعبير.

- تدريب الطفل على حسن الأداء وجودة الإلقاء وتمثيل المعنى.
وتقوم القناة بتقديم فواصل خاصة بتعليم الطفل كيفية نطق الحروف العربية والانجليزية، مستعينة بأغانٍ تحتوي على نطق لهذه الحروف مما يسهل على الطفل نطقها وترديدها مثل أغنية الحروف العربية، حيث يتم عرض هذه الأغنية في مقطع لمدة دقيقة و39 ثانية، تؤدي الحروف العربية مرتبة ومتسلسلة من الألف إلى الياء وهي كالتالي:

ألف، باء، تاء، ثاء، جيم، حاء، خاء،

دال، ذال، راء، زاي، سين، شين، صاد،

ضاد، طاء، ظاء، عين، غين، فاء، قاف،

كاف، لام، ميم، نون، هاء، واو، ياء.

أحرف لغتي في أغنيتي من الألف إلى الياء.

كما لم تغفل القناة في هذا المقطع لغة الإشارة بالنسبة للصم والبكم فأرقت هذا المقطع بحركات اليد التي تمثل هذه الحروف، وبالإضافة إلى حروف اللغة العربية تقدم القناة للناشئة حروف اللغة الإنجليزية بنفس الطريقة التي قدمت بها الحروف العربية من مرافقة للموسيقى ولغة الإشارة:

My spacetoon

A, B, C, D, E, F, G

H, I, J, K, L, M, N, O, P

Q, R, S, T, U, V

W, X, Y and Z

Now i know my A, B, C

Happy, happy

I will be

وتتجاوز عناية القناة باللغة العربية، تعليم الحروف إلى تقديم مقاطع في مختلف علوم العربية، كالنحو والعروض، والبلاغة، كفقرة قل ولا تقل حيث يتم ذكر العبارة الشائعة على ألسن الناس ثم يتم إعطاء العبارة الصحيحة مع ذكر التعليل، وفقرة إعرابات ففي كل فاصل تعرض جملة على القناة ويتم إعرابها إعرابا تاما مفصلا، وفقرة بحور الشعر حيث يُرافق هذه الفقرة إيقاع موسيقي مع ذكر تفعيلات بحر من البحور الشعرية، والعديد من الفواصل الأخرى كفقرة حروف النصب وأزمنة الأفعال، فكل هذه الفواصل وال فقرات تكون كفترة فاصلة بين برامج الكواكب فهي فقرات سريعة لها مهمة مفيدة، فهي لا تقطع الاستغراق الفكري للطفل، ولها من الأثر اللغوي والتعليمي ما لا يستطع الطفل اكتسابه بسهولة في المدرسة، فدورها التعليمي يفوق أحيانا دور المناهج التربوية خاصة في مجال تعليم اللغة العربية.

خاتمة:

حاولنا من خلال هذا البحث أن نبرز الدور الذي تلعبه القنوات المخصصة للأطفال في تدعيم القدرات اللغوية للطفل، واكسابه مهارات اللغة العربية وتنمية حصيلته اللغوية، وذلك باعتماد قناة سببسون كعينة عن هذه القناة التي تضع اللغة العربية وترسيخ مبادئها وقواعدها عند الناشئين ضمن أولويات برامجها، حيث تعتمد في تقديم موادها على المزج بين التعليم والترفيه والتربية مما يعود على الأطفال بالنفع والفائدة، فبعروضها المشوقة تعمل على إثارة انفعالات الأطفال وتحفيز مدرّكاتهم، فلغة برامجها الفصيحة لها الأثر في تنمية المهارات اللغوية للناشئة وفي زيادة رصيدهم اللغوي وتحفيز نموهم المعرفي، فهذه القناة قامت بدور تعليمي أتى بثماره، في حين يمكن أن تعجز المدرسة عن ذلك أو أن تستغرق وقتاً أطول في تحقيق نتيجة مشابهة، وانطلاقاً مما سبق ومن الأثر اللغوي الذي تتركه هذه القنوات على لغة الأطفال، ولزيادة فاعليتها في تعليم وتنمية اللغة العربية نقترح ما يلي:

- اعتماد اللغة العربية الفصحى في البرامج المخصصة للأطفال وتجنب اللهجات؛

- إنتاج البرامج الموجهة للأطفال محلياً، بما يتوافق وثقافة الطفل العربي؛
- الحرص على أن يتولى تقديم برامج هذه القنوات أناس متمكنون وذوو ثقافة لغوية، يتميزون بالنطق السليم وطلاقة التعبير؛
- برمجة حصص تعليمية للغة العربية ولعلومها، تعرض على قنوات الأطفال؛
- إقامة مسابقات شعرية للناشئة على هذه القنوات، فالشعر بما فيه من موسيقى وإيقاع وصورة شعرية يخاطب وجدان الأطفال ويحسن ذوقهم اللغوي.

الهوامش :

- (1) عبد الفتاح أبو المعال، أثر وسائل الإعلام على تعليم الأطفال وتنقيفهم، دار الشروق، ط1، عمان-الأردن، 2006، ص80.
- (2) عبد الإله عبد الوهاب العرداوي، هاشمية حميد جعفر الحمداني، أدب الأطفال بين المنهجية والتطبيق، دار الرضوان للنشر والتوزيع، ط1، الأردن، 2014، ص7.
- (3) نسرین محمد عبد العزيز، فضائيات الأطفال وتأثيرها على الأسرة العربية، أطلس للنشر والإنتاج الإعلامي، مصر، 2016، ص41.
- (4) رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، 2004، ص28.
- (5) رشدي أحمد طعيمة، المهارات اللغوية مستوياتها، تدريسها، صعوباتها، ص28.
- (6) نسرین محمد عبد العزيز، فضائيات الأطفال وتأثيرها على الأسرة العربية، ص73.
- (7) وثيقة حقوق الطفل.
- (8) عبد الفتاح أبو المعال، أثر وسائل الإعلام على تعليم الأطفال وتنقيفهم، ص79.
- (9) عبد الفتاح أبو المعال، أثر وسائل الإعلام على تعليم الأطفال وتنقيفهم، ص105.
- (10) المنصف العياري، محمد عبد الكافي، "القنوات العربية المتخصصة"، سلسلة بحوث ودراسات إذاعية، اتحاد إذاعات الدول العربية، تونس، 2006، ص11.
- (11) صلاح محمد بن عبد الحميد، الإعلام والطفل العربي، مؤسسة طبية للنشر والتوزيع، ط1، القاهرة- مصر، 2012، ص16.
- (12) أحمد محمد المعتوق، "الحصيلة اللغوية: أهميتها-مصادرها وسائل تنميتها، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، ع212، الكويت، أغسطس 1996، ص87.
- (13) موقع ويكيبيديا: <https://ar.m.wikipedia.org/wiki/>
- تمت الزيارة: الأحد 10 فيفري 2019 / 22:00.
- (14) نور الهدى لوشن "التألف وأثره على الطفل ولغته"، مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية، م ج2، ع3، الإمارات، 2005، ص128.

أثر التعليم المبكر للغات الأجنبية على الهوية الوطنية

أ: سارة مسعوداني

طالبة سنة أولى دكتوراه

المركز الجامعي عبد الحفيظ

بو الصوف - ميلة -

ملخص المداخلة:

إنّ اللغة كانت وستبقى أهمّ وأعظم هبة في حياة الإنسان؛ فهي أداة التّواصل ووسيلة العلم، وناقلة الفكر، وأمام هذا التطور والتّقدم الذي نشهده اليوم، والذي أصبح العالم في ظله قرية صغيرة أصبح امتلاك أكثر من لغة أمرا ضروريا لا اختياريا؛ وإذا كان الجاهل قديما هو الذي لا يعرف القراءة والكتابة فإنّ الجاهل اليوم هو الذي لا يمتلك لغة ثانية، ونظرا لهذه المكانة التي تحتلها اللغة الأجنبية في حياة الفرد والمجتمع فقد أصبحت غاية كل فرد هو تعلم لغة أجنبية تمكنه من مواكبة هذا التطور الذي يجري من حوله، وأصبح الجميع يسعى إلى تعليم أبنائه لغة أجنبية في مرحلة مبكرة من حياتهم، حتى أنّ تعلم هذه اللغات أصبح - وللأسف - ينافس لغة المتعلم الأصلية، هذه الأخيرة التي تمثل أهم رموز السيادة الوطنية وأبرز مكونات الهوية؛ فاللغة هي الناطق الرسمي بلسان الهوية، والمجتمع العربي بصفة عامة والمجتمع الجزائري بصفة خاصة ليس بمعزل عن هذه الظاهرة - ظاهرة الاهتمام المفرط بتعلم اللغة الأجنبية لأبنائهم في مرحلة مبكرة - وانطلاقا مما سبق ذكره، ومما نلاحظه من مزاحمة اللغات الأجنبية للغة العربية في المدرسة الجزائرية.

سنحاول في هذه المداخلة تسليط الضوء على إشكالية تأثير التعليم المبكر للغات الأجنبية على الهوية الوطنية للمتعلم، ونكشف سلبيات تعليم اللغة الأجنبية في المراحل الأولى من حياة الطفل، ومدى تأثيرها على هويته، كما سنحاول أن نتعرف على السن المناسب لتعليم المتعلم هذه اللغات، وكيفية الحفاظ على هويته أمام هذه الحاجة الماسة لتعلم لغة أجنبية، هذه الأخيرة التي باتت ضرورة لمواكبة المجتمع والعصر.

مقدمة:

تعتبر اللغة الوعاء الذي يحفظ الثقافة وميراث الأمة وتاريخها الفلسفي والديني والفكري، وخير دليل على ذلك الثقافات والحضارات والمعلومات التي وصلت إلينا عن أمم قد خلت من قبلنا، ونحن اليوم في عصر لسنا في غنى فيه عن لغة الأخر فالعالم اليوم أصبح قرية لا غنى للفرد فيها عن التواصل مع غيره وأصبح تعلم اللغة الأجنبية ضرورة للحياة كالماء والخبز، دونها لا يمكن أن تكون حياة، فاللغة الأجنبية وسيلة الفرد والأمة للانفتاح على الثقافات المختلفة، والاستفادة منه ومن تطورها في شتى الميادين والمجالات الفكرية والحياتية وهي حقيقة لا بد أن نقرّ بها فنحن لا نجاري الدول الأجنبية فيما حققت من تقدم في شتى المجالات وإذا أردنا التقدم والتطور فلا سبيل لنا إلى ذلك إلا بتعلم لغة الأخر باعتبار أن اللغة هي حامل المعرفة والثقافة، لكن ما يجب أن ندركه وأن نستوعبه هو أن تحقيق هذه الغاية لا يجب أن يكون على حساب لغتنا ومبادئنا وهويتنا وهذا ما يجعله الكثير - للأسف - وليس أدل من ذلك ما نراه يوميا من انسلاخ مخيف من الهوية الوطنية بدءا بطمس أهم مكوناتها ألا وهي اللغة العربية، هذه اللغة التي ليس رمز الهوية فحسب بل منطلق ديننا الإسلامي الحنيف، ولقد بتنا اليوم نشهد ذبوع ظاهرة مخيفة في المجتمع وهي النزوح نحو تعليم اللغة الأجنبية للأطفال في سن مبكرة، بل حتى قبل اللغة العربية (اللغة الأصلية).

ونحن لا ننكر أنّ تعليم اللغات الأجنبية للأطفال هو شيء مفيد جداً، لكن لا يجب أن يكون هذا التعليم على حساب لغتنا، كما لا يجب أن ننسى أنّ اللغة ثقافة وثقافتنا غير ثقافة تلك اللغات وهذا سيؤثر لا محالة على انتماء الطفل وعلى هويته، ولا أدلّ على ذلك مما نشاهده اليوم من ممارسات وأفعال وأقوال تنافي تماماً عاداتنا وتقاليدنا وتعاليم ديننا الحنيف، وعليه ارتأينا أن نتناول في هذه الورقة البحثية موضوع التعليم المبكر للغات الأجنبية على الهوية الوطنية، وذلك نظراً لإيماننا بخطورة التعليم المبكر للغة الأجنبية على تشكيل هوية الفرد، وبالتالي على سلوكه وأخلاقه ودينه، وتأثيرها على مستقبل الأمة العربية الإسلامية.

أولاً: التعليم المبكر (Education précoce)

1_ تعريف التعليم المبكر: هو مصطلح يطلق على " المرحلة التعليمية المرتبطة بالفترة العمرية قبل مرحلة الدراسة المدرسية الفعلية، والتي تبدأ غالباً قبل عمر الست، أو الثماني سنوات"⁽¹⁾، وقد أصبح التعليم المبكر يعتمد في كثير من المجتمعات على طبيعة النظام التعليمي المطبق في وزارة التربية والتعليم. ويرتبط التعليم المبكر بمرحلة الطفولة وهي: "المرحلة العمرية التي تبدأ من نهاية السنة الثانية، وتنتهي بنهاية السنة الخامسة، وفيها يحتاج الطفل إلى توفير بيئة اجتماعية تضمن عوامل التربية الرشيدة التي تساعد على إنماء شخصيته وتكوينها"⁽²⁾، فهذه المرحلة مرحلة حساسة جداً في حياة الطفل، لذلك يجب الاهتمام بها والتثبت فيها مما نقدمه فيها للطفل من الناحية الفكرية واللغوية، فهي وعلى الرغم من قصرها ذات أثر كبير وفاضل في حياة الطفل وشخصيته ومستقبله.

2_ تاريخ التعليم المبكر: ظهرت فكرة التعليم المبكر على " يد عالم نفس الطفولة، والتربية (جان بياجيه J. Piaget)، فهو أول من اهتم بدراسة فكرة التعليم المبكر، وربطه بفكرة التعليم باللعب، والذي أثبتت كفاءة كبيرة في تطبيق فكرة التعليم المبكر على الأطفال الذين تمكنوا من اكتساب العديد من المعارف الأدبية

الثقافية والعلمية والمرتبطة بالنشاطات خارج الصف⁽³⁾، ومنذ ذلك الوقت بدأ هذا المصطلح يشيع ويستعمل من قبل الباحثين وفي مجالات مختلفة كالمجال الاجتماعي والحركي والفكري...، وفي هذه الدراسة سنتحدث عن التعليم المبكر في المجال الفكري وبالتحديد عن التعليم المبكر للغة الأجنبية.

ثانيا: اللغة الأجنبية (Langue étrangère)

تعد اللغة الأجنبية أداة هامة للتواصل بين الشعوب والأمم، فهي تساعد على تبادل الثقافات المختلفة والاستفادة من تجارب الآخرين وتبادل الخبرات معهم، وقد أصبح تعلم اللغات الأجنبية أمرا ضروريا ومطلبا ملحا خاصة في عصر أصبح فيه العالم قرية صغيرة بفعل الثورة المعلوماتية والتقدم الذي نشهده اليوم، كما أنها السبيل الأمثل لتوسيع مدارك الفرد وخبراته، وتعليم اللغات الأجنبية يعكس رغبة مجتمعنا في النهضة ومواكبة العصر والتخلص من حالة التخلف.

1 - تعريف اللغة الأجنبية: إن مصطلح اللغة الأجنبية من المصطلحات التي تدخل تحت ما يسمى باللغة الثانية^(*)؛ لأننا ننظر إلى عملية تعلم اللغة على أنها متماثلة سواء كان تعلم هذه اللغة داخل موطن استعمالها أم خارج موطن استعمالها وتعرف اللغة الأجنبية عادة بأنها: "اللغة التي يتعلمها الطالب تعلمًا رسميًا على إحدى موضوعات المناهج المدرسية. ويختلف السن الذي يقدم فيه تعليم اللغة الأجنبية باختلاف المجتمعات والفلسفات التربوية والظروف السياسية"⁽⁴⁾.

فاللغة الأجنبية بهذا المصطلح تدل على معناها فهي لغة غريبة عن المتعلم أجنبية عليه لا يجدها في مجتمعة أو يجدها بنسبة قليلة وهي لغة لا ينشأ عليها.

وعند الحديث عن تعلم اللغة الأجنبية فإننا نصدم بمصطلح آخر عادة ما يستعمل كمرادف له ألا وهو اكتساب اللغة الثانية، لكن الحقيقة غير ذلك فهما مصطلحان مختلفان كل الاختلاف؛ فالمصطلح الأول "يعود إلى تعلم لغة غير أصلية في بيئة اللغة الأصلية^(*) للمتعلمين (على سبيل المثال: ناطقون بالفرنسية يتعلمون الانجليزية في فرنسا، أو ناطقون بالإسبانية يتعلمون الفرنسية في إسبانيا... وهذا يتم في

الفصول الدراسية⁽⁵⁾؛ أي إنه تعليم نظامي للغة، أما مصطلح اكتساب اللغة الثانية في الجانب الآخر فيشير بشكل عام إلى: " تعلم لغة غير أصلية في بيئة تتكلم تلك اللغة بشكل أصلي (على سبيل المثال: ناطقون بالألمانية يتعلمون اليابانية في اليابان...) وربما يتم هذا في الفصول الدراسية أو خارجها"⁽⁶⁾، فالمهم هنا هو أنّ التعليم يتم في بيئة اللغة الثانية، بينما لا يكون ذلك في حالة تعلم اللغة الأجنبية⁽⁷⁾. وانطلاقاً مما سبق يتضح أن الفرق بين تعلم^(*) اللغة الأجنبية واكتساب^(*) اللغة الثانية هو مكان تعلم اللغة فالأول يتم في بيئة اللغة الأصلية، والثاني يتم في بيئة اللغة الهدف، والأول يتم وفق مناهج نظامية بالضرورة، والثاني يكون عادة عن طريق الانغماس في بيئة اللغة الهدف وقليلاً ما يكون عن طرق تعليم نظامي لذلك يقال عنه أنه اكتساب وليس تعلم.

لكن عادة ما ينظر إلى اللغة الأجنبية على أنها: " مجرد رافد للمعرفة والاطلاع على ما يجري في المجتمعات التي تتكلمها، لا على أنها تعبير عن هوية وانتماء وحضارة وقيم"⁽⁸⁾، وإن تسمية اللغة الأجنبية تطلق عادة " لتحديد اللغة الطارئة على متكلمي لغة قومية المختلفة عن لغة المنشأ (الأم)^(*) في كثير من أنظمتها الصوتية والصرفية والتركيبية، وطرق الدلالة، كما أنها أقل ارتباطاً بالأبعاد الفردية والجماعية للمجتمع"⁽⁹⁾. وقد حاول بعض الباحثين الوقوف على أهم نقاط الاختلاف بين اللغة القومية واللغة الأجنبية، وقد حددوا أهمها في:⁽¹⁰⁾

أ_ أن اللغة الأم أو لغة المنشأ، تعد جزءاً من نمو الطفل ونضجه المعرفي والوجداني والحس الحركي، ويكتسبها في ظروف طبيعية (عن طريق الانغماس) أما اللغة الأجنبية فيتمّ تعلمها بناء على برمجة منظمة في سن تالية لاكتساب القومية^(*)، فهي تأتي بعد اكتساب المتعلم للغة الأم.

ب_ على الرغم من التشابه الحاصل بين لغة المنشأ واللغة الأجنبية، وهو تشابه عائد بالأساس إلى جملة الكليات المشتركة الكامنة في اللسان البشري كله، إلا أنّ هناك اختلافات بارزة بين اللغات مما يطرح عامل الصعوبة في تعلم اللغة

الأجنبية على عكس اللغة الأصلية التي لا يجد الطفل فيها صعوبة كبيرة، وذلك لقربها من اللسان الدارج مع خصوصية في بعض الأنظمة التركيبية للغة الفصحى مقارنة باللغة الدارجة التي تميل إلى التخفيف، وتجاوز بعض القواعد اللغوية (11).

2/ أهداف تعليم اللغات الأجنبية: إن لكل غاية وسيلة، ولكل نتيجة أسباب

ولكل عمل هدف محدد إلا أن تحديد أهداف تعليم اللغات الأجنبية من الأمور التي يصعب تحديدها، وذلك لأنها ترتبط بالمتعلم في حد ذاته فهناك من يتعلم اللغة من أجل أن يتواصل بها وهناك من يتعلمها من أجل أن يترجم منها وإليها وهكذا، لكن عموما يمكن تحديد أهم أهداف تعليم اللغات الأجنبية التي يشترك فيها في عدة أهداف أهمها:

1_ إن تعليم اللغة الأجنبية يزود التلميذ بلغة أخرى إلى جانب لغته الأصلية، خاصة في الوقت الحالي الذي أصبحت فيه اللغة الأجنبية هي الناقل للمعارف الحاصلة في المجالين العلمي والتكنولوجي، ضف إلى ذلك فإن المجتمع الواحد لا يستطيع أن يتطور بالاعتماد على تجاربه هو فقط، بل يجب عليه أن يحتك بغيره من المجتمعات فيأخذ عنها ويتفاعل معها (12)، وكما يقول فرانت سميث (F. Smith): فإن لغة واحدة تحدد لك ممرا في الحياة أما لغتين فتفتح كل باب على طول الطريق.

2_ الواقع وما يفرضه علينا من حاجة إلى لسان الأجنبي متعدد، فإننا "اعترافا منا بالسبق الحضري في كثير من البيئات اللغوية، وتسليما منا بتداخل الفكر الإنساني، وبتشابك العلاقات والمصطلح بين الأمم، فإنه ينبغي أن نتعامل مع اللسان الأجنبي الانجليزي والفرنسي" (13)، وهي حقيقة لا مفر منها، وضرورة لا غنى عنها، فاللغة توسع من أفاق المجتمع والفرد، فكما يقول ليدونغ فيتنجشتاين (L. Wittgenstein) : حدود لغتي هي حدود عالمي، فكما كانت حدود لغتك أكبر كان عالمك أوسع والعكس صحيح.

3_ أهمية تعلم اللغة الأجنبية: إنّ لتعليم اللغات الأجنبية أهمية كبيرة في حياة الفرد والمجتمع، كونها تسهم في توسيع مدارك الأفراد وخبراتهم، وقد أجريت العديد من الأبحاث العلمية حول أهمية تعليم اللغات الأجنبية، وقد توصلت إلى العديد من النتائج التي تبرز هذه الأهمية، ويمكن أن نوجز هذه الأهمية فيما يلي:

أ_ تمكين المتعلم من استخدام وسائل التعبير الكتابي والشفهي، وتنمية التفاهم الدولي، واكتساب المصطلحات الفنية والعلمية والمهنية، وتنمية القدرة على التحليل والتركيب من خلال الاتصال.

ب_ تمكين الطفل من فهم المحيط الاجتماعي والثقافي بسهولة أكثر، وذلك بتوسيع فكره المحدود وعدم الاكتفاء بلغة واحدة.

ج_ تسهيل عملية الاتصال بين البلدان المتخلفة، والبلدان المتقدمة في مختلف المجالات؛ إذ أصبح تعلم اللغات الأجنبية خاصة تلك التي لها رصيد حضاري وتراث ثقافي من متطلبات العصر؛ لأنّ تعلمها معناه الانفتاح على العالم الخارجي وعلى ثقافات العالم⁽¹⁴⁾.

د_ إثراء اللغة العربية في جميع مستوياتها؛ حيث الحاجة إلى لغة أخرى بجانب اللغة الأولى، وامتلاك لغة أجنبية يساعد على التفقه في اللغة فالحكمة تقول من أراد أن يتفقه في لغته فليتعلم لغة أجنبية.

4_ السن المناسب لتعليم اللغة الأجنبية: يعد تحديد السن المناسب لبدء تعليم اللغة الأجنبية من أهم القضايا الشائكة التي تواجه وزارة التربية والتعليم في مختلف دول العالم، ولا توجد حتى الآن أية دراسة أو نظرية تحدد لنا بدقة السن المناسب لتعليم الطفل أو المتعلم للغة أجنبية، بل إن أغلبها تبقى نتائجها نسبية، ولعل من أشهر هذه النظريات نظرية الفترة الحرجة هذه النظرية خلقت لنفسها مكانة هامة في الجانب التعليمي؛ حيث أصبحت ملاذا يلجا إليه لتحديد المستوى الأمثل الذي تقدم فيه اللغة للمتعلم، فما هي هذه النظرية؟ وما هي نظرتها لهذه المعضلة؟

*فرضية الفترة الحرجة (période critique)

فرضية الفترة الحرجة هي فرضية ترى أنّ هناك " فترة محددة بيولوجيا؛ حيث يمكن للإنسان فيها أن يكتسب اللغة في يسر؛ حيث تزداد الصعوبة بعدها في اكتساب اللغة"⁽¹⁵⁾، كما تعتقد أنّ "التعلم صعبا وأحيانا مستحيلا إذا مرت هذه الفترة دون تعلم المهارة المطلوبة، فمثلا يرى عالم السلوك البريطاني ثورب (thorpe) (1958) أنّ طائر الصغنج، وهو طير مغرد يجب أن يمارس التغريد قبل سن البلوغ، وإلا فإنه لن يتعلمها إطلاقا"⁽¹⁶⁾، ومن هذا المنطلق قام العالم لينيبيرج (lenneberg) بتقديم أفكاره عن الفترة الحرجة في الاكتساب اللغوي، ما أقر أنّ اكتساب اللغة هو أيضا له حرجة.

ونظرية الفترة الحرجة نظرية تزعم وجود جدول زمني بيولوجي يحدد هذه الفترة، "والحق أنّ هذه الفكرة ارتبطت أساسا باكتساب اللغة الأولى"⁽¹⁷⁾؛ حيث أجريت بعض الدراسات على الأطفال المرضى الذين تأخروا في اكتساب لغتهم الأولى، وأثبتت هذه الدراسات أنّ هناك فترة معينة لاكتساب اللغة، هذه الفترة يكون فيها ميل وقدرات لاكتساب اللغة، وبعد هذه الفترة يصعب اكتسابها.

وانطلاقا من هذا رأى بعض الباحثين أنّه يمكن أن يكون هناك احتمال "وجود فترة حرجة في اكتساب اللغة الثانية"⁽¹⁸⁾، وبعد إجراء بعض الدراسات "ذهب الاتجاه الكلاسيكي إلى أنّ النقطة الحرجة في اكتساب اللغة الثانية تكون في سن البلوغ؛ حيث لا يستطيع الفرد بعدها أن يتقن لغة ثانية بلكنة أصحابها"⁽¹⁹⁾، بل إنّ بعضهم قد حدد هذه الفترة في سن معينة واستنتج "أنّ التعليم الناجح للغة الثانية يجب أن يتم في سن الثالثة عشر تقريبا"⁽²⁰⁾.

والحقيقة ومن خلال ما تم ملاحظته في تعليم اللغات الأجنبية في الجزائر وجد أنّ المتعلمين يكتسبون ويتعلمون اللغة الانجليزية بسرعة، وأفضل مقارنة باللغة الفرنسية التي يتلقاها قبل هذه اللغة بسنوات (أي المرحلة الابتدائية)، وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على أنّ أحسن فترة لاكتساب اللغة الثانية هو سن البلوغ

وبالتحديد سن الثالثة عشر، لذلك فنحن نرى أن أحسن فترة لتعليم اللغة الأجنبية للمتعلم هي سن الثالثة عشر، ونحن بذلك نضرب عصافيرين بحجر واحد نعلمه لغة أجنبية، ونحافظ له على هويته الوطنية لأنه سيكون في هذه المرحلة أكثر وعيا وأكثر اتقانا للغة الأصلية التي هي رمز هويته. لكن على الرغم من اتفاق العلماء والباحثين على وجود فترة حرجة لتعليم اللغة الثانية، إلا أن " تحديد السن لانتهاء الفترة الحرجة ظل مثار اختلاف فمنهم من يقول إنه السابعة، ومنهم من يرى أنه سن البلوغ، وبعضهم اكتفى بالقول إنه مرحلة بين السابعة، وقبل سن البلوغ" (21). إلا أن هناك من يذهب إلى أنه كلما كان السن أصغر كان الاكتساب أفضل وأسرع ومن أشهرهم سينفلتون ولينقول (Singleton and Lengyel) في كتابهما الشهير عن أثر السن في تعلم اللغة الثانية، يعترفان " بوجود بعض الحالات التي يمكن فيها اكتساب اللغة في سن متأخرة أي بعد انتهاء الفترة الحرجة" (22)، ولعل السبب فيما ذهب إليه من يدعمون فكرة صغر السن في اكتساب اللغة الأجنبية هو إيمانهم بفكرة أن التعلم في الصغر كالنقش على الحجر، وهي في الحقيقة فكرة أثبتت صحتها في الكثير من المجالات التعليمية.

ثالثا: الهوية

حرصت البشرية على المحافظة على تميزها وتفردتها اجتماعيا وقوميا وثقافيا واهتمت بالإعلاء من هوية أفرادها بين المجتمعات، وتعد الهوية من المفاهيم المركزية التي تسجل حضورها الدائم في مجالات علمية متعددة ولاسيما في مجال العلوم الإنسانية ذات الطابع الاجتماعي، وهي بذلك من أكثر المفاهيم تغلغلا في عمق حياتنا وأكثرها شيوعا واستخداما.

وإن مفهوم الهوية من المفاهيم الأكثر صعوبة وتعقيدا نظرا لتنوع دلالاته واصطلاحاته، وتداخله مع مصطلحات أخرى.

1_ تعريف الهوية (Identité): لم تشر المعاجم العربية إلى لفظ الهوية، فهي مفردة جديدة دخيلة على اللغة العربية ولفظ الهوية في اللغة العربية مأخوذ من

"الهو": "الغيب الذي لا يصح شهوده للغير كغيب الهوية المعبر عنه كنهها باللاتعيين وهو أبطن البواطن. والهوية (في الفلسفة): حقيقة الشيء أو الشخص التي تميزه عن غيره، والهوية: بطاقة يثبت فيها اسم الشخص وجنسيته ومولده وعمله وتسمى البطاقة الشخصية أيضا" (23)، فالهوية -إذن- تبرز وتميز الإنسان عن غيره.

وجاء في "تاج العروس للزبيدي" هو: كناية عن الواحد المذكر وفي التنبيه هما وللجماعة هم... والهوية: الأهوية (24)، والهوية كما يعرفها الشريف الجرجاني: "الحقيقة المطلقة المشتملة على الحقائق اشتمال النواة على الشجرة في الغيب" (25) فهوية الفرد هي النواة التي تصدر وفقها أفعاله وترسم كينونته.

هذا من الناحية اللغوية أما من الناحية الاصطلاحية فإن الهوية تتطوي على معان متعددة: "إنها تسمى وتبرز (تظهر) وهي تقوم أو تميز" (26)، وقد اختلف الباحثون والمفكرون في تعريفهم للهوية، فالهوية برأي (ريجارد جنكيز R.Gengis) هي: "جزء مكمل للحياة الاجتماعية" (27)، فهي تتشكل عبر التمييز بين هويات مختلف الجماعات والتي يمكن ربطها بأناس آخرين، وهي "إحساس بالذات ينشأ حينما يبدأ الطفل يتميز عن والديه وعائلته ويأخذ موقعه في المجتمع فهي تشير إلى شعور شخص ما بمن هو وما هي الأشياء الأكثر أهمية بالنسبة له" (28)، ومن هنا فالهوية إحساس وشعور يعرف الإنسان على نفسه، وينسبه إلى مجتمعه.

وغني عن البيان أن في تراثنا الفكري العربي تعريفات كثيرة للهوية، فقد عرفها عبد القاهر الجرجاني بأنها: "الأمر المتعلق من حيث امتيازته عن الأغيار وهي عند ابن رشد: تقال بالترادف على المعنى الذي يطلق عليه اسم الموجود وعند الفارابي هوية الشيء: عيبيته وتشخصه وخصوصيته ووجوده المنفرد له الذي لا يقع فيه اشتراك" (29)، وتحيل هذه التعريفات إلى أن الهوية تميز الإنسان وتعرف به، وتخلق له خصوصيته لا يشترك فيها مع غيره، وهي تعريفات قريبة إلى الفلسفة.

وفي الغرب يعد "غرود باك" **grodbeck** أول من استخدم "soi" و "id" كمصطلح في التحليل النفسي ليدل به على أمر غير شخصي في الطبيعة الإنسانية (30)

ويطلق مفهوم الهوية على "نسق المعايير التي يُعرف بها الفرد ويُعرف، وينسحب ذلك على هوية الجماعة والمجتمع، والثقافة"⁽³¹⁾، فالهوية -إذن- تحدها جملة من المعايير تخلق هوية الفرد والجماعة والمجتمع، فالهوية ليست كيانا يعطى دفعة واحدة بل هي حقيقة تُولد وتتمو وتتكوّن وتتغاير وتشيع.

وتجدر الإشارة إلى أنّ الهوية هي: " تلك السمات الخاصة بمفهوم الذات الفردية في ضوء أسس ومرتكزات لجماعتهم الاجتماعية وعضويتهم الطبقيّة معا ومع ارتباطاتهم العاطفية والتقييمية وغيرها من الارتباطات السلوكية التي تربطهم بهذه الجماعة مؤكّدة انتمائهم إليها "⁽³²⁾، ونستشف من هذا القول العلاقة بين الانتماء والهوية فكل منها يؤثر في الآخر، فالإنسان إذا عرف أنّ هويته ترتبط بهويّة مجتمعه، زاد ارتباطا وتمسكا بمجتمعه.

ترتبط الهوية بالفرد والمجتمع وهي موضوع إنساني خاص، و"إنّ هوية أي أمة هي صفاتها التي تميزها من باقي الأمم لتعبر عن شخصيتها الحضارية"⁽³³⁾ وتجمع الهوية ثلاثة عناصر: "العقيدة التي توفر رؤية للوجود، واللسان الذي يجري التعبير به والتراث الثقافي الطويل المدى"⁽³⁴⁾، فالهوية تتكون باتّحاد ثلاثة عناصر هي: دين يخلق رؤية للكون ولغة تعبر عن الفكر، وثقافته تميّز الفكر وتنميّه وتطوّره.

وبناءً على ما سبق نستنتج ما يلي:

- يصعب أن نجد تعريفا شاملا جامعا مانعا للهوية.
- تختلف الهوية من مجتمع لآخر، فللمجتمع الجزائري هويته، وللمجتمع الفرنسي هويته، فلكل مجتمع خصوصيته، وهذه الخصوصية هي ما يخلق الهوية.
- تتكون الهوية من مزيج من اللغة والدين والثقافة.

2: مكونات الهوية: تستمد الهوية مقوماتها من عناصر راسخة شكّلتها ثوابت

جغرافية يمثلها الوطن بامتداده الجغرافي، ومتغيرات تاريخية يبيح الرجوع إليها فهما أعمق للمستقبل، وتراث مركب قاعدته الراسخة قوة الاعتقاد؛ أي الدين، تترجم معاني

التسامح رغم تباين الأنساب والأعراف والأجناس، ولغة عربية تعدّ بوتقة للانصهار الفكري والوجداني للأمة العربية.

وعليه يمكن حصر مكونات الهوية في أربعة عناصر مرتبطة ببعضها، وأيّ خلل في أحدها يؤدي بالضرورة إلى خلل في باقي مكونات الهوية، ويمكن أن نجمل هذه المكونات فيما يأتي:

أ_الوطن: وينطلق من الأرض " أي من المكان وما يرتبط به من زمان يعكس تاريخه ليشمل مختلف العناصر الطبيعية والبشرية، وما ينشأ عنها من أوضاع سياسية واقتصادية واجتماعية، وأنماط سلوكية"⁽³⁵⁾.

ويمكن اعتبار الوطن هو مجموع من كانت لغتهم الأصلية هي العربية⁽³⁶⁾ والوطن بالنسبة إلينا هو الجزائر بموقعه الجغرافي المتميز.

ب_الدين: يعدّ الدين من أهم مكونات الهوية " بما يكون له من تأثير على معتقديه بشرائعه المكتبة لكل النظم التي تتحكم في سير الوطن، وما يترتب عليها من أفكار ومفاهيم وتصورات، ومبادئ بها يهتدي المواطنون، ويقسمون على كل شؤون حياتهم"⁽³⁷⁾.

فلا يمكننا أن ننسى تأثير الدين في توحيد المشاعر الإنسانية بين الأفراد، لكن هذا التأثير يختلف من دين لآخر فـ: " لكل دين علاقة جوهرية مع لغة معينة وإذا اتحد الدين بلغة من اللغات قوى جذور تلك اللغة وحافظ على كيانها أكثر من جميع العوامل الأخرى"⁽³⁸⁾.

والدين في الجزائر هو الإسلام، والذي أضحي الالتزام به وتقديسه رمزا من رموز الهوية والوحدة الوطنية.

ج_اللغة: تعد اللغة جزءا لا يتجزأ من الهوية؛ " فهي الناطق الرسمي بلسان الهوية ووسيلة إدراك العالم، وتصنيف المجتمعات نظرا لخطرها وشموليتها وهي مسؤولية كل الجهات التي تكوّن عناصر المجتمع"⁽³⁹⁾.

فعلاقة اللغة بالهوية علاقة جدلية تفاعلية؛ فاللغة ليست أداة للتعبير فحسب ولا وسيلة للتواصل بين الأفراد ولا شأنا من شؤون العلم والثقافة والتدريس لكنها شأن من شؤون الهوية والأمن القومي والسيادة الوطنية " وتمثل هي والتاريخ المشترك العنصرين الأساسيين في مفهوم القومية العربية" (40).

إنّ العلاقة بين اللغة والهوية "علاقة قوية لا تنفصم، لهذا كان من أهم مقاييس رقي الأمم مقدار عنايتها بلغتها تعليما ونشرا وتيسيرا لصعوباتها" (41)، يقول الفيلسوف الألماني مارتن هايدغر (M. Heidegger) (1976م) : " إنّ لغتي هي مسكني، وهي موطني ومستقري، وهي حدود عالمي الحميم ومعالمه وتضاريسه ومن نوافذها ومن خلال عيونها انظر إلى بقية أرجاء الكون الواسع" (42).

وهذه المقولة المعمقة ليست حكرا على الفلاسفة والمفكرين، بل هي جارية على السنّ الناس العاديين وعليه فأى تعريف للغة لا يعترف بمحورية الهوية يعد ضربا من (اللغو المفاهيمي)، كما أنّ أي تعريف للهوية لا يراعي اللغة فهو تعريف ناقص، وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على العلاقة القوية بين اللغة والهوية فاللغة هي هوية ناطقة وجزء لا يتجزأ من الهوية.

واللغة كما يعرفها البعض " هوية معبر عنها برموز مفهومة" (43)، وهذا التعريف يبدأ بالهوية ويجعلها مركز التعريف، ويعد اللغة أمرا لازما ضروريا للتعبير عن الهوية، ويعرفها آخر بأنّها "هوية ناطقة" (44)، فاللغة في الحقيقة لا تعبر عن أفكار ومعاني صاحبها إلا إذا انغمست مع هوية صاحبها، وانبثقت منها "فالمعنى يختلف فمثلا حين تلفظ الكلمات من المدير ذي الصلاحية عن تلك التي يلفظها الموظف العادي" (45).

وغني عن البيان أنّ اللغة في الجزائر هي العربية الفصحى، مع ما يعايشها ويغنيها من لغات ولهجات محلية، كما تعد اللغة الأمازيغية هي أيضا لغة رسمية للدولة الجزائرية.

غير أنّ اللغة العربية - للأسف - تعرف اليوم مزاحمة من قبل لغات أخرى والتي تؤثر سلبا على الهوية العربية وتطمسها، ويتجسد ذلك في:

الازدواجية اللغوية^() "bilinguisme": وذلك من خلال تعليم اللغة الفرنسية إلى جانب اللغة العربية في المراحل الأولى من التعليم الابتدائي، ونحن بذلك نجعل اللغة العربية واللغة الفرنسية في المرتبة نفسها، وهذا يعد تهديدا للغة العربية إذ لا مجال للمقارنة بين اللغة الأولى واللغة الأجنبية.

ويظهر ذلك جليا في قول هواري بومدين^(*): "لا مجال للمقارنة أو المفاضلة بين اللغة العربية وأي لغة أجنبية أخرى فرنسية أو انجليزية؛ لأنّ الفرنسية كانت وستبقى مثلما بقيت في ظل الاستعمار لغة أجنبية لا لغة الجماهير الشعبية"⁽⁴⁶⁾.

وبالرغم من الجهود المبذولة والإنجازات المحققة في مجال استعمال اللغة العربية إلا أن الازدواجية اللغوية قد أسهمت في الحد من انتشار اللغة العربية وحسن استعمالها من قبل التلاميذ.

"وإذا سلمنا بوجود هذه الظاهرة اللغوية غير المتكافئة فإننا نرى أنّها لا تعدو أن تكون ازدواجية لغوية قائمة على أساس غير سليم حيث لم تمنح حق تكافؤ الفرص للغتين العربية والفرنسية الذي بموجبه تصبح اللغة العربية لغة العلوم الإنسانية"⁽⁴⁷⁾.

وعليه فاستعمال اللغة العربية هو وحده الذي يمثل تناغما وانسجاما مع بقية العناصر المكونة للهوية الجماعية، لذلك فإن توطين العربية في كل المجالات والقطاعات أمر ضروري وجب النظر إليه بجدية واهتمام.

د_الثقافة

وتتجسد في "التراث الذي تراكم عبر العصور والأجيال إلى ما يجد من إنشاء أبناء الوطن في سائر المجالات العقلية والروحية والعاطفية وما إليها من مهارات تتم عن ذاتهم وشخصيتهم"⁽⁴⁸⁾.

تعكس الثقافة في الجزائر ما للجزائريين من إبداعات وإسهامات أثروا بها الثقافة العربية والإسلامية، حتى بممارسات معيشتهم اليومية المعتادة، ويشمل ذلك العادات والتقاليد والحرف...

رابعاً: مخاطر وسلبيات التعليم المبكر للغات الأجنبية:

إنّ تعليم اللغات الأجنبية سلاح ذو حدين، حد ايجابي وآخر سلبي، فيكون ايجابيا كونه يوسع دائرة الإنسان الحياتية والثقافية ويساعد الفرد في بناء علاقات جديدة بالإضافة إلى أنه يساعده في تلبية متطلبات حياته، لكن كل ذلك سينقلب إلى أمر سلبي على الفرد والمجتمع إذا كان هذا التعليم في مرحلة مبكرة من حياة المتعلم، وبطريقة مبالغ فيها حيث تهتمش اللغة الأصلية للمتعلم، فلا يجب أن ننسى أن لغتنا الأصلية أمام ولعنا بلغة الأخر_ وهذا للأسف_ مما نعيشه اليوم إذ أصبح الآباء يسبقون تعليم هذه اللغات لأبنائهم وذلك ربما لجهلهم بمخاطر هذا الفعل وسنحاول فيما يلي تحديد أهم هذه المخاطر في مستويين أساسيين في بناء هوية المتعلم:

أ_ **مخاطر على المستوى اللغوي:** تكمن الخطورة في ماهية هذه اللغة الأجنبية أي في محتواها التعليمي والإيديولوجي " الذي يؤثر بلا شك على الايدولوجيا العربية والإسلامية، بما يتعارض معها في كثير من الأحيان؛ حيث يختلف المضمون العقدي والديني والموروث الثقافي، والسلوكي والقيمي والخلقي..."(49) وقد أشار إلى هذا احد المختصين بقوله: " وفي الحقيقة إنّ التعليم الأجنبي قد يزرع في الطالب الانتماء إلى اللغة والثقافة الأجنبية بكل ما تحمله من معان وأفكار ومفاهيم لا ترتبط بالتراث الوطني والتربية القومية"(50)، وهذا يؤكد أنّ تعليم اللغة الأجنبية لا يחדش الهوية فحسب وإنما يضربها في الصميم، ولا يتوقف تأثيرها عند هذا الحد بل يتجاوزها إلى إثارة جملة من المشكلات اللغوية لعل أهمها:

* **التداخل اللغوي:** إذ تقر الدراسات أنّ لغة الأطفال تتأثر باللغة الأجنبية التي يتعلمونها، وتسمى هذه الظاهرة في علم اللغة " بالتداخل اللغوي" ويعرف هذا

الأخير" بأنه إبدال عنصر من عناصر اللغة الأم بعنصر من عناصر اللغة الثانية⁽⁵¹⁾، أو هو "انتقال عناصر من لغة إلى أخرى تأثيرها في مستوى أو أكثر من مستويات اللغة المنقول إليها"⁽⁵²⁾، سواء كان هذا التأثير شعوريا (يدركه المتعلم)، أو لاشعوري (لا يتفطن إليه المتعلم) هذا سيؤثر سلبا على سلامة لغة المتعلم الأصلية، وعلى تمكنه من استعمالها والتواصل بها، ولذلك فقد قررت سوريا إلغاء تدريس اللغات الأجنبية في مرحلة التعليم الابتدائي لأنها في نظرها تعيق تحصيل الطفل للغة الأم ونحن نعلم أن اللغة الأم هي أهم مقومات الهوية فتأثرها حتما يؤثر على هوية المتعلم.

* **التعدد اللغوي:** ويعد علي القاسمي من أشهر الذين أشاروا إلى هذه الظاهرة حيث يرى أنه: "إذا نشأ الطفل في أسرة وبيئة تتحدث لغة وطنية غير لغوية (كما هو حالة الطفل الأمازيغي) فإنه سيواجه ثنائية لغوية عند دخوله إلى المدرسة يتعلم فيها اللغة الفصحى"⁽⁵³⁾، وهذا سيعيق بشكل أو بآخر تعلمه للغة العربية الفصحى.

ب_ مخاطر على المستوى الثقافي: إن اللغة وعاء الثقافة، فهي من يعكس ثقافة أهلها، "ولا يمكن تعليم لغة من اللغات دون التعرض لأسلوب حياة أصحابها وقيمهم واتجاهاتهم، وأنماط معيشتهم، لهذا جعلها بعض المهتمين بالتعليم المهارة اللغوية الخامسة"⁽⁵⁴⁾.

والثقافة في أبسط تعريف لها هي: "مركب يشتمل على المعرفة والعادات والفرن والأخلاق والقانون وغير ذلك من القدرات والعادات التي يكتسبها الإنسان بوصفه عضوا في المجتمع"⁽⁵⁵⁾، ولا يستطيع أحد أن ينكر التأثير السلبي لثقافة اللغة الأجنبية على متعلمها، باعتبار أن لكل مجتمع ثقافته، وعاداته وقيمه التي تميزه عن غيره من المجتمعات، لكن مع ذلك نجد أن العلماء يختلفون في هذه القضية، وقد انقسموا إلى ثلاث فرق، فريق يرى أن لثقافة اللغة الأجنبية تأثيرا سلبيا على المتعلم، وفريق ثان يرى عكس ذلك فيقول أن لها تأثيرا ايجابيا، أما الفريق

الثالث فيرى أنّ لتقافة اللغة الأجنبية تأثيرا سلبيا لكن تعليمها ضرورة تجعلنا نتغاضى عن هذه السلبيات.

وسنكتفي نحن بالحديث عن الفريق الأول باعتبار أنّ رأيه هو الأقرب إلى الصحة، وما يعكسه من انحلال أخلاقي وقيمي، وطمس للهوية، حيث يرى هذا الفريق: " أنّ التبعية الثقافية تعد بداية انهيار لروح الأمة وتراثها وفقدانها لتقافتها ودلالة على ضمور قوة أهلها"⁽⁵⁶⁾، وهو الذي أشار إليه ابن خلدون في مقدمته بقوله: " أنّ المغلوب مولع أبدا بالافتداء بالغالب في شعاره وزيه ونحلته، وسائر أحواله"⁽⁵⁷⁾.

والحقيقة هذا ما نلاحظه في مجتمعنا اليوم، وكأبسط مثال على ذلك طريقة اللباس وتصنيف الشعر بما لا يتلاءم مع ثقافتنا ومبادئنا، فهي تعكس ثقافة غربية أجنبية عن ثقافتنا ومجتمعنا وديننا، والأسوأ من ذلك أنّ هذا لا يتوقف عند اللباس وتسريح الشعر، بل يتعداه إلى الجانب الأخلاقي والقيمي والشعور بالانتماء الوطني، كل هذا _حسب رأينا_ هو انعكاس لما تحمله اللغة الأجنبية من ثقافة فالطفل في مرحلة الطفولة لا يستطيع أن يميز بين ثقافته وثقافة غيره، ومما لاشك فيه " إنّ تعليم اللغة الأجنبية في هذه المرحلة (مرحلة التعليم الابتدائي) يחדش الانتماء القومي والوطني، ويجعل الطفل مشتتا بين لغتين لغته الأمّ واللغة الأجنبية بل مشتتا بين ثقافتين مما يحدث تشويشا لغويا وعاطفيا، فاللغة لا تؤخذ مجردة وإنما يأتي معها كثير من الأفكار والتصورات الثقافية مما يؤثر في ولاء الطفل للغته وثقافته، بفضل ما تحاط به اللغة الأجنبية من زخرف، وما تملكه من إمكانيات هائلة ومغريات متعددة."⁽⁵⁸⁾، وعليه فعلينا أن نكون واعين مثقفين بمدى خطورة اللغات الأجنبية على هويتنا الوطنية وعلى مستقبل أبنائنا ومجتمعنا وبلدنا وامتنا فلا يجب أن تحجبنا حاجتنا وحبنا لتعلم اللغة الأجنبية عن حاجتنا وحبنا لوطننا وتمسكنا بهويتنا، فهذا الأخير لا يعد حاجة وحسب بل هو واجب علينا كمواطنين أولا وكمعلمين ثانيا، وكآباء ومربين ثالثا.

خاتمة:

نعدّ ظاهرة التعلّم المبكر للغات الأجنبية من أكثر الظواهر نقشيًا في المجتمع العربي بل وأكثرها خطورة، وهي إن كانت ذات إيجابيات على صعيد الممارسة الفعلية للغة من قبل المتعلم، من خلال إتقانه لأكثر من لغة في سن مبكرة، فإنّها لا تخلو من خطورة تفوق إلى حد ما كبير إيجابياتها، والشيء الذي يجله الكثير هو أنّ هذه الخطورة لا تمس الفرد والمجتمع فحسب بل تتعداهما إلى الأمة العربية ككل، ألا وهي طمس الهوية الوطنية للمتعلّم، وانطلاقًا من هذا، ومما تم طرحه في المداخلة ومن خلال ما اطلعنا عليه حول تأثير اللغة الأجنبية على الهوية الوطنية فقد توصلنا إلى مجموعة من النتائج والتوصيات يمكن أن نجملها في ما يلي:

- 1_ أثبتت الدراسة انتشارا مخيفا لظاهرة التعلّم المبكر للغات الأجنبية، مما أدى إلى تهميش اللغة العربية نتيجة عزوف أهلها عن استعمالها؛
- 2_ إنّ اللغة هوية ناطقة، فإن غابت اللغة أصبحت الهوية بكاء مبتورة للسان والنتيجة تكون الطمس فتصبح مجرد شعار وحبر على ورق؛
- 3_ لا يوجد حتى الآن اتفاق حول السن المناسب لتعليم اللغة الأجنبية، لذلك فنحن نقترح تأجيل تعليم اللغة الأجنبية _ على الأقل _ حتى يتم للطفل ملكته اللغوية الأصلية (اللغة العربية)، وبما أنّ اللغة هي أساس الهوية ووعاء الثقافة، فهي أحق اللغات بالتعلّم وليس غيرها؛
- 4_ اللغة ثقافة، واللغة الأجنبية تمثّل ثقافة أجنبية لذا يجب الحذر والتّثبت في انتقاء ما نعلمه لأبنائنا من هذه اللغات؛
- 5_ نعلم أبناءنا اللغة الأجنبية نعم، ولكن لا بد أن يكون هناك توعية وانتقاء لما نعلمهم إياه؛ لأنّ لكل لغة ثقافة والتّحفاة تؤثر على الأخلاق والسّلك، وديننا ومجتمعنا غير دين ومجتمع اللغة الأجنبية.
- 6_ تحبيب اللغة العربية لأبنائنا، وجعلها في مقدمة اهتمامهم فاللغة هي الناطق الرسمي بلسان الهوية؛

- 7_ توعية أبنائنا بأن اللغة الأجنبية هي وسيلة فقط، وليست غاية لنا فلا نجعلها أكثر من لغتنا، ولا نتكلم بها على حساب لغتنا؛
- 8_ تربية أبنائنا على قيم ومبادئ الهوية الوطنية، وتنبههم إلى أن الهوية ليس بطاقة تثبت انتماءك المكاني فحسب؛ بل هي رابط روحي ونفسي؛
- 9_ ضرورة القيام بحملات تحسيسية لتوعية المجتمع والأسرة بخطورة تحبيب أبنائهم باللغات الأجنبية، وتعليمها لأبنائهم على حساب لغتهم الأصلية على هوية أبنائهم وسلوكاتهم وأخلاقهم؛
- 10_ التأكيد والتشدد في انتقاء مناهج تعليم اللغات الأجنبية من حيث المحتوى وذلك من خلال انتقاء مواضيع ومحتويات تتماشى ومبادئها وتعاليم ديننا ولا تأثير على هويتنا وامتائنا؛
- 11_ توعية أبنائنا بأن اللغة الأجنبية هي وسيلة فقط، وليست غايته في حد ذاتها، بل غايته لا بد أن تكون تعلم لغته التي تعكس انتماءه؛
- 13_ تحبيب الطفل في اللغة العربية من خلال انتقاء مناهج تعليمية تساهم في ذلك، وذلك باختيار محتويات ومضامين تتناسب حاجاته، وتلبي رغباته، وتبين له مدى سهولة لغته وثرائها فيشعر بالمتعة بتعلمها.

المصادر والمراجع:

- (1): محمد مجد، 14 أغسطس 2016، 21:00، <https://mawdoo3.com>
- (2): إبراهيم عبد الكريم الحسين، الجودة في تعليم الطفولة المبكرة، النظرية والممارسة مركز الأبحاث الواعدة في البحوث الاجتماعية ودراسات المرأة، (د.ط)، 2016م، ص23.
- (3): محمد مجد، 14 أغسطس 2016، 21:00، <https://mawdoo3.com>
- (*): اللغة الثانية: هي اللغة التي تكتسب عادة عن طريق المدرسة، ويغلب على اللغة الثانية أن تكون رسمية؛ بحيث تأتي عن طريق المدرسة ويحصل فيها الاصطناع.
- (4): محمد أحمد عمارة، بحوث في اللغة العربية، دار وائل، الأردن، (د.ط)، 2001 ص55
- (*): اللغة الأصلية: يشير هذا المصطلح إلى اللغة الأولى التي يتعلمها الطفل، وتعرف أيضا باللغة الرئيسية، أو اللغة الأم، أو اللغة الأولى.
- (5): سوزان م. جالس، لاري سليكو، اكتساب اللغة الثانية ج1، تر: ماجد الحمد، جامعة الملك سعود، السعودية، (د.ط)، 2009م، ص7.
- (6): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (7): ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (*): الانغماس: أو ما يسمى بالانغماس اللغوي (Bain linguistique)، ويرى عبد الرحمان الحاج صالح ان هذا المصطلح مصطلح خاص بتعلم أية لغة من اللغات إذ لا بد أن يعيشها وأن يعيشها هي وحدها لمدة معينة، فلا يسمع غيرها ولا ينطق بغيرها، وأن ينغمس في بحر أصواتها كما يقولون لمدة كافية لتظهر فيه هذه الملكة.
- (*): التّعلم: نشاط يهدف إلى اكتساب المهارات والحصول على المعرفة الجديدة.
- (*): الاكتساب: هو عملية فهم لغة من اللغات، والقدرة على استخدامها نطقا وكتابة، وهو يتميز عن التّعليم والتّعلم في أنه يحدث بطريقة لاشعورية، ودون بذل جهد في ذلك مثل اكتساب المتعلم للغة الأم.
- (8): نوادي سعودي أبو زيد، محاضرات في اللسانيات التطبيقية، بيت الحكمة، ط1 2012م، ص118.

- (*) : اللغة الأم: يرى جورج مونان أنّ تسمية اللغة الأم تطلق في معناها الدقيق على لغة الأم وكما تطلق توسعا على اللغة الأولى التي يتكلمها فرد معين حتى وإن لم تكن لغة أمه. (9): المرجع نفسه، ص118، 119.
- (*) : اللغة القومية: اللغة المكتوبة التي تعبر عن تراث الشعب وتاريخه، وتعد رمزا لهويته ومستودعا لتاريخه وتراثه. وتكون عادة هي اللغة الرسمية ولغة التعليم ووسائل الإعلام في المجتمع أحادي اللغة. (10): ينظر: المرجع نفسه، ص119.
- (11): ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (12): عبد المجيد سالمى، مدخل إلى تعليم اللغات، مجلة اللغة والأدب، ع5، جامعة الجزائر 1994م، ص135.
- (13): أحمد سمير بيراس، الواقع اللغوي والهوية العربية، دار الفكر العربي، القاهرة مصر (د. ط)، (د. ت)، ص113، 114.
- (14) : حمار فتيحة، الثانوية ودورها في تعليم اللغات الأجنبية، رسالة ماجستير، جامعة الجزائر، 2008م، ص32.
- (15): دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، تر: عبده الراجحي، علي علي أحمد شعبان، دار النهضة العربية، (د. ط)، 1994م، ص 61، 62 .
- (16): خالد بن عبد العزيز الدامغ، السن الأنسب للبدء بتدريس اللغات الأجنبية في التعليم الحكومي، مجلة جامعة دمشق، م27، ع1، ربيع الثاني 2011م، ص763.
- (17) : دوجلاس براون، أسس تعلم اللغة وتعليمها، ص62.
- (18): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (19): المرجع نفسه، ص62.
- (20): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (21): خالد بن عبد العزيز الدامغ، السن الأنسب للبدء بتدريس اللغات الأجنبية، ص763.
- (22): المرجع نفسه، ص764.
- (23): مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية ط4، 1425هـ/ 2005م.

- (24): محمد مرتضى الحسين الزبيدي، تاج العروس، تح: رضا حي عبد الباقي، مؤسسة الكويت للتقدم العلمي، الكويت ط1422، 1هـ/2001م.
- (25): الشريف الجرجاني، معجم التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة القاهرة، (د.ط)، 2004م.
- (26): جيل فيريول، معجم مصطلحات علم الاجتماع، أنسام محمد الأسعد، مر: بسام بركة، دار مكتبة الهلال، بيروت ط1، 2011م، ص100.
- (27): هارلمبس وهولبورن، سيبيولوجيا الثقافة والهوية، تر: حاتم حميد محسن، دار كيوان للطباعة والنشر والتوزيع سورية ط1، 2010م، ص93.
- (28): المرجع نفسه، ص13.
- (29): أحمد بعلبكي وآخرون، الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، ط1، نوفمبر 2013م، ص23.
- (30): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (31): أليكس ميكشيللي، الهوية، تر: علي وطفة، دار النشر الفرنسية، ط1، 1993م ص7.
- (32): هاني محمد يونس موسى، دور التربية في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع العربي، جامعة بنها، (د.ت)، ص12.
- (33): ثائر رحيم كاظم، العولمة والمواطنة والهوية، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، العدد1، م8، 2009م، ص259.
- (34): محمد إبراهيم المبروك وآخرون، الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة (د.ط)، 1999م، ص99-101.
- (35): عباس الجراري، الهوية الوطنية والجهوية، مقال منشور، (د.ت)، ص67.
- (36): بسام بركة وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والترجمة والمصطلح، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، بيروت، ط2013، م1، ص68.
- (37): عباس الجراري، الهوية الوطنية والجهوية، ص68.
- (38): بسام بركة وآخرون، اللغة والهوية في الوطن العربي، إشكاليات التعليم والتربية والمصطلح، ص68.

- (39): المرجع نفسه، ص 82.
- (40): المرجع نفسه، ص 68.
- (41): هاني محمد يونس موسى، دور التربية في الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع العربي كلية التربية، قسم أصول التربية، جامعة بنها، (د.ت)، ص14.
- (42): عبد الله البريدي، اللغة هوية ناطقة، المجلة العربية، (د. ط)، 1434م، ص28.
- (43): المرجع نفسه، ص30.
- (44): المرجع نفسه، ص31.
- (45): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (*): الازدواجية اللغوية في دراستنا يقصد بها القدرة على استخدام نظامين لغويين مختلفين كالعربية والفرنسية.
- (*): هواري بومدين هو الرئيس الثاني للجزائر المستقلة من 1965 إلى 1978.
- (46): عز الدين الصحراوي، اللغة العربية في الجزائر، التاريخ والهوية، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد 5، جوان 2009، (د.ص).
- (47): المرجع نفسه.
- (48): المرجع نفسه، (د.ص).
- (49): أميمة منير جادو، بعض مخاطر تعلم اللغة الأجنبية على اللغة العربية، دنيا الوطن، 2010/12/9، ص7.
- (50): المرجع نفسه، ص8.
- (51): المرجع نفسه، ص12.
- (52): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
- (53): علي القاسمي، الطفل العربي والمنظومة اللغوية في التعليم، المعرفة، ع134 يونيو ص125.
- (54): خالد عبد العزيز الدامغ، السن الأنسب للبدء بتدريس اللغات الأجنبية في التعليم الحكومي، ص770.
- (55): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(56): المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

(57): عبد الرحمن بن محمد ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، تح: عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق، ط1، 2004م، ص283.

(58): أحمد الضبيبي، واقع اللغة الأجنبية في التبادل بيننا وبين الغرب، مجلة مجمع اللغة العربية، القاهرة، ع95، ص227، 239.

تأثير وسائل الإعلام الحديثة في تنمية الملكة اللغوية للطفل الجزائري

أ. ساجية بوخالفي

جامعة: مولود معمري تيزي-وزو

المقدمة:

الطفولة هي الغرسة الأولى لبناء مستقبل الأمم، والأطفال هم ثروة الحاضر وعدة المستقبل في أي مجتمع يخطط لبناء الإنسان، متى أراد أن يحقق تواصله الحضاري مع العالم، كما أن الأطفال هم بهجة الحياة ومتعة النفس، بهم يعتزّ الأولياء ويتباهون، ألم يرد في الذكر الحكيم في سورة الكهف قوله: ﴿أَمْأَلُ وَالْبَنُونَ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرًا مِمَّا كَانُوا﴾¹ فهذه الآية الكريمة تُقرّ بحقيقة مفادها أنّ السعادة أمران: المال والأبناء، وبهما تحلو الحياة.

والطفل هو ذلك الإنسان الذي لم يتجاوز عمره الثامن عشر سنة، ذكرا أو أنثى أي لم يبلغ بعد سن الرشد، وهذا يعني بطبيعة الحال حاجته إلى رعاية وحماية خاصة؛ لأنّ نموه البدني والعقلي لم يكتمل، وهذا يعني أيضا أنه بحاجة إلى أن ينمو وينشأ في بيئة تتوفر فيها أدنى حاجياته، وهذا بحدّ ذاته حقّ من حقوقه فليس العيش بعيدا عن الفقر والجوع والمرض امتيازاً أو رفاهية أو مطلباً عويصاً فهو يستحقّ أن يعيش في ظروف عادية تجعله يتمتع بطفولته وينعم بها مثلما ينعم بها غيره، لا يطلب غير العيش الرغيد الذي يُشعره بقيمة وجوده في هذه الحياة، وما هذا إلاّ مطلب طبيعي، ولهذا تحديدا نجد ارتفاع أصوات عالمية في الآونة الأخيرة تطالب بحقوق الطفل؛ نظرا لما يعيشه من اضطهاد وسوء حياة وسط حروب مدمرة قضت على الأخضر واليابس، وكلّ ما تحمله من تبعات وآفات خطيرة باتت تهدّد حياته من فقر وجوع وبؤس ويئس ومرض وهكذا يفقد إلى أبسط حقوقه كما هو الحال في

بعض الدول الإفريقية (كالصومال مثلا)، يُحرم من المأكل والملبس والصحة والرّاسة، بل أبعد من هذا نجده في بعض الدول يُستغلّ بأبشع الطرائق؛ يُوظف في سنّ غير قانونية، يُعتدى عليه حتّى جنسياً أو يُباع وكأنّ عهد العبودية لم يزل.

أيّ حياة هي هذه التي تسرق بسمة هذا البرعوم الذي لم يطلب سوى الحياة أو أن ينمو في بيئة طبيعية ملؤها السعادة والحنان والرعاية وسط الأهل، الذين يسعون إلى توفير مثل هذه الأجواء بتوفير كلّ ما يحتاجه؟ أهذا كثير عليه؟

مفهوم حقوق الطفل:

هو كلّ ما يحقّ له، وهي حقوق فردية تتماشى وعمره واحتياجاته، بحكم كونه غير قادر على تلبية حاجياته بمفرده.

وقد اتفقت مجموعة من الدول عام 1989م على أنه لا بدّ من وضع اتفاقية خاصة بحقوق الطفل تصدر عن الأمم المتحدة؛ وقد عرف القانون الدوليّ الطفل بأنّه الشخص الذي لم يتجاوز سنّ 18، وعند علماء النفس فإنّ مرحلة الطفولة تنتهي عند البلوغ، وعرفها آخرون بأنها تبدأ من ولادة الطفل إلى بلوغ الحلم.

إعلان حقوق الطفل:

ظهرت منظمات عالمية تطالب بحقوق الطفل بعد الحرب العالمية الثانية خاصة؛ لما نتج عنها من أخطار وخيمة على هذه الفئة المستضعفة، فكتّفت هذه المنظمات جهودها لتوفير الغذاء والملبس والرعاية الصحية للأطفال، وأصبحت "اليونيسف" إحدى هذه الهيئات جزءا دائما من الأمم المتحدة سنة 1953، وبدأت عملها بحملة عالمية ناجحة ضدّ داء العليقي، وهو مرض يلحق تشوهات بالجسم يؤثّر على الملايين من الأطفال، ويمكن معالجته بالبنيسلين.

وفي عام 1959 اعتمدت الجمعية العامّة للأمم المتحدة إعلان حقوق الطفل والذي يحدّد حقوقه في الحماية والتعليم والرعاية الصحية، والمأوى والتغذية الجيدة.

والوضع في العالم يشير إلى المعاناة التي يعيش فيها هذا الطفل، وحسب الدراسات فهناك 250 مليون طفلا يعيشون في البلدان والمناطق المتضرّرة من

الصراعات المسلحة في الجمهورية السورية، وفي أفغانستان وفي السودان والصومال؛ شوهدت الانتهاكات والتجاوزات التي لحقت بالأطفال وراح ضحيتها الآلاف منهم، والأعداد المهولة التي أحصتها الهيئات تلك تدق ناقوس الخطر فراحت تطالب وعلى وجه السرعة القيام بإجراءات للتخفيف من محنة الأطفال ونادت باحترام حقوق الطفل.

وقد ركزت منظمة الأمم المتحدة اليونيسكو على التعليم والتربية، وبذلت جهودا ومنعت تشغيل الأطفال وسطرت برامج خاصة بهم، وسعت إلى تغذية الأمهات والأطفال الصغار من خلال برنامج التغذية العالمي؛ سعيا منها للقضاء على الأمراض المنتشرة.

أهم حقوق الطفل حسب ما جاء في الاتفاقية:

- العناية به وبنموه؛
- حماية الطفل من كل أشكال الاستغلال؛
- حماية الطفل من التعرض للتعذيب بأنواعه، والمعاملات غير الإنسانية والإهانات؛
- العلاج والصحة لغير القادرين؛
- تكاتف الجهود للحفاظ على صحة الطفل والحد من الأمراض؛
- عدم وجود تمييز بين الأطفال وإعطائه الحقوق دون تفرقة؛
- جعله يعبر عن آرائه بحرية ما لم يتجاوز حدود القانون، ويكون التعبير عن الحقوق بأشكال عديدة مثل الكتابة والرسم؛
- حق ممارسة الشعائر الدينية بحرية؛
- حماية الطفل من أي ممارسات عنيفة أو اعتداءات لفظية أو جسدية؛
- الحفاظ على نفسية الطفل وعدم تعريضه لمصادر التوتر والقلق؛
- محاسبة كل من يحاول الإيقاع وإلحاق الأذى به؛
- حمايته من أي أعمال تشكل ضررا عليه، أو خطرا على حياته، أو تعيقه عن التعلم؛
- حق الطفل في الراحة والرفاهية، والاستمتاع بحياته، وتوفير أماكن عامة لتحقيق ذلك؛

- حقّ الطّفل في التّسمية بعد الولادة؛
- حقّ الطّفل في التّعليم المجانيّ بمستوى جيّد؛
- حقّه في التّغذية السليمة والحصول على الغذاء من مصادر سليمة ونظيفة.

منظمة اليونيسيف:

وقع اختيارنا على هذه المنظمة لما توليه من أهميّة للطفولة، من خلال سعيها الدائم لتحسين ظروفها، والدفاع عن حقوقها، وهي منظمة عالميّة إنمائيّة ترعى حقوق الطفل أينما كان، وهي المعروفة باسم صندوق الأمم المتّحدة للطفولة "UNICEF" تأسّست عام 1946، وهي تابعة لهيئة الأمم المتّحدة، ودورها مساعدة أو تقديم خدماتها (مالية كانت أو فنيّة) لمتابعة مشاريع تهتمّ بإغاثة ورعاية الطّفولة في جميع أنحاء العالم، "مقرّها نيويورك" بالولايات المتّحدة الأمريكيّة USA، تتعاون وتتشارور مع منظمات غير حكوميّة تنشط معها، وهي تنشط تقريبا في مئة وواحد وتسعين (191) دولة حول العالم.

تحصلت المنظمة على جائزة نوبل للسلام عام ألف وتسعمئة وخمسة وستين (1965)، لما سطرته من أهداف ومن هذه الأخيرة نذكر:

- رفع مستوى التّعليم من خلال مشاريع تطوير المناهج التّعليميّة، وتقديم دورات تدريبيّة للأطفال؛
- مراقبة نمو الطّفل وتغذيته، من خلال نشر برامج الغذاء الصّحي؛
- العناية بالأطفال الذين يعانون من ظروف صعبة، كالتشرّد والإعاقة من أجل دمجهم في مجتمعاتهم؛
- تعزيز المساواة بين الجنسين؛
- تحسين الوضع الصحيّ للأطفال؛
- مراقبة مبدأ التزام الحكومات باتفاقية حقوق الطفل وبرامج الطفولة.

حق الطفل في التعليم:

يُعدّ التعليم حقاً أساساً من حقوق الطفل؛ إذ يبدأ في التعلّم منذ لحظة ولادته وذلك عن طريق إحاطته برعاية خاصّة، ومنحه الاهتمام من ذويه، وهذه المرحلة حجر أساس في انتقاله إلى مراحل أخرى، وتعدّ المدرسة أهمّها إذ يبدأ في استكشاف العالم من حوله، والتعلّم من محيطه عن طريق دمجّه مع الأطفال الآخرين، واللّعب معهم كما يتعلّم أبجديات الكتابة وغيرها، ممّا يسهم في تنمية قدراته العقليّة، ونموّها نمواً سريعاً، ويكتسب بالتالي المهارات التي تؤسّس لبناء شخصيته.

والتعليم عملية تراكمية، كلّ مرحلة فيها مرتبطة بالتّي سبقتها، ومتى كان التعليم (أساس التعليم) قوياً، كانت النتائج التعليميّة فعّالة.

ومن حقوق الطفل:

- الحق في التعليم الابتدائيّ الإلزاميّ والمجانّي؛
 - الحق في التعليم الثانويّ المتاح للجميع؛
 - المساواة في تلقي المعلومة دون أيّ تمييز؛
 - أن يكون التعليم ذا نوعية جيّدة، قادراً على تخريج جيل جديد من الطلّاب المتّقين؛
 - الحق في التعليم المتميّز، مثل التعليم الإلكترونيّ أو التشاركيّ وغيرهما من الأساليب الحديثة التي تتماشى مع العصر الذي يعيشه أطفال هذا الجيل، وذلك لأنّ التعليم ليس لنيل الشهادات فقط، ولا يقتصر تأثيره على الدّرجة العلميّة وحدها.
- ولا تزال قضية حقوق الطفل تُطرح في مختلف المحافل الدّولية، على الرّغم من الجهود المبذولة في مجال تأمين حقّ الأطفال في التعليم، وبخاصّة عندما تراهم يتركون صفوف الدّراسة من أجل الحصول على قوت يومهم، أو التكلّف بأسرهم لأسباب أو لأخرى، فالمسؤولية هناك لا تقع إلّا على عاتق الدّول والحكومات، التي نصّبت نفسها للدّفاع عن حقوقهم، كمنظمتي اليونسكو واليونيسيف.

ويعدّ «التعلّم عملية ديناميكية، قائمة أساساً على ما يُقدّم من معارف ومعلومات ومهارات، وعلى ما يقوم به المتعلّم نفسه من أجل اكتساب هذه المعارف وتعزيزها

وتحسينها باستمرار»² وفي هذا يظهر نجاح بعض الدول في العملية التعليمية التعلمية عند إيلائها أهمية قصوى للطفل ما قبل سبع سنوات، هذا السن الذي حُدِّد كحدٍّ أدنى للالتحاق بصفوف الدراسة.

وقد اهتمت أمريكا وفنلندا بالتنشئة السوية للطفل من خلال دمجها مع الطبيعة في ملامسة يومية يكتسب منها معارفه ورصيده اللغوي في Silicon valley إذ كان هدفهم إثارة ذكاء الطفل وإبداعه، فقد فهموا أنّ الطفل إذا حُضِرَ ذهنياً كانت قابليته في ما بعد لتلقّي مختلف المعارف والعلوم أكثر، وقد أظهرت هذه التجربة فعاليتها وتأثيرها مقارنة بطفل الدول الأخرى، الذي وُضِعَ مباشرة وفي سن مبكرة في صفّ دراسي، يُلقّن العلوم والمعارف ولا يُنمّي فيه ذكائه، وثبت بالتالي عجزه عن تقبل تلك المعارف.

ومن هنا نطرح تساؤلنا: ما هي الأساليب والطرائق البيداغوجية الناجعة؟ لأنّ تعليم اللغة ليس مجرد حشو ذاكرة المتعلم بقواعد وضوابط، لا بدّ أن يكون المتعلم طرفاً فعالاً من خلال تعامله/تفاعله إيجابياً مع المادة التعليمية فتعليم اللغة لا يهدف فقط إلى وضع قائمة مفتوحة من المفردات، بل إكسابه المهارات المناسبة ليكون طرفاً مشاركاً ويسهم هو نفسه في ترقية العملية التعليمية وتحسينها، وأثبتت الدراسات اللسانية أنّ الفائدة لا تكمن في تخزين كمّ من المعلومات أو المفردات فالمتعلم هو من يتقن في كسب هذه المعارف واكتساب اللغة، حسب ما جاء في قول "تورمان ماكنري": «المعرفة هي تكوين طرائق وأساليب، وليس اختزان معلومات، فالمتعلم يزداد تعلماً بفنّ التعلّم، والمعلم هو صانع تقدّمه»³.

والطفل حقاً متى تركته على هواه، وفي حرية تامة، ووضعته في محيط طبيعي سيكتشف بعض الأمور بمفرده فإن تركته يلعب ويكتسب مجموعة مهارات ثمّ قدّمت له معلومة أو قصيدة ليحفظها، لن يجد صعوبة في ذلك بيد أنّك إذا قدّمت قصيدة لطفل لم تكن له الحرية في التعامل مع المحيط أو الطبيعة، وبالتالي اكتشاف أشياء وتجربتها، ستجد معه صعوبة في تلقّي النصّ أو حفظه.

دور وسائل الإعلام في التربية والتعليم:

لا يخفى على أحد ما لوسائل الإعلام والاتصال في وقتنا الحالي من تأثير على كل شرائح المجتمع، ومع مختلف الفئات العمرية بتفاوت، فهي تؤثر وتوجه وتتقف وتعلم خاصة، ونحن نعيش في ظلّ العولمة الاتصالية وقد أسهمت وسائل الاتصال في القضاء على البعد الزماني والمكاني، منذ انتشر الانترنت انتشاراً واسعاً، ما جعل المعلومة تصل في اللحظة التي تنتشر.

- فما حقيقة هذه الوسائل؟
- وما دورها في التربية والتعليم؟
- وهل هي كفيلة لوحدها في العملية التربوية؟ أم تعمل بالموازاة مع غيرها من مؤسسات المجتمع الأخرى؟

تعريف وسائل الإعلام:

هي مختلف القنوات التي تُمرّر عبرها المعلومة، وتؤدي بها الرسالة الإعلامية من مرسل إلى مستقبل، سمعية أو بصرية أو سمعية بصرية أو مكتوبة. وهدفها يكمن في الوظائف التي تؤديها، وأولها الوظيفة الإخبارية الإعلامية.

وتلعب الوسائط الإعلامية بمختلف أنواعها، أهمية قصوى في تحديد مصير الأمم، وتوجيه الآراء، وزرع القيم، ذلك أنّ «وسائل الإعلام التي يستخدمها المجتمع أو يضطر إلى استخدامها ستحدّد طبيعة المجتمع وكيف يعالج مشاكله وأي وسيلة جديدة أو امتداد للإنسان تشكّل ظروفاً جديدة محيطة تسيطر على ما يفعله الأفراد الذين يعيشون في ظلّ هذه الظروف، وتؤثر على الطريقة التي يفكرون ويعملون وفقاً لها»⁴

وقد عرفها أوتوگروت: «الإعلام هو التعبير الموضوعي لعقلية الجماهير ولروحها وميولها واتجاهاتها، وفي نفس الوقت، فالإعلام تعبير موضوعي، وليس ذاتياً من الجانب القائم بالاتصال الإعلامي، سواء كان تلفزيونياً أم مشتغلاً بإحدى وسائل الإعلام»⁵

والوظيفة الإخبارية تكمن في جمع وتخزين ومعالجة ونشر مختلف المعلومات نقلاً وتعليقاً حسب درجة التعامل مع الخبر أو الحدث الإعلامي، ودرجة التأثير به فليست كل القنوات الإعلامية تتعامل بالكيفية نفسها مع الخبر وقد توزع أخباراً خاطئة للتأثير فقط، أو إثارة المشاعر، حيث أنك تجد وسائل أخرى قد تعتمد إما التكرار أو التجاهل أو التشويق والإثارة، أو تحويل الانتباه، وهنا خطر التعامل مع المعلومة أو الخبر، والأمر هكذا إذا كان المتلقي راشداً، ما بالك إذا كان الإعلام موجّهاً للطفل الذي لا يملك القدرة على التمييز بين الصالح والطالح فهو بالضرورة سيثق بالمعلومة ويتفاعل معها، ويأخذها محمل الجد؛ لأن عقله لم يكتمل بعد، أو قدراته العقلية لم تصل إلى درجة النضج، ليغربل كل ما يقع بين يديه من معلومات.

ومن الوسائل الأخرى "الراديو" الذي يُعتبر من أهم وسائل الاتصال الحديثة التي استخدمت في العملية التعليمية، ولكل برنامج من برامج الإذاعة أثر تعليمي؛ إذ تسهم في إثراء العملية إلى جانب كونها رمزاً للتقدم وعملية من عمليات التنمية الاجتماعية، ومن خلالها يتم كذلك معالجة بعض المشاكل التعليمية، وهناك من يشير إلى دور وسائل الاتصال الجماهيرية التي ستحل محلّ التعليم الصّفيّ.

وإذا أمعنا النظر جيداً في مختلف وظائف وسائل الإعلام، كالوظيفة الاقتصادية البحتة التنموية، وجدنا أن أكثر الوظائف تأثيراً على المتلقين وبخاصة منهم الأطفال، وظيفة الإمتاع والترفيه.

وكلنا نعلم ما لهذه الوسائل من تأثير إيجابي على سلوكيات الطفل، فتسلّهم وتنمّي فيهم روح الدّعابة والإلقاء والمشاركة، فوسائل الإعلام المختلفة، وتلك التي تهتمّ بفئة الأطفال خاصّة، تبعث فيهم السرور إلى جانب الوظيفة التثقيفية والتنموية ما لم يكن الهدف من ورائها مجرد ملء الفراغ، وإشغال العقول، ولا بدّ أن تكون فعالة وتلعب دورها في التربية والتعليم.

أهمية وسائل الإعلام للمتعلم:

تتم في المتعلم حب الاستطلاع والرغبة في التعلم؛ لأنّ الطفل يرغب في هذه الوسائل والأدوات التعليمية الجديدة، التي يكون على صلة مباشرة بها، وتكون بالتالي محفزاً لاكتساب المعارف وإدراكها بأيسر السبل، وقد أثبتت دراسات ميدانية عديدة ما لهذه الوسائل من تأثير إيجابي في دعمها للتعليم المدرسي النظامي بما تقدّمه من برامج ذات صلة بالمحتوى الصّفي، ومن خلال اعتماد الصّورة والصّوت، وقد أثبتت تلك الدّراسات أنّ الطفل الذي يستعين بمختلف الوسائل تلك يزداد نموّه وقابليته للتعلم، ويفتح على العالم أكثر من ذلك الطفل الذي لم يسعفه الحظّ في استعمال الوسائل ذاتها، وثمة دول أجرت تجارب عديدة على مستخدمي تلك الوسائل، والتي أثبتت نتائجها فعاليتها، وبخاصّة في مجال تعلم اللغات، ولعلّ اليابان عند استخدامها الرّاديو في تعليم الانكليزيّة لبعض صفوف المرحلة الابتدائية، أو تايلاندا في تعليم اللّغة نفسها والموسيقى.

ومما لا شكّ فيه أن وسائل الإعلام المختلفة من إذاعة وتلفزيون وصحافة مكتوبة لها خصائصها ومميّزاتها في تعزيز الذاتية الثقافيّة للمجتمع من جهة، وتنمية القدرات الفرديّة من جهة أخرى، بفضل دورها وإسهامها في البناء الثقافيّ والاجتماعيّ.

وإذا أردنا الحديث عن التنشئة الاجتماعية لدى الطفل في وسطه الاجتماعيّ لا يمكن كذلك أن ننفي دور كلّ من الأسرة والمدرسة، ومختلف وسائل الإعلام في عملية التطبيع أو التنشئة الاجتماعية، وكلّ على مستواه يسهم بطريقة أو بأخرى في تشكيل أو تنشيط هذا الطفل، وتبدأ العملية بالأسرة الصغيرة، وكلّ الوسائل المتاحة لها لتعليمه، ثم يأتي دور المدرسة في تنمية القدرات الأولى المكتسبة من المحيط الأسريّ، ليأتي دور الإعلام في تطوير هذه المكتسبات وتفعيلها أكثر، ليظهر ميل الطفل أو نسبة تفاعله مع ما تلقاه من معارف ومكتسبات من مختلف الوسائل التعليميّة ولعلّ التلفاز أكثر هذه الوسائل تأثيراً لاجتماع الصّوت والصّورة، وبالتالي تعدّد المثيرات التي تلقى لدى الطفل استجابة سريعة، تجعله يدخل في عالم التلفاز ويتلقّف

كل صغيرة وكبيرة، فلم تعد هذه الوسيلة أداة اتصال جماهيرية فحسب، هدفها نقل الأخبار المصورة (سواء مباشرة أو مسجلة) بل تتعداها إلى هذه القدرة الخارقة على التأثير والسيطرة والإقناع وفي هذا تحضرنا مقولة "مارشال ماكلوهان" الشهيرة «الرسالة هي الوسيلة» ونظنه محققاً في ذلك، فالمعلومة قد تذكرها مصادر عديدة، ولكن درجة التأثير تختلف من وسيلة إلى أخرى، حسب طريقة تقديم الرسالة، وهنا يبرز دور الإعلامي وشطارته في التعامل مع الحدث، وفي كيفية نقله إلى الجمهور.

ويبقى التلفزيون الوسيلة التعليمية الأكثر نجاحاً لارتباط الأطفال به كل يوم من خلال مشاهدة الأفلام الكرتونية، وغيرها من البرامج، وقد أدرك التربويون أهميته في العملية التعليمية، ومن هنا التخطيط لاستثماره في عملية التعليم والتعلم.

وأما بخصوص الملكة اللغوية، والتي تسعى البرامج عبر مختلف وسائل الإعلام، وحتى عبر شبكة التواصل الاجتماعي (فيسبوك وانستغرام وغيرها...) فقد عرفها ابن خلدون بقوله: «اعلم أنّ اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة، إذ هي ملكات في اللسان، للعبارة عن المعاني وجودتها وقصورها بحسب تمام الملكة أو نقصانها، وليس ذلك بالنظر إلى المفردات، وإنما هو بالنظر إلى التراكيب فإذا حصلت الملكة التامة في تركيب الألفاظ المفردة للتعبير بها عن المعاني المقصودة ومراعاة التأليف الذي يطبق الكلام على مقتضى الحال، بلغ المتكلم حينئذ الغاية من إفادة مقصوده للسامع، وهذا هو معنى البلاغة»⁶

وقد بين لنا من خلال تحليله كيفية تحقيق هذه الملكة التي تتم في تكرارات ثلاثة:

التكرار الأول: صفة متغيرة غير راسخة.

التكرار الثاني: تكرار في الصفة، وأسماء حالاً، وهي صفة متغيرة غير راسخة.

التكرار الثالث: أسماء تكرار الحال، يتم فيه تثبيت الصفة بحيث لا تتغير، وتسمى

حينئذ ملكة.

كما يبين العوامل الأخرى المسهمة في تحقيق تلك الملكة، وذكر كثرة الحفظ والاستعمال.

وقد عرف الملكة لسانيون محدثون، أمثال تشومسكي وعبد الرحمن الحاج صالح فنعوم تشومسكي تتمثل لديه في الكفاية اللغوية والأداء اللغوي، أما عبد الرحمن الحاج صالح فتتمثل لديه في ملكة لاشعورية وملكة مكتسبة قياسية.

ومهما يكن يبقى اكتساب الملكة اللغوية عن طريق السماع، ثم المحاكاة والتقليد، فالممارسة بالتكرار فالتقنين.

وهذه المهارات يكتسبها الطفل من خلال مشاهدته لمختلف البرامج السمعية منها أو البصرية (أو السمعية البصرية) التي تعطيه كما هائلاً من المفردات فيتشكّل لديه الرصيد اللغوي الشخصي، الذي يثريه من خلال تعامله هو بهذا الرصيد، وفق المتطلبات أو المعطيات المحيطة به، فإذا كان هذا الطفل يعاني ضعفاً في الأداء اللغوي أو افتقاراً في القاموس اللغوي، فإنّ جلّ البرامج الترفيهية منها أو التنقيفية التعليمية، المتحدثة باللغة العربية الفصيحة تساعد على تصحيح أخطائه وتسوية لسانه.

وإذا كان هذا الطفل يتحدّث بلغة الأمّ فإنّ مثل تلك البرامج ستساعده على تعلّم اللغة الفصيحة، وهذا قبل الدخول إلى المدرسة. وأثناء التمدّس تظهر الفوارق الفردية بين الأطفال المتعاملين مع تلك البرامج، أو الذين قدموا من دور حضانة وتسنى لهم التعامل بهذه اللغة، وبين أولئك الذين لم تسعفهم الظروف -لأسباب أو أخرى- استعمال تلك الوسائل، أو حتى الالتحاق بدور الحضانة.

ويبقى ذلك أحد العوامل أو المقاييس التي تظهر الكفايات عند هؤلاء، وفي ورقتنا البحثية هذه لم يقع اختيارنا على برنامج محدّد أو معين -على كثافتها وتنوعها- وأردنا فقط تبيان ما لهذه البرامج المختلفة التي تناولها غيرنا بالدراسة والتحليل من أثر في تحقيق هذه الملكة اللغوية.

برنامج افتح يا سمسوم ودوره في ترسيخ الملكة اللغوية:

هو برنامج تعليمي تثقيفي قديم، موجه إلى فئة الأطفال ما قبل التمدرس يساعد على تعلم اللغة العربية، ومعها مهارة الاستماع والحديث. وهو برنامج أثبت جديته، فكان بحق أنموذجاً ناجحاً في تقويم لسان الطفل وقد ظهر بطبعات مختلفة، والطبعة الأولى أمريكية 'شارع سمسوم' SESAM STREET والنسخة الأصلية كانت موجهة للطبقة الفقيرة من السود، التي لم تتمكن من الالتحاق برياض الأطفال، كان برنامجاً معرفياً ثرياً، لقي صدى كبيراً عند هؤلاء سرعان ما انتشرت سمعته، وتم بعد ذلك اقتباسه من قبل دول الخليج من خلال مبادرة الصندوق العربي بالكويت، الذي أسهم في تمويل المرحلة الأولى من الإنتاج، واعتمده بعد ذلك دول الخليج سنة 1977 م بطبعة عربية، ومن مآلا يتذكر أغنية الجنريك (المقدمة) "افتح يا سمسوم أبوابك نحن الأطفال....."؛ ووكل طبعة تساهل حاجة الفترة وتتماشى مع متطلبات العصر وقد حقق نجاحاً كبيراً، وتعرض إليه الباحثون لمعرفة أسباب نجاحه وكيفية استثمار مثل هذه البرامج في خدمة اللغة العربية، علماً أنه ثمة دراسات أخرى أقيمت بالموازاة لمعرفة مدى تأثير وسائل الإعلام في تعليمية اللغة، كبرنامج Spacetoon، وبرنامج تعليمي آخر بعنوان "تحفة الأطفال" الذي يعمل على مهمتين رئيسيتين هما: التعرف البصري على الحروف - التوليف الصوتي.

وهذا البرنامج ديني يعلم الطفل النطق السليم من خلال تجويد القرآن، ويساعد على:

- التعرف على شكل الحرف العربي؛
 - التعرف على نطق الحرف العربي (في جميع مواضعه في الكلمة مع جميع حالات الإعراب)؛
 - التعرف على الكلمات المركبة، وعلاقة الحرف بغيره من الحروف؛
 - قراءة الآيات والسور القرآنية قراءة سليمة.
- و يسعى برنامج افتح يا سمسوم إلى:

- تعليم اللغة العربية الفصيحة بالفطرة والممارسة؛
- مساندة لغة الطفل العربيّ والواقع المعاصر، مع ربط الإعلام بتنمية الملكة اللغوية؛

• معالجة الضعف اللغويّ من خلال حصص البرنامج التي تهدف إلى إتقان اللغة الفصيحة، ولا يمكن أن يتأتى ذلك إلا من خلال تقديم برامج تعليمية باللغة العربية الفصيحة.

وثمة برامج أخرى، كان لها التأثير في إرساء قواعد اللغة، بمراعاة سلامة الصيغ والتراكيب التي يجب أن تكون بسيطة وصائبة، ومعبرة وسهلة الفهم تتناسب وأعمار الصغار على أن تجتنب الأخطاء اللغوية الشائعة (نحوية وإملائية)، وبخاصة عند لجوء بعضها إلى اللغة العامية، فتخرج بذلك عن تلك القواعد، فتقع في هفوات لا يتقن لها الطفل، ويتعلم بذلك لغة تشوبها الأخطاء فيمتلك رصيذا لغويا خاطئا بينما نجد برامج أخرى يهدف واضعوها إلى إنشاء فضاء للأطفال، من خلال برامج تعليمية بلغة عربية فصيحة، حققت الهدف المرجو، فيعود لسان الطفل على ممارستها قبل سن التمدرس، فإذا هو يتعامل ويتفاعل معها، ويحفظها سليمة، ما يسهل عليه استعمالها عند بلوغه سن التمدرس.

وهذه المسألة تروق لبعضهم ولا تروق لبعضهم الآخر، فالمسألة نسبية عندما يتدخل الأولياء في تعليمية اللغة، ويرفضون تعليم أبنائهم اللغة العربية الفصيحة برفضهم استعمال لغة غير لغتهم الأم قبل سن التمدرس، وهذا ما يشكل عائقا كبيرا أمامهم عندما يصلون إلى السن القانونية، فيصطدمون بلغة يجهلونها ويجهلون خفاياها وقواعدها، ما يصعب عليهم بالتالي تعلمها وفق ضوابطها اللهم إلا من يتمتع منهم بسرعة البديهة والحفظ، ويتقبل كل ما يقدم له بعيداً عن التحفظات والأحكام المسبقة، التي يتعمد الأهل أحيانا نقلها إليهم، فيولدون فيهم السلبية والنتيجة بالضرورة نفورهم من المادة المعرفية، التي تعد اللغة العربية وعاءها.

ولو عدنا إلى الملكة اللغوية لوجدنا أن أكثرية الباحثين تعرّضوا إليها وهذا قديماً وحديثاً، فالملكة عندهم هي تلك القدرة الفطرية أو المكتسبة على أداء فعل ما أو أعمال معينة، كما أنها الصفة الراسخة في النفس، التي تمكن صاحبها من التصرف في العلم أو الفن، وإتقان مسالكة⁷.

أمّا تعريف ابن خلدون فهو أكثر التعاريف وصفاً لها، عند اعتباره اللغة الإنسانية ملكة مكتسبة، فهو يقول في مقدّمته: «اعلم أنّ اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده، وتلك العبارة فعل لسانيّ ناشئ عن القصد بإفادة الكلام فلا بدّ أن تميّز ملكة متقرّرة في العضو الفاعل لها، وهو اللسان، وهو في كلّ أمة بحسب اصطلاحاتهم»⁸

ويمكن أن نضيف برنامجين هما "هيا نلعب" و"عالم الطفل" وقد بنتهما التّأفزة الوطنية في عام ألفين (2000م)، اعتمد الأول على الأركان الآتية: "كان يا ما كان" "عيون بريئة" و"حكمة الأسبوع"، أمّا برنامج "عالم الأطفال" فمن فقراته "اكتشف معنا"، "ابتسامة الورود"، ركنان يتكرران في كلّ الحلقات، وركن "صحتك بالدنيا" و"هدية الحصّة" و"بيئتي والطفل والرياضة"، فأركان غير مستقرّة؛ والبرنامجان يتقدّمان باللّغتين الفصحى والعامية، وهنا صعوبة تعلّم اللغة وهذا ما كشفه الهفوات التّنظيمية التي وقع فيها واضعو البرنامجين؛ الأمر الذي أثار سلباً على الطفل خاصّة نقص الجانب البيداغوجي أو الديداكتيكي أو العامل النفسي أو التربوي، الذي يعيق عملية التّعلّم، والملاحظ أيضاً عدم مراعاة بعض المواضيع للإدراك العقلي للطفل فمنها ما كان يفوق سنّه أو لا يتماشى وقدراته وكانت النتيجة عدم تحقيق تلك الملكة اللغوية التي كان يفترض أن يكتسبها من خلال متابعتها للبرنامجين. وتشير دراسات حديثة أيضاً أنّ السلوك القائم على المحاكاة فطريّ لدى الطفل، نذكر منها دراسة "والتر بيجهوت" (walter baghot) الذي ينعت الأطفال باسم الذين جُبلوا على المحاكاة⁹

الخاتمة :

وما يمكن استخلاصه من خلال التحليل السابق أن البرامج التعليمية المختلفة أسهمت وبقدر كبير في تنمية قدرات الطفل لغوياً، ولعلّ القدرة الفائقة والخيالية لديه في مرحلة الطفولة المتوسطة والمتأخرة واسعة النّظير، وكان للقراءة فيها هذه العملية الفكرية والديناميكية وكذا السّماع المدخل لكلّ تعلّم، وبدونهما لا يمكن للمتعلّم ولوج الكلمة المكتوبة أو اكتساب ملكة لغوية؛ إذ يمكن القول إنّ القراءة كانت الحجر الأساس لكلّ بناء معرفي، ومن خلالها انفتح على العالم الخارجي وتمكّن من فكّ رموز الحضارة والتّعايش مع التّقافة المعاصرة، ولهذا يطلب من كلّ الأطراف الفاعلة والفعالة في العملية التعلّمية من أسرة ومدرسة ووسائل الإعلام المختلفة المشاركة في الحفاظ على براءة هذه الطّفولة، والعمل على توفير كلّ الإمكانيات لها من أجل تنمية قدراتها وضمان عيشها في سلام.

الهوامش:

- 1- القرآن الكريم، سورة الكهف، الآية رقم 46.
- 2- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية "حقل تعليمية اللغات"، ط1. الجزائر: 2000، ديوان المطبوعات الجامعية، ص139.
- 3- نورمان ماكنزي، فن التعليم وفن التعلم، تر: أحمد القادري، دط. دمشق: 1973 مطبعة جامعة دمشق، ص
- 4- جيهان أحمد رشتي، الأسس العلمية لنظريات الإعلام، دط. القاهرة: 2002، دار الفكر العربي، ص347.
- 5- فضيل دليو، مقدمة في وسائل الاتصال، دط. الجزائر: 1998، ديوان المطبوعات الجامعية، ص69.
- 6- عبد الرحمن أبو زيد ولي الدين ابن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من وي السلطان الأكبر، دط. بيروت: 2007، دار الفكر ص409.
- 7- مصطفى بن عبد الله الرومي، كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، دط. بيروت: 1992، دار الكتب العلمية، ج1، ص44-45.
- 8- ابن خلدون، المقدمة، ص598.
- 9- شاکر عبد الحميد، نظريات التعليم، تر: علي حسن حجّاج وعطية محمود هنا، دط. الكويت: 1990م، ج2، ص137.

تقاطعات اللغات الأجنبية واللغة الأم

مع الهوية والانتماء

الصراعات العالمية اللغوية وسنن الوجود الهوياتي

بوخاري مليكة

أستاذة مساعدة قسم أ

المدرسة الوطنية العليا لعلوم الإعلام

والصحافة

مقدمة:

إن جدل هيمنة اللغات الأجنبية يعتبر تحدياً يواجه كل الأمم وهذا نتيجة للعولمة التي تطحن كل القوميات والأمم في بوتقة واحدة دون مراعاة الاختلافات التي تتميز بها اللغات القومية أي اللغة الأم للجماعات البشرية المختلفة في كل تفاصيلها وجزئياتها والتي تشكل جزءاً مهماً من بناء الهوية، وكذا تشكيل اللغة لذلك الانتماء الذي يميز الجماعات الإنسانية ويجعلها متنوعة، وفي الواقع تتقاطع بشكل كبير وواضح معادلة اللغات الأجنبية التي تمثل تحدياً يهدف للتنميط الإنساني وهذا نتاج لكل التحولات الإنسانية التي باتت اليوم تتحكم فيها وبشكل كبير العولمة الثقافية.

كما أنّ التأثير الكبير الذي تلعبه اللغات الأجنبية على اللغة الأم لاسيما لغات العولمة والتي تنتقل وتنتشر في كل دول العالم يعد مهددا للتميز والتنوع، والجزائر جزء من العالم الذي يواجه ذات التحديات وخاصة وأنّ الصراعات اليوم تحسم ثقافياً أكثر مما تحسم عسكرياً " فميدان الفكر والثقافة من أهم ميادين الصراع المحتدم بين الحق والباطل، وقد برزت المواجهة الفكرية أكثر فأكثر في العصر الحاضر بعد أن خفت صوت الأسلحة نسبياً، وما تزال دول البطش والاستكبار تشن حروبها على الدول والبلدان، وتغرق العالم بزبدتها الخاثر وسيلها الجارف؛

لتشكيل العقول ووفق النمط الذي تريد¹، وهنا تكمن الخطورة الفعلية على الفرد بشكل عام وعلى الطفل بشكل خاص.

والأكيد أنّ اللغة تؤثر على الانتماء والهوية التي تشكل اللغة جزءاً مهماً منها في محيط ملغم وخطابات متعددة الاتجاهات، ولعل ما يحاك في مخابر السياسة يتجاوز هدفه نشر اللغات وإنما التوسع اللغوي في أكبر منطقة جغرافية ممكنة لتكون أداة حاملة للثقافة والهوية إذ " كان للغة أثرها البالغ في صياغة التفكير وتشكيل الثقافة، بذل المستخرب ما في وسعه لعزل لغة المسلمين عن واقعهم وتهميشها في حياتهم؛ بتعمد إقصائها وإشاعة اللهجات الأجنبية والعامية المحلية محلها؛ حتى يهيمن الغزو الفكري على اللغة والمعتقد والفكر والسلوك"، وحتى يصبح تقسيم هذه المجتمعات سهلاً في ظل مخططات عالمية كمخطط الشرق الأوسط الكبير، والمخطط الأممي لبرجنسكي، وما يطرح في صراعات الحضارة التي يقترحها صمويل هنجكتون لاسيما في جزئية اللغة.

ونشير هنا إلى أنّ تأثيرات اللغات الأجنبية لما تتجاوز خط المعرفة تصبح تهديداً على كل المجتمعات الإنسانية التي تمثل القوميات، والدول الوطنية أو حتى الأمة، فما هي تداعيات اللغات الأجنبية على الانتماء والهوية لاسيما على الأطفال الذين يعتبرون مستقبل الأمم ؟

1- اللغة الأم كرافد للهوية والانتماء وتأثيرها على الطفل:

يعتبر الإنسان كائنا لغويا، اجتماعيا واتصاليا يتحرك في حيز عالمي كبير يتميز بالتنوع من جهة وبالصراعات التي تحيط به في كل المجالات لاسيما جانب صراعات الهوية من جهة أخرى فالإنسان كائن لغوي ومفكر ويقضي حياته متصلا متكلماً يخرج باللغة والفكر، من البهيمية إلى حد الإنسانية، اللتين تشكلان شروطا إنسانية وبقاءه ولا سبيل له إلى معرفة الأشياء إلا بتوسط اللغة، التي تنقله من كائنه الإنساني إلى كائنه الكلامي، بمعنى أنّ لا سبيل إلى بقاء أحد من الناس

وجوده من دون كلام.²، لكن حقيقة هذا الكلام/اللغة هو أنه متنوع ومختلف من حيث الجغرافيا والأعراق، والألسن والتي تتميز عن بعضها البعض رغم تقاطع الكثير منها في تمفصلات الاحتكاك والاستعارة وهذا راجع للظروف التاريخية التي جعلت الإنسان ينتقل ويسافر فيلنقي بغير لسانه في محيط أكبر من محيطه الذي عاش فيه، لكن الآن تطرح حقيقة تأثير اللغات العالمية في شكل فرض نموذج عالمي موحد يسعى لأن يطغى على باقي القوميات اللغوية للأمم لاسيما اللغة الإنجليزية والتي تريد من خلال انتشارها وتوسعها وهيمنتها أن تكون هي البديل للغات الأم في العالم من خلال تواجدها في الحياة العلمية بشكل خاص حيث تصنف اليوم على أنها لغة العلم كالإنجليزية مثلاً " ويُعزى ذلك إلى السهولة النسبية لتعلم اللغة الإنجليزية (وخاصة بالمقارنة مع اللغة الصينية) وانتشار الثقافة الأمريكية والتي تعني أن اللغة الإنجليزية سوف تستمر في الهيمنة على المسرح العالمي بالنسبة للبعض، يُمثل تعلم اللغة الإنجليزية مرادفاً لتحقيق الفرص والتطلع إلى نوعية حياة أفضل"³، ورغم كونها لغة علم وتعلم وإنتاج ثقافي إلا أن الدور الأساسي المنوط باللغة الأم هو المحافظة على الانتماء للأمة وكذا كونها رافداً أساسياً في تواصل البناء الثقافي والهوياتي للمجتمعات التي تختلف في تفاصيلها وهويتها عن باقي الأمم وهي السنن الكونية المبنية على الاختلاف لا المبنية على التّطابق" فلحفاظ على مكونات الهوية الثقافية للمجتمع تعد اللغة في مقدمة المكونات الأساسية فأهم ما يميز مجتمعاً عن بقية المجتمعات هو لغته التي بها صاغ أسلوبه وتجارته في الحياة، وتشكلت شخصيته وفكره ونظرته الخاصة للعالم وعبر عن عواطفه ومشاعره ووجوده وكيانه.⁴، فلإنسان يعبر عن مكوناته من خلال اللغة الأم التي تكون بمثابة الرابط الأساسي بينه وبين المحيط الخارجي الذي سيحتك به ورغم إيجابيات العولمة اللغوية التي تحيط بنا إلا أن الجهود التي تبذل على المستويات العالمية والمحلية تهدف للحفاظ على "هوية لغة الأم التي تحافظ على

هوية وانتماء الفرد للمجتمع" وهذا مع الحفاظ على باقي اللغات المحيطة للغة الأم والتي تشكلت عبر التميز ذاته للمناطق ولمدى تأثير الجماعات الصغيرة في المجتمع العام لكن ما يلاحظ أن اللغات المحيطة للغة الرئيسة أو المركزية تكون فيها الجماعات متوافقة بشكل كبير في جزئية العادات والتقاليد، الثقافة بشكل عام أي الهوية والانتماء، عكس اللغات التي تريد الهيمنة بغرض السيطرة والحصول على امتيازات توسعية أي أنّ لها تلك النظرة "الاستعمارية التدميرية لمكون الثقافة والهوية بشكل خاص، ويذهب الكثير من العلماء أنّ اللغة هي بمثابة الهوية إذ يرى علماء اللسانيات أنّ اللغة والهوية شيء واحد والمقصود بالهوية هنا هوية الفرد وهوية المجتمع، ولهذا يمكن تأسيس الكيانات الاجتماعية والسياسية على أساس لغوي، ومن هنا تأتي خطورة المكون اللغوي في تحقيق أو زعزعة الاستقرار السياسي للمجتمعات، ولقد كانت اللغة عاملاً حاسماً في التمييز بين العدو والصديق في حين الحروب.⁵، ونشير هنا إلى أنّ التاريخ الاستعماري عبر الحقب والعصور أثبت أنّ محاولة نشر اللغة هو سلاح استخدم لهدم الهوية للدول التي يتم احتلالها والنموذج الفرنسي في الجزائر شاهد على ذلك في محاولة الاستعمار أن يمحو اللغات الأم في الجزائر وجعل اللسان الجزائري لسان فرنسي لتسهيل من ثم عملية غرس القيم والمبادئ الفرنسية وهو ما أقره وأكدته كتاب التاريخ.

وذاك الشيء لا يزال قائماً إلى غاية اليوم فنلاحظ حديثاً أن القوى العظمى في العالم تتناحر لتكسب مواقع في أقاليم لا تنتمي لنفس السياق القيمي ولا الحضاري مثل ما يحدث في سوريا مثلاً فروسيا تريد أن تجعل اللغة الروسية لغة أجنبية حاضرة في سوريا هو دليل آخر على أن حقيقة هذه الصراعات على المنطقة العربية الغنية بالاختلافات المتوافقة فيما بينها تهدف بالأساس لفرض هذه اللغة التي تسعى من خلالها روسيا لأهداف تتجاوز التعليم والتعلم لاسيما عند الناشئة وحسب تقرير يهتم بمتابعة التطور الذي تعرفه اللغة الروسية في فلسطين وسوريا فإنه جاء

فيه التالي: " أصبح ازدياد شعبية اللغة الروسية في سوريا نتيجة للدعم الذي تقدمه روسيا لهذا البلد. وبعد قرار دمشق بإدراج اللغة الروسية في المناهج الدراسية كلغة أجنبية ثانية قد ازداد نشاط انتشار اللغة الروسية في سوريا بشكل ملحوظ، يُطلب من مشروع "اللغة الروسية في سوريا" التابع لصندوق دعم المبادرات الإستراتيجية أن يلعب دوراً هاماً في هذه العملية، وكما تبين فإن اللغة الروسية يتم تعلمها بشكل جيد من قبل الأطفال السوريين. وفقاً لنتائج الامتحانات في الصف التاسع من عام 2017: نجح 84% من التلاميذ في اجتياز هذا المادة بنجاح. وكما قالت سفيتلانا رودينا معلمة اللغة الروسية في جامعة دمشق: "إن اللغة الروسية في سوريا مطلوبة اليوم أكثر من أي وقت مضى. وهناك دافع جيد لتعلمها. يستطيع التلاميذ الذين اختاروا اللغة الروسية مواصلة دراستهم في جامعة دمشق أو الذهاب إلى الدراسة في روسيا وهم يعرفون اللغة بالفعل. لا يستطيعون الانتظار لطلاب خريجي قسم اللغة الروسية في المدارس ويضمن لهم مكان عمل. وهناك حاجة إلى المتخصصين الذين يعرفون اللغة الروسية في مجالات أخرى. توفر اللغة الروسية الوصول إلى الحصول على تعليم عالي الجودة وإنجازات العلماء والفنانين والتراث الثقافي الغني. وتسهم دراستها في التنمية الشاملة والتوسع في الآفاق والنمو الوظيفي للمتخصصين في مختلف مجالات المعارف⁶، ونشير هنا إلى أن هذا التوجه تباركه وزارة التعليم الروسية التي تقترح في البرنامج نقل الواقع الروسي للطفل السوري، كما أن مشروعاً يهدف لغرس القيم والثقافة الروسية في الطفل السوري، وهو ما سعت له فرنسا وتسعى له لغاية الآن من خلال برامجها التعليمية عبر العالم والتي تصنف ضمن دبلوماسيتها الثقافية الموجهة للعام لرفع نسبة الأفراد المتكلمين بلسانها الفرنسي عبر تأسيس مدارس وثانويات عبر مختلف أنحاء العالم، وهو المشروع المعروف بتمويله من طرف وزارة الخارجية الفرنسية التي تمنح امتيازات للمتعلمين في معاهدها ومدارسها.

ويمكن أن نوعز هذا الاهتمام بالنظر للدور والوظائف التي تحقّقه اللغة لدى الفرد لاسيما الأطفال الذين يتواصلون عبر اللغة مع المحيط وكذا ينقلون أفكارهم من خلالها " فقد حدد الباحثون الكثير والكثير من هذه الوظائف التي اختلفت باختلاف التعاريف المقدمة لمفهوم اللغة في حد ذاته، وفيما يلي نوضح أهم الوظائف التي تقوم بها اللغة وهي:

الوظيفية التعبيرية: تشمل هذه الوظيفة التعبير عن أفكار وسائر العمليات العقلية البسيطة، والمركبة التي يريد الإنسان التعبير عنها.

الوظيفة التواصلية والاتصالية: وتتمثل هذه الوظيفة في دور اللغة في التبليغ عن المعلومات والتعبير عنها وتبادلها بين الأفراد فبالنسبة لعلماء النفس والفلسفة لا تعدو اللغة أن تكون مرآة يعكس عليها الفكر فهي الوسيلة لتجميع الأفكار والتعبير عنها، ولهذا أكد جقونز على أنّ اللغة في نشأتها الأولى كانت تستعمل في غرض الاتصال والتواصل على وجه الخصوص هذا الذي جعله يحدد وظائف اللغة في ثلاثة أمور أساسية وهي:

اللغة كوسيلة تفاهم.

اللغة كأداة صناعية تساعد على التفكير.

أداة تسهم وبشكل فعال في تسجيل الأفكار والرجوع إليها، وهذا يعود إلى كون وظيفة اللغة هي نقل الأفكار والتعبير عنها.⁷، من خلال ما سبق نقف عند حقيقة مهمة هي أن اللغة تنقل الأفكار وتعبر عنها وتصنع التفكير وتعتبر وسيلة تفاهم بين الأفراد فإن حققت هذه الوظائف بين مختلف أفراد المجتمع تحققت "وحدة الشفرة" الاتصالية التي تكون الهوية والتي تقدم بأنها: "الكلمة القادمة من عالم الفلسفة والتصوف، وقد ولدها العرب والمسلمون قديماً من النسبة إلى (هو) أو (الهو) لتؤدّي معنى فعل الكينونة في اللغات الهندو-أوربية، الذي يربط بين الموضوع والمحمول، ثم عدلوا ووضعوا بدلاً من هو (الموجود) ومن الهوية (الوجود) (...)

ونذكر أن الهوية تكون هوية فرد كما تكون هوية جماعة، وهوية الفرد تكون هوية بسيطة، (...) وقد عرض المنظرون لمسألة الهوية لتلك الحالات، وحصروا العوامل التي تشكل الهويات فيما يلي: الجنس، أو الأصل، أو العرق، الدين، التاريخ، الجغرافيا، التكوين النفسي الثقافي، الإرادة أو المشيئة، الاقتصاد، بالإضافة إلى اللغة ويمكن أن نزيد الدولة، وهو عامل فعال رآه بعض الماركسيين غير ستالين.⁸، وتسعى الجماعات التي تشكل المجتمع للحفاظ عليها ولنقلها للأجيال "لأنها تمثل الجماعة الإنسانية، والتي تمثل اللغة لكن إن بات هناك سطو على هذه الشفرة من اللغات الأجنبية فتحل محل اللغة الأم أي اللغة المركزية وكذا اللغات المحيطة فتكون بمثابة تهديد للانتماء والهوية، ورغم أن الكثيرين يطرحون حقيقة نقل الهوية بلغات أخرى وهذا لا يخالف المنطق، لكن الخطورة تتمركز لما تريد جماعة من خلال لغتها أن تفرض هوية وانتماء مخالف تماماً لما تتميز وتتنوع به جماعات أخرى ومجتمعات أخرى، وهو الواقع الذي تريد اللغات العالمية وليس فقط لغات العولمة أن يصبح واقعا لتصبح أكثر قوة وانتشاراً وسيطرة لاحقاً لأنها تريد لهويتها أن تسيطر وأن تنمط "المجتمعات" فاللغة تنقل الهوية التي تحاول القوميات الضعيفة أن تحافظ عليه وحتى القوميات القوية لأن طبيعة الصراعات موجود منذ الأزل في محاولة لفرض نمط واحد.

ويضاف لما ذكر آنفاً هو أن حقيقة تأثير لغات العولمة على الفرد خاصة الطفل الذي تحاصره من كل المجالات التي تنقل من خلالها اللغة فنجد أن وسائل الإعلام السمعية البصرية تسهم في ذلك بطبيعة البرامج التي تنقل اللغة والثقافة، وحتى إن كانت برامج مترجمة فهي تنقل هوية، ثقافة ومكونات البلد الذي تم فيه إنتاج المادة الإعلامية، بالإضافة لتعرض الطفل لمختلف الوسائط التكنولوجية الحديثة والتي يمكنه الولوج إليها من خلال معرفة اللغة التي برمجت بها كالألعاب الإلكترونية أو السيل الكبير الذي يتلقاه عبر مختلف المواقع الإلكترونية عبر الشبكة، فتكون اللغة

مفتاحا "للتساؤلات والمشكلات" التي تواجهه ويكون الحل بلغة مغايرة للغة الأم والتي في هذه الحالة لا تمثل لغة الحضارة والتطور التقني رغم تواجدها عبر الشبكة، والطفل في هذه الجزئية لا يتحمل مسؤولية ذلك لاسيما لو تم تعرضه لغير اللغة الأم في مرحلة نمو العمليات العقلية لديه لأنه يكون في مرحلة التلقي والاتصال وهو يحاول أن يبني تصوره العقلي فيها " إنه لتطور مضطرب ابتداء من المرحلة الحسية-الحركية بشكلها الأولي وانتهاء بمرحلة العمليات العقلية الموعلة في التجريد، هذا هو ما حاول علم نفس الطفل أن يعكف عليه خلال الثلاثين عاماً الماضية، (...) والذكاء العملي الخالص يبدأ في مراحله الأولى على صورة إدراكات وحركات بوصفها وسائله الوحيدة قبل أن يتسنى له التمثيل أو التفكير (...) إنَّ التطور التلقائي للذكاء يبدأ بالنشاط الحس حركي الأول مروراً بالنشاط الحسي وانتهاءً بالعمليات الشكلية المعنوية ويتسم بترسيخ اتساق مستمر من نظم التحولات أو التبدلات"⁹، وفي كل مراحل النمو العقلي للطفل يحتاج لشفرة موحدة أي لغة ليعبر عما ذكر بواسطة التصورات العقلية التي تكون عادة بلغة الأم، لكن هل حضور لغة الأم، ونحن هنا لا نشير إلى عدم تعلم اللغات الأجنبية والتي تكون كقيلة بفتح أفق أخرى نحو ثقافة ولغة الآخر وإنما التأثير الذي ينجم عن فرض لغات أخرى في منظومات تخاطب الناشئة كما في البرامج التربوية التعليمية مثلاً وهنا تكمن المفارقة لأنه هناك العديد من الأمثلة الناجحة في التعليم باللغة الأم في العالم أو في الوطن العربي مثل ما كان عليه في دولة سوريا حيث يكون التعليم باللغة العربية "اللغة المركزية" واللغة الأم في مختلف الأطوار التعليمية والتخصصات كالتب، وجراحة الأسنان، والصيدلة مثلاً.

ولعل هذا الطرح تكمن أصحيته من حقيقة وجود هذه العلائق المترابطة بين اللغة/الهوية/الانتماء " ففي سياق الهوية والانتماء تبدو اللغة، وتبدو الثقافة الوعائين الرئيسيين للرأسمال المعنوي للأفراد والجماعات، ضمن الهوية والانتماء على حد

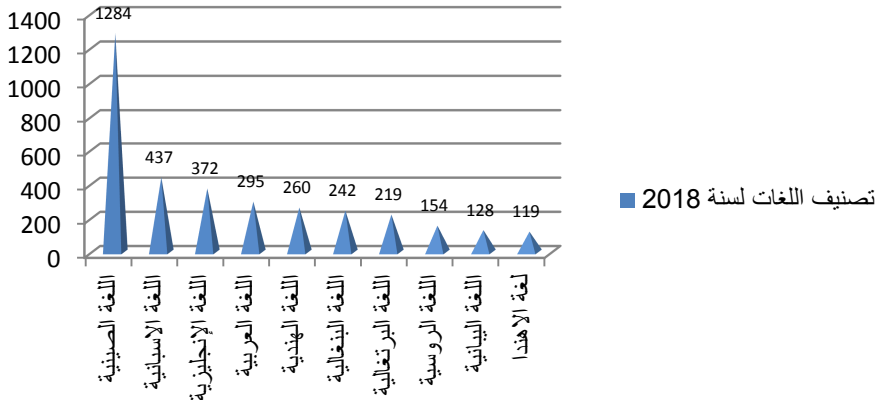
سواء وإذا كانت الثقافة نظاماً مادياً ومعنوياً لشعب أو شعوب أو هويات جماعية في مجال معين، فإن اللغة بحسب ما يرى نعوم تشومسكي هي دافع فطري إنساني لا تدخل في الثقافة أو في التعبير عنها إلا عندما ينمو الفرد، وينظم إلى نظام الرموز لشعب معين أو منطقة معينة¹⁰ وهنا تكمن ضرورة الحفاظ على اللغة الأم التي تسهم لاحقاً في شعور الفرد بالانتماء للجماعة التي يرى فيها بناء هذا الانتماء لذا لا بد من الحفاظ على اللحمة اللغوية للطفل أولاً حتى لا تضيق معه الهوية والانتماء في حالة وجود التأثير الكبير للغات العالم المعولمة، ورغم أن الواقع ليس سوداوياً إلا أن كل الأمم تريد أن تحافظ على هويتها في ظل العالم الذي ليس له حدود الآن سواء جغرافياً، فكرياً، لغوياً أم حتى هوياتياً.

2- الصراعات اللغوية والحضارية في عصر العولمة:

المتصفح لكتب التاريخ والحضارة سيستشف أن حقيقة هذه الصراعات تتقاطع بين مفهومي صراعات الحضارة، وصراعات الأصولية كما يقول الباحث عبد الله إبراهيم في دراسته المعنونة ب: *العالم المعاصر وتنازع المركزية الثقافية* حيث يقول "لقد ظلت الثقافة بوصفها منظومة للتصورات الذهنية حاضرة في كل الصراعات عبر التاريخ، ومن ذلك فقد استخدمت الثقافة في الفكر الغربي الحديث كوسيلة لتثبيت ضروب من التمايزات بين ما هو غربي، وما هو غير ذلك، وبدأت تبني على ذلك سلسلة من التراتبات الثنائية بين ما للغرب وما لسواه، (...) فقد كان ينظر إلى الثقافة الغربية على أنها المعيار المناسب للتفريق بين ما للغرب وما لغيره (...) ولم يبق ذلك أسير الأفكار المجردة إنما شمل علوم اللغة والتاريخ والأعراق والفلسفة والأنثروبولوجيا وحتى علم الأحياء وكلها وظفت في إبراز هذا التمايز"¹¹. ولعل الظرف التاريخي لم يتغير بعد وهو ما يخشى منه في توصيف اللغات الأم على أساس أنها لغات لا ترقى للغات العالمية الناطقة بالعلم والحضارة وهو الناموس العالمي الذي يرتبط به التفوق بتفوق الأمم الحضاري، لكن الطرح

الذي يقدمه هنتنغتون حول صراع الحضارات والذي يخصص جزءا منه للغة يقدم نظرة أخرى فيقول الباحث **شتيفان فليد** * " إن نظرية هنتنغتون الرئيسية تقول بأن خطوط التقسيم بين البشرية ستصبح ثقافية، إذ ستختلف الحضارات التي تعد ذات التنظيم الثقافي الأقصى، عن بعضها من ناحية الدين، التاريخ، واللغة والتقاليد، وستصبح الخطوط الفاصلة بينها عميقة ودائمة الأهمية، فمن يوغسلافيا مروراً بالشرق الأوسط، إلى آسيا الوسطى تحدد خطوط انقسام الحضارات جبهات الصراع في المستقبل، وفي بداية مرحلة الصراعات الثقافية هذه يجب على الولايات المتحدة أن تكون تحالفات مع الثقافات المماثلة وأن تنشر قيمها إلى أبعد حد ممكن"¹²، وجزئية هذا الطرح التي نتطرق لها هو عنصر اللغة الذي تبنى عليه الصراعات وكذا سعى هذه الدول القوية إلى فرض نمطها ولغتها على القوميات الصغيرة التي تحيط بها سياقات غير عادلة لكن ذات الطرح القائم على الصراع لا على الحوار يخلص إلى حقائق مهمة جدا في ترتيب اللغات العالمية مثلاً والتي تصنف انتشار الدول من خلال عدد الناطقين بها والذي قد ينفي جزئية الطرح في مدى الانتشار والتوسع للغات فحسب تصنيف أكثر اللغات تحدثاً 2018 نلاحظ أن هناك تنافس عالمي بين اللغات نبينه كما يلي :

تصنيف اللغات لسنة 2018

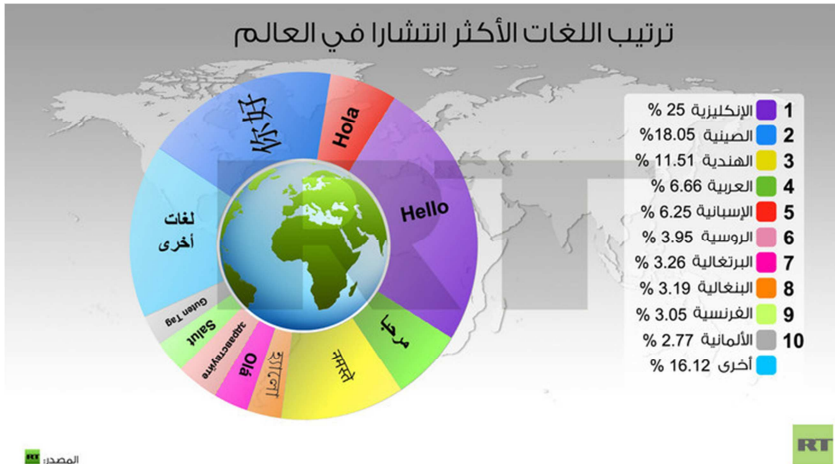


يوضح هذا الترتيب أن اللغات المركزية في العالم هي لغات تقاس بعدد المتحدثين بها في العالم وهذا يعد عامل قوة أيضاً، ولعل الانخفاض في عدد سكان الصين في 2018 واجهته الصين بكل حزم بالرغم من سياساتها الرامية للحد من عدد الولادات إلا أنها من باب آخر تدرك قوة العامل البشري في الحفاظ على قوتها في كل المجالات بما فيها اللغة الصينية التي تريد أن تنتشر في الأخرى في العالم لاسيما وأنّ العملاق الصيني يسيطر بشكل كبير على الجانب الاقتصادي الذي لا يتخوف منه فقط الدول الضعيفة وإنما حتى الولايات المتحدة الأمريكية، وهذه الصراعات التي تريد أن تحافظ على تنوعها وتميزها تسعى حتى التكتلات القوية لصدها مثل ما تقوم به فرنسا لدحض اللغة الإنجليزية وأيضاً البرامج السمعية البصرية المتحدثة باللغة الإنجليزية، والتي تراه فرنسا عامل تهديد للثقافة واللغة والهوية الفرنسية، فطبيعة الصراع هنا مبني على اللغة كعامل محافظ على الهوية "الحصار الجديد داهم العقلانية وثقافتها مما كنا نتباين بشأنه ولم تعد المسألة قضية غزو ثقافي وفكري غربي للعالم الثالث بل غزو للكون وفي مقدمته الغرب ذاته الذي نتصارع معه (...). من خلال المشروع التتميطي الثقافي الكوني وتشكل

الثقافة الالكترونية وقوتها حالته الجديدة"¹³، ولعل اكبر تجلٍ يظهر حدة الصراع حتى بين الدول المتطورة هو التحذير الذي أطلقته أوروبا وعلى رأسها فرنسا "صرخة القارة الأوروبية بالفرنسية لوقف هذه العولمة: يا ثقافات العالم اتحدي ضد الغزو الثقافي الأمريكي وتخلصي من وطأة الانجليزية".¹⁴

أما حسب قناة روسيا اليوم فإن أكثر اللغات انتشاراً في العالم لسنة 2015 والتي يعني اللغات أكثر انتشاراً جغرافياً في العالم وليس الأكثر تحدثاً فهي كما

يلي:¹⁵



وما نستنتجه من الترتيب السابق أنّ قوة انتشار اللغات في العالم في ظل العولمة ولغات العولمة هو في صالح اللغة الإنجليزية، رغم أهمية التعداد البشري الناطق بأي لغة كانت، فتكون هذه اللغات كالإنجليزية هي "لغة العلم ولغة الثقافة" أو على الأقل لغة الثقافة التي يراد لها أن تنتشر في الدول الأخرى لاسيما وأن احتدام الصراع بات اليوم بشكل مباشر بالنظر للقطبية الأحادية التي تهيمن على العالم رغم وجود قوى عملاقة سائرة في طريق النهوض، غير أنّ هنتنغتون يظهر تخوفاً من انتشار اللغات الأمّ للأمم على حساب اللغة الإنجليزية التي بنى عليها

جزءاً من فكرة صراع الحضارة الذي يقترحه " فيفرد صموئيل هنتغتون الفصل الثالث من كتابه صدام الحضارات للكلام على مدى صحة القول بوجود حضارة عالمية في ضوء معياري التحديث والتغريب، ويخص اللغة في هذا الفصل بعنوان فرعي مستقل انسجاماً مع اعتقاده الراسخ بأن العالم مرشح لمزيد من الاستقطاب الحضاري وليس لمزيد من الانفراج الحضاري بوجه عام وأنّ الغرب مرشح لتهديدات حضارية قادمة، (...) وبيّن هنتغتون أن ثمة انخفاضاً ملموساً على مستوى العالم في عدد الناطقين بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والروسية واليابانية في المقام الأول، وأن ثمة انخفاض في الناطقين بالماندرين الصينية، وأنّ هذا الانخفاض تناظره زيادة ملموسة في عدد الناطقين بالهندية والمالوية، والعربية والبنغالية والاسبانية والبرتغالية".¹⁶

3- اليونسكو والحفاظ على اللغات الأمّ الأصيلة:

تسعى منظمة الأمم المتحدة إلى الحفاظ على اللغات ومن خلالها على التنوع الثقافي والحضاري الذي يميز الأمم "إذ أنّ مسألة انقراض اللغات لا يعني ذهاب جهاز اتصالي، وإنما يعني انقراض أمة وضياع ثقافة، ولهذا السبب نلاحظ انبعثاً كبيراً للهويات اللغوية حيث محاولات كثيرة وشجاعة لمواجهة تحدي الوحدية اللغوية التي تبشر بها العولمة، والتي تعني هيمنة اللغات الغالبة وإنما تعني في النهاية هيمنة النموذج الثقافي المختزن في رموز الاتصال فاللغة البيلاروسية تريد العودة إلى الحياة بعد أن كادت ظروف العصر تخرجها من عالم التداول".¹⁷، أي أنّ كل أمة تسعى للحفاظ على موروثها الثقافي الذي يشكل هويتها التي تعتبر تنوعاً إنسانياً معرضاً للاندثار لاسيما حين تكون هذه الهويات مناقضة لجملة عناصر الهوية المحلية للأمة، وما يلاحظ فرغم وجود لغة مركزية ولغات محيطة إلا أنها لما تكون في جماعات متقاربة التكوين وكذا متقاربة أو متطابقة الانتماء والهوية تصبح هنا عامل ازدهار وقيمة مضافة "للمجموعة" عكس حقيقة اللغات الأجنبية

التي تحاول أن تمحو التمييز وتحل محله النموذج الواحد، ومن خلال هذا أدركت منظمة اليونسكو الأهمية البالغة للغة الأمّ للأمم التي تشكل التنوع اللغوي والثقافي والهوياتي لذا سعت للحفاظ على هذه اللغات الأصلية للشعوب والتي تشكل التمييز والتنوع الذي يشكل العالم، لاسيما وأن اللغات التي تمثل العولمة تحاصر هذه اللغات بشكل كبير بفضل التطور الكبير لوسائل الاتصال التي تنتشر بشكل متسارع وتقدم عالمياً نموذجاً واحداً للثقافة، وللهوية، وللانتماء "فأعلنت الجمعية العامة للأمم المتحدة، بموجب الوثيقة 178/71، سنة 2019 سنة دولية للغات الشعوب الأصلية، وذلك في خطوة منها لرفع مستوى الوعي العالمي بالمخاطر الجسيمة التي تهدد لغات الشعوب الأصلية، وأهمية هذه اللغات لضمان التنمية المستدامة والمصالحة والحكم الرشيد وبناء السلام. وستسهم هذه السنة الدولية في تيسير الوصول إلى لغات الشعوب الأصلية والترويج لها، ناهيك عن تحقيق تحسن ملموس في حياة هذه الشعوب من خلال تعزيز قدرات أبناء هذه اللغات والمنظمات المعنية بالشعوب الأصلية".¹⁸، فكما ذكرنا سابقاً أنّ اللغة تنقل الهوية والانتماء بغض النظر عن جدلية هذا الانتماء، وتسعى جاهداً الأمّ للحفاظ على هذا الموروث الإنساني باعتباره ناقلاً للتنوع والتعدد " فاللغة تحيا ما دام بها التواصل جارياً، ولعل ابن حزم كان محقاً حينما ربط انقراض اللغات لفقدان السلطان، (...) لكن المجال الإنساني الرحب مجال حقوق الإنسان في بقاء تراثه وتاريخه، والعولمة بما هي مزيج من القهر النفسي والرمزي والعسكري والاقتصادي على اتباع النموذج المتفوق حضارياً تعبر عن فقر النموذج ذاته وتشير إلى ضعف عام في الإحساس بجماليات الاختلاف".¹⁹.

كما أن الأمّ المتحدة تسعى لمنح فرص للغات الأمّ لتتواجد في المناهج التعليمية للأطفال الناشئة وهذا جهد للحفاظ على التنوع اللغوي في كل العالم" فاحتفلت اليونسكو باليوم الدولي للغة الأمّ بتاريخ 21 شباط/ فبراير 2017 تحت شعار "تحو

مستقبل مستدام من خلال التعليم متعدد اللغات". ومن أجل تعزيز التنمية المستدامة، يجب أن يحصل المتعلمون على التعليم بلغتهم الأم بالإضافة إلى اللغات الأخرى. فإن إتقان اللغة الأم يساعد على اكتساب المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب. وإن اللغات المحلية لاسيما لغات الأقليات والشعوب الأصلية تسهم في نقل الثقافات والقيم والمعارف التقليدية وبالتالي الإسهام على نحو كبير في تعزيز مستقبل مستدام.²⁰، أي أن ضمان التنوع الثقافي وكذا التنوع الهوياتي يتأتى من خلال عناصر متعددة من أهمها اللغة التي تنقل حضارات وأفكارا لا تعرفها كل الأمم بل هو بمثابة فرص للتعلم، والاحتكاك مع الآخر مثل ما جرت عليه سنن الكون.

خاتمة:

من خلال ما ذكرناه ومن خلال مختلف الآراء التي استعرضناها في متن المقال يمكن أن نؤكد نتيجة أساسية هي كون "اللغة الأم" عمود أساسي في الحفاظ على الهوية والانتماء ليس فقط عند الطفل الذي يعد مستقبل الأمم والاستثمار الدائم وإنما على الفرد بشكل عام لاسيما وأن الصراعات التي يعيشها العالم اليوم تحسم ثقافياً ولو على المدى البعيد قبل أن تحسم عسكرياً، ولعل هو الطرح الذي يصنف حالياً في مفهوم القوى الذكيّة لإفراد نموذج عالمي موحد، ولا نقول هنا بالضرورة أن تكون اللغة الإنجليزيّة هي التي ستسيطر، وإنما مختلف الأمم تسعى لفرض بشكل أولي لغتها ومن ثمّ منظومتها الفكرية والثقافية وكل ما يشكل الهوية والانتماء ونشير هنا إلى أن اللغات الأمّ يمكن أن تموت كما يتفق عليه الكثير من العلماء وهو واقع معيش بالفعل لاسيما إن حوصرت اللغات وبقيت جامدة لا تتطور ولا تنمو، وإذا لم يتم الاستعانة بتخطيط لغوي واستراتيجي تشارك فيه مختلف الفواعل الفكرية، السياسية، الإعلامية، وكل المنظومات التي تمثل هذه الأمم لبلورة تصور

يحمي اللغة لحماية الإرث ولحماية الوجود الذي يتأتى بالمحافظة على الجماعة التي تكون هذا الشعور بالانتماء للأنا والهوية.

الهوامش

- ¹ - مجلة البيان <http://www.albayan.co.uk/MGZarticle2.aspx?id=750>
- ² - نسيم الخوري، الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية، مركز دراسات الوحدة العربية الطبعة الأولى لبنان، 2005، ص 82.
- ³ - <https://www.ultrasawt.com/%D8%A3%D9%87%D9%85%D9%91-10-%D9%84%D8%BA%D8%A7%D8%AA>
- ⁴ - عبد العالي الودعيري، لغة الأمة ولغة الأم، دار الكتب العلمية، لبنان، 1971 ص 53.
- ⁵ - المصطفى تاج الدين، نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة، مجلة التسامح وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، سلطنة عمان، 2005، ص 146.
- ⁶ - https://hedclub.com/en/library/russian_language_in_syria_and_palestine_arabic_version
- ⁷ - <https://democraticac.de/?p=47670>
- ⁸ - فيصل الحفيان، إشكاليات المفاهيم وجدل العلاقات، مجلة التسامح، العدد الخامس وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2004، ص 46، 47.
- ⁹ - عبد العالي الجسماني، علم التربية وسيكولوجية الطفل، الدار العربية للعلوم، الطبعة الأولى لبنان، 1994، ص 46، 51.
- ¹⁰ - عبد الرحمن السالمي، جعلناكم أمة وسطاً، مجلة التسامح، العدد الخامس، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2004، ص 9.
- ¹¹ - عبد الله إبراهيم، العالم المعاصر، وتنازع المركزية الثقافية، مجلة التسامح العدد الثالث وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2003، ص 39.
- * شتيفان فليد: أستاذ جامعي ألماني بجامعة بون، ومدير معهد الدراسات الشرقية.
- ¹² - شتيفان فليد، صراع الحضارات، مجلة التسامح، العدد الثالث، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2003، ص 219.

- ¹³ - مصطفى حجازي، حصار الثقافة: بين القنوات الفضائية والدعوة الى الأصولية المركز الثقافي العربي، الطبعة 2، لبنان، 2000. ص 12.
- ¹⁴ - نسيم الخوري، الإعلام العربي وانهيار السلطات اللغوية، م س ذ، ص 431.
- ¹⁵ <https://arabic.rt.com/photolines/786907> - انفوغراف قناة روسيا اليوم.....
- ¹⁶ - غسان عبد الخالق، مستقبل اللغة العربية في ظل صراع الحضارات، مجلة التسامح العدد الثاني، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2003، ص 189.188.
- ¹⁷ - المصطفى تاج الدين، نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة، مجلة التسامح، العدد التاسع، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، عمان، 2005، ص 147.146.
- ¹⁸ - <https://ar.unesco.org/events/tnzym-hfl-rsmy-llln-n-bd-lsn-ldwly-llgt-lshwb-lsly-2019>
- ¹⁹ - المصطفى تاج الدين، نحو سياسة لغوية متسامحة في زمن العولمة، م س ذ، ص 152.
- ²⁰ - <http://www.unesco.org/new/ar/unesco/events/prizes-and-celebrations/celebrations/international-days/international-mother-language-day-2017/>.

السياسة اللغوية التعليمية في الجزائر:

بين صراع النخب الثقافية السياسية وحتمية العولمة

أ.د. فيروز مامي زرارقة

د.حفيظة مخنفر

جامعة سطيف 2 الجزائر

ملخص

تهدف هذه المقالة البحثية، إلى البحث في مسألة لغة التعليم في الجزائر كيف كانت ولا زالت مجالاً لصراع النخب السياسية والثقافية الفاعلة؛ مع إبراز دور هذه الأخيرة ضمن مشروع توجيه السياسة اللغوية التعليمية نحو التعددية اللغوية، وتبيان نتائج الصراع النخبوي المتمثلة أساساً في الضعف اللغوي سواء بالنسبة للغة العربية أم بقية اللغات الأجنبية، بالإضافة إلى تنامي خطورة طرح اللغة العامية كلغة للتعليم بدل اللغة العربية، في المقابل من هذا تبين الورقة البحثية مدى تأثير العولمة كحتمية ثقافية، وطرف ثالث في الصراع اللغوي داخل الجزائر، فرضت على المستوى المجتمعي تعلم اللغة الإنجليزية والعديد من اللغات الأخرى، وتم تبيان ذلك بعرض لنتائج دراسة ميدانية تكشف عن التوجهات والتمثلات المجتمعية الجديدة اتجاه مختلف اللغات الأجنبية.

الكلمات المفتاحية:

السياسة اللغوية، النخب، لغة التعليم، الفرنكفونية، التعددية اللغوية.

Abstract :

This study aims to reveal the role of the political and cultural elites; within the project of directing the educational linguistic policy to multilingualism in Algerian schools, as well as highlighting the results of the conflict between the elites of linguistic weakness for both the Arabic language or foreign languages, in addition to the seriousness

growing of the vernacular in the educational institutions, this latter becomes more dangerous in Algeria for being a hybrid of Arabic and French language, as well as the existence of proceedings to adopt the vernacular as educational language, and then demonstrate the impact of globalization and cultural inevitability impose learning English and many other languages. And will strengthen the current research by a empirical study that reveals trends and community representations about new direction to foreign languages.

Keywords:

Language policy, elites, language of education, francophone, multilingualism

مقدمة:

يكتسي النسق التربوي أهمية بالغة ضمن النسق العام، لما يمثله من نسق مزدوج؛ ينقل القيم والمعارف والتراث من جيل إلى آخر، فيحافظ على ثقافته وهويته؛ ويساعد في تغيير المحيط الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وهو ما تطالعنا به الدراسات السوسيو-لسانية الحديثة من أهمية بالغة؛ لسيادة اللغة الوطنية كلغة للتعليم وللتواصل العلمي والاجتماعي، حيث بينت التأثير السلبي لظاهرة التعدد اللغوي على النمو الاقتصادي والتنمية، هو ما يؤشر على ضرورة منح اللغة الوطنية مكانتها المستحقة في السياسة اللغوية التعليمية.

وتعد الجزائر شاهداً أمثل على واقع التعدد اللغوي، حيث شكلت المدرسة الجزائرية مجالاً لصراع النخب المثقفة والسياسية، سواء المعربة منها أم الفرونكوفونية من الاستقلال إلى يومنا هذا، فكل منهما يحاول فرض منظوراته الإيديولوجية، ورسم السياسة اللغوية التعليمية تبعاً لروح الثقافة التي تخلق فيها، وفضلاً عن ذلك؛ حتمية العولمة كإيديولوجية كاسحة؛ أضحت تفرض تعلم اللغة الإنجليزية، ولغات عالمية أخرى، لحيازتهما قوة المعرفة؛ والمعلومات والتكنولوجيا، هذا ما أسهم بدوره في نمو وعي لغوي مجتمعي جديد اتجاه اللغات الأجنبية، وأبرز واقعا لغويا معقدا أمام

عشوائية وارتجالية السياسة اللغوية التعليمية؛ التي لا يمكن إلا لمصطلح " الفوضى اللغوية" أن يسد مسدّه في التّوصيف والتّوجيه.

وعليه تهدف الدراسة الحالية الكشف عن دور النخب السياسيّة والثقافيّة في توجيه السياسة اللغوية التعليميّة نحو التّعدديّة؛ وبالمقابل من ذلك الكشف عن الرّؤية المجتمعيّة للواقع اللغوي باعتبار أفراد المجتمع فاعلين أساسيين في معادلة الصراع فالواقع يثبت وجود نمو ووعي مجتمعي جديد يؤمن بأهميّة الانفتاح على مختلف لغات العالم استجابة لحتميّة العولمة كإيديولوجيّة عالميّة، من خلال عرض نتائج دراسة ميدانيّة تبحث في تمثلات أفراد العينة المنقاة اتجاه الانفتاح على لغات العالم وذلك من خلال محورين أساسيين كالتّالي:

المحور الأول -نظري- يطرح مسألة النخب ودورها في توجيه لغة التّعليم نحو التّعدديّة من خلال مناقشة العناصر التّاليّة:

- جذور الصراع النخبوي في الجزائر حول لغة التّعليم، ومن هي النخب الفاعلة في السّاحة الثقافيّة والسياسة.

- نتائج الصراع بين مختلف النخب، وانعكاساته على المستوى العلمي لمخرجات التّربيّة والتّعليم في الجزائر، وإشكاليّة طرح بعض النخب السياسيّة للغة العامّة كلغة للتّعليم بدل اللغة العربيّة.

المحور الثّاني: عبارة عن عرض لنتائج دراسة ميدانيّة تهتم بإبراز أهميّة العولمة كإيديولوجيا فرضت نفسها طرفا ثالثا في الصراع اللغوي، هذه الدراسة تم بناؤها على فرضيّة رئيسيّة مفادها: يوجد تغيير في مستوى توجهات وتمثلات أفراد المجتمع نحو تعلم اللغات العالميّة، وتم تفكيكها إلى فرضيتين فرعيتين كالتّالي:

- يوجد نمو لاتجاهات جديدة نحو اللغات العالميّة، أمام تراجع الإقبال على تعلم اللغة الفرنسيّة، واللغتين الوطنيّتين العربيّة والأمازيغيّة.

- يوجد تمثلات سلبية لدى أفراد العينة اتجاه تعلم اللغة العربيّة.

أولاً: دور النخب في توجيه لغة التعليم نحو التعددية ونتائجها:

1- مدخل مفاهيمي السياسة اللغوية ولغة التعليم:

أثبتت الدراسات اللسانية والتاريخية الرصينة أن إقرار وبقاء اللغة وانتشارها تحدده القوة السياسية أولاً قبل غيرها، وتقدم لنا اللغة اللاتينية خير مثال على ذلك فبعد أن كانت أوفر اللغات حظاً في العلم والمعرفة بدأت لهجات عامية غير مؤهلة علمياً وثقافياً في الزحف لاستخلافها وماتت اللاتينية لأسباب سياسية؛ أساسها قيام قوميات قطرية؛ أين الجاهزية العلمية لم تتفع اللاتينية في البقاء أمام قوة التدبير السياسي؛ وانتشرت اللغات الفرنسية والإنجليزية والاسبانية بدلا منها؛ نتيجة الهيمنة الاستعمارية، وفضل السياسة قامت قوميات للدفاع عن لغاتها وإحيائها كما حدث في إسرائيل، فالسياسة تأخذ بيد اللغة قبل الاقتصاد، وبالنسبة للغة العربية ورغم أن الخطة من أجل النهوض بها ينبغي أن تكون شمولية تتفاعل فيها كل المكونات من أجل النهوض بها؛ إلا أن الأولوية في هذه المرحلة هي سياسية.¹ بحكم قدرة السياسي على امتلاك سلطة اتخاذ القرار والاختيار بين مختلف البدائل المتاحة في الواقع مع التنفيذ.

والسياسة اللغوية يعرفها "لويس جان كالفلي" بقوله: "نحن نعتبر السياسة اللغوية هي مجمل الخيارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والحياة الاجتماعية وبالتحديد بين اللغة والحياة في الوطن".² يتبين من خلال التعريف أن السياسة اللغوية هي اتخاذ قرار واع عقلائي مبني على خطط تأخذ بعين الاعتبار المعطيات الواقعية وما تقتضيه من خيارات واعية تخص علاقة اللغة بالحياة الاجتماعية، وإعطاء الحيوية لأي سياسة لغوية يستند للمنظومة التربوية والتعليمية باعتبارها مجالاً لتطبيق خيارات الدولة في إطار رسمي، وباعتبارها مجالاً لإعادة الإنتاج الثقافي.

والرؤية الموضوعية لظاهرة التعدد اللغوي كأمر واقع في الجزائر تقتضي الاحتكام لسياسة لغوية تؤمن تمام الإيمان بقيمة اللغتين الوطنيتين ودورهما في رفع وتحسين مستوى مخرجات التربية، وتعطي اللغات الأجنبية قيمتها ومكانتها في

المنظومة التربوية، فكنه المشكلة ليس في ظاهرة التعدد اللغوي، لأنها ظاهرة موجودة في كل بلدان العالم؛ لكن الإشكال مطروح في كيفية ومنهجية التعامل معها من خلال سياسة لغوية عقلانية تعطي أهمية لدور اللغات الوطنية في تحقيق تنمية اجتماعية متكاملة.

وبما أن الحديث عن لغة التعليم فإنها توصف ضمن نسق المفاهيم والمصطلحات التي ظهرت حديثاً لوصف اللغة وتصنيفها وتتنظر هيئة الأمم المتحدة للغة التعليم على أنها لغة التدريس في المدرسة وخارجها، والمستخدم لتدريس البرامج الابتدائية من التعليم، وتعتبر من أكبر التحديات التي تواجه السياسات التعليمية، فقد يوصي باستخدام عدة لغات للتدريس من أجل الوصول إلى تعليم نوعي، في حين هناك بعض البلدان التي تختار لغة واحدة للتعليم، وفي الكثير من الأحيان تكون هي اللغة الرسمية أو لغة الأغلبية من السكان، وبعض البلدان أعطت سياساتها التعليمية للغة الوطنية أو المحلية مكانة هامة في التعليم، أما الأقليات الذين لغتهم الأم ليست اللغة الوطنية أو المحلية غالباً ما تواجه عائقاً كبيراً في النظام التعليمي يضطرها لاتخاذ لغة رسمية أجنبية.³

ولأهمية التعليم فإنه -في معظم الأحيان- يتواجد في قلب الصراع والجدل والمناقشات والرهانات السياسية؛ حيث يعتبر الصراع الاجتماعي عاملاً مؤثراً وحاسماً لعملية وضع الخيارات وصوغ القرارات؛ وقد يصبح في بعض الظروف التعليم حقلاً يكشف عن التوترات بين المصالح المتعارضة والغايات السياسية المتنافسة؛ وترتبط الاختيارات المتخذة من قبل المسؤولين في الدولة بحالة القوى المتواجدة فيها وبثقلها وبنظام التحالفات القائمة فيما بينها، فهي تعكس الصراعات والتوافقات حول إشكالات حساسة، منها لغة التعليم.⁴ وذلك ما يحدث في الجزائر على غرار الدول التي كانت خاضعة للاستعمار الفرنسي الذي يعمل على بقاء لغته في مستعمراته السابقة.

وقد شكلت السياسة اللغوية التعليمية في الجزائر حقلاً للصراع؛ حيث أصبح إتقان لغة السلطة الكولونيالية السابقة فيما بعد الاستعمار، يمثل رأس مال ثقافياً وسمة للموقع الطبقي للفرد؛ لأن هذه القدرة ترفع من شأن المتكلم ليصنف ضمن النخبة الحاكمة وهذا يذكر بنظرية "بورديو" في تطور الأنساق اللغوية، التي ترى في العلائق السلمية بين مختلف التنوعات اللغوية، أو اللغات هي انعكاس لعلائق السيطرة والقوى التي نمت تاريخياً بين المتكلمين؛ وقد اكتسبت اللغات الكولونيالية مشروعية نتيجة الغزو الاستعماري وعززت هيمنتها فيما بعد، وقد أدى هذا الوضع في كثير من الأحيان إلى رسم سياسة لغوية لفائدة النخبة التي تمتلك اللغة المهيمنة ومصالحها وإقصاء الجماهير الشعبية عن طريق هذه السياسة اللغوية.⁵ لتبقى هذه النخب هي وحدها القادرة على إدارة شئون الدولة، بل ويتعدى الأمر إلى توريثها لأبنائها، وما يترتب عنها من عزل أبناء عامة المجتمع عن المشاركة في تسيير الدولة، وبالتالي تكريس التوريث والهيمنة والتخلف لعامة أفراد المجتمع.

2- جذور الصراع اللغوي بين النخب وتوجيه لغة التعليم نحو التعددية:

لقد عمل الاستعمار في التاريخ على تكوين نخبة موالية له في الفكر، ومنتشرة لقيمه في الحياة، لأنه عبر التعليم يمكن عبور النموذج الغربي في الحياة، هذا التكوين أسهم في تأزم مشكلة التربية والتعليم لدى الإنسان العربي المسلم، وجعله يخصص جزءاً من قوته النظرية والعملية للتصدي لهذه الزمّر التي لم تتوان بعد الاستقلال في إمساك مراكز القرارات واستكمال المشروع الاستعماري في تدويب روح الثقافة العربية الإسلامية.⁶ وعليه فقد شكلت هذه النخب ثنائية قطبية مع النخب المعربة وكلتا النخبين تدرجتا عبر سيرورة تاريخية وفق مقتضيات المراحل التاريخية التي مرت بها الجزائر، هذا ما سنتعرض له بالتحليل والتوصيف، وقبل ذلك ما المقصود بالنخب السياسية والثقافية؟.

استخدم مفهوم النخبة السياسية في هذا الموضع للإشارة إلى الأشخاص الذين يشغلون وظيفية مهنية تتمتع بمكانة اجتماعية عالية؛ بغض النظر عن أسباب ذلك في

المجتمع؛ والذين يمارسون القوة أو التأثير السياسي والذين يسعون إلى الكفاح من أجل الحصول على القيادة السياسية؛ أو هم جماعة صغيرة تنتمي إلى الطبقة السياسية؛ خلال فترة زمنية معينة؛ فهي تشمل كبار موظفي الحكومة والإدارات العليا، والقادة العسكريين.⁷ وبالنسبة للنخب المقصودة في الموضوع الحالي، هي الجماعة السياسية التي تملك سلطة اتخاذ القرار في الجزائر وتنفيذه في قضايا تحدد المسار الثقافي والاجتماعي للمجتمع ككل منذ بداية التأسيس للدولة الحديثة.

أما بالنسبة لمفهوم **النخبة المثقفة** يعني بها هنا المقام أولئك الأشخاص الذين تشغلهم قضية الحقوق والحريات أو تهمهم سياسة الحقيقة، أو الدفاع عن القيم الثقافية المجتمعية بفكرهم وسجلاتهم؛ أو بكتاباتهم ومواقفهم؛ وقد يكونوا شعراء أو كتابا أو فلاسفة أو فقهاء أو مهندسين؛ أو المهتمين بتوجيه الرأي العام؛ أو المنخرطين في الصراع داخل الوطن الواحد دفاعا عن قول الحقيقة، أو مصلحة الأمة فهذه صفتهم ومهمتهم، بهذا المعنى، فالمتقف هو الوجه الآخر للسياسي، والمشروع البديل لما هو قائم، ويستخدم سلطة الكلام أو الكتابة ويعمل في الحقل الرمزي للمجتمع، أي ينتج أو يستخدم هذه الرموز المتمثلة، بالعقائد والعرف، أو بالنصوص والخطابات؛ يتصرف كصاحب حظوة وامتياز أي بوصفه يمثل الطليعة وينتمي إلى النخبة الممتازة أو الصفوة المختارة.⁸ والنخب المثقفة المقصودة في البحث الحالي: هي النخب المتفاعلة في المسألة اللغوية في الجزائر من كتاب، وصحفيين، وتربويين، ونقاد؛ سواء بالمعارضة مع السلطة أم التوافق معها.

والنخب السياسية والثقافية المهيمنة في الجزائر تتشكل في تيارين مختلفين من حيث طبيعة التكوين العلمي والثقافي والتوجه السياسي، كان للحتمية التاريخية دورا كبيرا في تشكيلها، وقد اتضح هذا الانقسام بين النخب يوم رمت فرنسا بمشروعها الاندماجي "الجزائر فرنسية"؛ حينها انقسمت النخب الجزائرية إلى تيارين؛ تيار اندماجي يؤيد المشروع الاستعماري؛ وتيار مناهض رافض يدافع عن الهوية الوطنية بمقوماتها التاريخية والدين واللغة، هذا الانقسام النخبوي؛ يتحول فيما بعد الاستقلال إلى

صراع خرج للعلن بين النخب؛ حول أهم عنصر من عناصر الهوية الوطنية وهو اللغة الوطنية، وبالتحديد لغة التعليم وكان السؤال المطروح بأي لغة ندرس؟ باعتبار التعليم أداة لإعادة الإنتاج والهيمنة والسيطرة السياسية والاجتماعية والثقافية، وتعرف هذه النخب تحت مسميين هما "المعربين" و"المفرنسين"، وطرف ثالث هو "البربريون" الذين يمكن إدراجهم ضمن الفرنكفونيين لأن الأحداث التاريخية أثبتت ولاءهم الفرنكفوني.

أ- النخبة المعربة:

كلمة "عربي" لها مدلولات تختلف بحسب الزمان والمكان، فقديمًا كانت كلمة عربي تقابلها كلمة "أعجمي" وأحيانًا كلمة "رومي" ومع ظهور الإسلام وشموله كل الجزيرة العربية أصبحت كلمة عربي تعني "المسلم"، وبالنسبة للجزائر تعني صفة "العربي" الإسلام من ناحية وتطلق تأييداً للتعريب اللغوي في التعليم والإدارة من ناحية أخرى، وتعني كذلك تياراً سياسياً وثقافياً واسعاً معادياً في الآن نفسه للتعريب والفرنسة الثقافية وللعصرنة التكنوقراطية.⁹ وتعني كل النخب المؤيدة للغة العربية كلغة وطنية رسمية، ولغة للتعليم في كل الأطوار دونما أي اعتراض.

وتتحدّر هذه النخبة من ذوي التكوين المعرب من قداماء جمعية العلماء المسلمين والطلبة الذين تكونوا بالمشرق العربي، وقداماء الزوايا الجزائرية والمدارس الحرة وكذلك تلاميذ المدارس الفرنسية-الإسلامية التي أسسها المستعمر في بداية الاحتلال كما تضم هذه الفئة كل فرد يحذق اللغة العربية غداة الاستقلال؛ وقد درجت العادة في أن يطلق على هؤلاء تسمية "المعربين"، وبإمكانهم أثناء ممارسة سلطة ثقافية، أن تكون لهم مواقع سلطوية مضادة وفق الطرف السياسي للبلاد.¹⁰

وبعد أحداث 1988 أصبحت النخب المعربة ممثلة في "التيار الإسلامي" الذي خرج من الإرهاصات الأولى للحركة الإسلامية قديمة العهد في الجزائر، ويطلق عليها البعض ما يسمى التيار الوطني التقليدي أو ما يطلق عليه خصومه تيار الثوابت الوطنية، الذي عبر عنه ابن باديس بمقولته الشهيرة: "شعب الجزائر مسلم وإلى

العروبة ينتسب"، وتطلق بعض الكتابات الصحفية الجزائرية على هذه التشكيلة من المواقف والاتجاهات "أصولي، ظلامي إسلامي، قرون أوسطي".¹¹ ويضاف إليها تشكيلة تتدرج ضمن التيار الحدائي الوطني الذي لا يناهض الانتماء الوطني العربي الإسلامي للجزائر، ويطمح لتبوء اللغة العربية مكانتها في المجتمع، حتى وأن كان بعضهم كأفراد لا يتعاملون بالفصحى؛ وأحيانا ما يستخدم الرصيد المتواضع من العامية المحلية في الشؤون اليومية ويستخدم الفرنسية في كل شؤنه العملية.¹²

ب- النخبة الفرنكفونية:

ينحدر مصدر الكلمة من "الفرنكفونية" "la Francophonie"، وقد ابتدع هذه اللفظة "أونيزيم ريكو" Onésime Reclus في أثناء تصنيفه لسكان العالم في الجيولوجيا، وعادت الكلمة للظهور في عام 1962 بقلم رجل دولة وشاعر هو "ليولد سنغور" Léopold Senghor، وأخذت هذه الفكرة منحى سياسي شديدا فشيئا من خلال إنشاء عدد من المنظمات الفرنسية الدولية التي تقوم بنشر اللغة الفرنسية.¹³ ومنها المنظمة الفرنكفونية والتي سنعود فيما بعد لعلاقتها بالجزائر.

وتعود الجذور الفكرية الأولى للنخب الثقافية والسياسية المسماة فرنكفونية، إلى سياسة تعليمية انتهجها الاستعمار في الجزائر، سعى من خلالها إلى ترسيخ الثقافة والأفكار الفرنسية في عقول الأجيال المتعلمة، وتمكين الفرنسية من أن تصبح لغة التعليم الأساسية، لذا حارب الفرنسيون منذ احتلالهم الجزائر عام 1830 جميع الفعاليات الفكرية والتربوية والتعليمية للجزائر، مارس من خلالها سياسة التجهيل ومحاصرة التعليم الحر؛ في حين كانت نسبة ضئيلة من المحظوظين تتعلم في المدارس الفرنسية في المراحل الأولى للتعليم، ولا يرقى إلى التعليم العالي إلا من يثبت ولاؤهم لدولة فرنسا.¹⁴ وحتى التعليم المسموح به لهم ليس بالنوعي بل بما يكفي ليكونوا في غالب الأحيان أداة للتواصل بينهم وبين الجزائريين.

ويسمى "مورال" هذه النخب بـ "نخبة النخبة" وهي التي استطاعت أن تدخل الجامعة، من أطباء، صيادلة، محامين، أساتذة، مهندسين، وغيرهم ويسميهـم بالعنصر الذي يمثل البرجوازية الجديدة أو "المتقنين المفرنسين" الذين لم يصبحوا فرنسيين بمعنى الكلمة، وهي التي نادت بالإدماج والتجنيس والمساواة والتسامح والعدالة والمواطنة الفرنسية، لان تكوينها كان فرنسيا خالصا وعاشت في قلب المجتمع الفرنسي بعيدة عن واقعها العربي الإسلامي وهي التي سماها "لوري-بوليو" بنخبة "الجزائريين المتأوربين".¹⁵

وتنظر هذه النخبة للغة الفرنسية على انها "غنيمة حرب"؛ وصاحب هذه النظرية هو المفكر والكاتب الجزائري "كاتب ياسين" (1929 1989)، وردد هذه العبارة الكثير من المثقفين والمتعلمين الفرنكفونيين في المجتمعات المغاربية، حتى في تونس والمغرب الأقصى، أن اللغة الفرنسية هي عبارة عن غنيمة كسبتها تلك المجتمعات من المستعمر الفرنسي وينبغي المحافظة عليها، والتي تعني "الفوز بالشيء دون مشقة" ومن ثمة تحمس كاتب ياسين وتحمس من بعده من المثقفون والمتعلمون المغاربيون الذين سيطر عليهم التكوين اللغوي والثقافي الفرنسي، إلى تكرار المناداة بالقيام بكل ما هو ضروري من أجل المحافظة وصيانة الموروث اللغوي الثقافي الاستعماري الفرنسي¹⁶، وأصبحوا متحمسين وحماة للفرنسية أكثر من الفرنسيين أنفسهم.

وبعد أحداث 1988 أصبحت هذه النخبة المعادية للغة العربية والمقابلة للتيار الإسلامي والوطني مزيجا من اليسار المنحدر من الحزب الشيوعي في الجزائر بتسمياته المختلفة بعد الاستقلال؛ وشريحة من وريثة النخبة الأكثر تأثرا بالمدرسة اللاتينية؛ ومفهوم النظام الجمهوري الفرنسي؛ وشريحة أخرى مولعة باللغة وأسلوب الحياة الفرنسي، وانتقلت من الفرنكفونية وهي إتقان اللغة الفرنسية والاطلاع على أدبها ومعارفها، إلى "الفرنكوفيلية" وهي عبارة عن إرادة الخروج من الثقافة الأهلية والاندماج الذهني والسلوكي في ثقافة الآخر من أجل التخلص من التخلف والارتقاء

إلى الحداثة والتقدم في زعمهم، ويطلق الخصوم على هذه التشكيلة اسم الفرنكو-شيوعيين، أو الفرنكو لاتكيين، أو حزب فرنسا، أو الفرنكو-بربريين أو الإستصاليين.¹⁷ ويضاف إليهم البربريون الذين ينكرون أية مشروعية للعربية، باسم بربرية الشعب الجزائري، الداعين إلى الاعتراف باللغات والثقافات الشعبية،¹⁸ وهؤلاء خضعوا لنفس التكوين العلمي الذي خضعت له النخب المفرنسة.

3- الانقسام والصراع بين النخب:

في البداية من الأفضل التذكير بنظرية "بيار بورديو" في تطور الأنساق اللغوية داخل للبلدان التي خضعت للاستعمار حيث يرى أن: العلاقات السلمية بين مختلف التنوعات اللغوية أو اللغات هي انعكاس لعلاقات السيطرة والقوى التي نمت تاريخيا بين المتكلمين، وقد اكتسبت اللغات الكولونيالية مشروعية نتيجة الغزو الاستعماري، وقد أدى هذا الوضع في كثير من الأحيان إلى سياسة لفائدة النخبة المغلفة على اللغة المهيمنة وإقصاء الجماهير الشعبية عن طريق هذه السياسة اللغوية.¹⁹ وبعد خروج المستعمر من تلك البلدان تبقى هذه النخب هي المؤهلة من حيث امتلاكها لقوة وسلطة رمزية ثقافية، كالجاهزية الوظيفية دون غيرها من عامة المجتمع وامتلاكها لتعليم نوعي ورثته عن المستعمر؛ وتتمتع بالمساندة السياسية والمادية من هذا الأخير وقادرة بذلك على شغل مناصب متقدمة في السلطة، على حساب الفئات الأخرى غير المتعلمة؛ حيث يصبح امتلاكها للغة المستعمر بمثابة سلطة وقيمة رمزية تؤهلها للارتقاء السياسي في هرم السلطة.

أما بالنسبة للجزائر، وحسب "عبد الحميد ابراهيمي": "أن تأطير الدولة الجزائرية الحديثة، موروث من العهد الاستعماري وهم الجزائريين المستفيدين من الترقية الاجتماعية بين عامي 1956 و1962، والموظفين الجزائريين ذوي التكوين الفرنسي العاملين في تونس وخصوصا في المغرب.

ويتضح هنا "أن امتلاك اللغة الفرنسية والكفاءة يعتبر سلطة اجتماعية وسلاحا فالإطارات ذات التكوين الفرنسي تتذرع للارتقاء في الهرم الوظيفي بكفاعتها أما

العناصر ذات الثقافة العربية فهي تشغل أدنى الرتب؛ وما حدث أن نجحوا فعلا في سد الطريق أمام الإطارات المعربة؛ المتخرجة من الجامعات العربية في القاهرة ودمشق أو بغداد أو الكويت، تارة باسم العصرية والقيم الغربية وتارة باسم الاشتراكية وهذا ما يتطلب في نظرهم التمكن من اللغة الفرنسية،²⁰ وما ترتب عن ذلك، أن منحت قطاعات مختلفة من الدولة للمثقف المتعلم على أساس لغوي وقيمي فكان من نصيب المثقف المعرب كل القطاعات ذات العلاقة بالدين والأيدولوجيا والتاريخ، باعتبار النظرة السائدة للعربية كلغة آخرة، ودين وتراث، وتعامل واسع مع الفئات الشعبية بهدف تطهيرها السياسي والأيدولوجي، في الوقت الذي منحت فيه قطاعات الصناعة والإدارة والتسيير إلى المثقف المتعلم باللغة الفرنسية اعتمادا على نفس النظرة القيمة للغة الفرنسية التي تم النظر إليها كلغة علم وتقنية وتسيير أو كما سميت "لغة خبز".²¹

وأصبحت اللغة وبالتحديد "لغة التعليم" باعتبار التعليم أداة لإعادة الإنتاج أو السيطرة، مجالاً للصراع من خلال حرب الموائيق والمراسيم الخاصة بالسياسة اللغوية، وخرج الصراع للعلن في شكل كتابات صحفية وغيرها بعد تطبيق سياسة التعريب وتقدم الدولة فيه، وأصبحت النخب المفرنسة تدعو صراحة للتعددية اللغوية واختيار الفرنسية لغة للتعليم بحجة أنها لغة العلم والحدثة، والنخب المعربة تدعو للغة العربية بحجة الأصالة، لتبقى ظاهرة التعددية اللغوية، تنهك التعليم في الجزائر رغم التشريعات والقوانين التي وضعت للتمكين للغة الوطنية.

4- مواقف وأراء بعض النخب الثقافية والسياسية، من السياسة اللغوية

فيما بعد 1989:

بعد 1989 تحولت الجزائر من حكم الحزب الواحد إلى التعددية الحزبية دخلت بعدها الجزائر في مرحلة من العنف السياسي، تعتبر استثنائية في تاريخها أصبحت الصراعات في أوجها على كل الجهات وبالتالي أخذت المسألة اللغوية اهتماما كبيرا من طرف النخب السياسية والثقافية حيث ألصقت بها تهمة الإرهاب في الجزائر

لاعتبار العلاقة بين اللغة العربية والدين؛ والحركات الإسلامية المتطرفة هي المسؤولة عن الانفلات السياسي، وسنعرض فيما يلي لبعض العينات من الكتابات الصحفية في الموضوع بين مؤيدة و معارضة:

نبدأ بمقال نشرته صحيفة الوطن بتاريخ 20، 21 نوفمبر 1996 للأستاذ "رابح سبع" تحت عنوان "الجامعة والمجتمع كلام رهين اللغة" يخصص مداخلته لتتديد بحالة الاختناق التي وصلت إليها الثقافة الجزائرية، وضحالة المنتج المعرفي، وانهيار الجامعة الجزائرية بسبب المؤامرة الظلامية للتعريب.²²

النموذج الثاني هو مقالة للسيد "عبدو الإمام" و هو دكتور في اللسانيات في صحيفة الوطن بتاريخ 17/6/1998 تحت عنوان: "متى يصدر قانون الجزارة اللسانية" من بين ما جاء في مقاله الدعوة بترسيم اللغتين الأساسيتين للأمة الجزائرية وهما "المغربي" Lemaghribi " "العامة والأمازيغية" وفي مرحلة انتقالية نحتفظ بالفرنسية باعتبارها لغة الحداثة العالمية، ينهي مقاله باقتراح ان يكون التعليم في المرحلة الابتدائية بإحدى لغتي الأم (العامة أو الأمازيغية).

وفي نفس الصحيفة بتاريخ 18 /05/ 1998 ورد مقال ويتوقع كل من "بوعمران الشيخ" و"محمد جبلي" يعارض المقالات السابقة، وبعض ما يذكران أن اللغة العربية تمثل درع الهوية الجزائرية، كما أن اعتبار الفرنسية لغة وطنية يعيدنا للاحتلال.

هناك مقالات أخرى تقدم منظورا تحليليا للواقع اللساني في الجزائر نذكر منها مقالا للسيد "رشيد بوجدره" وهو معروف بإتقانه اللغتين العربية الفرنسية ، بعنوان "مراودة الخوف" "La Tentation de léffroi" نشرته جريدة الصباح Le Matin بتاريخ 2002/09/11، يقول الكاتب إن لكل أمة لغتها المكتوبة التي تقدم بها خطابها الوطني وتكون لغة التفكير والتحليل العلمي أو الميتافيزيقي، ولكن للغة الشفهية أيضا عبقريتها، عرفت العربية أزهى أيامها وانتشرت جغرافيا على نطاق واسع واستوعبت العلوم و المعرفة المكتوبة بلغات الحضارات الأخرى، لقد نسينا كل ذلك

لان الانثروبولوجيا الكولنيالية تركت في لا شعورنا بصمات عميقة، حيث عملت على البرهنة بمكر على البرهنة على تخلف اللغات المكتوبة في البلاد المستعمرة وان العاميات واللهجات هي اللغات الحية المرنة وذات الأداء العالي.

5- النتائج المترتبة عن الصراع في مجال التعليم:

رغم تأكيد الدراسات السوسيو-لسانية خطورة التعددية اللغوية على المستوى التعليمي، وعلى مستويات التنمية الاجتماعية والاقتصادية؛ فإن السياسة اللغوية الجزائرية كانت ولا زالت خاضعة للارتجالية والظرفية، تصنعها المواقف بعيد عن التخطيط اللغوي رغم الجهود المبذولة منذ الاستقلال، كما لاحظنا ذلك من خلال العرض السابق للمواثيق التي أصدرتها الدولة، فالواضح هو وجود انفصال بين ما هو معمول به في الواقع، وبين تشريعات السياسة اللغوية؛ رغم كثرة النصوص المنظمة لها، والنتيجة ضعف التعليم وتدني مستواه خاصة في العقد الأخير، وأصبح الضعف اللغوي وفي كل اللغات سواء الوطنية أو الأجنبية سمة من سمات المتخرجين، ووجه الاتهام للغة العربية، ويبرر القائمون على العملية التربوية تدني مستوى مخرجات التربية والتعليم، بعجز اللغة العربية على أن تكون لغة تعليم ويستدلون على ذلك بضعف النتائج مثالا على ذلك "العلامة التقديرية الضعيفة التي حصل عليها 75% من جملة البكالوريا في شعبة العلوم دورة جوان 99، فقد تحصلوا في مادة اللغة العربية على علامة أصغر أو تساوي 10 من عشرين أما المعدل العام الوطني في المادة نفسها والمحصل عليه من قبل الناجحين والراسبين معا في جميع الشعب هو 33.9 من عشرين".²³ وبالتالي كان ولا زال الطرح القائم هو اللغة العامية كبديل للغة العربية على تنوعها غير المتناهي، لتحل محلها اللغة الفرنسية فيما بعد كبديل من منظور أنها لغة العلم، فكيف يمكن توصيف هذا الوضع؟

أ- توصيف حالة الضعف اللغوي

الضعف اللغوي "الأمية الجديدة" تعني ذلك المتعلم ذي المستوى العالي (كالتالِب والأستاذ الجامعي) من التعليم والثقافة ومع ذلك فهو غير قادر لا على القراءة ولا

على الكتابة ولا على الحديث بطريقة سليمة باللغة العربية الفصحى التي كان له معها احتكاك منذ المرحلة الابتدائية التعليمية حتى المستوى العالي الجامعي.²⁴ حيث ثبت أن الزيادة المعرفية المكتسبة عن طريق التعدد اللساني، ولا سيما عند الإفراط فيه غالبا ما تكون على حساب الكيف ويكون الامتداد الأفقي والعددي على حساب العمق، مما يؤدي إلى تدني في مستوى التحصيل المعرفي لدى المتعلمين لأنه غالبا ما يعنى بتوسيع الكم ويكون أفقيا أكثر منه عموديا أي على حساب المدارك العلمية والمعرفية، والتعمق في لغة من اللغات والغالب في الشخص الذي يستعمل أكثر عددا من اللغات انه قد لا يتقن أي واحدة منها إتقاننا جيدا متعمقا، وهذا ما يجعلنا في التعليم المعاصر القائم على الثنائية والتعددية أمام وضع يتخرج فيه التلميذ من المؤسسة التعليمية الثانوية أو الجامعية وهو لا يتقن لغته الوطنية ولا أي لغة أخرى إتقاننا جيدا.²⁵

وبين د.مازن المبارك بالخصوص "أن الإنسان العربي ليفكر آليا باللغة العربية ما دام في جو عربي وإنه لمن الصعب أن يفكر الطالب بلغته ويتحدث بغيرها" بل إنه يضع قسما كبيرا من وقته في النقل والترجمة بين فكره ولسانه إن اللغة الأجنبية التي يراد من الطلاب إتقانها ستظل عند الكثيرين منهم نقطة ضعف وستصيب الكثير منهم بالانفصال بين فكره واللسان أو بـ"فصام التعبير" وهو داء يصيب الكثير من المتعلمين إذ يفكر أحدهم بلغة، ثم يترجم فكره إلى لغة يريد التحدث بها، فإذا هي لغة مشوشة أو ركيكة أو هي على حال ليست تعبيريا سليما عما فكر فيه، بقدر ما هي تعبير عن طاقة فكرية شائعة كان الأولى أن تصرف في التأمل والإبداع العلمي عوض أن تصرف في الترجمة و المواءمة بين الفكر واللسان.²⁶

وبالنسبة للجزائر وعلى الرغم من الجهود التي بذلتها بعد الاستقلال بشأن تعريب وتوجيه التعليم نحو تعميم استعمال اللغة الوطنية، فإن النتائج المنعكسة في نهاية التكوين اللغوي للطلاب الجامعي اليوم تفيد أنه على العموم أمي بالمعنى الجديد لكلمة الأمية، أي أنه غير قادر لا على الكتابة ولا على التحدث السليم والسهل والمتسلسل

بالفصحى، وهو بالتالي جاهل أساسا بكثير من المفردات اللغوية والتراكيب التعبيرية والقواعد الصرفية والنحوية بما في ذلك البسيط منها أحيانا.²⁷

من مظاهر الضعف كذلك إعراض الطلبة عن اللغة الأصلية لشعورهم بلا جدوى الجهد المبذول في تعلمها، وأنكى هذه الظاهرة أن العامية تسلت إلى قراءتهم على امتداد حياتهم في التعلّم وتبقى هي البرنامج اللغوي أو النموذج اللغوي الذي يسيطر على ادائهم حتى نهاية التعليم العام.²⁸ غلبة الشعور بالاستحياء والرهبة والانحرافية الاجتماعية والتوتر النفسي لدي بعض الطلبة عند دعوته للتحدث.²⁹ فقد يقابل أحد الطلبة عند تحدّثه بالفصحى بالاستهزاء والسخرية من طرف زملائه، أو يوصف بالتخلف والرجعية.

استخدام الحرف اللاتيني ظاهرة ملموسة خاصة بين الشباب وانتشار ما يسمى بالعريزية تستعمل هذه اللغة في الانترنت إذ تكتب العربية بحروف لاتينية والحروف التي ليس لها مقابلات تعوض بالحروف مثل الحرف حاء يعوض ب7.³⁰

ب - تنامي ظاهرة الإلحاح على اللغة العامية كلفة للتعليم:

طبيعة الصراع توحى بعدم تحكم الدولة في السياسة اللغوية بل تراوح مكانها أحيانا باحثة عن السلم الاجتماعي، وأحيانا أخرى تعمل لمصالح جهات معينة، ويبقى التعلّم حقل تجارب وصراع لأطروحات نخب حاكمة أو محكومة، ويزداد خطر العامية بإعلان وزيرة التربية أثناء ندوة تقييم إصلاحات التربية في 24 و25 جويلية 2015 بإدراج العامية في السنتين الأولى والثانية ابتدائي.

تنامي ظاهرة الإلحاح على الدعوة لاستعمال اللهجات أو العاميات العربية بشكل لافت ومثير نلاحظ ذلك على المستوى النظري، فيما نسمع ونقرأ ونرى يوما بعد آخر من تزايد عدد المنابر والأصوات والكتابات والندوات واللقاءات التي تدعو إلى هذه الدارجة أو تلك، وتدعو لترسيمها أحيانا أو اعتبارها اللغة الوطنية التي يمكن أن تجمع حولها الناس بدل الفصحى، ويمكن أن تصلح للاستخدام في التعلّم والإدارة وكل المجالات، ونلاحظه ثانيا على مستوى الممارسة العملية فيما هو حاصل بالفعل

من اكتساح الدارجة لكل الفضاءات، وتعمد إقحامها في كل المجالات بلا استثناء، أما مجال الإعلام فبعد أن كان رافعة لدعم الفصحى ونشرها وتمييزها وتطويرها في المراحل السابقة ولا سيما الصحافة المكتوبة، أصبح اليوم يشهد تحولا عكسيا، أي نحو تقليص حضور الفصحى وتغليب الاستعمال الدارج.³¹

أما الجهات الداعية لتبني الدارجة لغة رسمية ولغة للتعليم، سواء عن اقتناع أم عن تبعية وانجرار، فهي أما أطراف فرنكفونية أو أنجلوفونية تدافع عن الدارجة بحكم أنها لم تتعلم شيئا من العربية، وتدافع عن اللغة الأجنبية لأن هذا الخطاب الاحتقاري للفصحى والمتحامل عليها والمتودد في الوقت ذاته للدارجة إنما هو خطاب موروث عن خريجي مدارس البعثات الأجنبية وإما أطراف مدافعة عن لغة محايدة كاللغة الأمازيغية في المغرب والجزائر بطريقة خاطئة معتقدة أن الخطر يأتي من العربية الفصحى ولا تنتبه إلى الخصم الحقيقي لكل من العربية والأمازيغية وهو الفرنكفونية والأنجلوفونية.³²

ومن مبررات النخبة الداعية لتبني للعامة أن المزوجة بين استعمال الفصحى وبعض لهجاتها المنفرعة عنها هي سبب الجهل وعدم انتشار التعليم، مع أن ظاهرة ازدواجية موجودة في كل لغات العالم بما فيها الفرنسية والإنجليزية، ويقولون إن العربية لغة ميتة، في الوقت التي هي واحدة من اللغات الست الكبرى التي تعتمدها الأمم المتحدة واللغة الحاملة لأعز تراث حضاري فكري إنساني، ويرجع إليها خمس سكان العالم وهم المسلمون.³³

إلى جانب تباعد المسافة بين اللغة الفصحى ولهجاتها؛ وأن هذه اللهجات قد انفصلت عن اللغة الأم بحيث أصبحت لغات شائعة، مع أن الاختلاف بين هذه العاميات وبين العربية الفصيحة اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد؛ وهو مظهر من مظاهر التطور الفريد من نوعه في تاريخ تطور اللغات، هو تطور يعود بها إلى شكلها الفصحى الموحد بسبب التواصل المستمر بين الناطقين بها ومصادر الدين ووسائل الإعلام.³⁴

أن أصحاب هذه النزعة يستندون إلى مبدأ "أن التعليم بلغة الأم ولا سيما في المراحل الأولى هو أفيد وأنجع من التعليم بغيرها"، وهناك من يذهب إلى أبعد من هذا فيقول إن البدء في التعليم بلغة الأم يساعد أكثر في إكساب اللغة الثانية، وغيرها من اللغات لأنه بعد اكتساب الكفايات والمفاهيم الأساسية في اللغة الأولى يمكن الانتقال بسهولة إلى اللغة الثانية، ولكن السياق الحقيقي لتطبيق هذا المبدأ الذي نتحدث عنه تلك الفئة من الباحثين هو سياق الثنائية والتعددية اللسانية، أي حينما تكون هناك السنة متعددة وطنية كلها، أو بعضها وطني والآخر خارجي أجنبي عند ذلك ينصح علماء التربية والنفس والاجتماع واللغة بضرورة استعمال اللسان الوطني في المراحل التعليمية كلها إن أمكن.³⁵

ثانيا: الدراسة الميدانية:

تهدف الدراسة الميدانية إلى معرفة التمثلات المجتمعية اتجاه الانفتاح على لغات العالم في ظل الثقافة العولمية الكاسحة، وكذا اتجاه اللغتين الوطنيتين العربية والأمازيغية. وقد سبق الإشارة للفرضية الرئيسية والفرضيات الفرعية التي تم بناء الدراسة الميدانية عليها.

1- الإجراءات المنهجية للدراسة:

بالنسبة لمجالات الدراسة فقد أجريت في كل من المعهد الدولي للغات والاتصال لولاية سطيف و"مركز التعليم لمكثف للغات بجامعة سطيف2" الجزائر. أما العينة تم اختيار "العينة القصدية" لأنها الأنسب في تبيان تمثلات أفراد عينة من الطلبة المقبلين على تعلم اللغات الأجنبية المختلفة، وقد بلغ حجم العينة 167 مفردة، موزعة على طلبة المدرستين السابقتن، وبالنسبة للمنهج المستخدم اعتمدت المقاربة على "منهج دراسة الحالة" وتم اختيار حالتين هما "المعهد الدولي للغات والاتصال بولاية سطيف" و"مركز التعليم لمكثف للغات بجامعة سطيف2"، وأدوات جمع البيانات تم

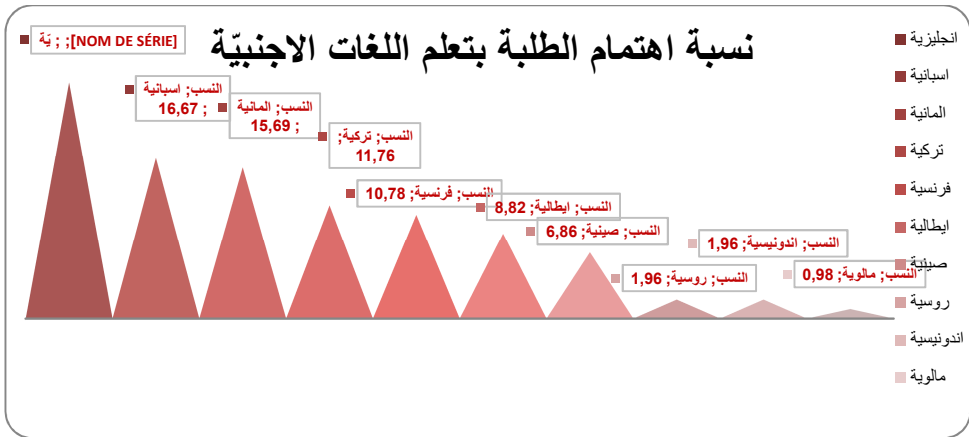
الاعتماد على الاستمارة كأداة جمع بيانات أساسية، وبعض الإحصائيات التي قام بها المعهد الدولي للغات والاتصال.

2- نتائج الدراسة:

نتائج الدراسة في ضوء الفرضية الأولى والتي مفادها: "يوجد نمو لاتجاهات جديدة نحو اللغات العالمية، أمام تراجع الإقبال على تعلم اللغة الفرنسية، واللغتين الوطنيتين العربية والأمازيغية".

بينت نتائج دراسة قام بها "المعهد الدولي للغات" بولاية سطيف، مع بداية السنة الدراسية 2015-2016، وذلك من خلال إجرائه لدورات تكوينية مجانية في مختلف اللغات، تقدم حجم الإقبال على تعلم اللغة الانجليزية على بقية اللغات، في مقابل تأخر اللغة الفرنسية، والرسم البياني الموالي يوضح ذلك:

رسم بياني رقم 01: يبين نسبة اهتمام الطلبة بتعلم اللغات الأجنبية³⁶



نلاحظ من الرسم تقدم كل من اللغة الإنجليزية بنسبة 24.51%، والاسبانية بنسبة 16.67%، والألمانية بنسبة 15.69%، والتركية بنسبة 11.76%؛ على اللغة

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

الفرنسية بنسبة 10.78% من حجم الإقبال على تعلم اللغات الأجنبية، ثم تأتي اللغات الإيطالية، والصينية، والروسية، والاندونيسية، والمالوية بنسب أقل من اللغات السابقة. من الملاحظ أن نتائج الرسم البياني تثبت أنه هناك فعلا اهتمام لدى أفراد مجتمع البحث باللغة الإنجليزية، تماشيا مع الثقافة العولمية مقابل تراجع في مكانة الفرنسية لدى أفراد العينة، خاصة وأنهم طلبة جامعيين.

أما بالنسبة لإجابة أفراد العينة على أسئلة "الاستمارة"، التي كان أن طُلبَ منهم ترتيب اللغات الأجنبية واللغتين الوطنيتين (العربية والأمازيغية) من حيث توفر صفة الحيوية والجاذبية والأكثر أهمية عمليا؛ فكانت النتائج المعبر عنها في الجدولين التاليين:

جدول رقم (01): يوضح ترتيب اللغات حسب حيويتها وجاذبيتها حسب رأي أفراد

العينة

اللغة	الترتيب الأولي		الترتيب الثانية		الترتيب الثالث		الترتيب الرابع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
العربية	28	17	29	17.5	107	64	6	3.5
الأمازيغية	10	6	15	9	6	3.5	151	90.5
الفرنسية	11	6.5	91	54.5	42	25	4	2.5
الإنجليزية	118	70.5	32	19	12	7	6	3.5
المجموع	167	100	167	100	167	100	167	100

يتضح من خلال نتائج الجدول تقدم اللغة الإنجليزية في الترتيب الأول باعتبارها لغة عالمية بنسبة 70.5% من أفراد العينة الذين يرونها لغة حيوية ومعاصرة وتراجع اللغة الفرنسية أمامها في الترتيب الثاني بنسبة 54.5% من أفراد العينة

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

الذين يرونها لغة حيوية ومعاصرة، وفي المقابل نلاحظ تراجع اللغتين الوطنيتين حيث احتلت اللغة العربية الترتيب الثالث بنسبة 64 %، وفي الترتيب الأخير اللغة الأمازيغية بنسبة 90.5%.

وفيما يخص إجابة مفردات العينة حول هدفهم من تعلم اللغات الأجنبية فهو موضح في الجدول التالي حسب كل لغة من اللغات التي اختارها أفراد العينة:

جدول رقم (02): يوضح هدف أفراد العينة من تعلم اللغات الأجنبية:

المجموع		استعمالات متعددة		التواصل		العمل		الدراسة		الهدف اللغات
%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%	ت	
24	40	13.2	10	16.7	1	33.3	15	35.0	14	إنجليزية
40.7	68	51.3	39	50.0	3	28.9	13	32.5	13	فرنسية
10.8	18	11.8	9	-	-	15.6	7	5.0	2	اسبانية
10.2	17	6.6	5	16.7	1	15.6	7	10.0	4	ألمانية
2.4	4	1.3	1	-	-	2.2	1	5.0	2	تركية
10.2	17	14.5	11	-	-	2.2	1	12.5	5	لغتين
1.8	3	1.3	1	16.7	1	2.2	1	-	-	آسيوية
100	167	100	76	100	6	100	45	100	40	المجموع

يتضح من خلال الجدول تقارب في النسب بين اللغتين الفرنسية والإنجليزية في حالة ما إذا كان الهدف من تعلم اللغة الأجنبية الدراسة أو العمل، وتحتل الفرنسية الترتيب الأول بنسبة تقارب 50 % في حالة ما إذا كان الهدف من تعلم اللغة التواصل، وكذا في حالة الاستعمالات المتعددة للغة المراد تعلمها، مع الإشارة أن المقصود بالاستعمالات المتعددة هو الحالة التي يستعمل فيها المتعلم اللغة في: الدراسة والعمل والتواصل الاجتماعي معا، وحسب تصريح أفراد العينة فإن تعلم الفرنسية يقبل عليه طلبة الشعب العلمية، لكونها لغة تعلم في تلك الشعب، وهدفهم تحسين المستوى، وبالنسبة للغة الانجليزية والاسبانية يختارونها لكون معظم المراجع والنشاطات العلمية باللغتين السابقتين، أما بالنسبة للغة التركية وحسب الملاحظة يتم

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية.

اختيارها بهدف السّياحة، وبالنسبة للغات الأسيوية تقريبا الهدف اقتصادي بالدرجة الأولى.

وبالنسبة نتائج الدراسة فيما يتعلق بإجابة مفردات العينة حول السؤال ما هي اللغة الأكثر أهمية من حيث العمل بها فقد كانت نتائج الدراسة مبينة حسب الجدول الموالي:

جدول رقم (03): يبين اللغة الأكثر أهمية عمليا حسب رأي مفردات العينة

اللغة	الترتيب الأول		الترتيب الثانية		الترتيب الثالث		الترتيب الرابع	
	ت	%	ت	%	ت	%	ت	%
العربية	25	15	32	19.5	112	67	-	-
الأمازيغية	6	3.5	12	7	4	2.5	162	97
الفرنسية	51	30.5	62	37	35	21	5	.3
الإنجليزية	85	51	61	36.5	16	9.5	-	-
المجموع	100	100	167	100	167	100	167	100

يتبين من خلال الجدول تقدم اللغة الإنجليزية في الترتيب الأول بنسبة 51%، وتراجع اللغة الفرنسية إلى الترتيب الثاني بنسبة 37%، واللغتين الوطنيتين الرسميتين العربية والأمازيغية في الترتيب الثالث والرابع بنسبة 67% و97%، على التوالي، ومن الملاحظ أن اللغة الإنجليزية والفرنسية لم تنزلا للترتيب الرابع إطلاقا وهذا دليل على أهميتهما.

أما نتائج الدراسة حسب الفرضية الثانية التي مفادها: "يوجد تمثلات سلبية لدى افراد العينة اتجاه تعلم اللغة العربية".

وبالنسبة للسؤال الموجه لأفراد العينة الذي كان مفاده: هل توافق أن تكون اللغة العربية لغة التعليم الشامل في كل الأطوار التعليمية وفي كل التخصصات العلمية والتقنية؟ بينت نتائج الدراسة أن نسبة 76.5% توافق على أن تكون اللغة العربية لغة التعليم في كل الأطوار التعليمية، مقابل نسبة 23.5% ترفض أن تكون اللغة العربية لغة التعليم لكل الأطوار وحجة مذهبهم هذا أن اللغة العربية ليست لغة علوم.

وفيما يتعلق بسؤال حول: هل تقبل باللغة العامية لغة للتدريس؟ فقد تبين أن نسبة 88.5% من أفراد العينة ترفض أن تكون اللغة العامية لغة للتدريس ويرون عدم أهليتها لذلك بحجة أنها تفتقد للقيمة العلمية والمعرفية والعالمية، أما نسبة 11.5% ترى إمكانية أن تكون لغة للتدريس كأداة التواصل بين الأستاذ والطالب.

وقد تبين من خلال سؤال: ما هي اللغة التي تختارها لغة ثانية في التعليم؟ أن نسبة 75.5% من أفراد العينة ترى اللغة الإنجليزية، لغة ثانية للتعليم بحجة أنها لغة العصر ولغة العلوم، في مقابل نسبة 24.5% من أفراد العينة تقبل باللغة الفرنسية لغة ثانية في التعليم وهذا عكس ما تؤكد عليه السياسة اللغوية التعليمية التي تؤكد على أن اللغة الفرنسية لغة ثانية للتعليم، بل وتعطيها حجما ساعيا يضاهي الحجم الساعي للغة العربية.

فيما يتعلق بسؤال، هل ترى في التدريس باللغة العربية سببا في تدني مستوى التعليم؟ فقد تبين أن نسبة 86% ترفض أن تكون اللغة العربية سببا في تدني المستوى التعليمي، بل يرجعون ذلك للمنظومة التربوية ككل، وفي المقابل نسبة 14% ترى أن اللغة العربية سبب في تدهور وضع التعليم.

وبالنسبة للسؤال هل تشعر بالذنب والغيرة، والدونية، والإحباط لهيمنة الفرنسية على العربية؟ فقد تبين أن نسبة 75% تشعر بذلك، في مقابل نسبة 25% لا تشعر بذلك، وهذا مؤشر جيد على مكانة اللغة العربية لدى أفراد العينة، وهو ما يدل على وجود وعي نسبي لأفراد العينة بمكانة اللغة الوطنية.

وتبين من خلال سؤال: هل تترتاح لوجود الفرنسية في المحيط الاجتماعي مثل لافتات المحلات قوائم الأكل في المطاعم؟ أن نسبة 54% لا تترتاح لوجود الفرنسية في الفضاء العام، مقابل نسبة 37% تترتاح لذلك، وأن نسبة 9% لا تهتم للأمر، من خلال إجابات الباحثين يتضح أن هناك تقاربا في النسب، بين وجود الارتياح من عدمه ويرجع ذلك لتعود الأفراد على وجود الظاهرة.

كما بينت نتائج الدراسة أن نسبة 88.5% تفضل الاستخدام الواسع للعربية في المحيط الاجتماعي مثل لافتات المحلات قوائم الأكل في المطاعم، مقابل نسبة 8% ، ترفض ذلك و نسبة 3.5% لا تهتم للأمر.

خلاصة:

يمكن النظر لظاهرة صراع النخب الجزائرية حول موضوع لغة التعليم، من منطارتين: أولاً : يمكن النظر إليه على انه إستراتيجية استعمارية يعمل من خلالها على تعطيل وتكيبيل البلاد المستعمرة، لتبقى في فلكه باستعمال أبناء تلك البلدان، ثانياً: أن هذا الصراع هو تحويل للأنظار عن أولويات التنمية والعمل السياسي.

فالمستعمر يعمل وفق خطط معينة يعطل من خلالها البلاد المستعمرة في وحل الخلاف الهدام للأفكار البناءة، فعوض عمل النخب من أجل مصلحة المجتمع، فإنها بقيت بعيدة عن دورها المنوط بها، فتركت الأصل المتمثل في بناء المجتمع والخروج من التخلف إلى الرقي، وانشغلت بمصالحها المادية باعتبار تكريس النخب السياسية للتعددية اللغوية في الجزائر هو تأكيد لمقولة اللغة الفرنسية "لغة خبز"، والنتيجة لا فرنسية ولا عربية ولا انجليزية ولا عامية إنها الفوضى السياسية واللغوية!.

فالمستعمر على رأي "مالك بن نبي"، يدرك كيفية تعاملنا مع الأفكار، فالنوع الأول من الأشخاص يتعامل مع الأفكار بحالة أو نوع من العبادة والخنوع، والحالة الثانية: حالة فيها الثورة والحدق، ونحن نشاهد فعلا هاتين الحالتين في المجتمع الإسلامي منذ أخذ يشعر بالاستعمار، ويسعى لتخليص نفسه منه، إننا نجد من بين المسلمين من يرى في الاستعمار الشيطان، فيعتريه الهول منه ويهزه الغضب من الشعور بأنه الشيطان، ومن هم من يرى فيه أنه إله، فيعبده لأنه يتصور أن النعم بيده في الدنيا على الأقل، ونكون على جانب هام من العبث إذا قدرنا أن الاستعمار يعلم هذا ولا يستغله.³⁷ فالحالة الأولى تمثلها النخبة الفرنكفونية المنبهة بفرنسا وقوة فرنسا وحضارتها وقيمها، واعتبروا اللغة الفرنسية مفتاح الحضارة، والحالة الثانية تمثلها النخب المعربة التي تبالغ في الانفعال دون العمل، تستهلك طاقتها في ردود

الأفعال والتبرير دون فعل شيء يدفع باللغة العربية لتؤدي دورها كما يجب، لتبقى مسألة لغة التعليم إلى يومنا هذا وبعد أكثر من خمسين سنة من الاستقلال ، تتحكم فيها أهواء القائمين على السلطة التربوية، ومصدر انفعال مجتمعي لا يملك أصحابه القرار السياسي الفاعل.

بالنسبة للعلومة كطرف ثالث في الصراع اللغوي داخل الجزائر تعني النموذج الإنجليزي ويمكن ملاحظته من خلال تكوين الاتجاهات الإيجابية تجاه اللغة الإنجليزية وتكوين الاتجاهات السلبية اتجاه اللغة العربية ومن أبرز هذه الصور أن يفتخر الجزائريون بالإنجليزية ويعتبرونها لغة وحيدة للفوز في الحياة المعاصرة وفي المقابل ينظرون للغة العربية والامازيغية نظرة مغايرة حسب ما بينته نتائج الدراسة الميدانية.

فالظاهرة اللغوية في الجزائر مؤخرا، وبفعل تأثير العولمة اللغوية كحتمية، ذهبت في اتجاه معاكس للسياسة اللغوية الرسمية، وباتت تُشكّل طرفا ثالثا في معادلة الصراع اللغوي داخل الجزائر، لكن هذه المرة في قاعدة الهرم بعيدا عن النخب المثقفة والمُسيّسة، إذ اصبح من الملاحظ على المستوى المجتمعي نمو وعي اتجاه مختلف لغات العالم، بما فيها اللغات الآسيوية عكس ما كان يشاع عن المجتمع الجزائري وانغلاقه على اللغة الفرنسية كقطب لغوي أجنبي وحيد، أو عكس ما يروج له بعض النخب السياسية الجزائرية، بسيطرة اللغة الفرنسية على ذهنيات أفراد المجتمع ككل.

كما تبين ان اللغة العربية لازالتّ محافظة على مكانتها لدى عامة أفراد المجتمع الجزائري، ما يؤكد أن ما تعيشه اللغة العربية من تراجع وانحسار سببه بالدرجة الأولى هو ضعف السياسة اللغوية في الجزائر وعدم مساندتها الواقعية الفعلية للغتين الوطنيتين العربية أو الأمازيغية.

الهوامش :

- 1 عبد القادر الفاسي الفهري: السياسة اللغوية في البلاد العربية، دار الكتاب الجديدة المتحدة، ط1 بيروت لبنان، 2013، ص14.
- 2 بلال دربال: السياسة اللغوية المفهوم والآلية، مجلة المخبر أبحاث في اللغة والادب الجزائري جامعة بسكرة الجزائر ، العدد 10، 2014، ص326.
- 3 UNESCO : L'éducation dans un monde multilingue : Imprimé en France, 2003; p15.
- 4 محمد السوّالي: السياسة التربوية الأسس والتدابير: ترجمة محمد حسني، الدار العربية للعلوم ناشرون، ط1، الرباط، المغرب، 2012، ص57.
- 5 عبد القادر الفاسي الفهري، مرجع سبق ذكره، ص119
- 6 بلعقروز عبد الرزاق: جذور أزمته التربوية والتعليم في الجزائر <http://www.cilecenter.org>، يوم 2015/12/27
- 7 بوتومور: الصفوة والمجتمع، ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، دار المعرفة الجامعية، دط، الإسكندرية، مصر، 1988، ص32.
- 8 علي حرب: أوهام النخبة أو نقد للمتقف، المركز الثقافي العربي، ط3، بيروت، لبنان، 2004 ص38.
- 9 أحمد بعلبكي وآخرون: الهوية وقضاياها في الوعي العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2013، ص54
- 10 خولة طالب الإبراهيمي: الجزائريون والمسألة اللغوية، ترجمة محمد يحياتن، دار الحكمة، دط الجزائر، 2007، ص125.
- 11 محمد العربي ولد خليفة: المسألة الثقافية وقضايا اللسان والهوية، منشورات تالة، الأبيار الجزائر، 2007، ص147.
- 12 محمد العربي ولد خليفة، مرجع سبق ذكره ، ص148 .
- 13 لويس جان كالفي: حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة: حسن حمزة، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت لبنان، 2008، ص367.
- 14 وليد الزيدي: السياسة الفرنكفونية والوطن العربي، دار أسامة للنشر والتوزيع، ط1، الأردن عمان، 2010، ص195.

- 15 عبد القادر حلوش: سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الامة للطباعة والنشر، برج الكيفان دط، الجزائر، 2010، ص252، ص253.
- 16 أحمد بعلبكي وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص333
- 17 محمد العربي ولد خليفة: مرجع سبق ذكره، ص 149
- 18 خولة طالب الابراهيمى: مرجع سبق ذكره، ص 233
- 19 عبد القادر الفاسي الفهري: مرجع سبق ذكره، ص18.
- 20 عبد الحميد براهمي: في أصل الأزمة الجزائرية 1958 1999، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، بيروت، لبنان، 2001، ص96، ص99
- 21 ناصر جابي: الجزائر الدولة والنخب، منشورات الشهاب، دون طبعة، باتنة، الجزائر 2008 ص17
- 22 محمد العربي ولد خليفة: بتصرف، مرجع سبق ذكره، ص ص: 153 - 161.
- 23 عبد القادر فضيل: مرجع سبق ذكره، ص368
- 24 عبد الرحمن عزي: اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت لبنان، ط1، 2008، ص 46.
- 25 عبد العالي الودغيري: لغة الأمة ولغة الأم عن واقع اللغة العربية في بيئتها الاجتماعية والثقافية، دار الكتب العلمية، ط1، لبنان، 2014، ص73
- 26 أحمد بعلبكي وآخرون: مرجع سبق ذكره، ص280
- 27 عبد الرحمن عزي: مرجع سبق ذكره، ص44.
- 28 نهاد محمد موسى: اللغة العربية في العصر الحديث قيم الثبوت وقوى التحول، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط2007، ص1، ص69
- 29 محمود الذوايدي: اللسان العربي وإشكالية التلقي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان ط1، 2008، ص 45.
- 30 محمد يوسف الهزايمة: العولمة الثقافية واللغة العربية (التحديات والآثار)، الأكاديميون للنشر والتوزيع، ط1، عمان، الأردن، 2012، ص 137.
- 31 عبد العالي الودغيري: مرجع سبق ذكره، ص193.
- 32 عبد العالي الودغيري: مرجع سبق ذكره، ص241 .
- 33 عبد العالي الودغيري: مرجع سبق ذكره، 2014، ص236، ص237.

- 34 عبد الرحمن بودرع: في تحليل الخطاب الاجتماعي السياسي، مطبعة الخليج العربي ط1 تطوان، المغرب، 2014، ص249، ص250.
- 35 عبد العالي الودغيري: مرجع سبق ذكره، ص278.
- 36 مدير المعهد الالمعهد الدولي للغات LCI سطيف حي برارمة فيفري 2016.
- 37 مالك بن نبي: الصراع الفكري في البلاد المستعمرة، دار الفكر، دمشق، سوريا، 1981، ص63، ص64

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
رئاسة الجمهورية

المينة الوطنية لحماية الطفولة وترقيتها

المجلس الأعلى للغة العربية



الحقوق اللغوية للطفل الجزائري

بين

المطالب الاجتماعية والتربوية

أعمال اليوم الدراسي

الحقوق اللغوية للطفل الجزائري بين المطالب الاجتماعية والتربوية

أعمال اليوم الدراسي

منشورات 2019



المجلس الأعلى للغة العربية

52، شارع فرانكلين روزفلت

ص.ب. 525، ديدوش مراد، الجزائر.

الهاتف: +213 21 23 07 16/17

الفاكس: +213 21 23 07 07

الموقع الإلكتروني: www.hcla.dz